المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام - الرياض
الدراسات العليا
قسم الدعوة والإحتساب

الدعـــوة إلى الله
بالمنهج الحسي في القرآن الكريم

(بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الدعوة إلى الله)

إعداد الطالب
سليمان بن ناصر مرزوق عبد الله

إشراف فضيلة الشيخ
منـــاع خليل القطان

(الجزء الثاني)

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

المبحث الثالث : الإرتباط بالمألوف :

التمهيـــد :

يعجب الإنسان أشد العجب حين يستعرض مشاهد الكـون المألوفة لـدى النـاس في القـرآن الكريم ، وذلك لأنه حينما يستعرض هذه المشاهد يستعرضها بأسلوب مبـدع يؤثـر في النفـس تأثـيراً شديداً ، وعن ذلك يقول الإستاذ سيد قطب رحمه الله[1] : إن هذه الريشة المبدعة ما مسّـت جـامداً إلا نبض بالحياة ولا عرضت مألوفاً إلا بدا جديداً ، وتلك قدرة قـادرة ، ومعجـزة سـاحرة ، كسـائر معجزات الحياة ! .

الصبح مشهد مألوف مكرور ، ولكنه في تعبير القرآن حي لم تشهده من قبل عينـان ، إنـه : ﴿ **الصبح إذا تنفس** ﴾ [2] ، ما أجمل أن يصور الصبح وضاأته واكتمال إشراقه وبهاء طلعتـه ونبـض الحياة المتدفق في الوجود عند ذلك بإنسان يتنفس .

والليل آن من الزمان معهود ، ولكنه في تعبير القرآن حي جديد ﴿ **والليل إذا يسـر** ﴾ [3] ، وهو يطلب النهار في سباق جبّار ﴿ **يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً** ﴾ [4] .

والظل ظاهرة تشهد وتعرف ، ولكنه في تعبير القرآن تحس وتتصرف : ﴿ **وظلٍ من يحموم * لا بارد ولا كريم** ﴾ [5] .

والجدار بِنْيَة جامدة كالجلمود [*] ، ولكنه في تعبـير القـرآن يحـس ويريـد : ﴿ **فوجـدا فيهـا جداراً يريد أن ينقض فأقامه** ﴾ [6] .

والطير بنية حية ولكنها مألوفة لا تلفت الإنسـان ، أمـا في تعبـير القـرآن فمشـهد رائـع يثـير الجنان إنه مشهد واحد ذو منظرين ، منظـر الطـير باسـطات أجنحتهـا صافـات أرجلهـا ، ومنظرهـا كذلك قابضات ، وهي صورة حية متحركة ، يراها الناس كل لحظة فيمرون بها غافلين ، فهو يلفت إليها أنظارهم ، ليروها بالحس الشاعر المتأثر ، دليلاً على قدرته ورحمته قال تعـالى : ﴿ **أولم يـروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن** ﴾ [7] .

---

١) التصوير الفني في القرآن ص٢٥١

٢) سورة التكوير : آية (١٨)

٣) سورة الفجر : آية (٤)

٤) سورة الأعراف : آية (٥٤)

٥) سورة الواقعة : آية (٤٣-٤٤)

*) الجلمود : الصخر ، مختار الصحاح ص١٠٨

٦) سورة الكهف : آية (٧٧)

٧) سورة تبارك : آية (١٩)

والأرض والسماء ، والشمس والقمر ، والجبال والوديان ، والدور العامرة ، والآثار الدائرة ، والنبات والحيوان ، والأشجار والأفنان .. كل أولئك أحياء مألوفة أو مشاهد تخاطب الأحياء فليس هناك جامد ولا ميت بين الجوامد والأشياء .

ويستخدم القرآن للتربية كل وسيلة يمكن أن ينفذ بها إلى منافذ النفس المختلفة ومسار بها الخفية .

فمن أجل خير هذه النفس وصلاحها ، ومن أجل رفع الحياة البشرية وترقيتها ، يسعى القرآن من خلال الآيات الكونية المشاهدة والمألوفة إلى تحريك هذه الحواس المتبلدة لتنفعل بالحياة في أعماقها ، وتتجاوب تجاوباً حياً مع الأشياء والأحياء .

(والقرآن حافل بهذه الدعوة للإنسان أن يفتح بصيرته على آيات الله في الكون ويستشعر من ورائها يد القدرة الإلهية الخلاقة المبدعة .. في أسلوب أخاذ يأخذ بمجامع النفس ، ويوقظها من إلفها وعادتها فتتفتح الكون كأنه جديد ، وحين يحدث هذا التفتح ، فإنه يحدث أعجب الأثر في الكيان البشري) [1] .

(إن أسلوب القرآن ساحر ، وجّوه المشرق ، وروحه الصافية ، لتنقل الإنسان نقلاً من إلفه وعادته ، وتهز ليستيقظ ، تلمس - برفق - أعصابه المكشوفة ـ فتعطية الشحنة كاملة ، ينقلها إلى مركز الحس بكامل تدفقها .. ومن ثم يعيش الأشياء كأنها تحدث لأول مرة ، ويستمتع بسخر هذه الجدة ومتاعها العجيب ، والإنسان يعيش في القرآن مع الكون في لقاء دائم جميل حبيب ، لقاء يلذ النفس ، ويمتع الحس ويطلق الروح ..نشيطة طليقة تسبح لله .

(والقرآن في ذاته كتاب جميل ممتع ، لا ينتهي منه قارئه حتى يحب أن يعود إليه من جديد ، ومن ثم كان اللقاء متجدداً في داخل النفس وفي صفحة الكون ، لا ينفد ولا يُسام ، ولا يزول)[2] .

الكون آية الله الكبرى ، ومعرض قدرته المعجزة التي تبهر العقول ، ولكن الإلف والعادة يفسدان روعة التطلع لآية الكون ، وروعة الإحساس بها جياشة واصلة إلى الأعماق .

الحواس تتبلد لما ترى وما تسمع ، فتمر بكل شيء كأنه لا وجود له ، وتنسى - بحكم التعود - أن كل شيء حولها آية للقدرة القادرة المبدعة الخالقة التي تبدع كما تريد .

تدبر الليل والنهار متعاقبين متكورين على الأرض ، مختلفين في الطول باختلاف الفصول واختلاف المكان .

---

١) منهج الفن الإسلامي - محمد قطب ص١٤٤

٢) منهج التربية الإسلامية - محمد قطب ، فضل تربية الروح ص٤٧ - دار الشروق ط ١٤ سنة ١٩٩٣م.

الشمس الطالعة الغاربة في كل يوم ، ولا تكف يوماً عن الطلوع أو تكف يوماً عن الغروب ، النجوم المتلألئة في ظلمة الليل كأنها عيون توصوص في الظمة وتتناجي على ما بينها من أبعاد .

القمر الذي يبدأ زيقة صغيرة لا تكاد ترى ، ويظل يكبر حتى يمتلئ وجهه بالنور ، ويغمر الأرض بنور رائق شفاف حالم هادئ جميل ثم يتناقص حتى يعود كما بدأ زيقة لا تكاد ترى .. ثم يختفي في المحاق .

الحياة النابتة في الطائر الصغير والحيوان الضيئل وهو يدرج وراء أمه تزققه أو ترضعه أو تغذوه .

الحياة المنبثة في تضاعف الكون "الميت" لظاهر العين ، وهو في حقيقته طاقات حية متحركة على الدوام .

النظام المذهل في روعته ، المذهل في دقته ، الذي يسير عليه الكون كله ، فلا يختل منه كوكب واحد ، ولا يخرج عن مساره قيد أنملة في الزمان والطويل الذي يقدر بالملايين والبلايين من السنين .

الزمن ذاته كنهه وحقيقته وطريقته إدراكه .

المخلوق البشري المعجز بكل ما فيه من أجهزة دقيقة وطاقات ، العمليات الجسمية ، والعمليات الفكرية ، والعمليات الروحية في كيان الإنسان ، امتزاجه وترابطه المحكم الشامل الدقيق الذي يجمع كل طاقاته ويوحد بينها في كيان .. آيات كلها من آيات الله في الكون ، كل منها معجز ، وكل منها هائل ، وكل منها مثير ، ولكنها لطول الإلف والعادة يمر بها الإنسان دون وعي ودون تفكير [1] ، ﴿ **وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون** ﴾[2] .

وهكذا .. وهكذا .. يوقظ القرآن الحس لآيات الله في الكون وفي النفس ، ليعيش متفتحاً لها ، حفياً بها ، محساً بعظمتها ، متتبعاً لها في كل صغيرة وكبيرة ، شاعراً بالقدرة الإلهية من وراء كل آية ، واليد المبدعة من وراء كل تدبير ، ومن ثم تتوجه الروح إلى الخالق ، تتسبح بحمده وتتطلع إلى حماه .

وفي هذا المبحث نتحدث عن صورة الإبداع بالإرتباط بالمألوف في المنهج الحسي في القرآن الكريم بطريقين :

الأول : الإبداع في الإرتباط بالمألوف من خلال الآيات الحسية في القرآن الكريم .

الثاني : نماذج التصوير المألوف من البيئة العربية .

---

١) انظر منهج الفن الإسلامي - مرجع سابق ص١٧،١٦ .

٢) سورة يوسف : آية (١٠٥)

الأول : الإبداع في الإرتباط بالمألوف من خلال الآيات الحسية في القرآن الكريم .

القرآن الكريم يعرض كثيراً من الآيات الحسية المألوفة لدى الناس بصورة بديعة جميلة عالية عن الوصف للفت نظرهم ولجعلهم ينتبهون إليها وإلى خالقها ومبدعها جلت قدرته وعلت عظمته ، وحسبنا في هذا الموضوع أن نذكر بعضاً مما يدل على ذلك .

١- ففي سورة المرسلات يقول الله تعالى : ﴿ **إنها ترمي بشررٍ كالقصر * كأنه جمالت صفر** ﴾[١]، فهذان تشبيهان لا يغربان عن ذهن العربي .. أولهما : التشبيه بالقصر - وهو البيت من حجر - أو هو الغليظ من الشجر وكلاهما مألوف للعربي يشاهده ويراه ، وثانيهما : التشبيه بالجمال الصفر ، إنها آلته التي يتحرك بها ، ووسيلة إلى قطع الصحراء ، فإذا وقع عليها التشبيه ، أي تشبيه شرر جهنم الذي يرتفع عالياً كالقصر ، فهذا تصوير لارتفاع الشرر ، وهو منظر حسي رهيب يلقي بتهاويله في قلب العربي ويثير مخيلته ويحرك وجدانه ، وإذا أراد القرآن أن يعطي تصوراً عن اللون ، لون ذلك الشرر المرتفع المتطاير الذي يتدافع متصاعداً على شكل موجات صفراء تشبه جماعات من جمال صفر تمضي في الصحراء جماعة تلو جماعة وهكذا ، أرأيت إلى الشكل واللون يصورهما القرآن تصويراً فنياً مستعملاً أداة التشبيه عامداً إلى ما يألفه العربي ليثير خياله ووجدانه ؟ إنهما تشبيهان واقعيان .. (القصر - الجمالة الصفر) لأن العربي يألفهما .

٢- وفي سورة الفيل يقول سبحانه : ﴿ **وأرسل عليهم طيراً أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول** ﴾ [٢] .

إنه يريد تصوير حال الهالكين ممن تصدوا لهدم الكعبة مع أبرهة الأشرم بعد أن حصبهم الطير بحجارة من سجيل ، لقد هلكوا جميعاً ، ولكن هذا لا يكفي فهم كعصف مأكول ، كزرع أكله الجراد ، أي صار أحطاباً جافة جرداء لا ورق عليها ولا زهر ولا غصون ، وتصور أنت منظر ذلك الزرع الذي أكلت أوراقه وسيقانه وصار حطباً جافاً أجرد أو حطاماً تذروه الريح إنها صورة مؤثرة وموحية حقاً ، وهي معروفة للعربي يراها وينظر إليها [٣] .

فأما كيف جعل كيدهم في تضليل فقد بينه في صورة وصفية رائعة :﴿ **وأرسل عليهم طيراً أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول** ﴾ .. والأبابيل : الجماعات ، وسجيل : كلمة فارسية مركبة من كلمتين تفيدان : (حجر ، وطين ، أو حجارة ملوثة بالطين) ، والعصف : الجاف من ورق الشجر ، ووصفه بأنه مأكول : أي فتيت طحين حين تأكله الحشرات

---

١) سورة المرسلات : آية (٣٢-٣٣)

٢) سورة الفيل : آية (٥)

٣) واقعية المنهج القرآني ، توفيق محمد سبع ص٤٠،٤١ ، لا توجد طبعة .

وتمزقه ، أو حين يأكله الحيوان فيمضغه ويطحنه وهي صورة حسية للتمزيق البدني بفعل هذه الأحجار التي رمتهم بها جماعات الطير [1] .

٣- وفي سورة القارعة يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **وتكون الجبال كالعهن المنفوش** ﴾ [2] ، ففي هذا القول الكريم يشبه الله سبحانه وتعالى الجبال بالعهن المنفوش فما العهن المنفوش هذا ؟

إنه الصوف المنتفش ، فالجبال يوم القيامة تفقد تماسكها فتصير مرخوة هشة وتصبح رمالاً منتفشة وكأنها صوف منفوش وهو تصوير موحٍ ومؤثر لأنه يصور تغير الطبيعة عند قيام الساعة ، وهذا العهن المنفوش أليف لدى العربي بل إنه يمارس جزه ونفشه وغزله وصنع الملابس والخيام منه ، (فالتشبيه في القرآن يصف ويقيّد حتى تصبح الصورة دقيقة واضحة أخاذة ، فلم يكتف في تشبيه الجبال يوم القيامة بـ "العهن" بل وصفه بـ "المنفوش" وذلك للدقة في تصوير هشاشة الجبال) [3] ، وكذلك إخباره عن حالة الجبال يوم القيامة بأنها تمر مر السحاب أو تصويره إياها بالكثيب المهيل وهما مألوفان للعربي في الصحراء وآفاقها .

٤- ثم انظر إلى قوله سبحانه في سورة المدثر : ﴿ **كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة** ﴾ [4] ، وتشبيه من ينفرون من الموعظة بالحمر المستنفرة التي تفر من قسورة مألوف ، كذلك لدى العربي ، فكم يرى أسراب حمر الوحش التي تنفر من آساد تفزعها ، هكذا حال من ينفرون من سماع الموعظة[5] .

وهذا غاية الذم لهؤلاء ، فإنهم نفروا عن الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم ، كنفور الحمر عما يهلكها ويعقرها ، وتحت المستنفرة معنى أبلغ من النافرة ، فإنها لشدة نفورها قد استنفر بعضها بعضاً ، وحضه على النفور ، فإن في الاستفعال من الطلب قدراً زائداً على الفعل المجرد ، فكأنها توصت بالنفور ، وتواطأت عليه [6] .

ويصور سيد قطب المشهد فيقول : (ومشهد حمر الوحش وهي مستنفرة تفر في كل اتجاه حين تسمع زئير الأشد وتخشاه .. مشهد يعرفه العرب ، وهو مشهد عنيف الحركة ، مضحك أشد الضحك حين يشبه به الآدميون حين يخافون فكيف إذا كانوا إنما ينفرون هذا النفار الذي يتحولون

---

١) في ظلال القرآن ٣٩٧٩/٦

٢) سورة القارعة : آية (٥)

٣) التعبير الفني في القرآن الكريم ، ص١٩٩

٤) سوةر المدثر : آية (٥٠-٥١)

٥) واقعية المنهج القرآني - مرجع سابق ص٤٤٢

٦) أعلام الموقعين - مرجع سابق ص٢١٦ ، والكشاف ١٨٣/٦

به من آدميين إلى حمر ، لا لأنهم خائفون مهددون بل لأن مذكراً يذكرهم بربهم وبمصيرهم ، ويمهد لهم الفرصة ليتقوا ذلك الموقف الزري المهين ، وذلك المصير العصيب الأليم ؟ .

إنها الريشة المبدعة ترسم هذا المشهد وتسجله في صلب الكون ، تتملاه النفوس ، فتخجل وتستنكف أن تكوه فيه ، ويروح النافرون المعرضون أنفسهم يتوارون من الخجل ، ويطامنون من الأعراض والنفار ، مخافة هذا التصوير الحي العنيف) [1] .

٥- قال تعالى : ﴿ **ألم تر إلى ربك كيف مد الظل * ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً * ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيرا** ﴾ [2] .

يقول ابن القيم : أخبر سبحانه أنه بسط الظل ومده ، وأنه جعله متحركاً تبعاً لحركة الشمس ولو شاء لجعله ساكناً لا يتحرك ، إما بسكون المظهر له والدليل عليه ، وإما بسبب آخر ، ثم أخبر أنه قبضه بعد بسطه قبضاً يسيرا ، وهو شيء بعد شيء ، لم يقبضه جملة فهذا من أعظم آياته الدالة على عظيم قدرته وكمال حكمته .

فندب سبحانه إلى رؤية صنعته وقدرته وحكمته في هذا الفرد من مخلوقاته ، ولو شاء ربنا لجعله لاصقاً بأصل ما هو ظل له ، من جبل وبناء وشجر وغيره ، فلم ينتفع به أهله ، فإن كمال الانتفاع به تابع لمده وبسطه وتحوله من مكان إلى مكان ، وفي مده وبسطه ثم قبضه شيئاً فشيئاً : من المصالح والمنافع ما لا يخفى ولا يحصى ، فلو كان ساكناً دائماًأو قبض دفعة واحدة ، لتعطلت مرافق العالم ومصالحه به وبالشمس ، فمد الظل وقبضه شيئاً فشيئاً لازم لحركة الشمس على ما قدرت عليه من مصالح العالم [3] .

إنه مشهد الظل المالوف ، يمر به الناس غافلين ، وفي تأمله وتتبع حركته الوئيدة التي تكاد تتم في الخيال ، وإن كانت معروضة في العيان - ما يلمس النفس ، ويؤثر في الوجدان ، ويتيح الفرصة لألوان شتى من التأملات ، ذلك منظر الظل الذي تلقيه الأجرام فيبدو ساكناً ، وهو يتحرك ببطء لطيف ، إنها حركة يبلغ من لطفها أنها تكاد لا تتحرك ، ويزيد من لطفها والإيحاء ببطئها الشديد كلمة (ساكناً) مع أنها لا تتم في واقع الأمر : (ولو شاء جعله ساكناً) فمع أنه سبحانه لم يشأ أن يجعله ساكناً ، إلا أن وجود اللفظة يلقي ظلها في النفس ، وهذا بعض المقصود من إيرادها ، وظلها هو تبطئ حركة الظل حتى لتشبه السكون ، وتلك حقيقة (طبيعية) فحركة الظل وئيدة جداً لا

---

١) في ظلال القرآن - ٣٧٦٢/٦

٢) سورة الفرقان : آية (٤٥-٤٦)

٣) تفسير القيم للإمام ابن القيم ص٣٩١ ، جمعه محمد أويس الندوي - حققه محمد حامد الفقي - دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٩٤٨

تكاد تظهر ، ولكن التعبير يجسم هذا البطء ويعطيه ، (مساحة) في الخيال ، لم يكن ليكتسبها لو كان الوصف تجريدياً بحتاً بغير تصوير ولا تخييل ، وكذلك تتم صورة البطء بتكملة الحركة في الاتجاه الآخر : ﴿ **ثم قبضناه قبضاً يسيرا** ﴾ ولكن لفظة معينة هنا تعطي المشهد كله معنى عميقاً عجيباً يغير " نغمة " اللوحة كلها ، ويعطيها روحاً جديدة لا يتيسر بيانها بالألفاظ إنها كلمة " إلينا " ، ﴿ **ثم قبضناه إلينا ..** ﴾ هذه الكلمة تخرج اللوحة من نطاق الأرض المحدودة الذي كانت فيه ، فإذا فيها أمر آخر غير هذه الأرض .. إنه يد الله سبحانه تمتد لتقبض الظل "إلينا" إلى الله سبحانه الذي لا يتحدد بمكان ولا حيز ولا نطاق ، إن الظل "المتجسم" هنا في الأرض لم يعد كائناً أرضياً محدود النطاق .. ولكنه صار .. صار ماذا ؟ صار شيئاً كونياً غيبياً مبدؤه هنا في الأرض .. ونهايته عند الله الذي ليس له انتهاء [1] .

وهذا التوجيه إلى تلك الظاهرة التي نراها كل يوم ، ونمر بها غافلين ، هو طرف من منهج القرآن في استحياء الكون دائماً في ظمائرنا ، وفي إحياء شعورنا بالكون من حولنا ، وفي تحريك خوامد إحساسنا التي أفقدها طول الألفة إيقاع المشاهد الكونية العجيبة ، وطرف من ربط العقول والقلوب بهذا الكون الهائل العجيب .

٦- قال تعالى : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة** ﴾ [2] ، وهذا النص يستحق وقفة عند قوله تعالى :﴿ **لتسكنوا إليها** ﴾ وقوله : ﴿ **مودة ورحمة** ﴾ لأنه يبين نوعاً من الحياة المألوفة بين الناس وهو العلاقة الزوجية القائمة على السكن والمودة والرحمة ، فالسكن - بكل ما يوحيه من هدوء وسكون وطمأنينة واستقرار وراحة - هو الهدف من خلق " الأزواج "في عالم الإنسان ، إنه ليس مشغلة الفكر والبال ، ليس التعب والعذاب والقلق والاضطراب ، ليس اللهفة الدائمة التي لا تروي الظمأ الذي لا يهدأ ، ليس التطلع الدائم الذي يستنفد الطاقة ويورث الخبال ، وإنما هو السكن .. هو الهدوء والراحة .. هو الاستقرار الذي يمكّن الإنسان من تحقيق أهداف حياته ، ويقوي على أداء هذه الأهداف .

والعلاقة بين الجنسين هي المودة والرحمة .. الرحمة الندية والأنس اللطيف الودود ..في هذا الجو الراضي المشرق الذي يكّون شقيّ النفس الواحدة المتوادين المتراحمين : ﴿ **خلق لكم من أنفسكم أزواجاً** ﴾ [3] .

---

١) التصوير الفني ص٦٩ ، ومنهج الفن الإسلامي ص١٥٠

٢) سورة الروم : آية (٢١)

٣) منهج الفن الإسلامي ص٧٠

وفي نص آخر لون من العلاقة مكمل لذاك : ﴿ **هن لباس لكم وأنتم لباس لهن** ﴾ [1] ، ففي هذه الكلمات القليلة تصوير بارع لعلاقة الجسد وعلاقة الروح في آن ، فاللباس ألصق شيء ببدن الإنسان ، وهو الستر الذي يستتر به ، وهو في الوقت ذاته مفصل على قدّه لا ينقص ولا يزيد ، والرجل والمرأة ألصق شئ ببعضهما ببعض : يلتقيان فإذا هما جسد واحد وروح واحدة ، وفي لحظة يذوب كل منهما في الآخر فلا تعرف لهما حدود ، وهما أبداً يهفوان إلى هذا الإتصال الوثيق الذي يشبه اتحاد اللباس بلابسه .

ثم هما ستر ، كل واحد للآخر ، فهما من الناحية الجسدية ستر وصيانة ، وهما على الدوام ستر روحي ونفسي ، فليس أحد أستر لأحد من الزوجين المتآلفين ، يحرص كل منهما على عرض الآخر وماله ونفسه وأسراره أن ينكشف منهما شيء فتطلع عليه الأفواه والعيون ، وهما كذلك وقاية تغني كلاً منهما على الفاحشة وأعمال السوء ، كما يقي الثوب لابسه من أذى الهاجرة والزمهرير .

وهما بعد ذلك كاللباس في تفصيله مضبوطاً على القد ، يلبسه صاحبه فيستريح إليه ، ويتحرك نشيطاً في محيطه ، ويكتسب به زينة وجمالاً تعجب صاحبها وتعجب الناظرين ، فليس أبدع من تصوير هذه المعاني كلها في تشبيه واحد شامل عميق [2] .

وفي نص ثالث جانب آخر من هذه العلاقة : ﴿ **نساؤكم حرث لكم** ﴾ [3] .

وهنا يذكر الغاية من التزاوج وهي النسل ، ويستعير له من عالم النبات صورة الحرث والإنبات ، فهي كلها حياة ذات وشائج قربى بعضها من بعض ، وفي هذا التعبير ألوان من التناسق الظاهر والمضمر ، وأدق ما فيه هو ذلك التشابه بين صلة الزارع بحرثه وصلة الزوج بزوجه في هذا المجال الخاص ، وبين ذلك النبت الذي يخرجه الحرث ، وذلك النبت الذي تخرجه الزوج ، وما في كليهما من تكثير وعمران وفلاح [4] .

ومن ذلك تكتمل صورة العلاقة بين الزوجين ، الذكر والأنثى في تصوير الإسلام .

٧- قال تعالى : ﴿ **خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقي في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماءً فأنبتنا فيها من كل زوج كريم * هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين** ﴾ [5] .

---

١) سورة البقرة : آية (١٨٧)

٢) من كتاب (الإنسان بين المادية والإسلام) محمد قطب ص١٩٦ ، ط٦ ، سنة ١٩٨٠ ، دار الشروق .

٣) سورة البقرة : آية (٢٢٣)

٤) انظر التصوير الفني في القرآن ص٩١

٥) سورة لقمان : آية (١٠)

والسماوات القائمة بغير عمد (أو بغير عمد مرئية) والجبال القائمة في الأرض والحياة المبثوثة في أرجائها ، والماء النازل من السماء يخرج به الزرع ، كل هذه مرئيات مشاهدة يراها الناس كل يوم فتتلبد حواسهم عليها ، ولا يعودون يرون معناها ودلالتها ، ولا ينفعل وجدانهم بوجودها ، وإنها كلها لعجائب لو لم نكن نراها كل يوم لشهدت حسناً وأيقظتنا ، بل لو كانت في كوكب آخر نراه لأول مرة لهزت وجداننا هزاً ولو كانت مثل ما تبلدت حواسنا عليه في كوكبنا الأرضي .

أرأيت إلى رحلات الفضاء كم هزت وجدان الناس ؟ ، أرأيت حين هبط الرواد على القمر ورأوا أرضاً كأرضنا ، كم هز وجدانهم - ووجدان الناس - أول خطوة خطوها على أرض القمر ؟ وإنهم ليخطون مئات الخطوات وألوفها كل يوم على أرضهم فلا تهز من وجدانهم ولا وجدان الناس شيئاً على الإطلاق .

ولو أن واحداً من سكان الكواكب - إن كان هناك من يسكنها - هبط مرة على الأرض .. كم تروعه وتذهله ؟ كم تشده حسه ؟ كم يرى فيها من غرائب وعجائب يذهل لها فكره ويتحرك لها وجدانه ؟ ولكننا نحن نمر عليها كأننا لا نراها ، لا لأنها لا تستحق العجب ، ولا تثير الوجدان ، وإنما لأننا تعودنا رؤيتها فتبلد حسنا عليها .

والقرآن يأتي إلى هذه الأشياء المألوفة ، التي تبلد حسّنا من ناحيتها لشدة إلفنا لها ، فيزيل عنها إلفها ، أو يزيل عنا بلادتنا نحوها ، ويردها جديدة كأنما نراها اللحظة .. كأننا هبطنا هذا الكوكب لأول مرة .. ومن ثم تعطي للحسّ بها يقول له : إنها خلق الله [1] ، ﴿ **وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم** ﴾ ، أي لئلا تميد بكم ، يعني الجبال أرست الأرض وثقلتها لئلا تضطرب بأهلها على وجه الماء وأن هذه الجبال الشامخة هي التي تحفظ التوازن في الكرة الأرضية ، وأنه لولا هذا التوازن لمادت الأرض من الزلازل أو البراكين [2] .

﴿ **وبث فيها من كل دابة** ﴾ وهذه إحدى عجائب الوجود الكبيرة ، فوجود الحياة على هذه الأرض سر لا يدعي أحد - حتى اليوم - إدراكه ولا تفسيره ، الحياة في أول صورها ، في الخلية الواحدة الساذجة الصغيرة ، فكيف بضخامة هذا السر والحياة تتنوع وتتركب وتتعدد أنواعها وأجناسها وفصائلها وأنماطها إلى غير حد يعلمه الإنسان أو يحصيه ؟ ومع هذا فإن أكثر الناس يمرون بهذه العجائب مغمضي العيون مطموسي القلوب وكأنما يمرون على شيء عادي لا يستلفت النظر ، بينما هم يقفون مدهوشين مذهولين أمام جهاز من صنع الإنسان ساذج صغير بسيط التكوين حين يقاس إلى خلية واحدة من الخلايا الحية ، وتصرفها الدقيق المنظم العجيب ، ودعك من الأحياء المعقدة

---

١) انظر دراسات قرآنية - محمد قطب ص١٩٤

٢) انظر تفسير بن كثير ٣٧٩/٥ - بتصرف .

، فضلاً على الإنسان ، الذي يحوي جسمه مئات المعامل الكيماوية العجيبة ومئات المخازن للإيداع والتوزيع ، ومئات المحطات اللاسلكية للإرسال والاستقبال ، ومئات الوظائف المعقدة التي لا يعرف سرها إلا العليم الخبير [1] .

﴿ **وأنزلنا من السماء ماءً فأنبتنا فيها من كل زوج كريم** ﴾ وما يمكن أن نمر بذلك التعبير العجيب الموحي ﴿ **من كل زوج كريم** ﴾ دون أن يستوقفنا ، وقد يخطر في قلب البشر أن يوصف النبات بأي وصف ، من كل زوج بهيج كما جاء في سورة (الحج) وسورة (ق) : ﴿ **وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج** ﴾ [2] ، ﴿ **والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج** ﴾ [3] ، أو ﴿ .. **حباً ونباتاً * وجنات ألفافاً** ﴾ [4] .أو ﴿ **وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً * وحدائق غلبا * وفاكهة وآبا** ﴾ [5] ، الخ ، أما ذلك الوصف ﴿ **من كل زوج كريم** ﴾ فما أظنه خطر على قلب بشر قبل أن ينزل هذا القرآن! وما زال القرآن يتلى كل يوم ، وما زال هذا الوصف يوقظ الحس كل مرة كأنه جديد !.

﴿ **كريم** ﴾ لأنه من عمل لأيدٍ كريمة : ﴿ **وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون * وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون * ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ؟** ﴾ [6] ، ﴿ **أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون** ﴾ [7] .

وكريم أنه طيب طاهر .. وكريم لأنه يعطي أضعاف ما يأخذ ، الحبة تنبت سبعمائة حبة ﴿ **هذا خلق الله** ﴾ .

﴿ **هذا** ﴾ .. على الاتساع .. من أول السماوات إلى الأرض .. إلى الأرض .. إلى الجبال .. إلى ﴿ **كل دابة** ﴾ . إلى ﴿ **كل زوج كريم** ﴾ .. ﴿ **هذا خلق الله** ﴾ وما يشك أحد من قبل أن هذا خلق الله .. وما كان العرب المشركون ينكرون ذلك .. ولكن التعبير مع ذلك يفاجئ الحس كأنه جديد ، ويزيل عن الوجدان تبلده المعهود .. ويهزه – بهذه المفاجأة – ليتأمل هذا الكون من

---

١) في ظلال القرآن ٥/٢٧٨٦

٢) سورة الحج : آية (٥)

٣) سورة ق : آية (٧)

٤) سورة النبأ : آية (١٥-١٦)

٥) سورة عبس : آية (٢٧-٣١)

٦) سورة يس : آية (٣٣-٣٥)

٧) سورة يس : آية (٧١)

جديد ، وإذ يبلغ الانفعال هذا المدى ، يفاجأ الحس بحقيقة أخرى ﴿ **فأروني ماذا خلق الذين من دونه** ﴾ .

حقاً ماذا خلق الذين من دونه ، وما كان العرب يزعمون أن هناك خالقاً من دون الله – وإن كانوا يغفلون عن دلالة ذلك – ومع ذلك فإن التعبير له هزة لا ينجو الحس منها ، ويروح الإنسان يتفقد الكون كأنما يبحث حقاً عن شيء في هذا الكون خلقه ﴿ **الذين من دون** ﴾ والنتيجة معروفة سلفاً ، ولكن التعبير بعمق إحساس الإنسان بالحقيقية الأولى ﴿ **هذا خلق الله** ﴾ويبرزها بكل جلالها لتعمل عملها في داخل النفس ، ولا تكون مجرد ﴿ **معلومات** ﴾ في الذهن ، بل وجدانات متحركة في القلب ، تشعر بعظمة الخالق ، وتفرده سبحانه بالخلق ، وبما ينبغي لعظمته وجلاله من خشوع وطاعة وتسليم .

﴿ **بل الظالمون في ضلال مبين** ﴾ فما يغفل عن هذه الحقائق كلها ، وما يُصِم قلبه عن إيقاعاتها .. إلا شخص مطموس البصيرة .. وإلا شخص ﴿ **في ضلال مبين** ﴾ [1] .

---

١) انظر دراسات قرآنية - محمد قطب ص١٩٦

ثانياً : نماذج التصوير المألوف من البيئة العربية :

ومع كون القرآن لم يتخذ من البيئة العربية غرضاً مقصوداً إلا أننا نجده أصدق وأبلغ في تصوير الحياة والبيئة العربية في الجاهلية من أي أدب أخرجته هذه البيئة نفسها ، سواء كان شعراً أم غيره ، وفي ذلك يقول الدكتور طه حسين (الحياة الجاهلية يجب أن تلتمس في القرآن لا في الأدب الجاهلي) [1] .

وفي سياق الحديث عن البيئة العربية ، نجد أن القرآن قد استوعب كل مظاهر البيئة العربية ، بحيث يرى المتأمل فيها كل المعالم العامة للبيئة والحياة العربية ، وبحيث يشعر أنه يعيش في هذه البيئة يحس مناخها ، ويرى أرضها وطبيعتها ، ويتمثل عادات أهلها وأسلوب حياتهم .

ومن الأمثال التي تناولت البيئة العربية وحياتها في القرآن والمشتملة على جوانب الإبداع العظيمة ما يلي :

١- الأرض وطبيعتها :

الأرض بما فيها من جبال ووديان ومحيطات وبحار ، وجداول وأنهار ، وما في جوها من أبخرة وسحب وأمطار .. وما عليها من نبات وحيوان وطير وإنسان ، جميلة كلها بديعة الجمال ، هذه النقطة من الظل المتلألئة في ضوء الشمس .. هذا البرعم المتفتح تنطلق منه الحياة .. هذه الورقة النابتة كالطفلة الوديعة تهتز للنسمة الخافقة كما تهتز الطفلة بكل تجربة جديدة في الحياة هذه الريشة البديعة في جناح الطائر ، منسقة الألوان دقيقة التركيب .. هذا الفرخ الناقف من البيضة ، جميلاً في وضعه ، لطيفاً في سذاجته ، هذه الأضواء والظلال تقصر وتمتد في حركة دءوب .. هذا الجدول الرقراق .. والنهر المتدفق .. والبحر المتلاطم .. والخضم الموار .. هذه الهدأة في الليل الساكن الغافي النعسان .. والصبح إذا تنفس من هدأته ، وتنفست معه الأحياء ، كلها .. كلها .. جميلة بديعة الجمال .. وكلها جارية على ناموس الجمال في الكون الكبير .. الدقة والتناسق ، والتوازن ، والترابط ، والحركة والإنطلاق .

- الدقة التي تبدو في كل شيء .. في مطلع الصبح ومغرب الشمس - بالنسبة للأرض - في موعد مضبوط شديد الانضباط ، يحسب بأدق آلات الحساب البشرية فيفوقها في دقة الميعاد .

- والتناسق الذي يبدو في توزيع الألوان والظلال والأضواء والكائنات في رقعة البسيطة .. بصورة تلفت الحس وتستريح لها العين وتهش لها النفس وتهدأ لها الأعصاب : ﴿ **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب**

---

١) في الأدب الجاهلي د. طه حسين ص٣٣٢ ، مطبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٢

سود * ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ﴾ [1] ، **﴿ ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ﴾** [2] ، **﴿ والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون﴾** [3] ، **﴿ أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمن والشمائل سجداً لله وهم داخرون ﴾** [4] .

- والتوازن الذي يبدو في اتزان حركة الأرض وثباتها ، وفي عدم طغيان ما عليها من الخلائق بعضاً على بعض ، كل له قدره الموزون الذي يكفيه لأداء دوره على الأرض كما أراده خالقه : **﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون ﴾** [5] ، والإشارة إلى الوزن - أو التوازن -هنا إشارة عجيبة ، تثير في الحس اليقظة لهذه الصفة التي يتسم بها خلق الأرض كلها وما عليها ، كما تصل الحس المتفتح بالله مباشرة ، خالق هذا الكل بمنتهى الدقة والإحكام والاتزان .

- والترابط .. الذي يبدو في اجتماع هذه الخلائق على أصل واحد ، ومصير واحد ، واشتراكها في نشاط واحد يربط بينها جميعاً **﴿ والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ﴾** ، فهنا ارتباط المنشأ ، وارتباط في صفة الحياة التي تجمعهم فيها كلمة "مَنْ" تربط بين العاقل وغير العاقل ، ومن يمشي على بطنه ومن يمشي على رجلين ومن يمشي على أربع .

- والحركة الحية .. التي تبدو في كل شيء على سطح الأرض ، وحركة الأحياء من نبات وحيوان وطير وإنسان ، وحركة النهر والبحر والمحيط وحركة الحياة والموت ، وما تنقصان من هنا وتزيدان من هناك ، وحركة الأضواء والظلال والنهار والليل .. الخ .. الخ.

والقرآن يبرز هذه الحركة إبرازاً حتى يصل إلى دقة مبدعة في التصوير في مثل قوله : **﴿ ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال ﴾** [6] ، فالحركة لا

---

١) سورة فاطر : آية (٢٧-٢٨)

٢) سورة الفرقان : آية (٤٥)

٣) سورة النحل : آية (٨١)

٤) سورة النحل :آية (٤٨)

٥) سورة النور : آية (٤٥)

٦) سورة الرعد : آية (١٥)

تشمل الأحياء ممن في السماوات والأرض فحسب ، ولكن تشمل ظلالهم أيضاً ، فتحييها ، وتحركها ، حتى لا يصبح شيء في الوجود كله غير حيّ وغير متحرك مع الأحياء [1] .

وحديثنا عن الأرض سيكون متمشياً مع الطريقة القرآنية في عرض الآيات الكونية ، والتي تهدف في عرضها إلى تقرير حقيقة الألوهية وحقيقة الربوبية في مشاهد كونية تشهد بهذه الحقيقة وتجعل الكون كله مجالاً مفتوحاً تتجلى فيها هذه الحقيقة بآثارها المبدعة ويثبت من خلالها أن الكون بجملته يدين بالعبودية لله وحده ، فالله هو ربه وحاكمه .

وحديث القرآن عن الأرض حديث مسهب يتركز في جعل الله الأرض مهاداً ، وقراراً ، وهو سبحانه يمنّ علينا بهذه النعم التي جعلت الأرض صالحة للحياة لدقة ألوانها وتغيراتها ، فيقول : ﴿ **والأرض وضعها للأنام** ﴾ [2] ، ويقول سبحانه : ﴿ **ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون** ﴾ [3] ، ويقول سبحانه : ﴿ **أم من جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون** ﴾ [4] .

ومن أجل ألا يظن إنسان أن القرار على هذه الأرض دية وخلود فقال سبحانه : ﴿ **ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين** ﴾ .

إن هذه الأرض التي ننزل فيها من المهد إلى اللحد ، ونجد فيها المأوى والدفء ، والنار والنور ، وأنواع المآكل والمشارب ، وأصناف الملابس التي تقينا برد الشتاء وحر الصيف ، وغير ذلك من ألوان النعم التي لا تعد ولا تحصى تستحق منا وقفة متأنية ، لنسبح في جنباتها متلمسين آيات القدرة والعظمة ، فيما نجده على ظهرها من جمال ، وما نجده من رياح وسحب وبحار وأنهار ، وما نجده من معامل للإنبات والتنفس ، وما حولها من غلاف جوي وحزام واق لها من الأشعة الضارة لنرى ذلك كله ، ونرى معه ظاهرة التوازن في الكون ، والواحدة في الخلق ، فنرى الله حينئذ في كل شيء المالك وحده وله الخلق وحده .

ولنقف مع هذه النقاط نقطة نقطة ، نكر عليها بشيء من التفصيل ، لنرى بصورة أشمل آيات الإبداع في الخلق .

---

١) انظر منهج الفن الإسلامي ص٨٩، ٩٠ - بتصرف .

٢) سورة الرحمن : آية (١٠)

٣) سورة الأعراف : آية (١٠)

٤) سورة النمل : آية (٦١)

قال تعالى : ﴿ **ولا تمشى في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا * كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها** ﴾ [1] .

ففي هذه الآيات الكريمة يرسم لنا القرآن الكريم صورة المتكبر المختال بأنه يمشي مشية عجيبة غريبة ، لا كما يمشي الناس ، ولا كما يوجب التفكير والخلق الصحيح أن تكون المشية ، فهو يضرب الأرض بقدميه كأنه يريد أن يخرقها ، ويشمخ بأنفه ووجهه إلى السماء كأنه يريد أن يطاول الجبال في ارتفاعها ، ولكن القرآن يقول له بأسلوب السخرية والاستهزاء به : ﴿ **ولا تمشى في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا * كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها** ﴾ والسخرية الشديدة واضحة في قوله تعالى : ﴿ **إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا** ﴾ فمن البدهي أن أحداً لا يظن أنه سيخرق الأرض مهما تكن مشيته وإن أحداً لا يظن أنه سيبلغ بقامته رءوس الجبال مهما مد عنقه ، ومهما شمخ بأنفه ، ومهما تطاول بقامته ورأسه ، ولكنه كما يقول الزمخشري (تهكم بالمختال) [2] ، وكما يقول ابن المنير (وفي هذا التهكم والتقريع لمن يعتاد هذه المشية كفاية في الانزجار عنها) [3] ، ولو استطاع رسام ساخر أن يرسم هذا المنظر منظر شخص يمشي مشية غريبة ، يحاول فيها أن يخرق الأرض بضرب قدميه إياها ، وأن يطاول جبالاً حوله بشموخ أنفه ، ومده قامته لكان من أبلغ الرسوم ، على إننا نلاحظ دقة التعبير في قوله تعالى : ﴿ **كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها** ﴾ فقيد موضع السيئة بجانب الله سبحانه ، بينما أطلق الكراهة ، إشارة إلى أن هذه المشية ، وما تدل عليه من خلق صاحبها ، ذنب عند الله ، وفوق ذلك هي مشية مكروهة من الله ومن الناس ، لأن الناس لا يحبون المتعالي عليهم ، وحتى إن أظهروا له طاعة أو تقرباً ، فإن قلوبهم لا تضمر له إلا البغض والكراهية ، والذي يعني الموضوع من هذه السخرية ما يوحي به قوله تعالى : ﴿ **إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا** ﴾ فقد تضمن هذا التعبير أن هذا الشخص المختال في مشيته ، يحاول خرق الأرض ظناً منه أنه يقدر على ذلك كما أنه يحاول أن يبلغ بطوله الجبال رغم أنه لن ينال شيئاً من ذلك فهو ضعيف البنية والقوة بالنسبة لقوة الأرض وعظمتها الهائلة التي خلقها الله عليها ، كما أنه لن يبلغ طول جبالها لطبيعة خلقه التي خلقه الله عليها من حيث القصر ، وفي هذا الأسلوب الذي استخدمه الله عز وجل في هذه الآية بيان أن المخاطب يمشي في بيئة تنتشر فيها الجبال وهو اقع البيئة العربية ، كما أن فيها ما يدل على المبالغة في السخرية التي يسخر الله عز وجل بها من هذا الإنسان المتغطرس المتكبر على عباد الله والذي يظن

---

١) سورة الإسراء : آية (٣٧-٣٨)

٢) تفسير الكشاف ١٧٩/٣

٣) الإنتصاف للإمام أحمد بن المنير الإسكندر (حاشية الكشاف للزمخشري) ٥٢١/٢ المكتبة التجارية الكبرى ط ٢

من المشي ، بخلاف ما لو تصورنا أنها أرض رخوة لينة ، فإن طبيعة الأرض التي يعيش فيها العربي هي الأرض الصخرية الصلبة ، والجبال منشرة فيها [1] .

٢- الجبال :

ومن مظاهر طبيعة البيئة العربية التي يألفها العربي منظر الجبال المنتشرة في أماكن كثيرة ونواح متعددة منها ، وكذلك فإن القرآن الكريم تحدث في كثير من آياته عن الجبال وعظمة خلقها وعن ذكر الجبال في القرآن الكريم يقول صاحب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم إن لفظ (جبل) هكذا مفرداً وردت مرات في القرآن ، ولفظ (جبال) هكذا مجموعاً ورد ثلاثاً وثلاثين مرة في القرآن الكريم ، ومن يستعرض الآيات التي ورد فيها ذكر الجبال يجدها تدور حول جعلها أوتاداً للأرض ، وجعلها أكناناً للبشر ، وجعل حجارتها أساساً في بناء البيوت الفارهة ، وجعلها متاعاً لنا ولأنعامنا ، كما جعلها تحفظ ماء الشتاء للصيف وأهالت الأمطار جوانب من ترابها تكسو البسائط والوديان خصباً دائماً وخضارة ، كما يجدها تبين في كثير منها أن الجبال آيات نذر وتخويف فبزوالها تزول الدنيا ويخرب العالم ، وفوق هذه الدلائل للجبال فقد أشار القرآن إلى أنها مهابط للوحي فهي متاع الحياة والأحياء كما قال سبحانه : ﴿ **والجبال أرساها * متاعاً لكم ولأنعامكم** ﴾[2] .

وقد ربط القرآن بين رسو الجبال وكونها أوتاداً ، وبين الأبخرة والسحب ومجاري الأنهار وانبثاق الينابيع ، وبين الجبال في أماكنها التي خلقت فيها ، وفي خلقها بالكيفية التي انتصبت بها ، وفي العناصر التي تألفت منها ، ثم بين وضعها الذي وضعت عليه وبين مظاهر الحياة المختلفة ارتباطاً وثيقاً وإليك بعضاً من الآيات الدالة على ما سبق يقول الله تعالى عن رسو الجبال : ﴿ **وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً** ﴾ [3] ، ﴿ **وألقي في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون** ﴾ [4] ، ﴿ **والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج** ﴾ [5] ، ﴿ **وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماءً فراتا** ﴾ [6] .

---

١) اسلوب السخرية في القرآن الكيم - د. عبدالحليم حفني - الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٧ ، ص١٤٠ ١٤١ بتصرف .

٢) سورة النازعات : آية (٣٢-٣٣)

٣) سورة الرعد : آية (٣)

٤) سورة الحجر : آية (١٥)

٥) سورة النحل : آية (١٥)

٦) سورة ق: آية (٢٧)

ويقول سبحانه وتعالى عن منافع الجبال للناس والأنعام : ﴿ **وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للأكلين** ﴾ [1] ، وأشار إلى كلمة متاع في قوله تعالى : ﴿ **والجبال أرساها * متاعاً لكم ولأنعامكم** ﴾ [2] ، والمتاع يتناول السقي من نهر أو عين ، ويتناول الخصب من نبات وشجر وحب وثمر ، ويتناول الحلية والصناعة والفلز والمعدن ، أو يتناول شئون الحياة كلها ، وشئون الحضارة بمعارجها ومدارجها .

كما أن الله سبحانه وتعالى أشار في آيات كثيرة إلى أن الجبال مهابط الوحي ، فالطور وجبل الجليل ، وأبو قيس ، هتفت على روابيها أصوات الرسالات ، وتمثلت بها وبغيرها سير وتواريخ ، قال تعالى : ﴿ **ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمة ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا** ﴾ [3] ، وكما يقول ، الأستاذ عبدالعزيز سيد الأهل : ولأمر ما أهبط آدم على ربوة وعرضت الأمانة على الجبال ، وأرسيت سفينة نوح على الجودي وقطعت على الجبال طير إبراهيم ، وسخرت الجبال لداود يسبحن ، ونتق الجبل لموسى ، وكان مأوى أهل الكهف الرقيم ولأمر ما كان نسك المسلمين في الحج حول الجبال يبتدئون الطواف من حجر ، ويسعون بين الصفا والمروة ، ويجتمعون على عرفات ، ولا يستطيع أحد أن يدعي أنه كشف السر الذي من أجله كانت مهابط الوحي في الجبال ، فإن ذلك عند العليم الخبير - غير أن العقل البشري يتلمس الأسباب لأدنى الملابسات وأقرب المناسبات ، فيعقد بها منطقة وينظم دلائله - فلعل علو الجبال يناسب علو الرسالات فاتخذتها منابر لدعوتها ومراقى لخطبها ومواعظها ، أو لعل حقائق الرسالات راسخة رسوخ الجبال ، أو لعل الجبال لما كانت معالم يهتدي بها في السير فاتخذتها الشرائع منازل لتكون هي الأخرى معالم يهتدى بها إلى الخير ، أو لعل الجبال هي مهابط المياه من السحاب ، والمياه بها حياة البدن ، والرسالات بها حياة الروح ، أو لعل غير ذلك ، والله وحده أعلم بمراده [4] .

وقد أخبر القرآن بزوال الجبال في نحو اثنتي عشرة آية من آيات الوعيد ونذر القيامة ، وكأنها إشارة من القرآن إلى أنه بوجود هذه الجبال في عوجها وأمتها تستمر الحياة ، وفي زوالها وزوال معاوجها وأمواتها تزول الحياة ، كما قال سبحانه : ﴿ **يسألونك عن الجبال فقل ينسفها**

---

١) سورة المؤمنون : آية (٢٠)

٢) سورة النازعات : آية (٣٢-٣٣)

٣) سورة الأعراف : آية (١٤٣)

٤) من إشارات العلوم في القرآن (مرجع سابق) ص٩٥

ربي نسفاً * فيذرها قاعاً صفصفاً * لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا * يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً ﴾ [1] ، فهي قضية صادقة مطردة معكوسة ومعادلة علمية ملموسة ، جاء بها القرآن جارياً على لفظه ومنطقه دون أن يذهب إلى طريقة المنطق ومقدماته .

٣- الميـــاه :

ومن طبيعة هذه الأرض الصحراوية ندرة الماء فيها ، ومن أكبر مشاكل التنقل والسفر فيها مسيس الحاجة إلى الماء ، وفي الصحراء حين تشتد حرارة الشمس في وقعها على الرمال تحدث انعاكسات ضوئية ، فتعكس الرمال وهج الشمس في صورة تموجات ضوئية مما يسمى بالسراب ، حيث يرى الناظر إلى الصحراء حينئذ هذه التموجات الضوئية وكأنها مياه بحر واسع وفي حالة المسافر أو الضال الذي فقد الماء فإنه يتصور أن أمامه بحراً حقيقياً فيظل يمشي إليه معتقداً أنه سيبلغه ولكن المسافة بينه وبين البحر الذي يتصوره تظل ثابتة مهما مشى ، وهكذا يمشي حتى يشقط من الكلل والجهد الذي لا طائل تحته ، وهذه الصورة عن السراب المألوف للعرب بحكم معيشتهم في الصحراء وخبرتهم بها ، ولذلك ساق القرآن الكريم لهم في سياق سخريته من الكافرين بالله ، الذين يخدعون أنفسهم ، ويخدعون الناس ، بما يقدمونه من أعمال توحي بالخير وبأنها من أعمال الصالحين ، ولكن القرآن يقول لهم إن الأعمال مهما تكن سيئة أو حسنة فإنها في المرتبة الثانية بعد العقيدة ، فالعقيدة هي الأساس الذي يحاسب عليه الإنسان أولاً ، فإن تحققت فيه صفة الإيمان بالله ، فله بعد ذلك أن ينتظر ثواب أعماله ، أما إن انتفت عنه صفة الإيمان ، فلن ينفعه بعد ذلك شيء ، ويكون مثله في انتظاره ثواب أعماله ، وانتفاعه بها عند الله ، مثل المسافر الذي فقد الماء ، ثم رأى السراب فحسبه ماء ، فيظل يطلبه ويسعى إليه حتى يدركه الهلاك دون أن يصل إلى شيء ، كذلك هذا الذي ينتظر ثواب عمله مع كفره يظل يمنى نفسه بهذا الوهم حتى يصطدم بجهنم وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب** ﴾ [2] .

والصورة بعد هذا كله تبدي لنا ظاهرة من ظواهر طبيعة البيئة العربية الصحراوية وهي ظاهرة السراب ، ولكنها ظاهرة مألوفة لدى العرب ضربها القرآن مثلاً لهم .

---

١) سورة طه : آية (١٠٥-١٠٨)

٢) سورة النساء : آية (٣٩) وانظر أسلوب السخرية في القرآن الكريم ص١٤٢ - بتصرف .

٤- الريـــاح :

تلك القوة لا يعرف العلماء كل أسرارها حتى عصرنا الحاضر ، ولقد كـان حديث القرآن عنها ذا شقين : فهي صرصر عاتية ، وهي ريح عقيم ، وهـي ريح عـاصف ، وهـي ريح قـاصف ، وهي ريح مصفرة ، ورياح لواقح ، وهي في كل ألوانها الأخيرة هذه ريح فيها رحمة وبشرى خير من الله لعباده ، ولم يصبح خافياً ما لهذه الريح في خيرها وشرها من أثر على الحيـاة ، فهـي كمـا قيـل : سلاح ذو حدين ، فتكون من أكبر معاول الهدم في الطبيعة بمـا تسببه مـن أعاصـير وعواصـف تهـدم المباني ، وتتلف الزرع ، وتغرق السفن ، وتنقل الأتربة ، وعوامل للتعرية المتعـددة ، كمـا أنهـا أيضـاً هي التي تجلب المطر ، وتوزع الحرارة على سـطح الأرض ، والـذي يكسـب الوجـود جمـالاً ، ويمـلأ النفس راحة وسروراً .

وفي شأن الريح يقول - ﷺ - : ﴿ الريح من روح الله تعالى ، تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب ، فلا تسبوها ، واسألوا الله خيرها ، واستعيذوا بالله من شرها ﴾ [١] .

وروي أبو الفـرج بـن الجـوزي بإسـناده : أن الريـح تنقسـم إلى قسـمين : رحمـة وعـذاب ، وينقسم كل قسم منها إلى أربعة أقسام ولكل قسم إسـم ، فأسمـاء أقسـام الرحمـة هـي : المبشـرات ، والنشر ، والمرسلات ، والرخاء ، وأسماء أقسام العذاب هي : العاصف ، والقاصف وهما في البحر ، والعقيم والصرصر وهما في البر ، وقد جاء القرآن بكل هذه الأسماء [٢] .

ومن ظواهر الصحراء التي يألفها العربي ، هبوب الرياح العاتية والعواصـف الشـديدة ، الـتي تقتلع الخيام ، وتزحزح الأشياء ، والتي تبلغ من شدتها أحياناً أنها تعوق الحركة ، وتشل نشاط الحياة وتصل في كثير من الأحيان إلى التدمير والإتلاف ، وهذا المنظر لكونه مألوفاً لدى العربي في الصحراء يضربه له القرآن مثلاً كمثل السراب ، للذين يكفرون بالله ، ثم يعتقدون أن ما يعملـون مـن أعمـال توحي بالخير تنفعهم عند الله والحقيقة أنهم بعد الكفر لن ينفعهم شيء قط وأنهـم مهمـا عملـوا مـن أعمال ظاهرها الخير ، فإن أعمالهم هذه أشبه بكومة من رماد خلفته النار ، ثم اجتاحت هـذا الرمـاد رياح عاصفة عاتية ، فلا شك أن هذه الرياح والعواصف ستذرو الرمـاد مهمـا كـثر في كـل وجـه ، وتفرقه في كل أفق ، فكذلك أعمال الكافرين بدد ضائع ما داموا لم يهتدوا إلى منبع الخير وهو الإيمان ﴿ **مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا**

---

١) أخرجه أبو داود - كتاب الأدب - باب ما يقول إذا هاجت الريح ، ٣٢٦/٤ ، رقم : (٥٠٧٩) ، وقال الألباني في صحيح سنن أبو داود : ٩٦٠/٣ صحيح .

٢) نهاية الأرب جـ ١ ، ص٩٥ ، مادة الريح .

على شيء ذلك هو الضلال البعيد ﴾ [1] ، ولئن كان المعنيان في هذا المثل ومثل السراب واحداً ، وهو عدم انتفاع أي إنسان بعمل من الأعمال ما دام غير مؤمن إلا أن الأسلوب في المثلين أوضح لنا ظاهرتين من ظواهر الصحراء ، وهما السراب ، والعواصف والرياح [2] .

٥- حيوانات البيئة :

ورد في القرآن الكريم ذكر كثير من حيوانات البيئة التي تحتل موضعاً بارزاً في حياة أهلها إما من الناحية المعيشية كالنحل [3] الذي يعتبر مصدراً من المصادر المهمة في اقتصادهم حيث يغل عليهم من العسل ما يمكن أن يعيشوا عليه في الأكل أو في البيع ، وكالنمل [4] الذي ينتشر في كثير من البيئات فيكون مصدر قلق لأهلها بسبب ما يتلفه من متاعهم ومساكنهم ، وإما من ناحية العادات كالغراب [5] الذي كانوا يتشاءمون منه ، ويعتبرون صوته نذير الفراق ، وكالأنعام والحمير والبغال وغيرها من الحيوانات التي تميز هذه البيئة وتعتبر طابعاً لها ، ولا تشترك معها فيه كل البيئات ، وإليك بعضاً من الآيات القرآنية التي تكلمت عن هذه الحيوانات يقول الله تعالى : ﴿ **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾** [6] ، والإبل حيوان العربي الأول ، عليها يسافر ويحمل ، ومنها يشرب ويأكل ومن أوبارها وجلودها يلبس وينزل ، فهي مورده الأول للحياة ، ثم إن لها خصائص تفردها من بين الحيوانات ، فهي على قوتها وضخامتها وضلاعة تكوينها ذلول يقودها الصغير فتنقاد ، وهي على عظم نفعها وخدمتها قليلة التكاليف ، مرعاها ميسر ، وكلفتها ضئيلة ، وهي أصبر الحيوان المستأنس على الجوع والعطش والكدح وسوء الأحوال ، ثم إن لهيئتها مزية في تناسق المشهد الطبيعي المعروض .

لهذا كله يوجه القرآن أنظار المخاطبين إلى تدبر خلق الإبل ، وهي بين أيدهم ، لا تحتاج منهم إلى نقلة ولا علم جديد ﴿ **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾** ، أفلا ينظرون إلى خلقتها وتكوينها ؟ ثم يتدبرون ، كيف خلقت على هذا النحو المناسب لوظيفتها ، المحقق لغاية خلقها ،

---

١) سورة إبراهيم : آية (١٨) ، وفي سورة القمر : ﴿ **إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر * تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر ﴾**

٢) أسلوب السخرية في القرآن الكريم ص١٤٣-١٤٤

٣) سورة النحل : آية (٦٨-٦٩)

٤) سورة النمل : آية (١٨-١٩)

٥) سورة المائدة : آية (٣١)

٦) سورة الغاشية : آية (١٧)

المتناسق مع بيئتها ووظيفتها جميعاً إنهم لم يخلقوها ، وهي لم تخلق نفسها ، فلا يبقى إلا أن تكون من إبداع المبدع المتفرد بصنعته ، التي تدل عليه وتقطع بوجوده ، كما تشي بتدبيره وتقديره [1] .

ومن حيوانات البيئة العنكبوت فهو حيوان مألوف يرونه ويرون آثاره كثيراً ، يألف الأماكن المهجورة ، ويتخذ لنفسه بيتاً رقيقاً شفافاً ، يصلح له ولكنه لا يصلح لشيء آخر ، لأنه لا يحمي من شيء ولا يقي من شيء ، و لا يستر شيئاً ، ولا يحتوي كذلك على شيء ، إلا هذا الحيوان الضعيف الذي لا يكاد يبدو للعيان ، وقد اختار الله في القرآن هذه الصورة من حياة العنكبوت وبيته ، ليشبه بها آلهة المشركين بالله ، واحتماء المشركين بهؤلاء الآلهة ، وعقدهم آمالاً عليهما ، ورجاءهم منهما خيراً أو شراً ، فالعنكبوت وبيته أو هي ما يعرفه العرب واتخاذ بيت العنكبوت بيتاً بالمعنى الذي يعرفه الناس للبيوت ، غاية في تفاهة التفكير ، وخيبة الأمل ، ومن ثم يصبح تفكيرهم وتصبح آمالهم أشبه بالعنكبوت في الضعف والوهن ﴿ **مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون * إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم * وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون** ﴾ [2] .

فهم عناكب ضئيلة ضئيلة واهنة ، تأوي من حمى هؤلاء الآلهة أو الأولياء إلى بيت كبيوت العنكبوت أوهن وأضأل ، ﴿ **وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت** ﴾ ، ولكنهم لا يعلمون حتى هذه البديهة المنظورة فهم يضيفون إلى الضعف والوهن ، جهلاً وغفلة ، حتى ليعجزون عن إدراك البديهي المنظور [3] .

وفي آيات أخرى يبين الله عز وجل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء ، فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفاً ، من ذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً * كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونوا عليهم ضداً** ﴾[4]، وقوله تعالى : ﴿ **واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون * لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون** ﴾ [5] ، وقوله عز وجل بعد أن ذكر إهلاك أمم المشركين : ﴿ **وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك * وما زادوهم غير تتبيب** ﴾ [6] .

---

١) انظر في ظلال القرآن ٣٨٩٨/٦

٢) سورة العنكبوت : آية (٤١-٤٣)

٣) انظر التصوير الفني في القرآن ص٤٢-٤٣

٤) سورة مريم : آية (٨١-٨٢)

٥) سورة يس : آية (٧٤-٧٥)

٦) سورة هود : آية (١٠١)

وبعد فهذه المواضع الأربعة التي وردت في القرآن الكريم تدل على أن من اتخذ من دون الله ولياً يتعزز ، ويتكبر ويستنصر به واهم لأنه لا يحصل له إلا ضد ما يطمع به .

وفي القرآن الكريم آيات أخرى كثيرة تدل على بطلان الشرك وخسارة صاحبه [1] .

٦- حياة البيئة :

أ- ومن أبرز مظاهر الحياة المعيشية التي تعتمد عليها البيئة العربية الرعي ، فحياة المراعي عند العرب هي المسيطرة على وجه الحياة ، ومشاهد المراعي هي الشيء المألوف الذي لا يجهله إنسان في البيئة ، ولا يحتاج في شئونه إلى مرشد ، وما منهم إلا صاحب مرعى يملك السوائم فيه ، أو أجير يرعى لصاحب الماشية ماشيته ، ولذلك فإن القرآن الكريم قد استخدم التمثيل بالمراعي ، ومشاهدها في دعوته الدائمة للعرب وغيرهم ليستخدموا عقولهم في الاستدلال على وجود الله عز وجل بأسلوب ساخر حيث يصور القرآن الرسول ﷺ ، وكل داع يدعوهم إلى الهدى كأنه راع يرعى غنماً في أحد المراعي ، فهو يحرص حرصاً شديداً على أن يقود هذا القطيع من الماشية إلى خير مرعى ، وأن يجمع شمله حتى لا يند من القطيع شيء أو يشرد ، ووسيلته لهذا الجهد كله هو صوته الذي ينعق به على غنمه ووضع المشركين في هذه الصورة وضع الغنم الضياع أو سطو الذئاب ، والراعي ينعق عليها بصوته يدعوها إلى الرجوع ولكنها لا تعقل من كلامه إلا مجرد صوت يبلغ الآذان دون فهم مضمونه أو فحواه ، فكذلك هؤلاء المشركون ، الشاردون عن الهدى الواضح ، والخير البيّن ، يدعون داعي الهدى ويجهد صوته في الدعاء ، ولكنهم لا يعقلون من دعائه شيئاً ، ولا يفهون من كلامه إلا صوتاً يبلغ آذاناً صمّاً ، وعقولاً قد أحكم عليها الضلال : ﴿ **ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون** ﴾ [2] ، يبدو المشركون في الموازنة أكثر ضلالاً ، حيث يزيدون على الماشية الصمم والعمى ﴿ **إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا** ﴾ [3] ولكن الصورة تجعلنا نشعر بجو المرعى وحياة الرعي التي تعتبر أبرز مظاهر البيئة ، ومثل هذه الصورة التي صيغت من حياة البيئة لها في نفوسهم وقع قد لا يحسه الذين لم يألفوا هذه الحياة كما يحسونه هم [4] .

ب- ومن المظاهر البارزة في حياة الصحراء إشعال النيران ، فقد كان إشعال النيران في الليل مظهراً من مظاهر الكرم والسخاء ، يوقد الكريم ناره ، فيلجأ إليها في ضل الطريق في الصحراء ، ويأوى

---

١) انظر أعلام الموقعين جـ ١ ، ص٢٠٤-٢٠٥

٢) سورة البقرة : آية (١٧٠)

٣) سورة الأعراف :آية (١٧٩)

٤) انظر تفسير ابن كثير ٣٥٩/١ - وفيه من الأقوال أنها نزلت في طائفة من اليهود .

إليها من نفذ زاده من المسافرين ، أو احتاج إلى ضيافة ، أو اشتد عليه البرد ، وهي في كل حال واضحة لهداية أولئك وغيرهم إليها ، وملجأ لكل ذي حاجة حتى أصبح إيقاد النار في الليل علامة السخاء ، وموضع التنافس الشديد بين سراة القوم وأصحاب الجاه والغنى والسيادة ، وحتى أصبح منظر النيران هذه شيئاً مألوفاً غير غريب عليهم ، وقد حفلت أشعار الشعراء الحديث عنها فخراً أو مدحاً ، فإيقاد النار إذن أصبح ظاهرة واضحة في حياتهم [1] .

جـ – ومن آثار إيقاد النيران عند العرب ، الرماد ، فمنظر الرماد في كثرته ، وتعدد أماكنه ، وما يرتبط به من مناظر أخرى ، كآثار الرياح فيه حين تذروه فيتفرق في الآفاق ، أو الأمطار حين تهطل عليه ، ونحو ذلك ، كل هذا شيء مألوف لديهم ، وقد أصبح الحديث عن الرماد من الكنايات المشهورة عن الكرم عند العرب ، فإذا قيل فلان كثير الرماد ، فمعناه أنه كريم جواد ، كثير إيقاد النار ليأوى إليها الضيوف ، ويترتب على كثرة إيقاد النار ، كثرة تخلف الرماد .

والقرآن الكريم حينما أراد أن يبين للمشركين وغيرهم من الكفرة بأن أعمالهم التي يظنونها خيراً وبراً ، فإنها مع كفرهم لن تنفعهم شيئاً استحضر لهم ولغيرهم صورة الرماد المعروفة والتي يرونها كثيراً ، سواء في هدوئها ، أو حين تذروها الرياح في كل وجه وتفرقه في كل أفق بحيث لا يبقى منه شيء ، ولا يستطيع أحد أن يعثر منه على شيء ، ومن أمثلة ذلك قوله سبحانه : ﴿ **مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد** ﴾ [2] .

فشبه تعالى أعمال الكفار في بطلانها وعدم الانتفاع بها برماد مرت عليه ريح شديدة في يوم عاصف ، شبه سبحانه أعمالهم في حبوطها وذهابها باطلاً كالهباء المنثور لكونها على غير أساس من الإيمان والإحساس ، وكونها لغير الله عز وجل وعلى غير أمره برماد طيرته الريح العاصف ، فلا يقدر صاحبه على شيء منه وقت شدة حاجته إليه فلذلك قال : ﴿ **لا يقدرون مما كسبوا على شيء** ﴾ لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم على شيء ، فلا يرون له أثراً من ثواب ولا فائدة نافعة ، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه موافقاً لشرعه .

وفي تشبيهها بالرماد سر بديع ، وذلك للتشابه الذي بين أعمالهم ، وبين الرماد في إحراق النار ، وإذهابها لأصل هذا وهذا ، فكانت الأعمال التي لغير الله ، وعلى غير مراده طعمة للنار ، وبها تسعر النار على أصحابها ، وينشيء الله سبحانه لهم من أعمالهم نعيماً وروحاً ، فأثرت النار في

---

١) انظر اسلوب السخرية في القرآن الكريم ص١٥١-١٥٢

٢) سورة إبراهيم : آية (١٨)

أعمال أولئك حتى جعلتها رماداً ، فهم وأعمالهم ، وما يعبدون من دون الله وقـود النـار [1] ، كمـا قال تعالى : ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون** ﴾ [2] .

---

١) أعلام الموقعين جـ ١ ، ص٢٢٣-٢٢٤

٢) سورة الأنبياء : آية (٩٨)

الفصل الرابع : خصائص المنهج الحسي في القرآن الكريم

ويشتمل على مقدمه ومبحثين

المبحث الأول : خصيصة صلاحيته لأصناف المدعوين .

المبحث الثاني : خصيصة عن التأثير وسرعته في المدعوين .

المبحث الأول : خصيصة صلاحية لأصناف المدعوين :

تقديم :

من تأمل القرآن العظيم وتدبره وتفكر في آياته يجد أن في مفتتحه تقسيم تاريخي للبشرية إزاء الحق عامة وتجاه القرآن الكريم خاصة .. ففي سورة الفاتحة المكية ابتهال يرفعه المؤمنون إلى الله في اليوم والليلة سبع عشرة مرة في صلواتهم المفروضة هذا بخلاف صلاة النوافل ، فهم يرددون : ﴿ **إهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ [1].

فهاتان الآيتان تضمنتا الأصناف الثلاثة : المنعم عليهم والمغضوب عليهم والضالين وبصرف النظر عن تحديد المعنيين من مسلمين ويهود ونصارى ، يلاحظ أن هذه الأصناف الثلاثة مطردة على مر التاريخ الإنساني في موقفها من الحق وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم في معرض حديثه عن الآيتين السالفتين : (انقسم الناس بحسب معرفة الحق والعمل به إلى هذه الأقسام الثلاثة ، لأن العبد إما أن يكون عالماً بالحق أو جاهلاً به ، والعالم بالحق إما أن يكون عاملاً بموجبه أو مخالفاً له ، فهذه أقسام المكلفين لا يخرجون عنها البتة) [2] .

أما فيما يتعلق بالمدعوين فإن الإسلام دين البشرية كلها ، أبيضها وأسودها ، منذ أشرق نوره على الكون ، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وهذا يعني أن دعوته إلى العقيدة التي جاء بها موجهة إلى الناس جميعاً ، منذ بعثة الرسول ﷺ وإلى أن تقوم الساعة ، هذه الحقيقة اقتضت منه أن يواجه ألواناً من العقائد المخالفة ، وأنواعاً من الثقافات ، والفلسفات والمواريث الراسخة في نفوس أصحابها ، والتي تحتاج زحزحتها - من نفوس معتنقيها - إلى جهود خارقة .

ومن بين ما واجهت الدعوة الإسلامية أهل الكتاب من نصارى ويهود ، كما واجهت المشركين الذين خلعوا صفات الألوهية على أنواع من المخلوقات ، كالحجارة والحيوانات ، أو على بعض مظاهر الطبيعة وقواها ، كالنار والكواكب وغيرها ، وواجهت الحائرين القلقين الذين أدركوا بفطرتهم فساد ما عليه قومهم ، ولكنهم لم يهتدوا إلى طريق الحق وواجهت المتبلدين الغافلين الدهرين الذين كانوا يقولون :﴿ **ما هي إلى حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر** ﴾ [3] ، واجهت كل ذلك منذ أول يوم ، وكان عليها أن تواجه إلى جانبهم - باعتبارها خاتمة الرسالات - كل ما يمكن أن يستحدث من فلسفات ومذاهب فكرية ، مما سمعنا عنه ، وما سيأتي من بعد ، ذلك هو الواقع الذي أعدت الدعوة الإسلامية نفسها لمواجهته ، وهو واقع عريض يفسر لنا جانباً من

---

١) سورة الفاتحة : آية (٦-٧)

٢) مدارج السالكين للإمام ابن قيم الجوزية - تحقيق محمد حامد الفقي : ١١/١ دار الكتاب العربي - بيروت سنة ١٩٧٢م.

٣) سورة الجاثية : آية (٢٤)

حكمة تخصيص القدر الأكبر من القرآن الكريم لأمور العقيدة ، أما ما يزيد الأمر وضوحاً ويكشف السر الكامن وراء هذه الظاهرة ، فهو طبيعة العقيدة ، وما تحتاجه من جهد لتمكينها في النفوس .

ذلك أن القرآن في دعوته للعقيدة لا يخاطب نفوساً خالية من معتقدات ما ، ولا يسطر عقيدته في صفحات بيض ، يثبت فيها ما يريد ، بل أن كل مخاطب بالدعوة الجديدة هو في الواقع مؤمن بعقيدة تملأ نفسه ، وتستقر في وجدانه ، ذلك أن حاجة الإنسان إلى عقيدة أيا كانت قيمتها سامية أو هابطة يكاد يكون أمراً فطرياً ، بل غريزة من الغرائز المركوزة في الطبيعة الإنسانية والغرائز لابد أن تحقق نفسها في واقع تتمثل فيه [1] .

تصنيف المدعوين في القرآن الكريم :

قسم الله عز وجل المدعوين في القرآن الكريم إلى فريقين أولهما مؤمن بالله عز وجل وبرسوله ﷺ وبكل ما أمره الله سبحانه وتعالى ما أمره به رسوله الكريم ﷺ .

وثانيهما كافر بالله عز وجل وبرسوله الكريم ﷺ وبكل ما جاء به هذا الرسول الكريم من عند الله سبحانه وتعالى وفي ذلك يقول الله عز وجل : ﴿ **هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن** ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ﴾ [3] .

وبين الله عز وجل أن الناس اختلفوا بين مؤمن وكافر بعد أن جاءتهم البينات بغياً بينهم وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صرط مستقيم** ﴾ [4]

والمؤمنون تتعدد مراتبهم (مسلمون - مؤمنون - محسنون) إلا أنهم مؤمنون ، والكافرون تتعدد ألوانهم وتختلف مذاهبهم لكنهم كلهم في الكفر ملة واحدة ولذلك فإن الله عز وجل جعل طوائف الكفر كلها في مواجهة المؤمنين الموحدين بالله عز وجل وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة** ﴾ [5].

---

١) اسلوب الدعوة القرآنية - بلاغة ومنهاجاً ، د. عبدالغني محمد سعد بركه ص٣٥٤ ، مكتبة وهبه ط١، سنة ١٩٨٣.

٢) سورة التغابن : آية (٢)

٣) سورة الكهف : آية (٢٩)

٤) سورة البقرة : آية (٢١٣)

٥) سورة الحج : آية (١٧)

فهذه الآية الكريمة بيان من الله عز وجل أن الناس ينقسمون إلى فريقين : فريق المؤمنين وفريق الكفرة المقسم إلى الفرق الخمسة [1].

وإذا كان الله عز وجل قسم الناس إلى قسمين فإنه سبحانه وتعالى قسم فريق المؤمنين إلى ثلاثة أقسام من حيث تأديتهم للعبادات وذلك في قوله سبحانه : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير**﴾[2] ، (فالمسلم الذي لا يقم واجب الإيمان هو الظالم لنفسه والمقتصد هو المؤمن المطلق الذي أدى الواجب وترك المحرم والسابق بالخيرات هو المحسن الذي عبد الله كأنه يراه ، وقد ذكر الله سبحانه تقسيم الناس في المعاد إلى هذه الثلاثة في سورة الواقعة والمطففين والإنسان وذكر الكفار أيضاً وأما هنا فجعل التقسيم للمصطفين من عباده) [3] .

وأما الكفرة فرغم تعدد أوصافهم وفرقهم ومذاهبهم فهم متفقون جميعاً في وصفهم بالكفر الذي هو ضد الإيمان ... ونعني به جحود الدين كله أو بعضه وإنكار ما علم من الدين بالضرورة سواء كان ذلك في المشركين أو أهل الكتاب من اليهود والنصارى أو في الصابئين والمجوس أو غير ذلك فوصف الكفر قائم عليهم .

وهناك ألفاظ تدور بين القسمين .. مثل الظلم والفسوق والعصيان فوصف الكفار أمر معقول لأن القبح الشديد يشتمل على اليسير ثم يتفوق عنه ويزداد .. فوصف الكافر بالظالم والفاسق والعاصي صحيح لاشتمال الكفر عليها وأكثر .. ولهذا أطلق القرآن عليهم ذلك فقال عز وجل : ﴿ **والكافرون هم الظالمون** ﴾ [4] ، وقال سبحانه : ﴿ **فعصى فرعون الرسولا** ﴾ [5] ، وقال سبحانه : ﴿ **أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً** ﴾ [6] ، وقال سبحانه : ﴿ **كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا** ﴾ [7] .

فلا يكون الظلم والفسوق والعصيان كفراً إلا إذا خالطهم الجحود بالله وملائكته ، وكتبه ورسله والقضاء والقدر خيره وشره وأبطل الأركان وجحد السنة ، فهذا هو الكافر والظالم والفاسق.

---

١) تفسير الآلوسي جـ ١٧ ، ص ١٣٣

٢) سورة فاطر : آية (٣٢)

٣) الإيمان ، شيخ الإسلام ابن تيمية ص٢٧٩ – تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني – مكتبة أنس بن مالك سنة ١٤٠٠هـ

٤) سورة البقرة : آية (٢٥٤)

٥) سورة المزمل : آية (١٦)

٦) سورة السجدة : آية (١٨)

٧) سورة يونس : آية (٣٣)

أما إذا جاءت هذه الألفاظ مع المؤمنين فهي بمعنى نقصان الإيمان لا نفيه مطلقاً قال تعالى : ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا ا لله فإستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا ا لله ولم يصروا على ما فعلوا** ﴾ [1] ، فهذا ظلم لا يخرج عن الملة فهو ظلم دون الظلم هناك مع الكفار ، وكذلك الفسوق والعصيان .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (فلما كان الظلم ظلمين ، والفسق فسقين ، كذلك الكفر كفران ، أحدهما ينقل على الملة والآخر لا ينقل عن الملة وكذلك الشرك شركان شرك في التوحيد ينقل عن الملة وشرك في العمل لا ينقل عن الملة وهو الرياء قال تعالى : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** ﴾ [2] ، يريد بذلك المراءاة بالإعمال الصالحة) [3] ، ولذلك فإنه يفسر الكفر الوارد في قوله سبحانه : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل ا لله فأولئك هم الكافرون** ﴾ [4] ، بأنه (ليس بالكفر الذي يذهبون إليه ، وقال طاووس وليس كمن كفر با لله وملائكته وكتبه ورسله) [5] .

هذا هي أصناف الناس الذين يدعوهم القرآن الكريم ويتصدى لدعوتهم دعاة الإسلام في كل مكان وزمان ، وهم - أي المدعوون - ذو طباع خاصة ونفوس متنوعة يحتاجون لمن يفهم طبيعتتهم ويحدد هويتهم .

لذلك كان من الواجب على الدعاة أن يعرفوا فطرتهم وطبائعهم وموطن التغير فيهم ودرجاتهم الإيمانية أو درجاتهم الكفرية حتى يكونوا على بصيرة من أمرهم فيستطيعون تشخيص الداء وتحديد الادواء ، لأن معرفة الأرض يحدد نوع الغرس فيها .

---

١) سورة آل عمران : آية (١٣٥)

٢) سورة الكهف : آية (١١٠)

٣) الإيمان ابن تيمية ص٢٨٢

٤) سورة المائدة : آية (٤٤٤)

٥) المرجع السابق ص٢٨٠

استخدام المنهج الحسي في دعوة أصناف المدعوين :

عرفنا فيما مضى أن المدعوين ينقسمون إلى صنفين أساسين هما :

الأول : المسلمون أو المؤمنون : وهم المعروفون في الإصطلاح الدعوي (بأمة الإستجابة) وهم أصناف متعددة كما سيأتي معنا .

الثاني : الكافرون أو (غير المسلمين) : الذين يدخلون في الإصطلاح في (أمة الدعوة) ، وسيأتي معنا تصنيفهم أيضاً ، هذان الصنفان دعاهما الله عز وجل مستخدماً في دعوتهم إياهم المنهج الحسي حتى يؤثر في نفوسهم ويحثهم حثاً يدفعهم دفعاً للإيمان بالله عز وجل لأن النفوس غالباً ما تسلم بالمحسوسات وإليك الحديث عن استخدام القرآن الكريم للمنهج الحسي في دعوة أصناف المدعوين وذلك في مطلبين :

المطلب الأول : استخدام المنهج الحسي في دعوة أصناف المدعوين من المسلمين :

يمكن تصنيف المسلمين بعد استجابتهم إلى دعوة الله تعالى ودخول الإيمان في قلوبهم ، وبعد أن صارت الغلبة للمؤمنين وصار المجتمع إسلامياً ، إلى عدة أصناف .

أ - مسلمون مهتدون : وهذا الصنف هم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله : ﴿ **إنّما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم * وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً * وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقاً * لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم** ﴾ [1] .

(فهذا القول الكريم يشتمل على التعبير الدقيق في بنائه اللفظي ليدل دلالة دقيقة على مدلوله المعنوي ، فهو يشتمل على القصر بلفظ "إنّما" ، وليس هنالك مبرر لتأويله - وفيه هذا الجزم الدقيق - ليقال : إن المقصود هو "الإيمان الكامل" ! فلو شاء الله - سبحانه - أن يقول هذا لقاله ، إنما هو تعبير محدد دقيق الدلالة ، إن هؤلاء الذين هذه صفاتهم وأعمالهم ومشاعرهم هو المؤمنون ، فغيرهم ممن ليس له هذه الصفات بجملتها ليسوا بالمؤمنين ، والتوكيد في آخر الآيات : ﴿ **أولئك هم المؤمنون حقاً** ﴾ يقرر هذه الحقيقة فغير المؤمنين (حقاً) لا يكونون مؤمنين أصلاً .. وليس المقابل لوصف : (المؤمنون حقاً) هو المؤمنون إيماناً غير كامل ! ولا يجوز أن يصبح التعبير القرآني الدقيق عرضة لمثل هذه التأويلات المميعة لكل تصور ولكل تعبير !) [2]

لذلك كان السلف يعرفون من هذه الآيات أن من لم يجد في نفسه وعمله هذه الصفات لم يجد الإيمان ، و لم يكن مؤمناً أصلاً .. فقد جاء في تفسير ابن كثير : قال علي ابن طلحة عن ابن

---

١) سورة الأنفال : آية (٢-٤)

٢) في ظلال القرآن م٣ ، ص١٤٧٤

عباس ، في قوله : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم** ﴾ (قال : المنافقون : لا يدخل قلوبهم شئ من ذكر الله عند أداء فرائضه ولا يؤمنون بشئ من آيات الله ، ولا يتوكلون ، ولا يصلون إذا غابوا (أي المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فأدوا فرائضه : ﴿ **وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً** ﴾ يقول : زادتهم تصديقاً ، (وعلى ربهم يتوكلون) يقول : لا يرجون غيره [1] .

والقلب المؤمن يجد في آيات الله المقروءة والمنظورة ما يزيده إيماناً ، وما ينتهي به إلى الإطمئنان ، إن هذا القرآن يتعامل مع القلب البشري بلا وساطة ، ولا يحول بينه وبينه شئ إلا الكفر الذي يحجبه عن القلب ويحجب القلب عنه ، فإذا رفع هذا الحجاب بالإيمان وجد القلب حلاوة هذا القرآن ، ووجد في إيقاعاته المتكررة زيادة في الإيمان تبلغ إلى الإطمئنان .. وكما أن إيقاعات القرآن على القلب المؤمن تزيده إيماناً ، فإن القلب المؤمن هو الذي يدرك هذه الإيقاعات التي تزيده إيماناً .. لذلك يتكرر في القرآن تقرير هذه الحقيقة في أمثال قوله تعالى : ﴿ **إن في ذلك لآيات للمؤمنين** ﴾[2] .. ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون** ﴾ [3] .

فالنظر إلى كتاب الله تبارك وتعالى وتدبر آياته ، وتفهم معانيه وسبر أغواره ، والتمعن في أقواله ، وأوامره ونواهيه وما شرع لخلقه من عبادات ومعاملات وآداب وأخلاق ، كل ذلك يجعل المؤمن مطمئناً إيمانه ، مستصغراً الدنيا في عينيه ، مستهيناً بالشدائد ، ونرى حال المؤمن متمثلة في حال سحرة فرعون حين تغلغل الإيمان في قلوبهم ، يقول تعالى : ﴿ **فألقي السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون وموسى * قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى * قالوا لن نؤثرك على ما جآءنا من البينات والذي فطرنا * فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا * إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى** ﴾[4].

فهؤلاء السحرة يهددهم فرعون بالويل والثبور فلا يبالون ، ويصب عليهم جام غضبه فلا يتراجعون ، ويعذبهم أشد العذاب ، فلا يرتدون عن دينهم الذي ارتضاه لهم تبارك وتعالى ، وهذه الحالة هي نفسها التي صار عليها المسلمون الأوائل في بداية الدعوة الإسلامية فقد وقفوا في وجه صناديد الكفر والفجور ، مما يدل دلالة قاطعة على أن الإيمان إذا رسخ في القلب لا تقتلعه عواصف المحن ، ولا تزحزحه شدائد الحياة كما أن مطالعة كتاب الله عز وجل تبصر من لم يكن عرف حتى

---

١) تفسير ابن كثير ج٣ ، ص٢٧٨

٢) سورة الحجر : آية (٧٧)

٣) سورة الأنعام : آية (٩٩)

٤) سورة طه : آية (٧٠-٧٣)

يعرف وتذكر من عرف ونسى ، والإنسان يقرأ السورة مرات ، حتى سورة الفاتحة ويظهر له في أثناء الحال من معانيها ما لم يكن خطر له قبل ذلك ، حتى كأنها تلك الساعة نزلت ، فيؤمن بتلك المعاني ويزداد علمه وعمله وهذا موجود في كل من قرأ القرآن بتدبر ، بخلاف من قرأه بغفلة .

وهنا يدعونا الباري عز وجل إلى النظر في السموات والأرض وما تحويانه ، من دقيق الصنع وعظيم الخلق يقول تعالى : ﴿ **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت * وإلى الجبال كيف نصبت * وإلى الأرض كيف سطحت فذكر إنما أنت مذكر** ﴾ [1] .

ويقول تعالى: ﴿ **ويتفكرون في خلق السموات والأرض * ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار** ﴾ [2] .

وبهذا التفكر والتأمل يزداد المؤمن إيماناً با لله ، ويقيناً ورسوخاً بقدرته وعظمته [3] .

* من أبرز صفات المؤمنين المهتدين :

يتميز المؤمنون المهتدون بصفاة عدة أهَّلَتْهم عن جدارة أن يكونوا على ما هم عليه من الإيمان والهداية ومن أبرز هذه الصفات :

أولاً : التصديق .

ثانياً : العمل أو الالتزام بالعمل .

ويتمثل الأمر الأول في قوله عز وجل لإبراهيم عليه السلام عندما طلب منه أن يريه كيف يحي الموتى ﴿ **قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي** ﴾ [4] ، إذن لا بد وأن يبلغ هذا التصديق حد اليقين الجازم الذي لا يزلزله شك ولا شبهة ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا با لله ورسوله ثم لم يرتابوا** ﴾ [5] .

أما الأمر الثاني فيتمثله قوله تعالى : ﴿ **وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى ا لله وما كان ا لله ليضيع إيمانكم إن ا لله بالناس لرؤوف رحيم** ﴾ [6] .

---

١) سورة الغاشية : آية (١٧-٢١)

٢) سورة آل عمران : آية (١٩١)

٣) انظر الإيمان - مفهومه وأبعاده - بدرية العزاز ص٢٩-٣٠، مكتبة المنار الإسلامية ط٢ ، سنة ١٩٩٢

٤) سورة البقرة : آية (٢٦٠)

٥) سورة الحجرات : آية (١٥)

٦) سورة البقرة : آية (١٤٣)

فالمؤمن الصادق هو المؤمن الذي يجمع ما بين الإعتقاد الجازم والإنقياد الإرادي لما أمر الله عز وجل به ونهى عنه يقول تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون** ﴾ [1] .

ويقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله : (فالإيمان تصديق القلب بالله وبرسوله ، التصديق الذي لا يرد عليه شك ولا ارتياب ، التصديق المطمئن الثابت المستيقن الذي لا يتزعزع ولا يضطرب ، ولا تهجس فيه الهواجس ، ولا يتلجلج فيه القلب والشعور الذي ينبثق منه الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله ، فالقلب متى تذوق حلاوة هذا الإيمان واطمأن إليه وثبت عليه ، لابد مندفع لتحقيق حقيقته في خارج القلب ، في واقع الحياة ، في دنيا الناس ، يريد أن يوجد بين ما يستشعره في باطنه من حقيقة الإيمان ، وما يحيط به في ظاهره من مجريات الأمور وواقع الحياة ، ولا يطيق الصبر على المفارقة بين الصورة الإيمانية التي في حسه ، والصورة الواقعية من حوله ، لأن هذه المفارقة توذيه وتصدمه في كل لحظة ، ومن هنا هذا الإنطلاق إلى الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس) [2].

فالتصديق والعمل قرينان لحصول الإيمان ، مع ما يكون من إقرار اللسان ولذا فإن الإيمان تصديق بالجنان ، وإقرار باللسان وعمل بالأركان .

الصنف الثاني : من حيث قوة أو ضعف إلتزامهم بالإسلام : وهؤلاء ينقسمون إلى ثلاثة أقسام :

أ- ظالم لنفسه .

ب- ومقتصد .

جـ - سابق بالخيرات .

قال تعالى : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا * فمنهم ظالم لنفسه * ومنهم مقتصد * ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله * ذلك هو الفضل الكبير** ﴾ [3] .

وهذه الأصناف الثلاثة موجودة في أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام جميعاً .

قال صاحب أضواء البيان [4] : فقد بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن إيراث هذه الأمة لهذا الكتاب دليل على أن الله اصطفاها في قوله : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا** ﴾

---

١) سورة الحجرات : آية (١٥)

٢) في ظلال القرآن م٦ ، ص٣٣٤٩

٣) سورة فاطر : آية (٣٢)

٤) أضواء البيان ج١ ص١٦٤

وبين أنهم ثلاثة أقسام :

الأول : الظالم لنفسه ، وهو الذي يطيع الله ، ولكنه يعصيه أيضاً فهو الذي قال الله فيه ﴿ **خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم** ﴾ [1] .

والثاني : المقتصد وهو الذي يطيع الله ، ولا يعصيه ، ولكنه لا يتقرب بالنوافل من الطاعات .

والثالث : السابق بالخيرات : وهو الذي يأتي بالواجبات ويجتنب المحرمات ويتقرب إلى الله بالطاعات والقربات التي هي غير واجبة .

وسوف أتطرق بشئ من التفصيل للقسم الأول (الظالم لنفسه) وهم العصاة وكيفية دعوتهم بالمنهج الحسي .

* العصـــــــاة :

تعريفهم : العصاة هم من كان عندهم أصل الإيمان وهو الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ولكنهم لا يقومون بحقوق هذه الشهادة ، فهم يخالفون بعض أوامر الشرع ويرتكبون بعض نواهية ، ومنهم المكثر من المعاصي ومنهم المقل ومنهم بين ذلك على درجات كثيرة جداً ومتنوعة جداً لا يحصيها إلا الله تعالى [2] .

أسباب العصيان :

وقد يرد إلى الذهن هذا السؤال : لماذا يعصي المسلم أوامر الشرع الإسلامي وهو مؤمن بالله وبرسوله وباليوم الآخر ، ومؤمن بأن معصية الخالق جل جلاله تؤدي إلى سخطه وعذابه ؟ والجواب على ذلك : أن الإيمان قد يضعف في قلب المسلم فتغلبه شهوته ويقبل إغراء الشيطان فيرتكب المعصية لأن العقاب على الذنوب شئ موعود به في الآخرة ، ولذائذ الدنيا المحرمة شئ حاضر ، والنفس مجبولة على التأثر بالحاضر لا بالغائب ، وإن كانت عاقبة الحاضر مرة ، وعاقبة الغائب حلوة ولا يمنعها من هذا التأثر إلا الإيمان القوي المنير الذي يجعل الغائب كالحاضر فيكون التأثر به لا بالحاضر المحسوس فعلاً ، قال تعالى : ﴿ **بل تؤثرون الحياة الدنيا** ﴾ [3] ، فالإنسان بطبيعته يؤثر اللذة العاجلة وإن كانت تافهة على اللذة الآجلة وإن كانت جسيمة ، ومع ضعف الإيمان يقوى هذا الطبع وهذه الجبلة في الإنسان ، فيستسهل إرتكاب المخالف إبتغاء اللذة العاجلة ، أو دفع المشقة العاجلة ، لا سيما مع أمل البقاء والتوبة في المستقبل وتسكين النفس بأمل عفو الله تعالى .

---

١) سورة التوبة : آية (١٠٢)

٢) أصول الدعوة – زيدان ص ٣٩١

٣) سورة الأعلى : آية (١٦)

الوقاية من المعاصي :

كما يقولون الوقاية خير من العلاج وهذا المثل ينطبق تمام الإنطباق على الوقاية من المعاصي عن طريق كبح النفس وترويضها على البعد عن الذنوب والآثام إذ النفس أي نفس مركب فيها إستعداد وقابلية لإرتكاب المعاصي قال تعال : ﴿ **ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ [1]، فالنفس تحمل جراثيم المعاصي ، وهذه الجراثيم تكون مقهورة مقلوبة ما دام القلب في صحة وعافية معموراً بالإيمان ، فإذا ضعف لأي سبب كان ، ووجدت هذه الجراثيم المناخ الملائم انتعشت ونمت وظهرت فعاليتها كما يحصل لجراثيم الجسم ، ومن المناخ الملائم لجراثيم المعاصي كل المهيجات للمعصية من المرئيات والمسموعات والمطعومات والقراءات .

فكل واحد من هذه المهيجات إذا أهاج شهوتك ، ودفعك نحو المعصية أنساك ذكر الله ولعل من أقوى المؤثرات على النفس لارتكاب المعاصي وتهيئة المناخ الملائم لجراثيمها ، النساء الكاسيات العاريات ، والغناء الفاحش القبيح ، والمخالطات المحرمة ، وارتياد محلات أهل الغفلة ، وسماع كلام أهل الدنيا كل هذا وأمثاله يقوي جرثومة المعصية حتى تكون هي القاهرة الغالبة بعد أن كانت مقهورة مغلوبة وبالتالي يواقع المعصية وينغمس فيها ، أما المناخ الملائم لإضعاف جرثومة المعصية ، فهو كل شئ يقوي فيه معاني الإيمان والعلم الحق بالله واليوم الآخر ويبصرك طريق الآخرة ، فصحبتك للطيبين العاملين للإسلام الداعين إلى الله من أكبر الحصون لنفسك ولإيمانك وبالتالي لإضعاف جرثومة المعصية ، وأخيراً فإن من الوقاية أن لا يستصغر المسلم ذنباً مهماً كان صغيراً فإن الحزمة من الحطب تتكون من عيدان ، وأن لا يعرض نفسه إلى ما يضعف إيمانه ويقوي فيه جرثومة المعصية اعتماداً منه على قوته وعافيته فليس من العقل أن يعرض الإنسان نفسه لجرثومة السل ويغشي محلات المسلولين بحجة أنه قوي صحيح البدن [2] .

أقسام عصاة المؤمنين بالنسبة إلى التوبة:

يقسم القرآن العصاة من المؤمنين إلى ثلاثة أقسام[3]:

* **القسم الأول:** عصاة مؤمنون يفعلون السوء بجهالة من الجهالات النفسية، التي تضعف معها إرادتهم، ثم يتوبون من قريب ويصلحون نفوسهم وسلوكهم، وهؤلاء قد وعدهم الله وعداً قاطعاً بأن يتوب عليهم، وجعل ذلك قضاء قضى به سبحانه وتعالى على نفسه إذ كتب على نفسه الرحمة،

---

١) سورة الشمس : آية (٦-٧)

٢) أصول الدعوة - د. عبدالكريم زيدان - ص٣٩١ ، ٣٩٣ بتصرف - دار عمر بن الخطاب ط الثالثة سنة ١٩٧٦ الإسكندرية.

٣)انظر: الأخلاق الإسلامية، حبنكه ص: ٦٨٥، وما بعدها بتصرف.

وقد دل على ذلك قول الله تعالى: **﴿إنما التوبة على الله الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً﴾**[1].

فقد جعل الله في هذه التوبة على هذا القسم من العصاة وعداً عليه حقاً، وأبان فيها المراد من قوله تعالى: **﴿ثم تاب من بعده﴾** في آية (الأنعام) المكية بأن هذه البعديَّة ينبغي أن تكون من قريب إذ جاء فيها خطاباً للرسول ﷺ:

﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآيتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم﴾[2].

فهذه الآية توضح أن الله قد كتب على نفسه الرحمة فألزم بها نفسه، وفسرت الآية هذه الرحمة التي كتبها على نفسه بقبول توبة من عمل من المؤمنين سوءاً بجهالة، ثم تاب من بعده وأصلح نفسه وسلوكه.

* **القسم الثاني:** عصاة مؤمنون خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، واعترفوا بذنوبهم، ولكن دون أن تكون منهم توبة واستقامة.

وهؤلاء لم يعطهم الله وعداً قاطعاً بأن يتوب عليهم ويغفر لهم، ولكن أعطاهم رجاء بذلك، وقد دل على هذا الرجاء قول الله تعالى:

﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾[3].

فأمر التوبة على عصاة هذا القسم متردد بين الخوف والرجاء إذا لم يكن منهم توبة صحيحة، ولكن الظاهر أنه لا بد يكون منهم استغفار من ذنوبهم، وهو ما يشير إليه ضمناً قول الله تعالى في الآية: **﴿اعترفوا بذنوبهم﴾** فالمعترف بذنبه، يغلب من حاله أن يطلب من ربه العفو والغفران، ولو لم يكن مع استغفاره توبة وندم وعزم على عدم العودة إلى الذنب، ولذلك كثرت النصوص التي تدعو المذنبين إلى أن يستغفروا ربهم.

ويرى صاحب كتاب الأخلاق الإسلامية: (أن الأخلاق من العقاب هو الذي ينبغي أن يكون ماثلاً في تصور الذين ما زال لديهم أمل طويل في الحياة، وأن الطمع بالعفو والغفران هو الذي ينبغي أن يكون ماثلاً في تصور الذين يتوقعون قرب آجالهم وأن شمس حياتهم آذنت بالغروب)[4].

---

١) سورة النساء، الآية: ١٧ .

٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٤ .

٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٢ .

٤) الأخلاق الإسلامية، حنبكة ح١، ص: ٦٨٨ .

* **القسم الثالث**: عصاة مؤمنون أسرفوا جداً على أنفسهم، فلم يتوبوا و لم يعترفوا بذنوبهم، لأن أفكارهم ضائعة في أوحال المعصية، وإرادتهم مشتتة في عاتيات الأهواء.

ورجاء هؤلاء بالمغفرة ضعيف، ولكنه غير منقطع نهائياً، وتوقع العقوبة هو الأرجح بالنسبة إليهم، وقد دل على ذلك قول ا لله تعالى في سورة (التوبة:١٠٦):

﴿وآخرون مرجون لأمر ا لله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم وا لله عليم حكيم﴾.

مُرجون: مؤخّرون، من الإرجاء وهو التأخير.

أي: فهم مؤخّرون لأمر ا لله، وا لله بعلمه يحيط بما في قلوبهم ونفوسهم من خير وشرّ، ويحيط بظروفهم الاجتماعية، وبالأمور التي جعلتهم ينزلقون في المعصية، وهو بحكمته يضع كلاً من عفوه أو عقابه في الموضع الملائم، لا يظلم أحداً مثقال ذرّة، وجانب فضله ورحمته سبحانه أرجح وأسبق في كل الأحوال من جانب عدله وسخطه.

موقف الداعي من هذا الصنف وكيفية دعوتهم :

وتكون دعوة كل صنف من هذه الأصناف كل بحسب حاله وموقعه من الإستجابة للحق والإلتزام بالهدى ، فيدعي السابق بالخيرات إلى الإزدياد من الخير والتحقق بالتقوى ، وهو ميدان فسيح لا نهاية به .. قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا آمنوا ..** ﴾ [١] ، وقال سبحانه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا ا لله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ [٢] .

ويدعى المقتصد إلى الثبات على الطاعة ، وتجنب المعصية ، كما يدعي إلى الترقي بحاله إلى حال المتقين السابقين بالخيرات ، قال تعالى : ﴿ **قل : يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة ا لله إن ا لله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ [٣] . وقال سبحانه : ﴿ **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان * تذكروا فإذا هم مبصرون** ﴾[٤] .

ويُدعى الظا لم لنفسه المغلق قلبه عن سماع الحق إلى الرجوع عن فسقه وفجوره وإلى الالتزام بأمر ا لله وحكمه ، والتوبة من ظلمه لنفسه ، والداعي إلى ا لله تعالى ينظر إلى هذا الصنف من الزناة والمرابين والعصاة نظرة اشفاق ورحمة ، فهو يراهم كالواقفين على حافة واد عميق سحيق في ليلة ظلماء ، يخاف عليهم من السقوط ، ويعمل جهده لتخليصهم من الهلاك وذلك عن طريق :

أولاً : مطالعة كلام ا لله عز وجل :

---

١) سورة النساء : آية (١٣٦)

٢) سورة آل عمران : آية (١٠٢)

٣) سورة الزمر : آية (٥٣)

٤) سورة الأعراف : آية (٢٠١)

فهو جلاء البصائر الكلية وشفاء الصدور العليلة فإذا لزم قراءته في تمهل وترو انفتحت أغلاق قلبه وسطعت أنوار القرآن وبشاشته في آفاق نفسه وإلى هذا يدعونا الله تبارك وتعالى : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾ [1] .

وتدبر القرآن يزيل الغشاوة ، ويفتح النوافذ ، ويسكب النور ، ويحرك المشاعر ، ويستجيش القلوب ، ويخلص الضمير .. وينشئ حياة للروح تنبض بها وتشرق وتستنير كما أنه يزيل الأقفال التي تكون على القلوب فتمنعها من طاعة الله عز وجل وتحجبها عنها حتى لا يكون ممن قال الله عز وجل عنهم ﴿ **أم على قلوب أقفالها** ﴾ .

ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يديم قراءة القرآن الكريم ، ويسأل الله تعالى : قائلاً : ﴿ أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي ﴾ [2] .

وكان صلى الله عليه وسلم ، يأخذ بأيدي الصحابة إلى هذا المنهل العذب ويفتح أعينهم على أنواره وأسراره ليستزيدوا من نوره وليكون لهم نوراً في الدنيا ونوراً في الآخرة ، ونوراً في القبر ، فدوام مطالعة كتاب الله عز وجل تجلو القلوب من أوساخها ليعود نور الإيمان يشع من جديد في هذا القلب الذي أناره كلام الله تعالى وكتابه ..

---

١) سورة محمد : آية (٢٤)

٢) أخرجه أحمد ١/٣٩١، ٤٥٢

ثانياً : التأمل في الكون :

إن المؤمن لا ينفك يطلب مزيداً من القرب إلى ربه يتعرف آياته وآثاره ، فهو إذا تعلم أوامره الشرعية يتأمل أيضاً في أوامره الكونية ، ومظاهر إرادته وقدرته في الوجود ، ويلتمس من النظر في طبائع الأشياء ، وفي نواميس الكون وقواه ، ما يدله على بدائع فعل الخالق الذي أحسن كل شئ صنعاً ، كما يعتبر بأحوال البشر ومصائرهم الدابر منهم والحاضر ، فيدرك سنن الله تعالى في شأن الإنسان ويتوسم آثاره ، وقدرته ورحمته ، تعلقاً وتقرباً إشباعاً لحب الإستزاداة من معرفة الله المعبود المحبوب وفي هذا الإيمان كله فتنفتح مغاليق القلب على هذا الفيض الإيماني العميق [1] .

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله : إن هذا الكون هو كتاب الحق المفتوح ، الذي يقرأ بكل لغة ، ويدرك بكل وسيلة ، ويستطيع أن يطالعه الساذج ساكن الخيمة والكوخ ، والمتحضر ساكن العمائر والقصور ، كل يطالعه بقدر إدراكه واستعداده ، فيجد فيه زاداً من الحق ، حين يطالعه بشعور التطلع إلى الحق ، وهو قائم مفتوح في كل آن .

قال تعال : ﴿ **أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ؟ وما لها من فروج**﴾ [2] ، إن هذه السماء صفحة من كتاب الكون تنطق بالحق الذي فارقوه ، أفلم ينظروا إلى ما فيها من تشامخ وثبات واستقرار ؟ وإلى ما فيها بعد ذلك من زينة وجمال وبراءة من الخلل والإضطراب ! إن الثبات والكمال والجمال هي صفة السماء التي تتناسق مع السياق هنا ، مع الحق وما فيه من ثبات وكمال وجمال ، ومن ثم تجئ صفة البناء وصفة الزينة وصفة الخلو من الثقوب والفروج .

وكذلك الأرض صفحة من كتاب الكون القائم على الحق المستقر الأساس الجميل البهيج : قال سبحانه وتعالى : ﴿ **والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج** ﴾ [3] ، فالإمتداد في الأرض والرواسي الثابتات والبهجة في النبات .. تمثل كذلك صفة الإستقرار والثبات والجمال التي وجه النظر إليها في السماء .

وعلى مشهد السماء المبنية المتطاولة الجميلة ، والأرض الممدة الراسية البهيجة يلمس قلوبهم، ويوجهها إلى جانب من حكمة الخلق ، ومن عرض صفحات الكون : ﴿ **تبصرة وذكرى لكل عبد منيب** ﴾ [4] ، تبصرة تكشف الحجب ، وتنير البصيرة ، وتفتح القلوب ، وتصل الأرواح بهذا الكون

---

١) عن كتاب تذكر الدعاة ص ٤٩١

٢) سورة ق : آية (٦)

٣) سورة ق : آية (٧)

٤) سورة ق : آية (٨)

العجيب ، وما وراءه من إبداع وحكمة وترتيب .. تبصرة ينتفع بها كل عبد منيب ، يرجع إلى ربه من قريب [1] .

وقال تعالى في نهاية حديثه عن أصناف المؤمنين مشيراً إلى السابقين بالخيرات بإذن الله : ﴿ **ذلك هو الفضل الكبير * جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير * وقالوا : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن * إن ربنا لغفور شكور * الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب** ﴾ [2].

إن المشهد الذي أمامنا في الآيات الكريمة يكشف عن نعيم مادي ملموس ونعيم نفسي محسوس فهم ﴿ **يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير** ﴾ [3] وذلك بعض المتاع ذي المظهر المادي الذي يليه بعض رغائب النفوس ، وبجانبه ذلك الرضا وذلك الأمن وذلك الإطمئنان : ﴿ **وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن** ﴾ [4] ، والدنيا بما فيها من قلق على المصير، ومعاناة للأمور تعد حزناً بالقياس إلى هذا النعيم المقيم ، والقلق يوم الحشر على المصير مصدر حزن كبير : ﴿ **إن ربنا لغفور شكور** ﴾ [5] .. غفر لنا وشكر لنا أعمالنا بما جازانا عليها ، ﴿ **الذي أحلنا دار المقامة** ﴾ .. للإقامة والإستقرار ﴿ **من فضله** ﴾ فما لنا عليه من حق ، إنما هو الفضل يعطيه من يشاء ، ﴿ **لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب** ﴾ [6] .. بل يجتمع لنا فيها النعيم والراحة والإطمئنان [7] .

وبهذا تكون دعوة كل مسلم من حيث هو قائم ، فلا يُسوي بين الأصناف الثلاثة في اسلوب الدعوة ولا فيما يُدعى إليه .

---

١) في ظلال القرآن م٦ ص٣٣٥٩

٢) سورة فاطر : آية (٣٣)

٣) سورة فاطر : آية (٣٣)

٤) سورة فاطر : آية (٣٤)

٥) سورة فاطر : آية (٣٤)

٦) سورة فاطر : آية (٣٥)

٧) مشاهد القيامة في القرآن – سيد قطب ص١٠١،١٠٠ دار الشروق

المطلب الثاني : استخدام المنهج الحسي في دعوة أصناف غير المسلمين :

تمهيد :

الداعية الحكيم هو الذي يدرس الواقع وأحوال الناس ، ومعتقداتهم وينزل الناس منازلهم ، ثم يدعوهم على قدر عقولهم وأفهامهم وطبائعهم وأخلاقهم ومستواهم العلمي والإجتماعي ، والوسائل التي يؤتون من جهتها ، ولهذا قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - (حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله) [1] .

وذكر عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم) [2] .

وقال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - : (ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة) [3] .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك للدعاة إلى الله - عز وجل - فقال لمعاذ بن جبل حينما بعثه إلى اليمين - داعياً ومعلماً وقاضياً - (إنك تأتي قوماً أهل كتاب ...) الحديث [4] .

فبين صلى الله عليه وسلم لمعاذ عقيدة القوم الذين سوف يقدم عليهم حتى يعرف حالهم ، ويستعد لهم ، ويقدم لهم ما يناسبهم ، وما يصلح أحوالهم .

وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة - رضي الله عنها : ﴿ يا عائشة ، لولا قومك حديث عهدهم بكفر لنقضت الكعبة وجعلت لها بابين : باب يدخل الناس ، وباب يخرجون ﴾ [5] .

فترك صلى الله عليه وسلم هذه المصلحة ، لأمن الوقوع في المفاسد [6] .

فدراسة البيئة والمكان الذي تبلغ فيه الدعوة أمر مهم جداً ، فإن الداعية يحتاج في دعوته إلى معرفة أحوال المدعوين : الإعتقادية ، والنفسية ، والإجتماعية ، والإقتصادية ، ومعرفة مراكز الضلال ومواطن الإنحراف معرفة جيدة ، ويحتاج إلى معرفة لغتهم ، ولهجتهم ، وعاداتهم ، والإحاطة

---

١) البخاري مع الفتح ، كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا ١/٢٢٥

٢) مسلم في المقدمة مع شرح النووي ١/٥٥ ، وسنن أبي داود مع العون ١٣/١٩١

٣) مسلم المقدمة ، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ١/١١

٤) البخاري مع الفتح ، كتاب الزكاة ، باب : لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة ٣/٣٢٢ ، واللفظ له ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله وشرائع الإسلام ١/٥٠

٥) البخاري مع الفتح ، كتاب العلم ، باب من ترك بعض الإختيار مخافة ان يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه ١/٢٢٤

٦) قال ابن حجر - رحمه الله - تعالى : يستفاد منه ترك المصلحة ، لأمن الوقوع في المفسدة ، وترك إنكار المنكر خشية الوقوع في أنكر منه ، انظر : فتح الباري ١/٢٢٥

بمشكلاتهم ونزعاتهم الخلقية ، وثقافتهم ، ومستواهم الجدلي ، والشبه التي انتشرت في مجتمعهم ، ومذاهبهم [1] .

والدّاعية الحكيم يكون مدركاً لما حوله ، مقدراً للظروف التي يدعو فيها مراعياً لحاجات الناس ومشاعرهم ، وكل أحوالهم .

والدّاعية إلى الله – تعالى – لا ينجح في دعوته ، ولا يكون موفقاً في تبليغه ولا مسدّداً في قوله وفعله حتى يعرف من يدعوهم ، وهل هذا المجتمع من المسلمين العُصاة ، أو من المسلمين الذين انتشرت فيهم البدع والخرافات ؟ هل هذا المجتمع من أهل الكتاب ؟ فإذا كانوا منهم ، فهل هم من اليهود أم من النصارى ؟ هل هذا المجتمع من الملحدين الطبيعين والماديين والدّهريين ؟ أم من الوثنيين المشركين .

فإذا عرف الدّاعية هذا كله ، فكيف يدعو كل فئة من هذه الفئات بالمنهج الحسي ؟ وما الحكمة ؟ وماذا يقدم معهم ؟ وماذا يؤخر ؟ وما القضايا التي يعطيها أهمية وأولوية قبل غيرها ؟ وما الأفكار الضرورية التي يطرحها ويبدأ بها ؟

وهكذا فالداعية الحكيم كالطبيب الحكيم الذي يُشخص المرض ، ويعرف الداء ويُحدده ، ثم يعطي الدواء المناسب على حسب حال المريض ومرضه ، مراعياً في ذلك : قوة المريض وضعفه ، وتحمله للعلاج . وقد يحتاج المريض إلى عملية جراحية فيشق بطنه ، أو يقطع شيئاً من أعضائه ، من أجل استئصال المرض طلباً لصحة المريض ، وهكذا الداعية الحكيم يعرف أمراض المجتمع ، ويُحدد الداء ، ويعرف الدواء ، وينظر ما هي الشبه والعوائق فيزيلها ، ثم يقدم المادة المناسبة بدءاً بأمور العقيدة الإسلامية الصحيحة الصافية مع تشويق المدعو إلى القبول والإجابة [2] .

وبناء على ما تقدم يمكن تقسيم هذا المطلب على حسب أصناف غير المسلمين إلى عدة أقسام:

القسم الأول الجاحدون الملحدون : وهم الذين ينكرون وجود الله عز وجل ويجحدونه ، كما هو حال (الدهريين) في القديم الذين كانوا يقولون كما أخبر عنهم القرآن الكريم : ﴿ **إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين** ﴾ [3] ، ﴿ **وقالوا : ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا * وما يُهلكنا إلا الدهر * وما لهم بذلك من علم * إن هم إلا يظنون** ﴾ [4] .

---

١) انظر : شرح الإمام النووي على مسلم ٦٧/١ ، ١٩٧ ، وفتح الباري ٢٢٥/١ ، وكيف يدعو الداعية لعبدا لله ناصر علوان ص٧ ، ٣٧،٤٧، ١٥٥ ، وزاد الداعية إلى الله للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ٧- مطابع المدينة الرياض .

٢) انظر الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى سعيد بن علي بن وهف القحطاني ص٣٣٧ مطبعة سفير – الطبعة الثانية سنة ١٩٩٢م.

٣) سورة المؤمنون : آية (٣٧)

٤) سورة الجاثية : آية (٢٤)

وكما هو حال الشيوعيين اليوم الذين يقولون (لا إله والحياة مادة) : (الدين أفيون الشعوب) مما هو مشهور عنهم .

والإلحاد في الأصل هو : الميل والعدول عن الشئ ، والظلم والجور والجدال والمراء ، يقال : لحد في الدين لحداً ، وألحد إلحاداً ، لمن مال وعدل وماری وجادل وظلم [1] .

واللّحد : الشق الذي يعمل في جانب القبر لموضع الميت ، لأنه قد أُميل عن وسط القبر إلى جانبه [2] .

والإلحاد : هو الميل عن الحق والإنحراف عنه بشتى الإعتقادات والتأويل الفاسد ، والمنحرف عن صراط الله والمعاكس لحكمه يُسمى ملحداً [3] .

والمراد بالملحدين في هذا القسم : هو المعنى المصطلح عليه في هذا العصر ، وهم : من أنكروا وجود رب خالق لهذا الكون ، متصرف فيه ، يدبر أمره بعلمه وحكمته ، ويجري أحداثه بإرادته وقدرته ، واعتبار الكون أو مادته الأولى أزلية ، واعتبار الحياة - وما تستتبع من شعور وفكر حتى قمتها الإنسان - من أثر التطور الذاتي للمادة [4] .

ولدعوة هذا الصنف من الناس اتبع القرآن الكريم منهجاً سديداً لدعوتهم حتى يكون العلاج ناجحاً يؤتي ثماره المرجوة ويتمثل هذا المنهج حسب اجتهادي فيما يلي :

---

١) انظر القاموس المحيط ، فصل اللام ، باب الدال ص١٠٤ ، والمعجم الوسيط مادة (لحد) ٨١٧/٢ ، ومختار الصحاح ، مادة (لحد) ص٢٤٧ ، وفتح القدير للشوكاني ٥١٨/٤، ٢٦٨/٢.

٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ٢٣٦/٤ ، بتحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود ومحمد الطناحي ، بدون تاريخ المكتبة العلمية ، بيروت .

٣) انظر : الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة ، للشيخ عبدالرحمن بن محمد الدوسري ص٤٠ ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢هـ ، مكتبة دار الأرقم الكويت .

٤) انظر : كواشف زيوف المذاهب المعاصرة ، لعبدالرحمن الميداني ن ص٤٠٩ ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ ، دار القلم - دمشق .

أولاً : التفكر في المصنوع يدل على بعض صفات الصانع :

من القواعد التي يُرد بها على الملحدين قاعدة التفكر في المصنوع يدّل على بعض صفات الصانع ، لأن كل شئ يوجد في المصنوع يدل على قدرة أو علم أو خبرة ، أو حكمة عند الصانع .

ومن هنا نعلم أن التفكر في المخلوق يدل على بعض صفات الخالق .

إذا علم هذا فإنه يقال لمن أنكر وجود الله - تعالى - وربوبيته : تفكر في خلقك ونفسك ، وانظر مبدأ خلقك من نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم عظاماً ، فكسيت العظام لحماً ، حتى صرت بشراً كامل الأعضاء الظاهرة والباطنة ، أما يضطرك هذا التفكر والنظر إلى الإعتراف بالرب القادر على كل شئ ، وأحاط علمه بكل شئ ، الحكيم في كل ما خلقه وصنعه وأتقنه ؟ فلو اجتمع الخلق كلهم على النطفة التي جعلها الله مبدأ خلق الإنسان على أن ينقلوها في تلك الأطوار المتنوعة ، أو يحفظوها في ذلك القرار المكين ، ويجعلوا لها سمعاً وبصراً وعقلاً وقوىً باطنة وظاهرة ، وينموها هذه التنمية العجيبة ، ويركبوها هذا التركيب المنظم ، ويرتبوا الأعضاء هذا الترتيب المحكم ، فهل في اقتدارهم وفي استطاعتهم وعلومهم أن يصلوا إلى ذلك ؟ ﴿ **أفرءيتم ما تُمنون * ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون** ﴾ [1] ﴿ **وفي أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾ [2].

ولا شك أن العاقل المنصف إذا تفكر في ذلك دله وأوصله إلى الإعتراف بعظمة الخالق ، وقدرة القادر ، وحكمة الحكيم ، وخبرة الخبير ، وعلم العليم .

ولهذا الدليل تضطر فيه العقول الصحيحة إلى معرفة ربها وعبوديته [3] .

والقرآن الكريم بين للإنسان سبب وجود الجنين ، وأنه لا يتجاوز أن يودع الرجل ما يمني رحم امرأة ثم ينقطع عملهما ، ثم تتولى بعد ذلك القدرة المبدعة العمل وحدها ، في تخليق هذا الماء المهين الذي لو ترك لحظة لتقلبات الجو لفسد وأنتن ، يقول تعالى : ﴿ **نحن خلقناكم فلولا تصدقون أفرءيتم ما تُمنون ءأنتم تخلقونه – أم نحن الخالقون** ﴾ [4] .

فهذه حقيقة يعلمها المخاطب من نفسه ، ومن مشاهداته لأبناء جنسه فلا يستطيع ردها ، وخلق الإنسان من أعظم الآيات الدالة على وجود الباري سبحانه وتعالى وعلى عموم قدرته وعلمه ، وكمال حكمته ورحمته وإحسانه ، ولما كان خلق الإنسان من أوضح الآيات والأدلة على وجود

---

١) سورة الواقعة : آية (٥٨-٥٩)

٢) سورة الذاريات : آية (٢١)

٣) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٣٠٥/٧،٣٠٦ ، الإيمان لعبدالمجيد الزنداني مع مجموعة من العلماء ص٢٢ مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت والرد على الملحدين والمبتدعين - صالح بن إبراهيم البليهي ، وعقيدة المسلمين ١٠٩/١ مكتبة ابن تيمية - الطبعة الثانية سنة ١٤٠٤هـ .

٤) سورة الواقعة : آية (٥٧-٥٩)

الخالق القادر ومن أعظم الأدلة التي يرد بها على الملحدين ، وكان خلقه وإيجاده من أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه ، فقد دعا الله تعالى عباده إلى التفكر والنظر بعين البصيرة في مبدأ خلقهم ، في أطوار هذا الخلق ومراحله التي مروا بها إلى أن أصبحوا بشراً ينتشرون ، يقول تعالى ذكره : ﴿ **فلينظر الإنسان مم خلق** ﴾ [1] ، يقول تعالى : ﴿ **يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة * لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً** ﴾ [2] .

ويقول تعالى : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً ءاخر فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ [3] .

إن المتأمل في هذه الآيات التي جاء فيها تكرار لفظ النطفة التي تكون منها هذا الإنسان ونشأ عنها ، يتبين له أن قصد الخالق جل وعلا من هذا التعبير هو لفت نظر المخاطب إلى القدرة المبدعة ، قدرة الله تعالى التي جعلت من هذه النطفة أو جزيء منها بشراً سوياً ، مخالفاً ومبايناً كل المباينة لتلك النطفة المهينة ، ولولا هذا البيان الرائع الذي ساقه الله في القرآن الكريم ، موضحاً هذه النشأة لما صدق إنسان أن وجوده بهذه الهيئة ، وهذا الشكل والقدّ ، مزوداً بالسمع والبصر ، والعقل والأعضاء والجوارح التي تتفق مع مصالحة ، من الحركة والقيام ، والمشئ والقعود ، وغير ذلك فإن كل ذلك وجد من هذه النطفة ، كما أنه كان من المستبعد أن يتصور إنسان أن هذه النخلة قد وجدت من هذه النواة لولا وجودها المشاهد فعلاً [4] .

---

١) سورة الطارق : آية (٥)

٢) سورة الحج : آية (٥)

٣) سورة المؤمنون : آية (١٢-١٤)

٤) انظر منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان ص٦٧

ثانياً : الأدلة الحسية المشاهدة :

من الأدلة التي تدل على وجود الله - تعالى - وربوبيته وأنه الخالق لكل شئ المستحق للعبادة الأدلة التي يسمعها الناس ويشاهدونها ويلمسونها والتي من خلالها يرد بها على الملحدين وهي على ثلاثة أنواع :

النوع الأول : إجابة الله - تعالى - للدعوات في جميع الأوقات ، فلا يُحصى الخلق ما يُعطيه الله للسائلين ، وما يُجيب به أدعية الداعين ، ويرفع به كرب المكروبين ، فتحصل المطالب الكثيرة بأسباب دعاء بعض العباد لربهم ، والطمع في فضله والرجاء لرحمته ، وهذا برهان مشاهد محسوس ، لا ينكره إلا مكابر [1] .

فكم خرج المؤمنون يطلبون - بقلوب وجلة تائبة - من ربهم أن يسقيهم الغيث ، فكانت الإجابة على الفور في كثير من الأحيان ، فيأتي الغيث إلى المدينة أو القرية التي خرجت تدعو ربها ، والقرى أو المدن التي بجوارها لا يأتيها شئ ، وكم رأى المضطرون تفريجاً لحالة الكرب بدعائهم [2] ، ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ..** ﴾ [3] وعلى هذا يشهد مئات الملايين من المسلمين ، ومن رأى هذه الإجابات من المنصفين في مشارق الأرض ومغاربها .

فمن الذي سمع دعاء المستغيثين فأجابهم فأنشأ السحاب وأنزل المطر ؟! هل هو وثن لا يقدر على فعل شئ ؟! أم طبيعة صماء لا تملك إرادة ولا تدبيراً ، أم أن العدم الذي أنشأ وصمم ، وأوجد وكون ، وقدر وأتقن ، وسمع فأجاب ، وهو العدم الذي لا وجود له ؟!! [4]

والحقيقة أن ذلك كله شاهد يتحدث إلى العقول البشرية أن لها رباً حكيماً قادراً سميعاً بصيراً مجيباً [5] ، فعن أنس - رضي الله عنه : (أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ، ثم قال : يا رسول الله هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله أن يُغيثنا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ، ثم قال : ﴿ اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا﴾ قال أنس : ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار ، فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس [6] ، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت ، فلا

---

١) انظر : الرياض الناضرة ص ٢٥٣ ، وشرح أصول الإيمان للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص١٧

٢) انظر الإيمان ، لعبدالمجيد الزنداني مع مجموعة من العلماء ص٤٠ ، والرياض الناضرة ص٢٥١ .

٣) سورة النمل : آية (٦٢)

٤) انظر : الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ص٣٥٧

٥) انظر : كتاب التوحيد ، لعبدالمجيد الزنداني ٤٣/١

٦) الترس : من السلاح المتوقي بها - انظر اللسان ٣٢/٦

والله ما رأينا الشمس سبتاً [1] ، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب ، فقال : يا رسول الله ، هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يمسكها عنا ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ، ثم قال : ﴿ اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام[2] ، والظِّراب [3] وبطون الأودية ومنابت الشجر ﴾ فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس) [4] .

وهذا الحديث آية من آيات الله تدل على وجوده ، وأنه القادر على كل شئ ، وقد حصل هذا للمسلمين كثيراً ، ولهذا قال الشاعر :

وكم أصاب المسلمين من جفاف ... فنفروا ثِقَالهم مع الخِفَـــاف

وطلبوا من الإلـــــه الفرجـا ... فحققوا الفوز ونالوا المخرجا

فهل طبيعة أجابـــت أم وثـــن ... أم أنه السميع كشاف المحن [5]

وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى يومنا هذا لمن صدق مع الله ، وأتى بشروط الإجابة .

النوع الثاني : معجزات الأنبياء الحسية ، وهي آيات يُشاهدها الناس أو يسمعون بها ، وهي من أعظم البراهين القاطعة على وجود مرسلهم ، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر يجريها الله - تعالى - تأييداً لرسله ، ونصراً لهم .

ومن أمثلة ذلك : آية موسى صلى الله عليه وسلم حين أمره الله - تعالى - أن يضرب بعصاه البحر ، فضربه فانفلق اثنى عشر طريقاً يابساً ، والماء بينها كالجبال ، قال تعالى : ﴿ **فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم** ﴾ [6].

ومن آيات عيسى صلى الله عليه وسلم أنه كان يحيي الموتى ويخرجهم من قبورهم بإذن الله تعالى : ﴿ **وأحي الموتى بإذن الله** ﴾ [7] ، ﴿ **وإذ تخرج الموتى بإذني** ﴾ [8] .

---

١) سبتاً : يوم السبت لإنقطاع الأيام عنده ، مختار الصحاح ص٢٨١

٢) الأكام : هو دون الجبل وقيل هو الموضع الذي هو أشد ارتفاعاً مما حوله وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجراً والإكام : جمع أكمه وهي الرابية ، انظر اللسان مادة (أكمة) ٢١/١٢

٣) الظِّراب : وهو أصغر من الإكام وأحدّه حجراً - انظر اللسان مادة (ظرب) ٥٦٩/١

٤) البخاري مع الفتح ، كتاب الإستسقاء ، باب الإستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة ٥٠٧/٢ ، وانظر : البخاري مع الفتح ٥٠١/٢،٥٠٨/٢ ، وأخرجه مسلم ، كتاب صلاة الإستسقاء ، باب الدعاء في الإستسقاء ٦١٢/٢.

٥) هذه الأبيات لعبدالرحمن قاضي ، انظر : الإيمان لعبدالمجيد الزنداني ص٤٠

٦) سورة الشعراء : آية (٦٣)

٧) سورة آل عمران : آية (٤٩)

٨) سورة المائدة : آية (١١٠)

ومن آيات محمد صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر ، فقد طلبت منه قريش آية ، فأشار إلى القمر ، فانفلق فرقتين ، فرآه الناس حقيقة في عهده صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : ﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا ءاية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر** ﴾ [1].

وهذه الآيات المحسوسة تدل دلالة قاطعة على وجود الله - تعالى - [2] .

النوع الثالث : ومن الأدلة التي يرد بها على الملحدين توجيه الله - تعالى - الأنظار والقلوب إلى ما هذا الكون من مخلوقات عجيبة تبهر العقول ، فقد بين - سبحانه - في كتابه الآيات الكونية الباهرة الدالة على وجوده - سبحانه - ، وكمال قدرته وعظيم تدبيره ، وإتقان صنعه ، ومن ذلك عجائب خلق الإنسان وعناية الله به وبيانه - سبحانه - ما في عالم الحيوان من خلقه وتكوينه ، وأجهزته ، وتنويعه ، وعالم النبات ، ما فيه من غرائب وعجائب وسنن تحار فيها العقول ، والرياح السيارة ، وأعظم من ذلك كله توجيه الأنظار إلى خلق السماوات والأرض ، والليل والنهار ، وما في ذلك من آيات تدل على عظمة الخالق [3] قال سبحانه : ﴿ **إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لأيات لقوم يعقلون** ﴾ [4] .

ويقول الله تعالى : ﴿ **أفرءيتم ما تحرثون * ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون * لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون * إنا لمغرمون بل نحن محرومون * أفرءيتم الماء الذي تشربون * ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون * لو نشاء جعلناه أُجاجاً فلولا تشكرون * أفرءيتم النار التي تورون * ءأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون * نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين فسبح باسم ربك العظيم**﴾ [5] .

وقد تضمنت هذه الآيات أموراً محسوسة مشاهدة بل هي ألصق الأشياء بحياة المخاطبين ، الزرع والماء ، فأي إنسان في أية بيئة لم تدخل هذه الأمور في مشاهدته (أفرأيتم ما تحرثون) احتجاج بما يباشرونه بأنفسهم من حرث الأرض وإلقاء البذور التي خلقها الله فيها ، إذ يوجه لهم هذا الخطاب بصورة الإستفهام التقريري عن دورهم في إثبات تلك البذور وحفظها إلى أن تؤتي ثمارها (أأنتم تزرعونه) أي تنبتونه (أم نحن الزارعون) الذين فعلنا ذلك بقدرتنا وإرادتنا ، أم أنتم

---

١) سورة القمر : آية (١-٢)

٢) انظر : المبحث الثاني من الفصل الأول من هذا البحث : إثبات النبوة ص

٣) انظر : معالم الدعوة في القصص القرآني ٢٥١/١ ، ومناهج الجدل ص١٤٨ .

٤) سورة البقرة : آية (١٦٤)

٥) سورة الواقعة : آية (٦٣-٧٤)

فلم يكن لكم من عمل في ذلك إلا الحرث وهو شق الأرض وإلقاء البذور فيها ، فذلك هو دوركم في هذا الزرع الذي فيه طعامكم والذي به قوام حياتكم ثم بعد ذلك تتركونه ليد القدرة المبدعة ، فهي التي تنشئه إذ تأخذ الحبة والبذرة طريقها فتسير سير الخبير العارف بمسالك الطريق ، إلى الهدف المرسوم الذي قدر لها خالقها (أم نحن الزارعون) إن ذلك من صنعنا وبإرادتنا إذ لو شئنا (لجعلناه حطاماً) قبل أن يؤتي ثماره ولو وقع ذلك لظلتم تفكهون في المقالة أي تلونون الحديث فتارة تقولون (أنا لمغرمون) وتارة تقولون (بل نحن محرومون) [1] .

﴿ أفرءيتم الماء الذي تشربون ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أُجاجاً فلولا تشكرون ﴾

ذلك أن الماء أصل من أصول الحياة ويحتاج إليه كل حي كما قال تعالى : ﴿ **وا لله خلق كل دابة من ماء** ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ **وجعلنا من الماء كل شئ حي** ﴾ [3] ، من الذي أنشأ هذا الماء فكون عناصره من الذي أنزله من السحاب عذباً تشربونه وتسقون منه أنعامكم وزروعكم ؟ وقد خصه ا لله تعالى بوصف من أهم منافعه المتعلقة به وهو الشرب (أأنتم أنزلتموه من المزن) أم نحن الذين أنزلناه من تلك المزن وهو السحاب المسخر بين السماء والأرض بقدرتنا وجعلناه عذباً زلالا مستساغ الطعم بمشيئتنا فلو شئنا لجعلناه أجاجاً ، مالحاً لا يستساغ طعمه غير صالح لشرب ولا لإنبات زرع ، فهلا تشكرون ا لله الذي أنعم عليكم بإنزاله المطر عذباً زلالاً .

يقول سيد قطب (والمخاطبون ابتداء بهذا القرآن كان الماء النازل من السحاب في صورته المباشرة مادة حياتهم وموضع احتفالهم ، والحديث الذي يهز نفوسهم ، وقد خلدته قصائدهم وأشعارهم و لم تنقص قيمة الماء بتقدم الإنسان الحضاري بل لعلها تضاعفت .

والذين يشتغلون بالعلم ويحاولون تفسير نشأة المادة الأولى أشد شعوراً بقيمة هذا الحدث من سواهم ، فهو مادة اهتمام للبدائي في الصحراء وللعالم المشتغل بالأبحاث سواء) [4] والقرآن الكريم يزخر بالأدلة على هذا النوع كما بينا من خلال الفصول السابقة .

---

١) ابن كثير (التفسير جـ٤ ، ص٢٩٦

٢) سورة النور : آية (٤٥)

٣) سورة الأنبياء : آية (٣٠)

٤) سيد قطب (في ظلال القرآن) م٦، ص٣٤٦٩

القسم الثاني : المشركون والوثنيون .

وهم الذين أشار إليهم الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **والذين اتخذوا من دونه أولياء * ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلفى * إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون * إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ..** ﴾ [1] .

فهؤلاء أشركوا مع الله غيره في الإعتقاد أو العبادة مثل مشركي العرب وغيرهم من الوثنين في الأمم الأخرى في الماضي والحاضر .

وقد يتفرع هذان الصنفان إلى صنفين آخرين :

أ- كافر أصلي : وهو الذي نشأ على الكفر والجحود والوثنية .

ب- كافر مرتد : وهو الذي كان مسلماً ثم ارتد إلى شئ من ذلك .

---

١) سورة الزمر : آية (٣)

التعرف بالمشركين :

جاء في لسان العرب مادة شرك [1] (أشرك با لله ، جعل له شريكاً في ملكه تعالى عن ذلك).

والإسم .. الشرك ، قال ا لله تعالى حكاية عن عبده لقمان : ﴿ **وإذ قال لقمان لإبنه وهو يعظه يا بني لا تشرك با لله ان الشرك لظلم عظيم** ﴾ [2] .

والشرك أن يجعل لله شريك في ربوبيته ، تعالى ا لله عن الشركاء والأنداد .

وإنما دخلت التاء في قوله ﴿ **لا تشرك با لله** ﴾ لأن معناه لا تعدل به غيره فتجعله شريكاً له.

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **وأن تشركوا با لله ما لم ينزل به سلطاناً** ﴾ [3] ، ومعناه عدل به ومن عدل به شيئاً من خلقه فهو كافر مشرك لأن ا لله وحده لا شريك له ولا ند له ولا ولد له .

قال أبو العباس : (في قوله تعالى : ﴿ **والذين هم به مشركون** ﴾ [4] ، معناه الذين هم صاروا مشركين لطاعتهم للشيطان ، وليس المعنى أنهم آمنوا با لله وأشركوا بالشيطان ، ولكن عبدوا ا لله وعبدوا الشيطان فصاروا بذلك مشركين) .

والشرك .. الكفر .

وقد أشرك فلان با لله فهو مشرك ، ومشركي ، قال الراجز : (ومُشْرِكِيٍّ كافرٍ بالفرق) أي بالفرقان ، وفي الحديث : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك) [5] ، وفي الحديث (الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل على الصفا) [6] .

قال ابن الأثير : (يريد به الرياء في العمل فكأنه أشرك في عمله غير ا لله) .. وفي الحديث (الطيرة شرك وما منا إلا [7] ، ولكن ا لله يذهبه بالتوكل) [8] ، جعل التطير شركاً في اعتقاد جلب النفع ودفع الضر .

وتلبية الجاهلية (لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكاً هولك ، تملكه وما ملك) يعنون بالشريك الصنم ، يريدون أن الصنم وما يملكه ، ويختص به من الآلات التي تكون عنده ، وحوله من النذور التي كانوا يتقربون إليه كلها ملك لله عز وجل.

---

١) لسان العرب لإبن منظور – مادة "شرك" ١٠/٤٤٨، ٤٥٠ بتصرف – دار صادر – بيروت .

٢) سورة لقمان : آية (١٣)

٣) سورة الأعراف : آية (٣٣)

٤) سورة النحل : آية (١٠٠)

٥) سنن ابن ماجه جـ٢، ص١٤٠٥ ، باب الرياء والسمعة حديث ٤٢٠٢

٦) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ص٣٠٣ رقم (٤٩٣٣)

٧) معناه : وما منا أحد إلا ويعتر به شيء من الطيرة في أول الأمر قبل التأمل .

٨) سنن ابن ماجه جـ٢ ، ص١١٧٠ ، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة حديث ٣٥٣٨

وقال تعالى : ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ [1] قال ابن الأثير : (المراد به الكفر .. ويقال رغبنا في شرككم أي مشاركتكم في النسب)[2].

وفي المعجم الوسيط (أشركه في أموره .. أي أدخله فيه ، ويقال أشرك با لله أي جعل له شريكاً في ملكه) .

وفي التنزيل : ﴿ **يا بني لا تشرك با لله** ﴾ [3] .

ومما سبق يمكن أن يعرف المشرك بأنه هو الذي جعل لله شريكاً .

*** التعريف بالوثنيين**

الوثني : من يتدين بعبادة الوثن [4] ، يقال : رجل وثني ، وقوم وثنيون ، وامرأة وثنية ، ونساء وثنيات [5] ، واسم الوثن يتناول كل معبود من دون ا لله ، سواء كان ذلك المعبود قبراً ، أو مشهداً ، أو صورة ، أو غير ذلك [6] .

وكل من دعا نبياً أو ولياً أو ملكاً أو جنياً ، أو صرف له شيئاً من العبادة فقد اتخذه إلهاً من دون ا لله [7] ، وهذا هو حقيقة الشرك الأكبر الذي قال ا لله – تعالى – فيه : ﴿ **إن ا لله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك با لله فقد افترى إثماً عظيماً** ﴾ [8]

---

١) سورة لقمان : آية (١٣)

٢) تاج العروس من جواهر القاموس جـ٧ ، ص١٤٨

٣) المعجم الوسيط جـ١ ، ص٤٨٣

٤) الوثن : الصنم ، والجمع وثن وأوثان : وهو التمثال يُعبد ، سواء كان من خشب ، أو حجر أو نحاس ، أو فضة أو غير ذلك ، وقد كان الوثنيون يزعمون أن عبادته تقربهم إلى ا لله – تعالى – كما بين – سبحانه – ذلك عنهم بقوله : ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى ا لله زُلفى ﴾ "سورة الزمر ، آية (٣) " انظر : القاموس المحيط ، باب النون ، فصل الواو ، ص ١٥٩٧ ، وباب الميم فصل الصاد ص ١٤٦٠ ، والمعجم الوسيط مادة (وثن) ١٠١٢/٢ ومادة (صنم) ٥٢٦/١ ، والمصباح المنير ، مادة (وثن) ص٦٤٧،٦٤٨، ومادة (صنم) ص٣٤٩ ، ومختار الصحاح ، مادة (وثن) ص٢٩٥ ، ومادة (صنم) ص١٥٦ .

٥) انظر : المعجم الوسيط ، مادة (وثن) ١٠١٢/٢ ، والمصباح المنير ، مادة (وثن) ص٦٤٨ ، قال ابن الأثير : الفرق بين الوثن والصنم أن الوثن كل ما له جثة معمولة من جواهر الأض ، أو من خشب ، أو حجارة كصورة الآدمي تعمل وتنصب فتعبد ، والصنم : الصورة بلا جثة ، ومنهم من لم يفرق بينهما ، وأطلقهما على المعنيين ، انظر : النهاية في غريب الحديث ١٥١/٥ ، ٥٦/٣ ، ثم قال : وقد يطلق الوثن على غير الصورة ، ومنه حديث عدي بن حاتم قال : أتيت النبي صلى ا لله عليه وسلم ، وفي عنقي صليب من ذهب ، فقال لي : ﴿ يا عدي اطرح عنك هذا الوثن ﴾ ، أخرجه الترمذي في كتاب التفسير ، باب سورة التوبة ، ٢٧٨/٥ ، برقم ٣٠٩٥ ، وانظر : صحيح الترمذي ٥٦/٣ .

٦) انظر : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، للشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب بتحقيق عبدالقادر الأرنؤوط ، مكتبة دار البيان – دمشق ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢ هـ .ص٢٤٤

٧) انظر : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، ص٢٤٢

٨) سورة النساء : آية (٤٨)

أصناف المشركين :

من خلال المعاني اللغوية التي سقناها في مفهوم الشرك يتضح لنا أن الشرك والمشركين سواء وأنهم والكافرون أمة واحدة وأنهم عقبة في سبيل هداية الآخرين لما نشروه من ضلال وما كانوا يوجهونه نحو الآخرين من زيغ ، وهذا ما أكده القرآن الكريم في كثير من الآيات مثل قوله تعالى : ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾ [1] .

ويفسر الإمام الآلوسي وغيره الآية بقوله : في إقرارهم بوجوده تعالى وخالقيته ﴿ **إلا وهم مشركون** ﴾ به سبحانه والجملة في موضع الحال من الأكثر أي ما يؤمن أكثرهم إلا في حال إشراكهم .. قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة : هم أهل مكة آمنوا وأشركوا ، كانوا يقولون في تلبيتهم : (لبيك الله لبيك ، لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك) .. ومن هنا كان صلى الله عليه وسلم إذا سمع أحدهم يقول لبيك لا شريك لك ، يقول له " قط ، قط " أي لا يكفيك ذلك ولا تزد إلا شريكاً .. الخ [2] .

- وقيل : هم أولئك الذين آمنوا لما غشيهم الدخان في سنى القحط وعادوا إلى الشرك بعد كشفه .
- وعن ابن زيد وعكرمه وقتادة ومجاهد أيضاً أن هؤلاء كفار العرب مطلقاً ، أقروا بالخالق الرازق المميت وأشركوا بعبادة الأوثان والأصنام .
- وقيل أشركوا بقولهم : الملائكة بنات الله .
- عن ابن عباس أيضاً أنهم أهل الكتاب أقروا بالله تعالى وأشركوا به بقولهم من حيث كفروا بنبيه صلى الله عليه وسلم أو من حيث عبدوا عزيراً والمسيح عليهما السلام .
- وقيل أشركوا بالتبني واتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً .
- وقبل هم المنافقون جهروا بالإيمان وأخفوا الكفر والنسب ذلك للبلخي .
- وقيل هم الذي يطيعون الخلق بمعصية الخالق [3] .
- ومن هذا يتضح أن المشرك من يؤمن بالله ويشرك معه غيره في العبادة كأهل مكة .
- وقد جعل ابن عباس رضي الله عنه أهل الكتاب مشركين لأنهم آمنوا بالله وأشركوا معه .. فاليهود قالوا عزيز ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله فعبدوا عزيراً والمسيح .

وأشركوا كذلك باتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله ، قال تعالى : ﴿ **وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله * ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا**

---

١) سورة يوسف : آية (١٠٦)

٢) الحديث رواه مسلم كتاب الحج باب التلبية وصفتها ووقتها جـ ٢ ص٨٤٣ رقم (١١٨٥) .

٣) روح المعاني جـ١٣ ، ص٦٦ ، وانظر ابن جرير الطبري جـ١٣ ، ص٧٧ ، والفجر الرازي جـ١٨ ، ص٢٢١ .

من قبل قاتلهم ا لله أنى يؤفكون * اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون ا لله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ [1] .

كيفية دعوة المشركين بالمنهج الحسي :

الداعية المتبصر في سورة التوبة (براءة) يجد أنها حملت في طياتها دعوة المشركين إلى الإسلام ، بأسلوب بعيد عن أساليب الإستعطاف المبسوطة ذات النفس الطويل والعرض والتحليل كما في سورٍ كثيرة من القرآن المكي ، وما جاء في سنة المصطفى صلى ا لله عليه وسلم ، إنه منهج يعتمد على أسلوب الترغيب والترهيب غير الطويل والنذارة بالوعيد ، ولعل هذا ما يتفق مع حال المشركين الذين طال عنادهم واستكبارهم بالباطل ، وما سبق من دعوة القرآن لهم بالإستعطاف وضرب المثل من الأقوام السابقة طوال اثنين وعشرين عاماً ، فقد كانت هذه المدة كافية للصبر عليهم وكافية لتفصيل كل شئ ، وبخاصة ما ورد من قصص الأنبياء مع أقوامهم ، ومع هذا فقد بقي للشرك أنصار وبقيت لهم في الحرم أوطان .

ولما نزلت براءة كانت الإعلان الأخير والإنذار المخيف لطوائف الشرك بقطع العهود ونبذها إليهم ، ورسمت لهم خطة مستقبلية واضحة مفصلة وهم بعد ذلك في مهوى السيف إن لم يتداركوا أنفسهم ويقلعوا عن الشرك فكان هذا حثاً شديداً لهم على الدخول في الإسلام ، ولأن الآيات تحمل في ثناياها ألا يبقى للمشركين موطئ قدم في جزيرة العرب .

قال الكيا الهراسي : (فقوله تعالى : **﴿ براءة من ا لله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ﴾** ، يدل على أن عهداً قد تقدم بينهم وأنه قد نقض يبقى أن يقال : فلم قال : **﴿ فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ﴾** [2] ، وإن انتقض العهد فلم جاز الامهال ؟ فيقال : لا يبعد جواز الامهال لما فيه من المصلحة في تدبر من أمهل في عاقبة أمره ومآل حاله ، وإن ذلك يكون داعياً له إلى الإسلام ، وإنما لا يحسن الامهال لمن يتوقع الغوث ، فأما من لا يخشى الغوث فلا يصح منه الامهال ودل عليه قوله : **﴿ واعلموا أنكم غير معجزي ا لله ﴾** .. فكان المقصود من التسمح بهذه المدة التوصل إلى هذه البغية وهو رجاء الإسلام [3] .

وبهذا يتبين لنا أن أسلوب الترهيب في وضع المشركين أمام حقائق واضحة وفرصة محددة يجعلهم يعيدون النظر مرة مرة في أنفسهم وفي هذه الدعوة المعروضة عليهم ، ولهم أن يعيدوا النظر فى انتصار المسلمين عليهم بعد أن كان المسلمون ضعفاء ، وكيف أصبحوا اليوم وقد أرسيت قواعد الدولة الإسلامية وأرسلت بجيوشها خارج الجزيرة العربية تحطم قوى الشرك .

---

١) سورة التوبة : آية (٣٠-٣١)

٢) سورة التوبة : آية (٢)

٣) كتاب أحكام القرآن لإلكيا الهراسي ٤/١١-١٣ ، دار الكتب - مصر

إذاً فهذه الصورة الجديدة للمسلمين وظهورهم منتصرون لهي من أكبر من دواعي العظمة والاعتبار لو كانوا يعتبرون .

ثم تأتي صورة أخرى من صور الدعوة إلى الاسلام في آية ثانية اشتملت على أسلوب الترغيب والترهيب في آن واحد ودونما فاصل طويل ، ولم يظهر فيها الحصر والامهال لمدة معينه ولكنها تحمل في طياتها غرس حقيقة كبيرة في قلوب المدعوين : وهي أنهم مهما بلغوا من عناد وتكبر فإنهم لن يخرجوا على قدرة الله وهم أعجز من أن يأتوا بشيء وهم فقراء إلى الله ، ويظهر ذلك في قوله تعالى : ﴿ **وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسولُهُ فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم** ﴾ [1] .

فيظهر أسلوب الترغيب في قوله تعالى : ﴿ **فإن تبتم فهو خير لكم** ﴾ حث وتحريض على الدخول في الإسلام والإقلاع عن الشرك ، فإن فعلوا ذلك فلهم الخير من الله في الدنيا والآخرة ويرهبهم الله في آخر الآية : ﴿ **وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم** ﴾ ، بالإضافة إلى أنه يبشرهم سبحانه وتعالى ببشارة أليمة ومن أعرض عن الله عز وجل وتولى عن التوبة ليريه صورة المآل في الحال ليكون في ذلك الدواء الأخير لمن أصر واستكبر ورغب عن دين الله [2] .

يقول ابن كثير عن هذه الآية الكريمة : (ثم دعاهم الله عز وجل إلى التوبة إليه فقال " فإن تبتم " أي مما أنتم فيه من الشرك والضلال (**فهو خير لكم * وإن توليتم**) أي : استمررتم على ما أنتم عليه ﴿ **فاعلموا أنكم غيرُ معجزي الله** ﴾ بل هو قادر عليكم وأنتم في قبضته وتحت قهره ومشيئته) [3] .

ولم يكن عرض أساليب الترغيب والترهيب في القرآن الكريم لذات الترغيب والترهيب إنما هي طرقات ليعود الإنسان إلى ما فطر عليه وليعلم البشر طبيعة هذا الدين ومنهجه أنه دين هداية ورشد .

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى : وهذا الترهيب وذلك الترغيب في آية البراءة يشيران إلى طبيعته هذا المنهج الإسلامي ، أنه منهج هداية قبل كل شئ ، فهو يتيح للمشركين هذه المهلة لا لمجرد أنه لا يجب أن يباغتهم ويفتك بهم متى قدر ، ولكن كذلك يمهلهم هذه المهلة للتروى والتدبر ،

---

١) سورة التوبة : آية (٣)

٢) علاقة المسلمين بغيرهم كما جاءت في سورة التوبة – بحث ماجستير للطالب / عبدالله محمد الزعبي ص ٢٠ غير منشور – المدينة المنورة كلية الدعوة والإعلام سنة ١٤٠٣هـ .

٣) تفسير ابن كثير ٤/٢٦

واختيار الطريق الأقوم ويرغبهم في التوبة عن الشرك وللرجوع إلى الله ويرهبهم في التولي ويئسهم من جدواه ، وينذرهم بالعذاب الأليم في الآخرة فوق الخزي في الدنيا ويوقع في قلوبهم الزلزلة التي ترجها رجاً لعل الركام الذي ران على الفطرة أن ينفض عنها فتسمع وتستجيب [1] .

ثم تأتي صورة ثالثة من صور دعوة الله المشركين : لتبين لهم عقابهم على أيدي المسلمين بعد أن أرهبهم الله بعقاب من عنده كما هو موضح في الآيات الأولى وتتمثل هذه الصورة في قوله سبحانه : ﴿ **فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم**﴾ [2] ، فالآية تأمر المسلمين بوضع السيف على رقاب المشركين حتى يدخلوا في دين الله عز وجل ورغم أن الآية هي آية السيف إلا أنها تحمل سماحة الإسلام وسماحة التشريع ، بالعفو والصفح عمن تاب وأناب وأخلص العبادة لله وحده مع أنه لم يكن من المشركين طوال السنين السابقة لنزول هذه الآية إلا أن يكونوا حرباً على الله ورسوله وعلى المسلمين وايذائهم في كل ظرف ولم يألوا جهداً في محاولة إبعاد المسلمين عن دينهم ظلماً وعدواناً .

وكان المسلمون المهاجرون الذين تلقوا الدعوة والتربية على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا حيث أمرهم الله ورسوله ، فهم المواجهون للمشركين وهم الداعون إلى المشركين بالتوبة ، وهم الذين أخُرجوا من ديارهم وأُوذوا في سبيل الله على أيدي أولئك المشركين ، مع أن هذه الآية تفرض على المسلمين ضرب هامات المشركين والتربص بهم ، يقول سيد قطب رحمه الله : (وقد أمر الله المسلمين إذا انقضت الأشهر الأربعة أن يقتلوا كل مشرك أنى وجدوه أو يأسروه أو يحصروه إذا تحصن منهم أو يقعدوا له مترصدين لا يدعونه يفلت أو يذهب باستثناء من أمروا بالوفاء لهم إلى مدتهم بدون أي اجراء آخر معه ، ذلك أن المشركين أنذروا وأمهلوا وقتاً كافياً ، فهم إذن لا يقتلون غدراً ولا يؤخذون بغتة وقد نبذت لهم عهودهم وعلموا سلفاً ما ينتظرهم غير أنها لم تكن حملة ابادة ولا انتقام ، إنما كانت حملة إنذار ورفع إلى الإسلام [3] .

وبجوار أسلوب الترغيب والترهيب الذي استخدمه القرآن الكريم في دعوة المشركين فإنه استخدم أساليب أخرى متعددة ومنها الجدال والمناظرة والمناقشة .

فقد جادل المشركين ، وركز في جدله على اثبات عجز هؤلاء الشركاء المزعومين وعرض ذلك في أساليب متعددة .

---

١) في ظلال القرآن ٣/١٥٩٩

٢) سورة التوبة : آية (٥)

٣) في ظلال القرآن ٣/١٦٠١

- مرة بالتلطف والإستدراج واشراكهم في استنباط النتائج والوصول إلى الحق ، كما رأينا في ابطال عبادة الكواكب ، وكيف استعرضها إبراهيم عليه السلام واحداً واحداً ، ليثبت عدم أحقيتها للألوهية ، فإذا انتهى منها جميعاً صدع بالحق الذي يريده قائلاً : ﴿ **يا قوم إني بريئ مما تشركون * إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً * وما أنا من المشركين** ﴾ [1] .

- ومرة بأسلوب المواجهة الصريحة ، التي تقطع كل حجة ، وتنهى كل جدل ، كما رأينا في تلك التجربة العملية التي قام بها إبراهيم عليه السلام ، ليثبت لقومه أن أصنامهم عاجزة ، لا عن النفع والضر بل عاجزة أيضاً عن أن تدفع عن نفسها ، وذلك عندما حطمها وجعلها جذاذا متناثراً تطؤه الأقدام .

ومرة بأسلوب التقرير الذى يجبرهم على النطق بالحق الذى لا يدفع ﴿ **قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده * قل ا لله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون * قل هل من شركائكم من يهدى إلى الحق * قل ا لله يهدى للحق أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهِدّي إلا أن يهدى * فمالكم كيف تحكمون** ﴾ [2] .

ومرة بالسخرية منهم وتصويرهم فى صورة العاجز عن أتفه الأمور كما رأينا فى قول تعالى : ﴿ **يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له * إن الذين تدعون من دون ا لله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له * وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه * ضعف الطالب والمطلوب * وما قدروا ا لله حق قدره * إن ا لله لقوي عزيز** ﴾ [3] .

ومرة بمطالبتهم بالدليل على دعواهم حتى إذا عجزوا كان ذلك قاطعاً فى بطلانها لأنها لا تعتمد على دليل ، قال تعالى : ﴿ **أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم** ﴾ [4] وقال سبحانه : ﴿ **أمّن يبدؤاْ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أءله مع ا لله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾ [5] ، ومرة بحثهم على تدبر ما فى الكون من دلائل على وحدانية ا لله وهو فى هذا المجال يعرض عليهم صفحات ناطقة من كتب الكون الدال على ألوهية ا لله ووحدانيته فليس عليهم إلا أن يعملوا عقولهم ويتدبروا وستبدو الحقيقة لبصائرهم جلية لا تحتاج إلى دليل .

وفي هذه الأساليب السابقة استخدام ا لله عز وجل المنهج الحسي في دعوة المشركين على حسب عقولهم وأفهامهم وإليك بيان ذلك في النقاط التالية :

---

١) سورة الأنعام : آية (٧٨-٧٩)

٢) سورة يونس الآيتان (٣٤،٣٥)

٣) سورة الحج الآية (٧٣)

٤) سورة الأنبياء الآية (٢٤)

٥) سورة النحل الآية (٦٤)

أولاً : ضرب الأمثال :

ضرب الأمثال من أوضح وأقوى أساليب الإيضاح والبيان في إبراز الحقائق المعقولة في صورة الأمر المحسوس ، وهذا من أعظم ما يُـرد بـه على الوثنيين في إبطـال عقيدتهـم وتسـويتهم المخلـوق بالخالق في العبادة والتعظيم ، ولكثرة هذا النوع في القرآن الكريم فسأقتصر على ثلاثـة أمثلـة توضـح المقصود كالتالي :

١- قال الله - عز وجل - : ﴿ **يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا لـه إن الذين تدعـون مـن دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منـه ضعـف الطـالب والمطلوب * ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز** ﴾ [١] .

حق على كل عبد أن يستمع لهذا المثل ، ويتدبره حق تدبره ، فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه ، فالآلهة التي تعبد من دون الله لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه ، فكيف بما هـو أكبر منه ، بل لا يقدرون على الإنتصار من الذباب إذا سلبهم شيئاً إذاً فـلا هـم قـادرون علـى خلـق الذباب الذي هو أضعف المخلوقات ، ولا على الإنتصار منه واسترجاع ما سلبهم إيـاه ، فـلا أعجـز من هذه الآلهة الباطلة ، ولا أضعف منها ، فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله ؟! .

وهذا المثل من أبلغ ما أنزل الله - تعالى - في بطلان الشرك وتجهيل أهله [٢] .

٢- ومن أحسن الأمثال وأدلها على بطلان الشرك ، وخسارة صاحبه وحصوله على ضد مقصـوده ، قوله تعالى : ﴿ **مثل الذين اتخذوا مـن دون الله أوليـاء كمثـل العنكبـوت اتخـذت بيتـاً وإن أوهـن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون * إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ وهـو العزيـز الحكيم * وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون** ﴾ [٣] .

فهذا مثل ضربه الله لمن عبد معه غيره يقصد به التعزز والتقوى والنفع فبين - سبحانه - أن هؤلاء في ضعفاء ، وأن الذين اتخذوهـم أوليـاء مـن دون الله أضعـف منهـم ، فهـم في ضعفهـم ومـا قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت التي هي من أضعف الحيوانات ، اتخذت بيتاً وهـو مـن أضعـف البيوت ، فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفاً ، وكذلك مـن اتخـذ مـن دون الله أوليـاء ، فـإنهم ضعفـاء ، وازدادوا باتخاذهم ضعفاً إلى ضعفهم [٤] .

---

١) سورة الحج : الآية (٧٣-٧٤)

٢) انظر : أمثال القرآن الكريم محمد بن أبي بكر تحقيق د. ناصر بن سعد الرشيد لابن القيم دار مكة للطباعة والنشر ط ١ سنة ١٤٠٠هـ ، ص٤٧ ، والتفسير القيم لابن القيم ص٣٦٨ ، وتفسير البغوي ٢٩٨/٣ ، وابن كثير ٢٣٦/٣ ، وفتح القدير للشوكاني ٤٧٠/٣ ، وتفسير السعدي ٣٢٦/٥ .

٣) سورة العنكبوت : آية (٤١-٤٣)

٤) انظر : أمثال القرآن لإبن القيم ص٢١ ، وفتح القدير للشوكاني ٢٠٤/٤

ويقول الدكتور عبدالحليم حفني (يسخر القرآن من استساغة عقولهم أن تعبده الأحجار وأن تعتقد فيها الضر والنفع وأن ترجو منها الحماية فمثلهم حينئذ كمثل العنكبوت في بيتها الواهن الضعيف ﴿ **مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت * لو كانوا يعلمون** ﴾ [1] ، وفي اهتمام واضح يدعو القرآن المشركين كثيراً إلى استعمال عقولهم وإلى التفكير في أمور بديهية لو أنهم فكروا فيها ومن ذلك أنه يضرب لهم مثلاً ليقاربوا بين قدرة الله وبين هذه الأحجار التي يعكفون عليها فيضرب لهم مثلاً من أنفسهم بأن يتصوروا أن الله سلب منهم بعض نعمه عليهم فلا تستطيع آلهتهم أن تعوضهم عنها أو تردها إليهم ، قال تعالى : ﴿ **قل أرأيتم أن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون** ﴾ [2] .

٣- ومن أبلغ الأمثال التي تبين أن المشرك قد تشتت شمله واحتار في أمره ، ما بيّنه تعالى بقوله : ﴿ **ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون** ﴾ [3] .

فهذا مثل ضربه الله - تعالى - للمشرك والموحد - فالمشرك لما كان يعبد آلهة شتى شُبه بعبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون ، سيئة أخلاقهم ، يتنافسون في خدمته ، لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين ، فهو في عذاب .

والموحد لما كان يعبد الله وحده لا شريك له ، فمثله كمثل عبد لرجل واحد ، قد سلم له ، وعلم مقاصده ، وعرف الطريق إلى رضاه ، فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه واختلافهم ، بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه ، مع رأفه مالكه به ، ورحمته له ، وشفقته عليه ، وإحسانه إليه ، وتوليه لمصالحه ، فهل يستوي هذان العبدان ؟ والجواب : كلا ، لا يستويان أبداً [4] .

---

١) سورة الأنعام : آية (٤٦)

٢) اسلوب السخرية في القرآن الكريم ص٣٣٨

٣) سورة الزمر : آية (٢٩)

٤) انظر : تفسير ابن كثير ٥٢/٤ ، والتفسير القيم ص١٢٣ ، وتفسير السعدي ٤٦٨/٦

ثانياً : الإله الحق سخر جميع ما في الكون لعباده :

من الحكمة في دعوة المشركين إلى الله - تعالى - لفت أنظارهم وقلوبهم إلى نعم الله العظيمة : الظاهرة والباطنة ، والدينية والدنيوية ، فقد أسبغ على عباده جميع النعم : ﴿ **وما بكم من نعمة فمن الله** ﴾ [1] ، ومما امتن به الله عز وجل على عباده النعم الكثيرة الذي ذكر بعضها في القرآن على وجه الإجمال وأخراها على وجه التفصيل وغير ذلك ، وإليك بعضاً من هذه النعم .

أ : ما ذكر على وجه الإجمال :

قال تعالى : ﴿ **هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ...** ﴾ [2] ، ﴿ **ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة** ﴾ [3] .﴿ **وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لأيات لقوم يتفكرون** ﴾ [4] .

فقد شمل هذا الإمتنان جميع النعم : الظاهرة والباطنة ، الحسية والمعنوية ، فجميع ما في السماوات والأرض قد سخر لهذا الإنسان ، وهو شامل لأجرام السماوات والأرض وما أودع فيهما من : الشمس والقمر والكواكب ، والثوابت والسيارات ، والجبال والبحار والأنهار ، وأنواع الحيوانات ، وأصناف الأشجار والثمار ، وأجناس المعادن ، وغير ذلك مما هو من مصالح بني آدم ، ومصالح ما هو من ضروراتهم للإنتفاع والإستمتاع والإعتبار [5] .

وكل ذلك دال على أن الله وحده هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة والذل والمحبة إلا له ، وهذه أدلة عقلية لا تقبل ريباً ولا شكاً على أن الله هو الحق وأن ما يدعى من دونه هو الباطل : ﴿ **ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير** ﴾ [6] .

ب : ما ذكر على وجه التفصيل :

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار * وءاتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلومٌ كفار** ﴾ [7] .

---

١) سورة النحل : الآية (٥٣)

٢) سورة البقرة : الآية (٢٩)

٣) سورة لقمان : الآية (٢٠)

٤) سورة الجاثية : الآية (١٣)

٥) انظر : الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ص٣٨٨

٦) سورة الحج : الآية (٦٢) ، وسورة لقمان : الآية (٣٠)

٧) سورة ابراهيم : الآيات : (٢٣-٣٤)

وقال عز وجل بعد أن ذكر نعماً كثيرة : ﴿ **وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون * وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون * وعلامات وبالنجم هم يهتدون * أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون * وإن تعدوا نعمة الله لا تُحصوها إن الله لغفور رحيم** ﴾ [1] .

أفمن يخلق هذه النعم وهذه المخلوقات العجيبة كمن لا يخلق شيئاً منها ؟

ومن المعلوم قطعاً أنه لا يستطيع فرد من أفراد العباد أن يحصي ما أنعم الله به عليه في خلق عضو من أعضائه ، أو حاسة من حواسه ، فكيف بما عدا ذلك من النعم في جميع ما خلقه في بدنه ، وكيف بما عدا ذلك من النعم الواصلة إليه في كل وقت على تنوعها واختلاف أجناسها ؟ [2] .

ولا يسع العاقل بعد ذلك إلا أن يعبد الله الذي أسدى لعباده هذه النعم ولا يشرك به شيئاً ، لأنه المستحق للعبادة وحده سبحانه .

ثالثا : الدعوة إلى الله عن طريق إثبات شفاعته للمدعوين :

الشفاعة لغة من الشفع بمعنى الضم : يقال : شفع الشيء : ضم مثله إليه ، فجعل الوتر شفعاً [3] .

واصطلاحاً : التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة [4] .

من الحكمة القولية في دعوة من يتعلق بغير الله - تعالى - ويطلب الشفاعة منه أن يبين له أن الشفاعة ملك لله وحده : ﴿ **قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السماوات والأرض ثم إليه ترجعون** ﴾ [5] .

وإذا كانت شفاعة العباد بعضهم عند بعض لا تكون إلا لأحد ثلاثة أمور :

١- تارة لحاجتهم إليهم .

٢- وتارة لخوفهم منهم .

٣- وتارة لجزاء إحسانهم إليهم .

---

١) سورة النحل الآيات : (١٤-١٨) ، وانظر الآيات ٣-١٢ من السورة نفسها .

٢) انظر : فتح القدير ٣/١٥٤ ، وأضواء البيان ٣/٢٥٣

٣) انظر : القاموس المحيط ، باب العين ، فصل الشين ٩٤٧ ، والنهاية في غريب الحديث ٢/٤٨٥ ، والمعجم الوسيط ١/٤٨٧ .

٤) انظر : شرح لمعة الإعتقاد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدس بقلم للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص٨٠ دار ابن القيم ط ١ سنة ١٤٠٧ هـ .

٥) انظر : فتاوى ابن تيمية ١/١٢٦-١٢٩

فلا يقبل أحد شفاعة أحد إلا لرغبة أو رهبة ، والله عز وجل لا يرجو أحداً ولا يخافه ، ولا يحتاج إليه [1] ، ولهذا قطع الله جميع أنواع التعلقات بغيره ، وبين بطلانها ، فقال تعالى : ﴿ **قل أدعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ...** ﴾ [2] .

فقد سدت هذه الآية على المشركين جميع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك أبلغ سد وأحكمه ، فإن العابد إنما يتعلق بالمعبود لما يرجو من نفعه وحينئذ فلا بد أن يكون المعبود مالكاً للأسباب التي ينتفع بها عابده ، أو يكون شريكاً لمالكها ، أو ظهيراً أو وزيراً أو معاوناً له ، أو وجيهاً ذا حرمة وقدر يشفع عنده ، فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كل وجه انتفت أسباب الشرك وانقطعت مواده [3] .

رابعا : اعلان الإسلام وانكار الشرك :

- يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **قل أغير الله اتخذ ولياً فاطر السماوات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين** ﴾ [4] .

- فسر الإمام الطبري الآية بقوله : قل يا محمد لهؤلاء المشركين العادلين بربهم الأوثان والأصنام ، والمنكرين عليك إخلاص التوحيد لربك الداعين إلى عبادة الآلهة والأوثان ، أشيئا غير الله أتخذ ولياً استنصره وأستعينه على النوائب والحوادث.

عن السدى ﴿ **قل أغير الله اتخذ ولياً** ﴾ قال : أما الولي فالذي يتولونه ويقرون له بالربوبية ﴿ **فاطر السماوات والأرض** ﴾ مبتدعهما وخالقهما ﴿ **وهو يطعم ولا يطعم** ﴾ وهو يرزق خلقه ولا يُرزق وبعد عرض القدرة الإلاهية على الإبداع في خلق السماوات والأرض وعلى الإحتياج إليه للحياة والرزق عقب على قوله :﴿ **قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين**﴾ قل يا محمد للذين يدعونك إلى اتخاذ الآلهة أولياء من دون الله ويحثونك على عبادتها : أغير الله فاطر السماوات والأرض وهو يرزقني وغيري ولا يرزقه أحد اتخذ ولياً هو له عبد مملوك وخلق مخلوق ، وقل لهم أيضاً إني أمرني ربي أن أكون أول من أسلم وأول من خضع له بالعبودية وتذلل لأمره ونهيه وانقاد له من أهل دهري وزماني ﴿ **ولا تكونن من المشركين** ﴾ يقول : وقل قيل لي لا تكونن من المشركين با لله الذين يجعلون الآلهة والأنداد شركاء ، وجعل قوله أمرت بدلاً

---

١) انظر فتاوى ابن تيمية ١/١٢٦-١٢٩

٢) سورة سبأ : الآيتان : (٢٢-٢٣)

٣) انظر : التفسير القيم : لابن القيم ص٤٠٨

٤) سورة الأنعام : الآية (١٤)

من قيل لي فكأنه قيل قل إني قيل لي : كن أول من أسلم ولا تكونن من المشركين فاجتزأ بذكر الأمر [1] .

- وقال الإمام البغوي : ﴿ **قل أغير الله اتخذ ولياً** ﴾ وهذا حين دعى إلى دين آبائه ، ﴿ **قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم** ﴾ يعني من هذه الأمة ، والإسلام بمعنى الإستسلام يعنى أمرت أن أستسلم لأمر الله وانقاد إلى طاعته وقيل لي يا محمد لا تكونن من المشركين) [2] .

وذكر الإمام الفخر الرازي في قوله : ﴿ **قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم** ﴾ والسبب أن النبي صلى الله عليه وسلم سابق أمته في الإسلام لقوله تعالى : ﴿ **وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ [3] .

ولقول موسى : ﴿ **سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين** ﴾ [4] .

﴿ **ولا تكونن من المشركين** ﴾ معناه أمرت بالإسلام ونهيت عن الشرك [5] .

- وبين الشيخ رشيد رضا : (أن الآية توجب على الرسول ﷺ أن يعبد الله وحده بل أن يكون أول من أسلم إليه وانقاد لدينه من هذه الأمة التي بعثت فيها ، لأنه من غير المعقول أن يدعو الرسول ﷺ قومه إلى شيء غير آخذ هو به بل لابد وأن يكون ﷺ أول مؤمن وعامل بما يدعو إليه. ثم نهته الآية الكريمة ﷺ عن الشرك حيث قالت : ﴿ **ولا تكونن من المشركين** ﴾ أي وقيل لي بعد هذا الأمر بالسبق إلى الإسلام وإسلام الوجه له لا تكونن من المشركين الذين اتخذوا من دونه أولياء يزعمون أنهم يقربونهم إليه زلفى فأنا أتبرأ من دينكم ومنكم ، وحاصل المعنى إنني أمرت بالإسلام ونهيت عن الشرك) [6] .

لأن الداعية هو القدوة وهو المتحرك بالأمر وهو المجتنب للنهي والملتزم الكامل الإلتزام لأنه في موقف محدد والذي حدده هو رب العزة حتى يكون مثلاً رفيعاً أمام الناس ، يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله : (قضية واضحة محددة لا تقبل ليناً ولا تميعاً) .

أما أفراد الله سبحانه بالتوجه والتلقي والطاعة والخضوع والعبادة والإستعانة والإقرار له وحده بالحاكمية في كل أمر من هذه الأمور ورفض اشراك غيره معه فيها ، وولاء القلب والعمل ، فالشعيرة والشريعة له وحده بلا شريك ..

---

١) تفسير الطبري جـ٧،ص١٥٨ ،١٥٩

٢) معالم التنزيل جـ٢ ،ص١٢٢ ، وانظر لباب التأويل جـ٢ ،ص١٢٢

٣) سورة الأنعام : الآية (١٦٣)

٤) سورة الأعراف : الآية (١٤٣)

٥) الفخر الرازي جـ١٢ ،ص١٧٠ ، وانظر روح المعاني جـ٧ ، ص١١٠ ، وفتح القدير جـ٢ ،ص١٠٤

٦) المنار جـ ٧ ، ص٣٣٢

أما هذا كله فهو الإسلام .. وأما إشراك أحد من عباده معه في شيء من هذا كله فهو الشرك الذي لا يجتمع في قلب واحد مع الإسلام .

لقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلن هذا الإستنكار في وجه المشركين الذين كانوا يدعونه إلى الملاينة والمداهنة ، ليجعل لآلهتهم مكاناً في دينه ، مقابل أن يدخلوا معه في هذا الدين ، وليترك لهم بعض خصائص الآلوهية يزاولونها إبقاء على مكانتهم وكبريائهم ومصالحهم وأولها تقاليد التحريم والتحليل في مقابل أن يكفوا عن معارضته وأن يجعلوه رئيساً فيهم ويجمعوا له من مالهم ويزوجوه من أجمل بناتهم .

لقد كانوا يرفعون يداً للإيذاء والحرب والتنكيل ، ويمدون يداً بالإغراء والمصالحة واللين .

- وفي وجه هذه المحاولة المزدوجة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقذف بهذا الإستنكار العنيف وبهذا التقرير الذي لا يدع مجالاً للتميع [1] .

ومن خلال هذا العرض للمشركين ودعوتهم في القرآن الكريم ، يتبين أن الآيات وهي تتحدث عن المشركين قد تضمنت دعوتهم إلى الإسلام بطرق وأساليب متنوعة ولم يكن الخطاب ومناهج الدعوة هذه للمشركين الذين نزل فيهم القرآن فحسب - وإن كان قطعاً داخلين فيه وإنما دعوتهم بهذه المناهج والمنهج الحسي على الوجه الخصوص لكل مشرك في كل زمان ومكان وما دام هناك دعاة يحملون هذا الكتاب الكريم ويدعون به وإليه .

ولا ينسى المسلم أن طبيعة الشرك واحدة في العناد والتكبر والجحود والنيل من الإسلام وإيذاء المسلمين ولم يكن مشركو اليوم أقل عناداً وعملاً على هدم الإسلام وأهله من مشركي الأمس ، بل أن مشركي اليوم قد يفوقون سلفهم بالمكر والخداع وبعدهم عن الإستجابة للدعوة وعملهم على إبعاد المسلمين عن دينهم كما أن مسلمي اليوم ليسوا كمسلمي الأمس التزاماً بالدين وصحة في الإعتقاد وعملاً بالجهاد .

---

١) في ظلال القرآن : م٣، ص١٥٨

القسم الثالث : أهل الكتاب .

وهم الذين لم يؤمنوا برسول الله ﷺ من أهل الديانات السابقة : كاليهود والنصارى ، وسموا أهل الكتاب لانتسابهم إلى كتبهم السابقة ، وخصوا بهذا الوصف وإن وقع كثير منهم في الشرك والوثنية ، باعتبار الأصل ، كما خصهم الله بعدد من الأحكام .. [1] .

وهم لا يخرجون في الحكم العام عن وصف الكافرين ، لأنهم لم يستجيبوا لدعوة محمد ﷺ ، قال تعالى : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾ [2] .

وأهل الكتاب قد استخدم الله عز وجل في دعوتهم المنهج الحسي وهذا الصنف من الناس سوف نتكلم عنهم في عدة مسائل هي :-

المسألة الأولى : التعريف بأهل الكتاب .

المسألة الثانية : التعريف باليهود وبني إسرائيل .

المسألة الثالثة : التعريف بالنصارى .

المسألة الرابعة : كيفية التعامل مع أهل الكتاب .

المسألة الخامسة : استخدام المنهج الحسي في دعوة أهل الكتاب .

---

١) من ذلك : قبول الجزية منهم في الحرب ، وحل ذبائحهم للمسلمين ، وحل الزواج من نسائهم إلى غير ذلك من أحكام تعرف في كتب الفقه والأحكام : بأحكام أهل الذمة ، راجع كتاب (أحكام أهل الذمة) لابن القيم وغيره .

٢) سورة آل عمران : الآية (٨٥)

المسألة الأولى : التعريف بأهل الكتاب :

يطلق هذا التعبير على اليهود والنصارى لإنزال الله لليهود التوراة وللنصارى الإنجيل [1] ، قال تعالى ﴿ **أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين** ﴾ [2] فالكتاب هو التوراة والإنجيل ، والطائفتان هما اليهود والنصارى وقال تعالى : ﴿ **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين** ﴾ [3] ، يقول العلامة الفخر الرازي (واعلم أنه تعالى لما حكى عن اليهود وعن النصارى نقضهم العهد وتركهم ما أمروا به دعاهم عقب ذلك إلى الإيمان بمحمد فقال : (يا أهل الكتاب) والمراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى) [4] .

والقرآن تارة يخاطب بها اليهود كما جاء في تفسير روح المعاني في قوله تعالى : ﴿ **ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾ [5] ، وإلى النصارى كما في قوله تعالى : ﴿ **يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون** ﴾ [6] حيث نزلت في وفد نصارى نجران [7].

ومن خلال التعريفات السابقة خاطب القرآن اتباع موسى عليه السلام تارة بلفظ يا بني اسرائيل وتارة بلفظ يا أهل الكتاب واستعمل لفظ اليهود وكثيراً ما استخدمت في انحرافاتهم ﴿ **وقالت اليهود عزير ابن الله** ﴾ .

﴿ **وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا** ﴾ [8] ، ﴿ **وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه** ﴾ [9] ، ونحن نتعرف على اليهود الذين لهم صلة بالإسلام وعايشوا رسول الله ﷺ في زمن بعثته والتقى بهم في هجرته وتحدث عنهم في القرآن وسنقتصر الحديث على تعريفهم وكيفية دعوتهم والتعامل معهم .

---

١) الملل والنحل جـ١ ، ص١٠٩

٢) سورة الأنعام : الآية (١٥٦)

٣) سورة المائدة : الآية (١٦)

٤) مفاتيح الغيب جـ١١ ، ص١٨٩

٥) سورة البقرة : الآية (١٠٥) وانظر روح المعاني جـ١ ص٣٥٠

٦) سورة آل عمران : ىلآية (٦٤)

٧) أنظر روح المعاني جـ٣ ص١٩٣

٨) سورة المائدة : الآية (٦٤)

٩) سورة المائدة : الآية (١٨)

المسألة الثانية : التعريف باليهود وبني إسرائيل :

أولا : اليهود :

لفظ تعرض علماء اللغة بالتعريف لليهود في مادة " هود " فقالوا الهَوْد : أي التوبة ، هاد يهود هوداً وتهود بمعنى تاب ورجع إلى الحق فهو هاد وقوم هود : وفي التنزيل العزيز ﴿ **إنا هدنا إليك** ﴾ [1] ، أي تبنا إليك وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير وإبراهيم قال ابن سيدة : عدّاه بإلى لأن فيه معنى رجعناً وقيل معناه تبنا إليك ورجعنا وقربنا من المغفرة قال تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا** ﴾ [2] ، قال : المتهود المتقرب ، قال ابن العربي التهود : التوبة والعمل الصالح وهذا إذا عقل ويهود اسم للقبيلة وقيل إن اسم هذه القبيلة يهوذا فعرب بقلب الذال دالاً ، قال ابن سيده وليس هذا بقويّ وقالوا اليهود فأدخلوا الألف واللام على إرادة النسب يريدون اليهوديين وقوله تعالى : ﴿ **وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر** ﴾ [3] ، معناه دخلوا في اليهوديه . وقال الفراء في قوله : ﴿ **وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى** ﴾ [4] ، قال : يريد يهوداً فحذف الياء الزائدة ورجع إلى الفعل من اليهودية ، وجمع اليهودي يهود قال الزجاج : والهود : اليهود هادوا يهودون هوداً وسميت اليهود اشتقاقاً من هادوا أي تابوا ، وهوّد الرجل : حوّله إلى ملة يهود [5] .

ثانيا : بنو اسرائيل :

قال تعالى : ﴿ **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون** ﴾ [6] ، والمراد بإسرائيل في القرآن الكريم يعقوب اتفق على ذلك المفسرون

فقد أورد الحافظ بن كثير ما رواه أبوداود الطيالسي عن عبدالحميد ابن بهرام عن شهر بن حوشب قال حدثني عبدا لله بن عباس قال حضرت عصابة من اليهود نبي ا لله ﷺ فقال لهم هل تعلمون أن اسرائيل يعقوب قالوا اللهم نعم فقال النبي ﷺ أشهد [7] .

ويعقوب هو بن اسحاق بن ابراهيم . ويقولون إن معنى إسرائيل :عبدا لله لأن إسرا في لغتهم عبد وئيل هو ا لله وبنو إسرائيل تعني أولاد اسرائيل (يعقوب) [8] ، ولفظ إسرائيل يعنى كذلك في

---

١) سورة الأعراف : الآية (١٥٦)

٢) سورة البقرة :الآآية (٦٢)

٣) سورة الأنعام : الآية (١٤٦)

٤) سورة البقرة : الآية (١١١)

٥) لسان العرب جـ٣ ، ص٤٣٩ ، اعراب القرآن جـ١ ، ص١١٨

٦) سورة البقرة : الآية (٤٠)

٧) تفسير القرآن العظيم جـ١ ، ص١١٨

٨) بنو اسرائيل في القرآن والسنة جـ١ ، ص٦ د. السيد رزق الطويل

العبرانية عبدا لله أو صفوة ا لله مركب من أسـرا بمعنى عبـد أو صفـوة ، وئيـل وهـو ا لله كمـا تعنـى الشديد القوى [1] ، وفي سفر التكوين وظهر ا لله ليعقوب أيضاً حين جاء من فدان أرام وباركه وقال له ا لله اسمك يعقوب لا يدعي اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك اسرائيل فدعى اسمه إسرايل)[2] ، وتذكر كتب التاريخ أن اسرائيل كلمة عبرية معناها بالعربية المحـب لعبـادة ا لله وطاعتـه وأول مـن أطلق عليه هذا اللقب هو نبي ا لله يعقـوب بـن إسحاق بـن إبراهيـم ، ويعقـوب عليـه السـلام كمـا أشارت إليه سورة يوسف هو النبي الصابر المحتسب الواثق بربه المتصل بـه والـذي لم ييـأس مـن روح ا لله ، و لم يفقد الأمل والرجاء في ا لله وفي فضله وذكر في القرآن مجرداً في موضعـين في قولـه تعـالى : ﴿ **كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التـوراة قـل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين** ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ **أولئك الذين أنعم ا لله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نـوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا** ﴾ [4] .

وأنجب إسرائيل إثنى عشر ابناً هم : راوبين - شمعون - لاوي - يهوذا - وباكر - وزبولون وأمهم ليئة . ويوسف - بنيامين وأمهم رحيل ، نفتالي - دان وأمهم بلهه ، جاد - اسير وأمهم زلفـه [5] .

هؤلاء هم بنو اسرائيل (يعقوب) الذين يرجع نسبهم إلى إبراهيم وكـل أحفـادهم هـم ومـا نتج منهم يسمون بني إسرائيل فهم سلالة يعقوب ، وإطلاقات القرآن لبني اسرائيل تطلق علـى سـلالة يعقوب ، ومن هذا يتضح لنا أن اليهود لفظ أعم من بني اسرائيل ، وإن خطاب القرآن لبني اسرائيل ، يخصص نسل يعقوب ، يقول الفخر الرازي (" يا بـني اسـرائيل " خطـاب مـع جماعـة اليهـود الذيـن كانوا بالمدينة من ولـد يعقـوب عليـه السـلام في أيـام محمـد ﷺ) [6] ، أمـا خطـاب القـرآن لليهـود فخطاب عام لكل من تبع موسى سواء من بني إسرائيل أو من غيرهم فكل اسـرائيلي يهـودي وليـس العكس ، لأن اليهود تعددت الأجناس الـتي دخلـت فيهـا ، يقـول الدكتـور علـى عبدالواحـد وافي : (بقى بنو اسرائيل أمداً طويلاً يرزحون تحت نير الاستعباد حتى أرسل ا لله إليهم وإلى فرعـون وقومـه

---

١) انظر مفاتيح الغيب جـ٣ ، ص٢٩ ، الكشاف جـ١ ، ص٢٧٥ ، الجامع لأحكام القرآن جـ١، ص٣٣١

٢) الكتاب المقدس ص٥٨ اصحاح ٣٥ ، سفر التكوين ٦-١١

٣) سورة آل عمران : الآية (٩٣)

٤) سورة مريم : الآية (٥٨)

٥) الكتاب المقدس ص٥٩- التوراة السامرية ص٨٧٧ أبو الحسن اسحق الصوري ، دار الأنصار - القاهرة ١٩٧٨م- اليهودية ١ ص٥٩ - د. أحمد شلبي ، النهضة المصرية ط٥ سنة ١٩٧٨م المفصل جـ١ ، ص١٤٣ .

٦) مفاتيح الغيب جـ٣ ، ص٢٩

رسولين اسرائيليين من نسل لاوي أحد أبناء يعقوب) [1] ، فموسى عليه السلام وهارون عليه السلام من أبناء يعقوب وقد أرسل موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل وفرعون كما تشير آيات القرآن ودخل دينه كثير من الناس ، من بني إسرائيل ومن غيرهم ولذلك تسمى أتباع موسى باليهود وكما أشرت سابقاً إلى معناه المستنبط من قوله تعالى (إنا هدنا إليك) وقد قدمنا الدليل ، إذا فنحن أمام تسميتين مختلفتين هما بنو اسرائيل وهم أبناء يعقوب والمنتمون إليهم عن طريق هذا النسب والثانية اليهود وكما أشار الشهرستاني (من قوله هذا يهود هوداً وتهود أي تاب ورجع) [2] ، وقال مجاهد وسعيد بن جبير يعتبر اطلاق اسم اليهود على أتباع نبي الله موسى ابن عمران بن يصهر ابن قاهت بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام) [3] ، وهم التائبون العائدون إلى الله من أتباع موسى وبذلك تكون عبارة اليهود شعب الله المختار عبارة ليس لها أساس من الصحة ، وما ذكره الله من تفضيل لبني إسرائيل على العالمين موقوت بزمان استخلافهم وإختيارهم فأما بعد ما عتوا عن أمر ربهم وعصوا أنبياءهم وجحدوا نعمة الله عليهم وتخلوا عن التزاماتهم وعهدهم فقد أعلن الله حكمه عليهم باللعنة والغضب والذلة والمسكنة وقضى عليهم بالتشريد كالخيرية بالنسبة للمسلمين فهي قائمة إذا اتبعوا منهج الله وأطاعوه فإن خرجوا على طاعة الله سلبت منهم هذه الخيرية [4] .

المسألة الثالثة : التعريف بالنصارى :

عند علماء اللغة :

ورد في المعجم الوسيط أن النصاري جمع النصراني من تعبد بدين النصرانية وهي نصرانية ، والنصرانية دين المسيح .

والناصرة قرية بالجليل من فلسطين ينسب إليها المسيح عليه السلام .

ونصره جعله نصرانياً [5] .

وجاء في لسان العرب في مادة نصر [6] لفظة النصرانية قال : نصرى ، وناصرة ، ونصورية قرية بالشام ، والنصارى منسوبون إليها .

---

١) الأسفار المقدسة ص٦٢ د. علي عبدالواحد وافي ، مطبعة دار العالم العربي سنة ١٩٧١م

٢) الملل والنحل جـ١ ، ص٢١٠

٣) قصص الأنبياء ص١٣٧ ، ابن اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي ، المطبعة البهية المصرية ط٢ سنة ١٩٥١م

٤) انظر : رسالة دكتوراه بعنوان (منهج الدعوة الإسلامية في مواجهة المعارضين على ضوء القرآن الكريم) د. طنعت على محسن - الأزهر ص١٧٧ ، وما بعدها .

٥) المعجم الوسيط ص٩٣٤

٦) لسان العرب مادة (نصر) ٥/٢١١،٢١٢.

أما سيبويه فقال : أما النصارى فذهب الخليل أنه جمع نصيري - ونصران كما قالوا ندمان وندامى ولكنهم حذفوا إحدى الياءين قال : وأما الذي نوجهه نحن عليه فإنه جاء على نصران لأنه قد تكلم به ، وقلت نصارى كما قلت ندامى فهذا أقيس ، والأول مذهب وإن كان أقيس لأنا لم نسمعهم قالوا نصرى .

قال أبو اسحاق : واحد النصارى في أحد القولين نصران والأنثى نصرانه ، فنصرانه تأنيث نصران ولكن لم يستعمل نصران إلا بياء النسب لأنهم قالوا رجل نصراني وامرأة نصرانية .

قال ابن بري قوله أن النصارى جمع نصران ونصرانه انما يريد بذلك الأصل دون الاستعمال ، وإنما المستعمل في الكلام نصراني ونصرانية بياء النسب ويجوز أن يكون واحد النصارى نصرياً .

والتنصر الدخول في النصرانية .

ونصره : جعله نصرانياً .

وفي الحديث :(ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبوه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[1].

وفي تاج العروس : ناصرة بطبرية على ثلاثة عشر ميلا منها وإليها نسبت النصارى ، ونقل ياقوت الحموي في معجمه ، وكان فيها مولد المسيح عليه السلام ومنها اشتق اسم النصارى وأهل بيت المقدس يأبون ذلك ويزعمون أن المسيح إنما ولد في بيت لحم وإنما انتقلت به أمه إلى هذه القرية.

ويقول : فأما نص الإنجيل فإن فيه أن عيسى ولد ببيت لحم وخاف عليه يوسف زوج مريم.

قال ابن دريد : النصارى منسوبون إلى نصرانه ويقال لها ناصرة [2] .

قال أبو اسحاق إبراهيم السرى عن سهيل وواحد النصارى قيل فيه قولان ، قال يجوز أن يكون واحدهم : نصران كما ترى فيكون نصران ونصارى على وزن ندمان وندامى قال الشاعر :

وكلتاهما خرت واسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحنف

فنصرانه تأنيث نصران ويجوز أن يكون النصارى واحدهم نصيري مثل : بعير مهري وإبل مهارى [3] .

تعريف النصارى في الإصطلاح :

وعرف الشهرستاني النصارى بأنهم (أمة المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته وهو المبعوث حقاً بعد موسى والمبشر به في التوراة) [4] .

ولفظة النصرانية ونصارى التي تطلق في العربية على أتباع المسيح من الألفاظ المعربة .

---

١) سبق تخريج الحديث .

٢) تاج العروس جـ٣ ، ص٥٦٩ - محمد مرتضى الزبيدي ، دار المعرفة - بيروت .

٣) معاني القرآن جـ١ ،ص١١٩ - ابراهيم بن السري بن سهل ، المطابع الأميرية سنة ١٩٧٤

٤) الملل والنحل جـ١ ، ص٢٢٠ .

ويرى بعض المستشرقين أنها من أصل سرياني هو : نصرويو ، نصرياً .

ويرى بعض آخر أنها من التسمية العبرانية التي أطلقها اليهود على من اتبع ديانة المسيح[1].

وقد وردت في أعمال الرسل حكاية على لسان اليهود (فإننا وجدنا هذا الرجل مفسداً ومهيج فتنة بين جميع اليهود الذين في المسكونة ومقدام شيعة الناصريين وقد شرع أن ينجس الهيكل أيضاً أمسكناه وأردنا أن نحكم عليه حسب ناموسنا) [2] .

وتعتبر النصرانية امتدادا لليهودية وتغييراً لما وصل إليه اليهود .

أما يسوع نفسه فقد تربى في ناصرة الجليل في وسط وفي بيت نجار [3] .

المسيحية :

من الألفاظ المشهورة عند النصارى : المسيحية ويطلق عليهم أيضاً المسيحيون نسبة إلى السيد المسيح .

المسيح :

قيل الصديق وسمي بذلك لصدقه ، وكان يمسح على العليل والأكمه والأبرص فيبرئه بإذن الله.

قال الأزهري : أُعرب اسم المسيح في القرآن على مسيح وهو في التوراة مشيحاً فعرّب وغيّر كما قيل في موسى وأصله : موشى ، وأنشد : إذا المسيحُ يقتل المسيحا . يعني عيسى بن مريم يقتل الدجال .

وسمي عيسى المسيح لأنه : مسح بالبركة .

وقال أبو العباس : سمي مسيحاً لأنه كان يمسح الأرض أي يقطعها ، وقيل : لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن ، وخلق الله المسيحين ، أحدهما ضد الآخر مسيح الهدى ومسيح الضلال [4] .

ومسيحاً ممسوحاً بالزيت المقدس على سنة الملوك المختارين من الأقدمين ، وأن يوحنا المعمداني هو الذي وكل إليه اختيار المسيح المنتظر على حسب العلامة المحفوظة في النبوءات فاختاره وعاهده وبايعه ملكاً مسيحاً [1] .

وعن ابن عباس رضي الله عنه : إنما سمي عيسى عليه السلام مسيحاً لأنه ما كان يمسح بيده ذا عاهة إلا برئ من مرضه [5] .

---

١) المفصل جـ٦ ، ص٥٨٢

٢) الكتاب المقدس ، اصحاح ٢٤ ، أعمال الرسل ص٣٢٦

٣) فجر المسيحية ص٢٣٢ ، حبيب سعيد ، دار الجيل للطباعة .

٥) لسان العرب جـ٢ ، ص٥٩٤ .

٤) لسان العرب جـ٢ ، ص٥٩٤ ، عباس محمود العقاد ، دار الهلال سنة ١٩٦٨م

٥) مفاتيح الغيب جـ٨ ، ص٤٩

ولقد ذكر المسيح في القرآن الكريم في مواضع كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ **ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون** ﴾ [1] .

المسألة الرابعة : التعامل مع أهل الكتاب :

إن الأصل الذي يتعامل على أساسه المسلمون مع غيرهم هو العقيدة الخالصة ، ومع أن أهل الكتاب يختلفون عن مشركي العرب وغيرهم من عبدة الأوثان في أنهم ينسبون إلى كتب أنبيائهم إلا أنهم داخلون في مطلق الشرك والكفر لفقدهم التوحيد الخالص ولتحريفهم الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل وغيرها ، وعدم إيمانهم بالرسول ﷺ الذى وجدوه منصوصاً عليه في كتبهم ، وإذا كان مفترق الطريق بين أهل الكتاب والمسلمين هو العقيدة ، فإنه لا تقارب ولا التقاء في أبسط أحوال التعامل ، بل إن موقف المسلمين منهم هو موقف الاستعلاء والحذر منهم وإذلالهم حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطو الجزية عن يدوهم صاغرون ، وهم بالأصل وبالمقابل أمة الكيد ، والغدر ، فهم يتربصون بالمسلمين الدوائر ولا يتركون فرصة تفوتهم في إيذاء المسلمين والنيل منهم ، يقول ابن القيم عن اليهود (هم أهل الكذب والبهت والغدر والمكر والحيل ، قتلة الأنبياء وأكلة السحت ، أخبث الأمم طوية وأرداهم سجية ، وأبعدهم من الرحمة ، وأقربهم من النقمة ، عادتهم البغضاء وديدنهم العداوة والشحناء ، بيت السمر والكذب والحيل ، لا يرون لمن خالفهم في كفرهم وتكذيبهم الأنبياء حرمة ولا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ، ولا لمن وافقه عندهم حق ولا شفقة ...) [2] .

على هذه الأصول وعلى هذه الصفات الملعونة يتعامل اليهود مع غيرهم وتعاملوا بها مع أنبيائهم ومع غيرهم من الأمم وتلك حالهم إلا أن يبعث الله في المسلمين من يسومهم حد السيف ويوردهم الهلاك والذل والصغار ولم يكن حال النصارى المثلثة أقل سوء وتعاسة من حال اليهود الذين غضب الله عليهم ، يقول ابن القيم في النصارى (فقل ما شئت في طائفة أصل عقيدتها أن الله ثالث ثلاثة ، وأن مريم صاحبته وأن المسيح ابنه ... فدينها عبادة الصلبان ، ودعاء الصور المنقوشة بالأحمر والأصفر في الحيطان .. فدينهم شرب الخمور وأكل الخنزير ، وترك الختان ، والتعبد بالنجاسات واستباحة كل خبيث من الفيل إلى البعوض والحلال ما حلله القس ...) [3] ، ولم يكن للمسلمين تعامل يذكر مع أهل الكتاب في العهد المكي إلا من كان من العرب من قد تدين بدين أهل الكتاب كورقة بن نوفل فكان مبشراً لخديجة بصدق نبوة محمد ﷺ ، ولم يكن للمسلمين في تلك الفترة المكية شوكة ولا دولة لكي يظهر نمط التعامل ، أما الفترة المدنية التي قيض الله فيها دولة

---

١) سورة المائدة : الآية (٧٥)

٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى - ابن القيم ص٨ - مطبوعات الجامعة الإسلامية - بالمدينة المنورة

٣) هداية الحيارى ص٨

الإسلام الأولى فقد ظهر فيها أثر الوجود اليهودي على المسلمين منذ دخول الإسلام إليها بعد بيعة العقبة الأولى فقد كانوا يعلمون بمقدم نبي ، وكانوا يظنون أنه سيبعث فيهم ، ولما خاب ظنهم وبعث محمد ﷺ من العرب كفروا به وبدؤوا يدسون الدسائس ويؤذون النبي والمؤمنين ، ولكن المظهر العام الذي يعطيه القرآن الكريم ويرسمه في طريق تعامل أهل الكتاب مع المسلمين هو أنهم يعملون جادين على اطفاء نور الله تعالى بشتى الوسائل منذ فجر الإسلام الأول في المدينة كما كان يفعل كعب بن الأشرف ويهجو النبي ﷺ ويحرض عليه كفار قريش إلى الوقت الحاضر الذي لم يتركوا فيه فرصة ولا لحظة تمر دون إيذائهم للمسلمين والكيد لهم والعمل الجاد على ألا تقوم للمسلمين قائمة وعلى ألا تقوم للمسلمين دولة يستطيعون من خلالها أن يضعوا اليهود والنصارى في الوضع الذي أراده الله لهم من الذل والصغار ، ولكن لما كان للمسلمين دين وكان للمسلمين دولة وسيادة في ظلال حكم الله ودولته لم يكن لكفرة أهل الكتاب كيان ثقيل فالرسول ﷺ أمر بإخراجهم من جزيرة العرب فقال (لا يبقين في جزيرة العرب دينان) [1] ، ولم يكن لهم خارج الجزيرة العربية إلا الجزية أو السيف أو الدخول في الإسلام ، أما أن يكونوا بحرية في الوجود دون هذه الشروط فهذا وجود لا يرضاه الله تعالى ولا يرضاه رسوله ، لأن الله أراد أن تكون كلمة الذين كفروا السفلى وكلمته هي العليا ، وما لم تكن كلمة الكفار هي السفلى فلا بد أن تكون موازين المعاملة قد اختلت ، ودلت على أن المسلمين لم يكن لهم دولة وسيادة ، لأن المشركين من أهل الكتاب لم يفتروا عن العمل على إطفاء نور الله ، فهذا دأبهم وهذا ديدنهم ولهذا كان علاجهم الوحيد المنزّل من حكيم عليم وما طبقه الرسول ﷺ وأمر أصحابه به إلى يوم الدين وهو الإسلام أو الجزية أو السيف ، ولم يثبت على مر العصور أن ألان اليهود والنصارى الجانب للمؤمنين ، أو صدقوهم عهداً أو أوفوا لهم بذمة إلا ريثما تقوى مكائدهم ، وما دسائس عبدالله بن سبأ في العصور الأولى والحروب الصليبية فيما بعد وإلى دخولهم بيت المقدس الآن إلا تعبير عن ديدنهم في العمل على إطفاء نور الله ، ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون ، فإذا كان هذا شأنهم فهل للمسلمين أن يستعينوا بهم وهل يتوقع منهم غير الغدر والخيانة [2] .

---

١) الحديث في الموطأ ١٧ ، فضائل المدينة ٨٩٢/٢٠ وهو موصول في الصحيحين عن عائشة

٢) انظر : اليهود في القرآن – محمد عزة دروزة ص١٠٥ ، وانظر : علاقة المسلمين بغيرهم – بحث ما جستير للطالب/ عبدالله محمد الزعبي – كلية الدعوة والإعلام المدينة المنورة – غير منشور ص٦٨ وما بعدها .

المسألة الخامسة : استخدام المنهج الحسي في دعوة أهل الكتاب :

ويدعى هذا الصنف كغيره إلى الإيمان بالله وحده ، والإيمان بأركان الإيمان ، وأن الإسلام خاتم الأديان ، فإن هم استجابوا لذلك ، دعوا إلى غير ذلك من أعمال : كالصلاة والصيام ، فقد جاء في حديث معاذ ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال له : ﴿ إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله فإذا هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات .. الحديث) [1] .

إن من حكمة القول في دعوة أهل الكتاب إلى الله – تعالى – أن يجادلوا بالتي هي أحسن ، بحسن خلق ولُطف ولين كلام ، ودعوة إلى الحق ، وتحسينه بالأدلة العقلية والنقلية ، ورد الباطل بأقرب طريق وأنسب عبارة ، وأن لا يكون القصد من ذلك مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو ، بل لا بد أن يكون القصد بيان الحق ، وهداية الخلق [2] .

لقد حاول رسول الله ﷺ أن يجذب إليه اليهود ، ويعرض عليهم الدعوة الإسلامية وأخذ الطريق الواضح السليم في الدعوة والعلاقة الطيبة بينه وبينهم ، فكتب العهد بين المسلمين ويهود المدينة بعد الهجرة وأمنهم على حياتهم وعقيدتهم وأموالهم وأولادهم ، فلما دعاهم إلى التوحيد الحق عارضوا الرسول ﷺ ، فتلطف معهم بلطف القرآن ونداء الرحمن على لسانه ﷺ في قوله تعالى : ﴿ **يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** ﴾ [3] .

ولكنهم لم يقبلوا على الله ولا على رسوله ﷺ بل أقبلوا على الباطل يحاولون نشره وعلى الشيطان ينفذون أمره فخانوا العهد واعتدوا أفراداً وجماعات على الإسلام ورسوله ﷺ وعلى المسلمين ، وجمعوا عليهم الأعداء ، وبذلوا لأعداء الإسلام كل معونة ممكنة وأطلعوهم على عورات المسلمين من خلال أعوانهم الذين ربوهم على النفاق وهم الذين زرعوا النفاق في المدينة وهو داء فتاك في جسم المجتمع ، والقرآن الكريم حين وجه الرسول ﷺ والمؤمنين إلى اتخاذ الأسلوب الراقي في المعاملة مع أهل الكتاب والمجادلة معهم إلا بالتي هي أحسن قال تعالى : ﴿ **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون** ﴾ [4] ، وقال تعالى : ﴿ **قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله**

---

١) رواه البخاري ، انظر : صحيح البخاري مع الفتح (٤٣٤٧) ، (٦٤/٨)

٢) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ص٤٠١

٣) سورة آل عمران : الآية (٦٤)

٤) سورة العنكبوت : الآية (٤٦)

شهيد على ما تعملون * قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [1] ، ويناديهم الحق تبارك وتعالى : ﴿ **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾** [2] ويقول سبحانه ﴿ **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شئ قدير﴾** [3] .

* القرآن ودعوة أهل الكتاب :

والمتدبر للقرآن الكريم يجده قد خاطب بني إسرائيل في أسلوبه المكي برفق ليستميل قلوبهم ، ويحببهم في الدين الإسلامي .

وكذلك الحال في الأسلوب المدني أول الأمر ثم بادلهم بعد ذلك عداء بعداء .

- ففي السور المكية نجد القرآن [4] :

أ – يذكر قصصهم : فسورة " يوسف " عليه السلام ، وسورة القصص فيهما تفصيل لكثير من أخبارهم .

وفي الأعراف من الآية ١٠٣ إلى الآية ١٧٨ ذكر لأخبارهم ، وبيان لبعض أحداثهم ، وإن كانت الآيات ١٦٣-١٧٠ مدنية .

وفي يونس ذكر نجاتهم وإهلاك فرعون : ﴿ **وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً ..** ﴾ الآيات ٩٠، ٩١، ٩٢ .

وفي الإسراء إجمال لتاريخهم منذ موسى عليه السلام إلى التشريد الأخير ﴿ **وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا** ﴾ الآيات من ٢-٨ .

وفي سورة المؤمنون : ﴿ **ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين** [5] * **إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين * فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون * فكذبوهما فكانوا من المهلكين * ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون** ﴾ ٤٥، ٤٩ .

---

١) سورة آل عمران : الآية (٩٨-٩٩)

٢) سورة المائدة : الآية (١٥)

٣) سورة المائدة : الآية (١٩)

٤) بنو اسرائيل في القرآن الكريم ، د. محمد عبدالسلام محمد ص٦٠ وما بعدها ، مكتبة الفلاح ، الطبعة ١ ، سنة ١٩٨٠

٥) آياتنا : أدلتنا على صدقهما ، سلطان مبين : تأييد واضح .

وفي سورة الدخان : ﴿ **ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم * أن أدوا إلى عباد الله إني لكم رسول أمين * وأن لا تعلوا على الله إني آتيكم بسلطان مبين ...** ﴾ الآيات ١٧-٣١.

وفي سورة الزخرف الآيات ٤٦-٥٦ ذكر لما كان بين سيدنا موسى وفرعون ، وفي سورة "طه" ، "والشعراء" ، "والنمل" ، "وغافر" سلاسل من الآيات في موسى وبني إسرائيل وأنبيائهم جاءت خالية من أسلوب العنف .

ب – يشيد بهم وينوه بشأنهم : ففي سورة السجدة يخبر الله نبيه أنه نزل التوراة على موسى كما نزل عليه القرآن ، وأنه جعل من بني إسرائيل أئمة يدعون إلى الهدى بأمر الله : ﴿ **ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه** [1] **وجعلناه هدى لبني إسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون** ﴾ ٢٣-٢٤ .

– وفي سورة الصافات إشادة بموسى وهارون عليهما السلام ، وهما من أخير أنبيائهم : ﴿ **ولقد مننا على موسى وهارون * ونجيناهم وقومهما من الكرب العظيم * ونصرناهم فكانوا هم الغالبين * وآتيناهما الكتاب المستبين * وهديناهما الصراط المستقيم * وتركنا عليهما في الآخرين * سلام على موسى وهارون * إنا كذلك نجزي المحسنين * إنهما من عبادنا المؤمنين** ﴾ ١١٤-١٢٢.

وفي سورة الدخان : بيان أن الله اختارهم على عالمي زمانهم ، فجعل فيهم الرسل ، وأنزل التوراة ، وكان العالم – آنذاك – غارقاً في الوثنية وأن الله آتاهم من الآيات ما فيه اختبار لهم : ﴿ **ولقد اخترناهم على علم على العالمين * وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين** ﴾ ٣٢،٣٣ ، وفي السورة نفسها ذكر لتخليصهم من ظلم فرعون وهلاكه من الآية ١٧-٣١ .

وفي سورة الجاثية : أن الله أتى بني إسرائيل الحكم والنبوة ، ورزقهم من الطيبات ، وإن كانوا قد اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم : ﴿ **ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين * وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** ﴾ ١٦،١٧.

وفي سورة يونس : ﴿ **ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم** [2] **إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** ﴾ [3] .

---

١) مرية : شك ، لقائه : لقياه في الاسراء ، او يوم القيامة ، أو تلقيه التوراة .

٢) جاءهم العلم : جاءهم الدين الآية : ٩٣

٣) سورة يونس : آية (٩٣)

جـ – وأبعد من هذا كله نجد القرآن الكريم يستشهد بهم وبالنصارى لتثبيت قلب الرسول عليه السلام : ﴿ **فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك * لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين** ﴾ [1] .

وفي سورة الشعراء يبين الله : أن القرآن تنزيل من عنده ، نزل به جبريل ، على قلب النبي بلسان عربي ، وأن ذكره موجود في الكتب التي نزلت على الرسل السابقين ، وأن علماء بني إسرائيل – كعبد الله بن سلام – يشهدون بذلك وهذا من أقوى الدوافع لليهود على اتباع محمد ﷺ ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين * وإنه لفي زبر الأولين * أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل** ﴾ ١٩٢،١٩٧ وإن كانت الآية الأخيرة مدنية .

وفي سورة الأعراف أن النبي ﷺ مكتوب عندهم في التوراة كما هو في الإنجيل : ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل** ﴾ من الآية ١٥٧.

وفي سورة العنكبوت يشيد القرآن بمن آمن من أهل الكتاب : ﴿ **وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء** [2] **من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون** ﴾ ٤٧ .

د – وكذلك يأمرنا القرآن ، ألا نجادل أهل الكتاب إلا بالحسنى ، وكيفية هذه المحاولة أن نقول لهم : إن إلهنا وإلهكم واحد ، وإننا نؤمن بالتوراة والإنجيل كما نؤمن بالقرآن ، ويستثنى الله من هؤلاء ، الذين ظلموا فقالوا : إن الله ثالث ثلاثة ، أو قالوا : إن الله ابنا ، والذين غيروا في كتب الله وبدلوا ، فأخفوا البعض ، وأظهروا البعض ، وأضافوا وحذفوا يتبعون في ذلك أهواءهم – فهؤلاء تجوز مجادلتهم بشدة : ﴿ **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا : آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون** ﴾ [3] .

وفي هذا كله نجد القرآن يتألف قلوبهم ويترضاهم ، ويحببهم في الدعوة عساهم يؤمنون .

ولو كانوا ذوي طباع سليمة ، ونفوس بريئة من الأمراض لسارعوا إلى الإسلام .

وفي السور المدنية نجد القرآن :

يدعوهم برفق ، ويستميل قلوبهم بشتى الوسائل ، ففي سورة البقرة يذكرهم بنعم الله عليهم ، ويدعوهم إلى الوفاء بعهده – وهو الإيمان بمحمد – حتى يفي الله بعهدهم فيرضى عنهم ، ويدخلهم الجنة ، ويدعوهم إلى خشية الله ورهبته ، والمسارعة إلى الإيمان بالقرآن الذي جاء مصدقاً

---

١) سورة يونس : آية (٩٤)

٢) ومن هؤلاء : أي : أهل مكة

٣) سورة العنكبوت الآية : (٤٦)

للتوراة ، وموافقاً لها في التوحيد والنبوة والعدل ، والنهي عن المعاصي ، وينهاهم ألا يكونوا أول المسارعين إلى الكفر ، وألا يشتروا بالإيمان با لله عرض الدنيا وما فيها ، وألا يخلطوا الحق الذي أنزل من التوراة بالباطل الذي يفترونه ، وألا يكتموا صفة محمد من كتبهم ، وهم يعلمون أنه حق ، ويأمرهم أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة - بالإيمان - وألا يأمروا الناس بالخير وينسوا أنفسهم ، فقد كان [1] أحبارهم وعلماؤهم الذين اطلعوا على التوراة الصحيحة ، وعرفوا مما ورد فيها أن محمد رسول ا لله حقاً ، يأمرون سراً من يثقون بهم من أقربائهم وغيرهم أن يتبعوا دين محمد لاعتقادهم أنه الدين الحق مع أنهم يتلون التوراة وفيها وعيد لمن خالف قوله فعله أفلا يعقل هؤلاء قبح ما يفعلون ؟

﴿ **يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون * وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون * ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعملون * وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين * أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ؟** ﴾ [2] .

وتعود السورة فتذكرهم في موضعين آخرين بنعم ا لله عليهم وتدعوهم أن يخافوا ا لله في يوم لا تتحمل فيه نفس وزر أخرى ، ولا تقبل فيه شفاعة ، ولا تؤخذ فدية ، ولا يستطيع أحد فيه دفع عذاب ا لله .

ثم يمضي السياق فيفصل ما أجمل من نعم ، وهي : نجاتهم من فرعون وبطشه ، ونجاتهم من البحر وإغراق عدوهم ، وعفو ا لله عمن عبدوا العجل ، ونزول التوراة ، وعفو ا لله عمن طلبوا رؤية ا لله جهرة ، وبعثهم من بعد موتهم ، وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى : ﴿ **يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين * واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون * وإذ نجيناكم من آل فرعون ..** ﴾ [3] ، وفي الآية : ﴿ **وإذا استقى موسى لقومه . إلى قوله ولا تعثوا في الأرض مفسدين** ﴾ [4] .

تذكيرهم بنعمة الماء حيث فجره لهم في الصحراء بضربة من عصا موسى عليه السلام وفي السورة نفسها نجد تكرارا للآيتين ٤٧، ٤٨ مع اختلاف يسير في الآية الثانية .

ويدعو القرآن إلى مسالمتهم ودعوتهم فإن آمنوا فقد اهتدوا وإلا فما على الرسول إلا البلاغ

---

١) تفسير القرآن العظيم ٤٤/١

٢) سورة البقرة : الآية (٤٠-٤٤)

٣) سورة البقرة الآيات من ٤٧ - ٧٥

٤) سورة البقرة الآية : (٦٠)

ففي سورة آل عمران : ﴿ **فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن * وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد** ﴾ [1] ، ﴿ **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم * ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً * ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون** ﴾ [2].

وفي سورة المائدة دعوة الرسول إلى العفو والصفح عن خيانتهم الكثيرة المتكررة : ﴿ **ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين** ﴾ [3] .

ونجد في السورة أيضاً أن القرآن الكريم يغريهم بتكفير السيئات ، ودخول الجنة - إن هم آمنوا واتقوا - ويغريهم بالعيش الرغد - إن هم عملوا بما في التوراة والإنجيل والقرآن : ﴿ **ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم * ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم * لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة [4] مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون** ﴾ [5] .

ثم أخذ يخوفهم عاقبة كفرهم بذكر أخبار أجدادهم الذين عصوا فعاقبهم الله لعلهم يتعظون.

فذكرهم بمن بدلوا أمر الله وقوله عند دخول القرية ، وبمن اعتدوا السبت : ﴿ **وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية * وكلوا منها حيث شئتم وقولوا : حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين * فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون** ﴾ [6] .

﴿ **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** ﴾ [7] ، ﴿ **واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت أذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لاتأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون * وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا : معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون * فلما**

---

١) سورة آل عمران : آية (٢٠)

٢) سورة آل عمران : آآية (٦٤)

٣)سورة المائدة : آية (١٣)

٤) جماعة قليلة معتدلة وأكثرهم فاسقون : غير معتدلين .

٥) سورة المائدة : آية (٦٥-٦٦)

٦) سورة الأعراف : الآية (١٦١-١٦٢)

٧) سورة البقرة : آية (٦٥)

نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون * فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [1] .

ولما لم تجد كل هذه الوسائل مع بني إسرائيل أخذ القرآن الكريم يبادلهم كيداً بكيد ، وعداء بعداء ، بعنف عليهم حتى إننا لنراه في بعض الآيات يشبههم بالحمار في عدم الإنتفاع بما في أيديهم : ﴿ **مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله * والله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ [2] ، ويتوعدهم - إن لم يؤمنوا بما أنزل على محمد مصدقاً للتوراة - أن يمحو ما في وجوههم من سمع وبصر فتكون كالقفا ، أو ينزل عليهم عذاب أهل السبت ، وأمر الله لا راد له ، ﴿ **يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها * أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت * وكان أمر الله مفعولا** ﴾ [3] .

كما جادل القرآن أهل الكتاب فعرض لفكرة اتخاذ ولد فدحضها ، وهدم قواعدها وعرض ذلك أيضاً بأساليب مختلفة .

مرة ببيان استحالة ذلك ، لأنه لا يكون ولد إلا إذا كانت هناك زوجة ، وهم لا يدعون أن له زوجة : ﴿ **بديع السماوات والأرض * أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة** ﴾ [4] .

ومرة ببيان استغنائه عن الولد والشريك ، لأن الولد إنما يطلب للحاجة إليه ، والله خالق كل شئ له ما في السماوات والأرض : ﴿ **ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو * خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل** ﴾ [5] .

كما فند دعوى ألوهية المسيح فمحقها ، مرة باثبات صفات المسيح التي لا تتفق مع الألوهية ﴿ **ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام** ﴾ [6] ، فكيف يكون المحتاج إلى طعام وما يتبعه إلهاً ؟ ومرة باقرار المسيح نفسه بأنه عبدالله : ﴿ **قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً** ﴾ [7] .

بهذا اللطف قد تعامل القرآن الكريم ورسول الله ﷺ مع أهل الكتاب وذكرهم بحقيقة أمرهم ولكن اليهود وقفوا جاحدين لكتاب الله محاربين للدعوة ولرسول الله ﷺ بكل الوسائل حرباً

---

١) سورة الأعراف : الآية (١٦٣-١٦٦)

٢) سورة الجمعة ٥ حملوا : أنزلت عليهم ، لم يحملوها : لم يعملوا بها .

٣) سورة النساء : الآية (٤٧)

٤) سورة الأنعام : الآية (١٠١)

٥) سورة الأنعام : الآية (١٠٢)

٦) سورة المائدة : الآية (٧٥)

٧) سورة مريم : الآية (٣٠)

سافرة ضد الإسلام والمسلمين استعملوا فيها كل سلاح من مؤامرات ودسائس وفتن ويتصيدون لها ذوي القلوب المريضة الذين دربوهم على أن يلبسوا ثوب الإسلام في الظاهر ويصرون على الكفر في الباطن وهذا الخلق خلق اليهود و لم يعرف من طبائع العرب فكونه يظهر في المدينة فهو ثمرة من ثمار اليهود .

وقد أشار القرآن الكريم إلى صور فاضحة لليهود وما كانوا يبيتونه للإسلام من كيد ويدبرونه من فتن وقد حاولت الدعوة الإسلامية في مواجهة اليهود في المدينة بشتى الوسائل أن تدخلهم دائرة الإسلام كأهل الكتاب وكتابهم يبشر بالرسول ﷺ وبالدين الجديد كشريعة ناسخة لشريعتهم ، ودعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام وإلى الاحتكام إلى كتاب الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادله بالتي هي أحسن ، وصبر عليهم ، فلما أظهروا العداء لله بعد كشف حقيقتهم وبعد أن لعنهم الله في كتابه وبعد أن فند مزاعمهم ورد عليها وبشرهم بالعذاب في الآخرة ، وأظهروا كذلك العداء لرسوله ﷺ بعد أن وجدوا فيه كل العلامات والصفات التي يعرفونها عنه من كتبهم و لم يقتفوا الحق و لم تنفع معهم حكمة ولا موعظة حسنة ، وأعادوا سيرة أجدادهم المنحرفين أفراد أوجماعات فرد عليهم الرسول ﷺ بما يتفق مع طبيعتهم التي عرفها له رب العزة فاعلن الحرب عليهم وعلى كل من يعادي الله والمسلمين حماية للدولة الإسلامية وحفاظاً على الكتاب ومنهج الحق تبارك وتعالى [1] .

وإليك بعض النماذج للآيات الحسية في دعوة أهل الكتاب :

---

١) انظر : رسالة الدكتوراة (منهج الدعوة الإسلامية في مواجهة المعارضين على ضوء القرآن الكريم) ص٢٥٧ وما بعدها – بتصرف.

أولاً : قال ا لله تعالى موضحاً فساد إيمان أهل الكتاب وبطلان عقيدتهم : ﴿ **وقالت اليهود عزير ابن ا لله وقالت النصارى المسيح ابن ا لله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم ا لله أنى يؤفكون * اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون ا لله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون** ﴾ [1] .

قال السيوطي : (أخرج ابن اسحاق وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس رضي ا لله عنهما قال أتى رسول ا لله ﷺ سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وأبو أنس وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن ا لله وإنما قالوا هو ابن ا لله من أجل أن عزيراً كان في أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم يعملون بها ما شاء ا لله تعالى أن يعملوا ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق) [2] . وهذا المعنى ذكره الألوس [3] عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ **أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه ا لله بعد موتها فأماته ا لله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن ا لله على كل شئ قدير** ﴾ [4] .

فاليهود والنصارى إيمانهم فاسد وعقيدتهم باطلة لأنهم أشركوا مع ا لله غيره وجعلوا له البنين ونزعوا عنه صفة الوحدانية والتفرد في العبادة ، ومن هنا اشتهرت عبادة عزيز بن اليهود وتناقلتها الأجيال ، وبهذا عبدوا البشر وتركوا التوحيد هذا من جانب .

ومن جانب آخر فإن الأحبار اليهود سمحوا لأنفسهم أن يشرعوا للخلق فحللوا وحرموا على هواهم وبذلك انتزعوا سلطة ا لله لأنفسهم ، يقول الشيهد سيد قطب رحمه ا لله : (إن العبادة هي الاتباع في الشرائع بنص القرآن وتفسير رسول ا لله ﷺ فاليهود والنصارى لم يتخذوا الأحبار والرهبان أرباباً بمعنى الاعتقاد بألوهيتهم أو تقديم الشعائر التعبدية إليهم ومع هذا فقد حكم ا لله سبحانه عليهم بالشرك في هذه الآية لمجرد أنهم تلقوا منهم الشرائع فأطاعوها واتبعوها فهذا وحده دون الاعتقاد والشعائر يكفي لاعتبار من يفعله مشركاً با لله الشرك الذي يخرجه من عداد المؤمنين ويدخله في عداد الكافرين ، إن النص القرآني يسوى في الوصف بالشرك واتخاذ الأرباب من دون ا لله بين اليهود الذين قبلوا التشريع من أحبارهم وأطاعوه واتبعوه وبين النصارى الذين قالوا بألوهية المسيح اعتقاداً وقدموا إليه الشعائر في العبادة فهذه كتلك سواء في اعتبار فاعلها مشركاً با لله الشرك

---

١) سورة التوبة : الآية (٣٠-٣١)

٢) الدر المنثور ٣/٢٢٩

٣) روح المعاني جـ٣ ، ص٢٠

٤) سورة البقرة : الآية (٢٥٩)

الذي يخرجه من عداد المؤمنين ويدخله في عداد الكافرين ، إن الشرك با لله يتحقق بمجرد إعطاء حق التشريع لغير ا لله من عباده ولو لم يصحبه شرك في الاعتقاد بألوهية ولا تقديم الشعائر التعبدية ، إن دين الحق الذي لا يقبل ا لله من الناس كلهم ديناً غيره هو الإسلام والإسلام لا يقوم إلا باتباع ا لله وحده في الشريعة بعد الاعتقاد بألوهيته وحده وتقديم الشعائر التعبدية له وحده فإذا اتبع الناس شريعة غير شريعة ا لله صح فيهم ما صح في اليهود والنصارى من أنهم مشركون لا يؤمنون با لله) [1]

ثانياً : قال ا لله تعالى موضحاً ما شتهر به اليهود بالمكر والخديعة حتى أصبحت تلك الصفات من العلامات البارزة التي لا تنفك عنهم في أي وقت ولا في أي مكان .

ورغم ذلك فإن اليهود لم يحترموا حرمة هذا اليوم فتحايلوا على العمل فيه قال سبحانه : ﴿ **واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لايسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون** ﴾ [2] . فقد حرم ا لله تعالى عليهم القيام بأعمال تؤدي إلى نفع مادي في يوم السبت ، ومن خالف حرمة هذا اليوم ودنّسه بالعمل فيه يكون قد ارتكب جرماً عظيماً .

قال أهل التفسير : إن هذه القرية التي كان يسكنها يهود إما أن تكون أيلة أو طبرية أو مدين أو إيليا ، وقيل قرية من قرى ساحل الشام التي كانت حاضرة البحر أي بقربه [3] ، ولأن اليهود فسقة ، وخارجون عن طاعة ا لله تعالى فقد ابتلاهم ا لله واختبرهم بأن أظهر سبحانه وتعالى السمك لهم على ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم صيده وأخفاها عنهم في اليوم الحلال لهم صيده [4] ، لكن اليهود رسبوا في الاختبار حين احتالوا واعتدوا واتخذوا حظيرة يحبسون فيها الأسماك يوم السبت ليأخذوها في الأيام الأخرى ، حتى قال قائلهم : لقد نهيتم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا الحياض ، فكانوا يسوقون الحيتان إليها يوم الجمعة فتبقى فيها ، فلا يمكنها الخروج منها لقلة الماء فيها فيأخذونها يوم الأحد .

وبهذا الإحتيال الآثم تحللوا في ظنهم من أمر ا لله ، وفوتوا على أنفسهم حكمة ا لله التي أرادت أن تنقذهم من تهالكهم على الدنيا وانغماسهم فيها ، فاستحقوا بذلك عقاب ا لله تعالى [5] .

---

١) الظلال جـ٤ ،ص٢٠٣

٢) سورة الأعراف : الآية (١٦٣)

٣) فتح القدير – الشوكاني ٢/٢٥٦

٤) انظر : تفسير القرآن العظيم – ابن كثير ٢/٢٥٧

٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن – القرطبي ٧/٣٠٦ ، اليهود في القرآن – عفيف طبارة ٣٥-٣٦

ثالثاً : قال الله تعالى موضحاً احتيالهم وعدم اذعانهم لأمر الله تعالى : ﴿ **وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون** ﴾ (١) .

لقد حرم الله الشحوم الصافية والخالصة على اليهود ، ولكنهم لم يلتزموا بهذا النهي ويقفوا عنده مذعنين لأمر الله تعالى ، بل احتالوا عليه ، فقد تبنوا بيع هذه الشحوم وأخذ أثمانها ، وفي ذلك يقول الله في معرض ذكر المحرمات على اليهود :

و يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو بمكة : (إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام فقيل : يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنها يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس ؟ فقال : لا هو حرام ، ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك : قاتل الله اليهود ، إن الله عز وجل لما حرم عليهم شحومهما أجملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه) (٢) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : رأيت رسول الله ﷺ جالساً عند الركن ، قال : فرفع بصره إلى السماء فضحك فقال : (لعن الله اليهود - إن الله حرم عليهم الشحوم فباعوها ، وأكلوا أثمانها ، وإن الله إذا حرم على قوم أكل شئ ، حرم عليهم ثمنه) (٣) .

رابعاً : قال الله تعالى : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً و لله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير** ﴾ (٤) .فهذه الآية توضح لنا غلو النصارى وعدم إيمانهم بالله كاخوانهم اليهود وقد أشار القرآن الكريم إلى صور مقالاة النصارى في كثير من الآيات موضحاً العقيدة الحقة بالآيات المحسوسة في اقناعهم .

فعندما أشاعوا زوراً وبهتاناً أن الله ثالث ثلاثة تعالى الله عن قولهم علواً كبيرا ، خاطبهم الله تعالى بقوله جل وعلا : ﴿ **ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا** ﴾ (٥) .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسنّ الذين كفروا منهم عذاب أليم** ﴾ (٦) .

---

١) سورة الأنعام : الآية (١٤٦) ، وانظر : أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة د. حمد العمار - مركز الدراسات والإعلام دار اشبيليا ص٤٤٨-٤٤٩

٢) أخرجه مسلم باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام - كتاب المساقاة : ١٢٠٧/٣ رقم (١٥٨١)

٣) أخرجه أبو داود في كتاب : الإجارة ، باب : في ثمن الخمر والميتة ، انظر : صحيح سنن أبي داود - الألباني ٦٦٧/٢ رقم ٢٩٧٧

٤) سورة المائدة : آية (١٧)

٥) سورة النساء : آية (١١٧)

٦) سورة المائدة : آية (٧٣)

يقول سيد قطب رحمه الله إن الثابت من التتبع التاريخي لأطوار العقيدة النصرانية يرى أن عقيدة بنوة المسيح لله أو ألوهيته لم تصاحب النصرانية الأولى ، إنما دخلت إليها على فترات متفاوتة التاريخ ، مع الوثنين الذين دخلوا في النصرانية ، وهم لم يبرأوا بعد من التصورات الوثنية والآلهة المتعددة [1] .

ويرى الإمام القرطبي أن ولادة عيسى عليه السلام وكونه كلمة من الله سبحانه وأنه روح منه أوقع النصارى في الضلال .

قال تعالى : ﴿ **يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ..** ﴾ [2] ، فقد غلا النصارى في عيسى عليه السلام وقالوا : لا يتصور وجود عيسى بدون أب ، إلا أنه يختلف عن غيره حيث تحلل في جسده جزء منه الألوهية ، بل هو روح من الله تعالى ، وأجاب القرطبي عن ذلك بوجوه منها : ما قاله أبي بن كعب رضي الله عنه : خلق الله أرواح بني آدم لما أخذ عليهم الميثاق ، ثم ردها إلى صلب آدم وأمسك عنده روح عيسى عليه السلام فلما أراد خلقه أرسل ذلك الروح إلى مريم فكان منه عيسى عليه السلام فلهذا قال : ﴿ **وروح منه** ﴾ ، ومنها : أن هذه الإضافة للتفضيل ، وإن كان جميع الأرواح من خلقه وهذا كقوله : ﴿ **وطهر بيتي للطائفين** ﴾ [3] ، ومنها أنه يسمى روحاً بسبب نفخة جبريل عليه السلام ، ويسمى النفخ روحاً لأنه ريح يخرج من الروح .

فجبريل قد نفخ في روح مريم فحملت منه بإذن الله تعالى ، وقيل غير ذلك [4] .

وفي موضع آخر يرد القرآن على المزاعم والإفتراءات التي علقت بالديانة النصرانية بأدلة محسوسة توضح بطلان ما هم عليه من فساد فيقول تعالى : ﴿ **يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا * لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً** ﴾ [5] .

---

١) في ظلال القرآن - سيد قطب ٨١٥/٢

٢) سورة النساء : الآية (١٧١)

٣) سورة الحج : الآية (٢٦)

٤) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٢٢/٦-٢٣

٥) سورة النساء : الآية (١٧١-١٧٢)

ووجه الدلالة أن المسيح وأمه (كانا يأكلان الطعام) والذي يحتاج إلى الطعام ليعيش لا يمكن أن يكون إلهاً ويتنافى مع كمال الإلوهية لأن المحتاج تابع وإلاله متبوع ولهذا ختم الله تعالى هذه الدلالات بهذه الخاتمة ﴿ **انظرا كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أني يؤفكون** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار * لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم * ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون** ﴾ [1] .

خامساً : يقول الله تعالى موضحاً أكلهم المال الحرام ومسارعتهم فيه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم * يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون** ﴾ [2].

قال البخاري رحمه الله في تفسير الآية حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن حصين عن زيد بن وهب قال : (مررت على أبي ذر بالربذة فلقت : ما أنزلك بهذه الأرض ؟ قال كنا بالشام ، فقرأت : ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم** ﴾ قال معاوية : ما هذه فينا ، ما هذه إلا في أهل الكتاب قال : قلت : إنها لفينا وفيهم) [3] .

ففي هذه الآية توضيح لطبيعتهم الراسخة في المتقدمين فيهم والمتأخرين على السواء إنهم البشر وإن الدنيا خلقت من أجلهم وإن الأمم االأخرى ما خلقت إلا لخدمة اليهود ، فإن المال لليهود وحدهم ، وإذا وجد في أيدي غيرهم فإنما قد غصبوه من اليهود ، وتلمودهم ملئ بمثل ذلك وأحبارهم يضربون الأمثلة للتفنن في الحصول على المال وإعادته إلى حوزة اليهود واستخلاصه من يد الأميين .

وإذا كان هذا دين الكبراء منهم فلا عجب أن نراهم يتركون الأتباع يرتعون في المال الحرام ولا ينهونهم عن أكله يقول تعالى في حقهم :﴿ **وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان**

---

١) سورة المائدة : آية (٧٢-٧٥)

٢) سورة الأنبياء : الآية (٣٤-٣٥)

٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري م٨ - كتاب تفسير باب فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم جـ ١٧٣/٨ دار الريان للتراث القاهرة ط ٢ سنة ١٩٨٨م.

وأكلهم السحت [1] لبئس ما كانوا يعملون * لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ﴾ [2] .

وهذه الصفات الراسخة في نفسية اليهودي ، تجده منبوذاً من المجتمعات الإنسانية جميعاً ، لأنه رمز الجشع والاستغلال والنذالة ويضحي بكل القيم في سبيل الحصول على المال ، فالعرض والأخلاق والدين والمروءة كل ذلك يضحي به في سبيل الحصول على المنافع المادية [3] ، لأجل هذه المفاهيم التي اختلقها اليهود والتزموا بها ، عاملهم الله سبحانه وتعالى بتلك الشدة والقيود والإصر والأغلال ليربي تلك النفوس المنحرفة ويلين من قسوة تلك القلوب المتحجرة .

يقول الله تعالى : ﴿ **فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليما** ﴾ [4] .

وإذا حصل اليهودي على المال طغى وتجبر وجعله وسيلة للإفساد والتدمير بل والاستعلاء على الذات الإلهية ، ويظنون أن من أوتي المال فقد أوتي السيادة والعزة والسعادة يقول الله سبحانه وتعالى عنهم : ﴿ **لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق * ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد** ﴾ [5] .

سادساً : قال الله تعالى موضحاً جرمهم بخلطهم الحق بالباطل بحيث لا يتميز الحق من الباطل : ﴿ **يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون * وءامنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بأياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون * ولاتلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون** ﴾ [6] ، وقال سبحانه : ﴿ **يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل** ﴾ [7] .

---

١) لم تستخدم كلمة السحت في القرآن الكريم إلا في حق اليهود ، ومعنى السحت : المال الحرام الذي يذهب بدين المرء ومروءته ، وفي الكلمة إشارة إلى الأساليب الدنيئة التي يتبعها اليهود للحصول على هذا الحرام فليس كل حرام سحتاً ، انظر هذا المعنى في عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي ص٢٣٣.

٢) سورة المائدة : الآية (٦٢-٦٣)

٣) معالم قرآنية في الصراع مع اليهود ، د. مصطفى مسلم محمد ص١٦٨ وما بعدها ، دار المسلم - الطبعة الأولى سنة ١٩٩٤م.

٤) سورة النساء : الآية (١٦٠-١٦١)

٥) سورة آل عمران : الآية (١٨١-١٨٢)

٦) سورة البقرة : الآية (٤٠-٤٢)

٧) سورة آل عمران : الآية (٧١)

ومن أبلغ الصور وأقبحها في إلباس الحق ادعاء الكهنة والأحبار في التوراة التي بأيديهم أن هارون ﷺ هو الذي جمع الذهب من بني إسرائيل واشترك معهم في صناعة العجل الذهبي - ووافقهم على عبادته من دون الله - تعالى - وفي الوقت نفسه يبرءون السامري .

فهارون الذي تحمل المشاق ﷺ في سبيل إقرار فرعون بالتوحيد جعلوه داعية إلى الشرك والكفر ، ولكن القرآن الكريم كان لهذه الدعوى بالمرصاد ، فكذبهم وبين حقيقة الأمر [1] ، قال تعالى : ﴿ **فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى** ﴾ ، إلى قوله تعالى : ﴿ **ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري * قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ..** ﴾ [2] ، فهذا هو الصدق حقاً ، إنما عمل لهم العجل السامري ، أما هارون فنهاهم ولكنهم عصوه وكادوا يقتلونه [3].

سابعاً : قال تعالى موضحاً تلونهم وعدم جديتهم : ﴿ **.. إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون * قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون** ﴾ [4] .

فالمماطلة والتردد وسوء الأدب تنبعث من أقوالهم ، وهم يخاطبون أعظم أنبيائهم الذين يعتقدون برسالته وبالوحي الذي يأتيه من الله ، يقولون له ﴿ **أتتخذنا هزواً** ﴾ وهو في منصب الحكم والقضاء والفصل بين الخصومات ، لقد ظنوا أنه يستهزيء بهم لما رأوا أن طلبه لا ينسجم مع عقولهم الكليلة التي لا تؤمن بالغيبات والخوارق ، ولم يجدوا مناسبة مادية بين ذبح البقرة والتعرف على القاتل .

وانظر إلى قولهم لموسى عليه السلام : ﴿ **الآن جئت بالحق** ﴾ وهل كان ما يقوله قبل ذلك من ذكر الأمر والمواصفات غير الحق ؟! .

إنها النفسية اليهودية المتعجرفة ، والشخصية الملتوية [5] .

---

١) انظر : الفصل لابن حزم ٢٥٦/١ وهداية الحياري لابن القيم ص٥٨٢

٢) سورة طه : الآية (٨٧-٩١)

٣) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل : جـ١ ، ص٤٥٦، وهداية الحياري ص٥٨٢

٤) سورة البقرة : الآية (٦٧- ٧١)

٥) انظر : معالم قرآنية في الصراع مع اليهود ص١٨١ ، وما بعدها .

ولعله من اللطائف القرآنية الدقيقة أن يأتي الأمر بإعداد القوة لادخال الرعب والرهبة إلى قلوب أعداء الله في سياق الحديث عن المعاهدات ونقض اليهود لها في كل مرة ، فإن المعاهدة ليست سوى حبر على ورق لا أثر لها في الواقع إن لم تكن مدعمة بالقوة التي ترتعد لها فرائص العدو كلما فكر في نقضها أو إبطال مفعولها .

وفي موضع آخر يقول تعالى : ﴿ **وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون** ﴾ [1] .

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله : قال لهم موسى : ألا ترون ما يقول ربي عز وجل لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها لأرمينكم بهذا الجبل فلما نظروا إلى الجبل خر كل رجل ساجداً [2] ، على حاجبه الأيسر ونظر بعينيه اليمنى إلى الجبل فرقا من أن يسقط عليه [3] .

وبعد الأمر بإعداد القوة الرهيبة يأتي الحديث عن السلم لأن السلم إن لم يكن من موطن القوة والعزة فهو تنازل للعدو وخضوع لشروطه فيكون استسلاماً لا سلماً ، يقول تعالى :﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون * وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم** ﴾ [4] .

إنها التوجيهات الربانية لأمة الإسلام ورسم معالم السياسة الشرعية في الحرب والسلم مع أعداء الإنسانية .

وليس للمؤمن خيار تجاهها إنها شريعة الله وهداياته ، وفي الالتزام بها السعادة والسيادة ، وفي التخلي عنها الخذلان والشقاء والتعاسة .

فهل يتدبر المسلمون اليوم أوامر ربهم جل جلاله وعز سلطانه .

---

١) سورة الأعراف : آية (١٧١)

٢) وهي سجدة اليهود إلى اليوم يقولون هذه السجدة التي رفعت بها العقوبة .

٣) انظر تفسير ابن كثير جـ ٢/٢٦٠

٤) سورة الأنفال : الآية (٦٠-٦١)

ثامناً : يقول الله تعالى موضحاً فقدان الثقة الذاتية عند اليهود : ﴿ **وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين** ﴾ [1].

فاليهود خلال تاريخهم المديد لم تقم لهم دولة يعتمدون فيها على إمكاناتهم الذاتية إلا عندما كانت النبوة فيهم – وهي المرحلة التي يعبر عنها القرآن بحبل من الله في قوله سبحانه ﴿ **ضربت عليهم الذلة أينما تثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس** ﴾ [2] لقد ساسهم بعض الأنبياء وكانوا ملوكاً في نفس الوقت فكان بنو إسرائيل يقاتلون أعداءهم تحت راية الأنبياء وقد أخذوا الميثاق من الله أنهم لن يغلبوا ما داموا ملتزمين بشرائع الله ، وكان الرمز المادي الذي يدخل الطمأنينة على قلوبهم بعدم إلحاق الهزيمة بهم هو التابوت الذي يقدمونه بين أيدي الجند في المعارك والذي جاء ذكره في القرآن الكريم ، عندما رغبوا في قتال الأعداء ولكنهم لم يجرؤوا دخول المعارك إن لم يكن التابوت بينهم .

ولكن كلما خلا عصر من نبي من أنبياء إسرائيل تمردوا على شرائع التوراة وأفسدوا في الأرض ، فسلط الله عليهم بعض عباده الذين يسومونهم سوء العذاب ، حتى يعودوا إلى الذلة والمسكنة ، أو يرسل إليهم رسولاً جديداً فتدخل الطمأنينة إلى قلوبهم بحبل من الله .

ولما انقطعت النبوة فيهم وكان آخر أنبيائهم عيسى عليه السلام الذين تآمروا على قتله بالاستعانة بالحكام الرومان ، فأنجاه الله منهم برفعه إليه حياً ، بعد ذلك انقطع عنهم حبل الله ولم يعودوا يطمعون في عهود ومواثيق تأتيهم من الله لانقطاع النبوة فيهم ، وبما أنهم لا يستطيعون الحياة من غير تكأة على شئ من خارج نفوسهم ، لم يبق أمامهم إلا حبل الناس والعيش تحت وصاية أمة من الأمم أو شعب من الشعوب بحيث يتكفل حمايتهم والقتال عنهم وإدخال الطمأنينة إلى قلوبهم[3].

فهل ترى نحن الآن مقدمون إلى أن يلتف ﴿ **حبل من الناس** ﴾ الذي طرفاه في يد اليهود حول أعناق الشعوب العربية ويكون حكام العرب هم الحراس الذين يسهرون على استحكام هذا الحبل ووثاقته وعدم استرخائه .

إننا نعلم أن كثيراً من الموارد من العالم الإسلامي (البترول ، المعادن ، الزراعة ، الثروة الحيوانية ...) تستغل من قبل شركات يهودية تحمل جنسيات لدول عظمى ولدول صغرى ، تمتص تلك الخيرات بشكل غير معلن لتصب في النهاية في تقوية الاقتصاد الإسرائيلي .

---

١) سورة البقرة : الآية (٢٤٨)

٢) انظر : معالم قرآنية في الصراع مع اليهود ص٢٠٢ وما بعدها .

٣) أنظر : معالم قرآنية في الصراع مع اليهود ص٢٠٢ وما بعدها .

ولكن هل حان الوقت لأن تكشف إسرائيل الأوراق وتلعب على المكشوف كما يقولـون ، فتسخر الجيوش العربية والإسلامية أيضاً لحماية أنابيب الغاز والنفط وقنوات الري الممتدة مـن الـدول المحيطة بإسرائيل إلى أرض فلسطين ، وتنقلب مهمة الجيوش إلى مهمة حراسـة تلـك المصـالح وإخمـاد أي صوت يستنكر هذا العمل أو يعترض على هذه الخيانة أو ينادي بالأمة لإيقاظها من رقدتها إلى ما يفعله حكامها من مسـاعدة إسـرائيل في لـف الحبـل حـول العنـق وشـد الأطـراف واسـتيثاق العقـدة واستحكامها .

هل نحن مقدمون لنشاهد ﴿ **وحبل من الناس** ﴾ يمتد على صورة الأفعى الإسرائيلية ذنبها في (أورشليم) بيت المقدس وهي تمتد لتلتـف في عواصـم العـالم جيمعـاً لتعـود مـرة ثانيـة إلى أورشـليم فتستحكم العقدة وتكون إسرائيل سيدة دول العالم بفضل هذا الحبل من الناس .

لقد تمكنت الأفعى اليهودية من عواصـم أوروبـا وأمريكـا و لم تنفـع صيحـات التحذيـر الـتي أطلقها بعض قادتهم [1] ، وقد مرت بعواصم الدول الشيوعية والآن هي في طريقها إلى جنوب شرق آسيا لتلتف من هناك إلى عواصم دول العالم الإسلامي ومنها العربي .

تاسعاً : يقول الله تعالى موضحاً قسوة قلوبهم وإسـرافهم في حـب الحيـاة والدنيـا بشـهواتها ﴿ **ثـم قسـت قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منـه الأنهـار وإن منها لمـا يشـقق فيخـرج منـه المـاء وإن منهـا لمـا يهبـط مـن خشـية الله ومـا الله بغـافل عمـا تعملون**﴾[2] . ويقول تعالى : ﴿ **ولتجدنّهم أحرص النـاس علـى حيـاة ومـن الذيـن أشـركوا يـود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعلمون** ﴾ [3] .

فاليهود أحرص الناس على مطلق حياة ، وهـم أحرص من الذين أشركوا لأنهم يتمنون مطلق حياة ، فهم لايؤمنون بحياة أخرى فترى الواحد منهم يتمنى أن يطول عمره في هذه الدنيا ألف سنة ،

---

١) انظر : ما قاله الرئيس الأمريكي الأسبق بنيامين فرانكلين : ترأس بنيامين فرانكلين أول اجتماع لمجلس تأسيس للولايات المتحدة الأمريكية بعد استقلالها عام ١٧٧٩م. وألقى خطاباً قال فيه : (إن هؤلاء اليهود يدخلون البلاد بصفة دخلاء مساكين ، وما يلبثون أن يمسكوا بزمام مقدراتها ، ثم يتعالون على أهلها ، ويحرمونهم من خيرات بلادهم ...

إن هؤلاء اليهود هم أبالسة الجحيم ، وخفافيش الليل ، ومصاصو دماء الشعوب ، أيها السادة : أطردوا هذه الطغمة الفاجرة من بلادنا قبل فوات الأوان ، ضماناً لمصلحة الأمة وأجيالها القادمة ، وإلا فإنكم سترون بعد قرن واحد أنهم أخطر مما تفكرون وستجدون أنهم قد سيطروا على الدولة والأمة ، ودمروا ما بنيناه بدمائنا ، وثقوا أنهم لن يرحموا أحفادنا ، بل سيجعلونهم عبيداً في خدمتهم ، بينما هم يقبعون خلف مكاتبهم يتندرون بسرور بالغ بغبائنا ، ويسخرون من جهلنا وغرورنا ....، أيها السادة : ثقوا أنكم إذا لم تتخذوا هذا القرار فوراً فإن الأجيال الأميركية القادمة ستلاحقكم بلعناتها وهي تئن تحت أقدام اليهود ....) أنظر معالم قرآنيه في الصراع مع اليهود ص٢٠٥

٢) سورة البقرة : آية (٧٤)

٣) سورة البقرة : الآية (٩٦)

ولكن تمنيهم هذا لو تحقق لن ينجيهم من عذاب الله جزاء أعمالهم ، ويشير القرآن الكريم إلى أنهم لن يتمنوا الموت أبداً بل هم حريصون على الحياة : ﴿ .. **ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين** ﴾ [1] ، وقوله ﴿ **قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين** ﴾ [2] .

ولحرص اليهود على الحياة احترفوا الوقوع في الخطايا احترافاً ، حتى رانت على قلوبهم فأظلمت وانطمست ، ومن ثم اقتحمت كل ضروب الكفر وتهافتت عليه ، ثم جعلته دينها وديدنها ، وطال الأمد في هذ الضلال فتوارثته أجيالهم ، قال تعالى : ﴿**فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ...** ﴾ [3] ، وقسوة القلوب صفة ملازمة لليهود لأنهم أسرفوا في المادية في بداوتهم وحضارتهم وإلى يومنا هذا ، وقد ساق القرآن الكريم أصدق وصف لنفسياتهم حكاية عنهم يقول تعالى : ﴿ **وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون** ﴾ [4] .

والقلب الأغلف هو المغطى بأغشية ثقيلة بحيث لا يعي ولا يفقه ولا ينفذ إليه شيء إلا ما أُشربه من هواه ، بل يصل القرآن إلى أغوار نفسياتهم الغائرة فيستخرج مكوناتها التي خالطتها أنكى درجات القساوة التي تزيد على الصخور العاتية جموداً وتحجراً فيقول مخاطباً اليهود خطاباً عاماً : ﴿ **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون** ﴾ [5] ، فلم تعد الحكم والعظات والآيات تنفع اليهود لأنهم هبطوا من سمو الروح الإنساني إلى رتبة الجماد بل إلى ما دون ذلك [6] ، وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن مشابهة اليهود حتى لا تكون نهاية المطاف بنا نحن المسلمين كما كان لليهود من قسوة القلوب واستحقاق العذاب ، قال تعالى : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون** ﴾ [7] .

من خلال ما مضى تبين لنا مدى ما وصل إليه اليهود من إيغالهم في المادية ، الذي سبب لهم كفرهم بالله تعالى وتكذيبهم للأنبياء وتحريف كتابهم التوراة وإلحادهم في عقائدهم وإسرافهم في

---

١) سورة البقرة : الآية (٩٥)

٢) سورة الجمعة : الآية (٦-٧) ، انظر : اليهود في القرآن - عفيف طبارة ٥٤

٣) سورة المائدة : الآية (١٣)

٤) سورة البقرة : الآية (٨٨)

٥) سورة البقرة : الآية (٧٤)

٦) انظر : معركة الوجود بين القرآن والتلمود - د. عبدالستار سعيد ، ١٢٢ وما بعدها .

٧) سورة الحديد : الآية (١٦)

جدالهم وتعنتهم على الأنبياء وقتلهم لبعضهم ، وفي مقابل هذا كانت الأنبياء تسوسهم كلما هلك نبي خلفه نبي ولكن نفسية اليهود الشريرة والماكرة الخادعة لم تهدأ ولم تتحلى بالخير والفضيلة ولكنها كانت تبحث عن الشر والرذيلة لتطرق بابها ولذا كان جزاؤهم من جنس صنيعهم ، فإن من سنن الله الطبيعية في هذا الكون أنه يقمع الظالمين إذا طغوا وتكبروا على اتباع الحق الذي نادى به الأنبياء ، وجعلوا بينهم وبين الأنبياء والدعاة حاجزاً عن قبول دعوتهم والانصياع لهذا الذي نادى به الأنبياء ، ولذا عاقب الله تعالى اليهود بالصاعقة والتيه وبالمسخ قردة وخنازير وبالإجلاء عن ديارهم وبقتل بعضهم في زمن نبينا محمد ﷺ [1] .

عاشراً : يقول الله تعالى موضحاً عبادتهم للعجل وبيان طريقة توبتهم : ﴿ **وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم** ﴾ [2] ، هذه صفة توبته على بني إسرائيل من عبادة العجل ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال : إن توبتهم أن يقتل كل واحد منهم من لقي من والد وولد فيقتله بالسيف ولا يبالي من قتل في ذلك الموطن ، وقال ابن عباس أيضاً : أمر موسى عليه السلام قومه عن أمر ربه عز وجل أن يقتلوا أنفسهم ، قال : وأخبر الذين عبدوا العجل فجلسوا وقام الذين لم يعكفوا على العجل فأخذوا الخناجر بأيديهم وأصابتهم ظلمة شديدة فجعل يقتل بعضهم بعضاً فانجلت الظلمة عنهم وقد جلوا عن سبعين ألف قتيل كل من قتل منهم كانت له توبة وكل من بقي كانت له توبة [3] ، قال سفيان بن عينية : التوبة نعمة من الله أنعم بها على هذه الأمة دون غيرها من الأمم وكانت توبة بني إسرائيل القتل ، وقال الزهري : لما أمروا بقتل أنفسهم قاموا صفين وقتل بعضهم بعضاً حتى قيل لهم كفوا ، فكان ذلك شهادة للمقتول وتوبة للحي [4] .

وعن أبي وائل قال : قال عبدالله : كان بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم ذنباً أصبح قد كتب كفارة ذلك الذنب على بابه ، وإذا أصاب البول منه شيئاً قرضه بالمقراض ، فقال رجل : لقد آتى الله بني إسرائيل خيراً ، فقال عبدالله رضي الله عنه ما آتاكم الله خيراً مما آتاهم جعل الماء لكم طهوراً ، وقال

---

١) انظر : أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة ص٤٥٠،وما بعدها بتصرف .

٢) سورة البقرة : الآية (٥٤)

٣) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٩٢/١

٤) الجامع لأحكام القرآن العظيم - القرطبي ٤٠١/١

تعالى : ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ..** ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ **ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما** ﴾ [2] .

الحادي عشر : بقول الله تعالى موضحاً تبجحهم وجرأتهم على الله بتنزيل كتاب مكتوب ورؤية الله سبحانه جهرة ومباشرة : ﴿ **وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون** ﴾ [3] ، وقال : ﴿ **يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا : أرنا الله جهرة فأخذتكم الصاعقة بظلمهم ...** ﴾ [4] .

وهذا السؤال الخطير وهو طلب رؤية الله جهرة جاء من أولئك السبعين الذين اختارهم موسى عليه السلام لميقات ربه [5] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : طلبهم رؤية الله علانية ، وقال الربيع بن أنس : أي عياناً ، وقال أيضاً : وهؤلاء السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام ساروا معه حتى سمعوا كلاماً فقالوا : لن نؤمن حتى نرى الله جهرة ، قال : فسمعوا صوتاً فصعقوا .

وقال السدي : فأخبرهم الموت فقام موسى عليه السلام يبكي ويدعو الله ويقول : رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ، فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل ثم إن الله أحياهم فقاموا وعاشوا رجل رجل ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون [6] .

الثاني عشر : يقول الله تعالى مبيناً العقوبة التي حاقت بهم عندما عصوا أمر ربهم : ﴿ **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** ﴾ [7] ، وقوله : ﴿ **فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم : كونوا قردة خاسئين** ﴾ [8] ، وقوله : ﴿ **قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل** ﴾ [9] .

---

١) سورة آل عمران : الآية (١٣٥)

٢) سورة النساء : الآية (١١٠) ، انظر : تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ١/٥٥٣ ، فتح القدير - الشوكاني ١/١٢٨

٣) سورة البقرة : الآية (٥٥)

٤) سورة النساء : الآية (١٥٣)

٥) في ظلال القرآن - سيد قطب ١/٧٢

٦) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ١/٩٣

٧) سورة البقرة : الآية (٦٥)

٨) سورة الأعراف : الآية (١٦٦)

٩) سورة المائدة : الآية (٦٠)

قال ابن عباس رضي الله عنهما : جعل الله منهم القردة والخنازير ، فشبابهم صاروا قردة ، والشيخة منهم صاروا خنازير ومسخوا قردة ثلاثة أيام إذ لم يعش مسخ فوق ثلاثة أيام ، ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل ، وقال قتادة : صار القوم قردة تعاوي لها أذناب [1] .

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال ﷺ : ﴿ إن الله عز وجل لم يهلك قوماً ، أو يعذب قوماً فيجعل لهم نسلاً ، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك ﴾ [2] .

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : سألنا رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير أهي من نسل اليهود فقال : ﴿ لا إن الله لم يلعن قوماً قط فيمسخهم فكان لهم نسل ولكن هذا خلق كان فلما غضب الله على اليهود فمسخهم جعلهم مثلهم ﴾ [3] .

---

١) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ١/١٠٥

٢) أخرجه مسلم في كتاب القدر باب : بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر ٤/٢٠٥١-٢٠٥٢ رقم ٢٦٦٣

٣) أخرجه أحمد في المسند ١/٣٩٥ رقم ٣٧٤٧ ، وقال أحمد شاكر : إسناده ضعيف ٥/٢٨١ رقم ٣٧٤٧ وأخرجه أيضاً في ١/٣٩٦-٣٩٧ ، وقال أحمد شاكر : إسناده ضعيف ٦/٤١ رقم ٣٩٩٧ وانظر : تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٢/٧٣

القسم الرابع : المنافقون :

تعريف المنافقين :

النفاق في اللغة مأخوذ من النفقة ، والنافقاء : جحر الضب واليربوع ، وقيل موضع يرفقه اليربوع فإذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فخرج ، سمى المنافق منافقاً للنفق وهو السرب في الأرض ، وقيل إنما سمى منافقاً لأنه نافق كاليربوع وهو دخوله نافقاءه يقال : قد نفق به ونافق وله جحر آخر يقال له القاصعاء ، فإذا طلب خرج من القاصعاء فهو يدخل في النافقاءه ويخرج من القاصعاء وبالعكس ، ومنه اشتقاق المنافق في الدين فيقال : هكذا يفعل المنافق يدخل في الإسلام ، ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه ، والنفاق بالكسر فعل المنافق .

والنفاق الدخول في الإسلام من وجه والخروج عنه من وجه آخر مشتق من نافقاء اليربوع ، وقد نافق منافقة ونفاقاً وقد تكرر في الحديث ذكر النفاق وما تصرف منه اسماً وفعلاً وهو اسم اسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به ، وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه وإن كان أصله في اللغة معروفاً ، يقال : نافق ينافق منافقة ونفاقاً ، وهو مآخوذ من النافقاء لا من النفق - وهو السرب الذي يستتر فيه [1] .

ومن هذا نرى أن المنافق هو الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر ، لأنه يلجأ إلى الإسلام إذا وجد فيه مصلحة مادية تعود عليه أو خطراً فيحتمي بالإسلام منه ، فإذا وجد هذا في الكفر عاد إليه وترك الإسلام دون أن يعلن ذلك .

وعرف الإسلام : اليهود والنفاق مقترنين ، ولم يعرف الإسلام المنافقين إلا منذ احتك باليهود بالمدينة .

والنفاق صفة لا تظهر عند قيام دعوة دينية أو مذهبية أو سياسية فحسب ، ولكنه يظهر حتى في الأوضاع العادية التي لا يصطدم فيها الإنسان بشئ جديد يخالف ما آلف من عقيدة أو وضع أو مذهب أو دين .

وتظهر صفة النفاق في الوضع الذي يخاف فيه الشخص من صراع قوتين يكون هو وسطاً فتجذبه هذه وتلك دون أن يملك الشجاعة الكافية للاختيار والانتماء ، ويظهر في الوضع الذي لا يخاف فيه من صراع القوى .

وهذه طبيعة التختل [2] وعدم الوضوح التي تطفو على سطح النفس الإنسانية كلما واجه المنافق عملاً أو شخصاً ولو لم تكن في المواجهة مسئولية الرأي والانتماء أو الاختيار .

---

١) لسان العرب جـ٦ ، ص٤٥٠٨ - انظر : تاج العروس جـ٧ ، ص٧٩- والمعجم الوسيط جـ١ ، ص٣٢٥

٢) التختل : التخادع عن غفلة والخداع - لسان العرب لابن منظور دار صادر جـ ١٩٩/١

وما من شك إذا في أن النفاق طبيعة من طبائع البشر يظهر في مختلف الأوضاع ولكنه يتضح أكثر عند مواجهة وضع غير عادي ، أو غير مألوف ، وضع فكري أو عقائدي أو ثوري ، ويبدو أكثر ما يبدو عندما تكون المجتمعات متخلفة خلقياً أو فكرياً أو عقدياً .

وعندما يكون الشخص متخلفاً نفسياً أو فكرياً أو خلقياً - ثم إنه ينمو عندما تكون البيئة صالحة للنمو في بيئة مثلاً متخلفة فيها كثير من الأمراض النفسية والاجتماعية كل مرض منها يدفع بآخر إلى النماء والعطاء .

فالنفاق إذا لم يكن نتيجة ظهور الإسلام ولا كان من طبيعة النفس العربية (١) فحسب ولكن ظهور الإسلام في بيئة متخلفة إجتماعياً وفكرياً وعقدياً دفع بالنفاق إلى أن يطفو على السطح ليبرز كانحراف متميز في جماعة تميزت به وعرفوا بالمنافقين .

والإسلام هو الذي كشف النفاق وحدد سماته وما يتصل به من أوضاع نفسية .

والقرآن وهو كتاب الله المنزل على الرسول ﷺ ، نزل حجة للعقيدة والعبادة والشريعة والأخلاق .

أراد أن يحاج جميع الفئات التي وقفت في وجهه ، فناقش أهل الكتاب والمشركين في آرائهم وأبطلها ، وكذلك المنافقين .

وقد تناول القرآن المنافقين في كثير من الآيات والسور وهو في ذلك يتناولهم من مختلف الأوضاع النفسية والخلقية والاجتماعية والمصيرية وكان يحاكمهم فيصدر حكمه الصارم عليهم في الدنيا والآخرة ، والهدف من الحكم عليهم ليس هو إصدار حكم ولكن الهدف هو نفيهم من مجتمع يخربونه بنفاقهم لأن الإسلام يعمل في وضوح وفي ثبات ، أما الذين يتختلون أو يتسترون أو يكيدون دون أن يظهروا بوجه واضح في الكيد فيجب أن يفضحوا كما فضح القرآن المنافقين .

وقد أكد القرآن أن النفاق مرض نفسي وعبر عنه أصدق تعبير وأبلغه بأن قال فيهم رب العزة : ﴿ **وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا** ﴾ (١) .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم** ﴾ (٢) .

ومرض القلب لا يكاد يوجد له دواء في عصر اكتشاف الأدوية لكل الأدواء ، ولذلك عبر القرآن الكريم عن النفاق بمرض القلب ، ووصف المنافقين بأنهم مرضى القلب .

---

١) بل إن أول من ظهر فيهم النفاق اليهود فعبدا لله بن أبي ابم سلول هو أصل النفاق وأساسه في الجزيره العربية و لم يكن عربيا بل كان يهوديا نازحا في بلاد العرب .

٢) سورة الأحزاب : الآية (١٢)

٣) سورة الأنفال : الآية (٤٩)

قا ل تعالى : ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا با لله واليوم الآخر وما هـو بمؤمنـين * يخـادعون ا لله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشـعرون * في قلوبهـم مـرض فزادهـم ا لله مرضـا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون** ﴾ [1] .

موقف المنافقين من الإسلام :

نستطيع أن نتعرف على موقف المنافقين من الإسلام من خلال النقاط التالية :

أولاً : عمل المنافقون على إيذاء النبي ﷺ والمؤمنين وهم يحاولون التستر تحت إعلانهـم الإسـلام قـال تعالى : ﴿ **ومنهم الذين يـؤذون النـبي ويقولـون هـو أذن قـل أذن خـير لكـم يؤمـن بـا لله ويؤمـن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول ا لله لهم عذاب أليم** ﴾ [2] .

ثانياً : في غزوتي أحد والأحزاب ظهر جلياً محاولاتهم الخبيثة في ساعة الشدة والخرج عندمـا تعمـدوا الإخلال بتوازن المسلمين لتلحقهم الهزيمة ولكن ا لله سلم قال تعالى : ﴿ **وإذ يقول المنافقون والذيـن في قلوبهم مرض ما وعدنا ا لله ورسوله إلا غرورا * وإذ قالت طائفة منهم يا أهـل يـثرب لا مقـام لكم فارجعوا ويستئذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنـا عـورة ومـا هـي بعـورة إن يريـدون إلا فراراً * ولو دُخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا** ﴾ .

ثالثاً : يعملون دائما على نشر الفساد بين المسلمين وإشاعته والدعوة إليه قال تعـالى : ﴿ **والمنـافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعـروف ويقبضـون أيديهـم نسـوا ا لله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون** ﴾ [3] .

فهم يعملون على إشاعة الفوضى بين المسـلمين والانحـلال الخلقـي والتشـويش علـى الدعـاة يظهر هذا جلياً في حديث الإفك والاستهزاء برسول ا لله ﷺ وبالمؤمنين وبآيات ا لله ،

وقد رصد ا لله هذا كله وأخبرهم به في قوله تعالى : ﴿ **ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخـوض ونلعب قل أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون** ﴾ [4] .

رابعاً : يعمدون لإضعاف الإقتصاد الإسلامي بإثـارة الحـرب الإقتصاديـة ضـد الإسـلام قـال تعـالى : ﴿ **هم الذين يقولون لا تنفقوا على مـن عنـد رسـول ا لله حتـى ينفضـوا و لله خزائـن السـماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون** ﴾ [5] .

---

١) سورة البقرة : الآية (٨-١٠)

٢) سورة التوبة : الآية (٦١)

٣) سورة التوبة : الآية (٦٧)

٤) سورة التوبة : الآية (٦٥)

٥) سورة المنافقين : الآية (٧)

خامساً : يتسترون لاخفاء مصائبهم وانحرافاتهم وراء الحلف قال تعالى : ﴿ **اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون** ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ **يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ...** ﴾ [2] .

سادساً : ويتسترون كذلك وراء مظاهرهم الكاذبة والتي لا تخفى على المؤمنين وراء أحاديثهم المعسولة ، قال تعالى : ﴿ **وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون** ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ **ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام * وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد * وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد** ﴾ [4] .

- ويعملون بهذه المظاهر الخادعة وبألسنتهم الكاذبة للصد عن سبيل الله والتشكيك في شرعه والتحول إلى ما عند غير المسلمين للاحتكام به ويعملون جاهدين على وقف شرع الله ونشر ما عداه قال تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيدا * وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا** ﴾ [5] .

تطور حركة النفاق في المجتمع المدني وتنوع أساليبهم :

ويعد المنافقون من أخطر أعداء الإسلام وهم يحاربونه من أجل القضاء عليه وإذا كان المنافقون في المدينة من بعض العرب واليهود فبعد الفتوحات دخلت أجناس أخرى مثل النصارى وغيرهم الإسلام من أجل القضاء عليه وإعادة ما كانوا عليه من ضلال .

وإذا نظرنا إلى تطور النفاق في المجتمع المدني نجده لم يظهر فجأة واليهود كما أشرت سابقاً هم الذين غرسوه وربوه واعتنوا به في المجتمع المدني لأننا نجد في سورة العنكبوت تحديداً للنفاق في صورة أولية تعريفاً لحقيقته وتقريراً لأن الفتنة لا يمنعها الإيمان قال تعالى : ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا**

---

١) سورة المنافقين : الآية (٢)

٢) سورة التوبة : الآية (٧٤)

٣) سورة المنافقين : الآية (٤)

٤) سورة البقرة : الآية (٢٠٤-٢٠٦)

٥) سورة النساء : الآية (٦٠-٦١)

معكم أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين ﴾ [1] ، وفي الآية زعم الإيمان الفتنة عند الإيذاء في الله والزعم بأنهم مؤمنون وهم مع المؤمنين ، وفي سورة الأنفال يفصح المنافقون عن ما في قلوبهم من كره لرسول الله ﷺ والمؤمنين يؤخذ هذا من قوله تعالى : ﴿ **إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم** ﴾ [2] ، ويصعّد المنافقون موقفهم بالنسبة للدعوة والداعية وتعرض لنا سورة آل عمران نفاقهم وتظاهرهم بالإسلام واتخاذ بعض المظاهر الإسلامية ليختفوا وراءها ولعل مسجد الضرار كان من أجل تجميع المنافقين داخله ليكون قاعدة الإتصال بين أعداء الإسلام من اليهود والنصارى .

أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس في قوله : ﴿ **والذين اتخذوا مسجداً ضراراً ...** ﴾ [3] ، قال : هم أناس من الأنصار ابتنوا مسجداً فقال لهم أبو عامر الراهب : ابنو مسجدكم واستعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتي بجند من الروم فاخرج محمداً وأصحابه [4] .

فاتصال أبو عامر الراهب بالنصارى وانطلاقه من قاعدة النفاق يحدد مدى خطورة المنافقين على المجتمع المسلم وذكر المفسرون أن الذين اتخذوا هذا المسجد كانوا اثنى عشر رجلاً من منافقي الأوس والخزرج وقد بين الله أن الأغراض التي بنوه لأجلها أربعة وهي :

١-إنهم اتخذوه لمضارة المؤمنين أي محاولة إيقاع الضرر بهم وهم أهل مسجد قباء - الذي بناه لهم رسول الله ﷺ حين قدم من مكة مهاجراً وقبل وصوله إلى المدينة - إذ بنوه بجواره مضادة لهم في الإجتماع للصلاة فيه .

٢-الكفر أو تقوية الكفر وتسهيل أعماله من فعل وترك كتمكين المنافقين من ترك الصلاة هنالك مع خفاء ذلك على المؤمنين لعدم اجتماعهم في مسجد واحد والتشاور بينهم في الكيد لرسول الله ﷺ وغير ذلك والكفر يطلق على الإعتقاد والعمل المنافين للإيمان .

٣-التفريق بين المؤمنين الذين هنالك فإنهم كانوا يصلون جميعاً في مسجد قباء وفي ذلك من مقاصد الإسلام الإجتماعية ما فيه وهو التعارف والتآلف والتعاون وجمع الكلمة فعمل المنافقون على تفريق الكلمة وتشتيت الصف .

---

١) سورة العنكبوت : الآية (١١)

٢) سورة الأنفال : الآية (٤٩)

٣) سورة التوبة : آية (١٠٧)

٤) فتح القدير جـ ٢، ص٤٠٤

٤-الإرصاد لمن حارب الله ورسوله من قبل اتخاذ هذا المسجد أي الانتظار والترقب لمن حارب الله ورسوله أن يجيئ محارباً فيجد مكاناً مرصداً له وقوماً راصدين مستعدين للحرب معه وهم هؤلاء المنافقون الذين بنوا هذا المسجد مرصداً لذلك [١] .

فمسجد الضرار بني ليحمل المظهر الإسلامي ويكون قاعدة للتآمر على الإسلام وما اتصال أبو عامر الراهب بالمسجد إلا اتصال أهل الكتاب بالمنافقين من المسلمين للكيد ووضع الخطط من أجل القضاء على الدعوة والداعية .

موقف المنافقين في قطاع منها وخاصة في غزوة أحد ، وسورة الأحزاب تصور لنا عدة مواقف متفرقة للمنافقين .

كما تعالج سورة النساء قضية المنافقين من زاوية جديدة هذه الزاوية تلقى الضوء على موقف المنافقين من أحكام الإسلام ورسول الله ﷺ ، وتحاول أن تفتح لهم باباً للهداية ، نلمس ذلك في قوله الله عز وجل ﴿ **أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغا** ﴾ [٢] .

وتعطي سورة الحشر مفهوماً جديداً لموقفهم من الإسلام وتعاونهم مع يهود بني النضير ومحاولتهم الإغراء بالمسلمين وتثبيت اليهود على موقفهم وفي السورة تأكيد على هزيمة المنافقين وفيها كشف لما يراودهم من خوف من المسلمين وبيان هذا الخوف أشد من خوفهم من الله لذلك حكم الله عليهم أنهم لا يفقهون ولا يعقلون ، وفيها تشبيههم تشبيهاً ساخراً حيث شبههم بالشيطان ، وحكم عليهم بالخلود في النار .

وبعد هذا أنزل سبحانه وتعالى سورة المنافقون ، وهي سورة بكاملها تقريباً يتحدث عليهم لأنها تلخص كل مواقفهم ، وعالجت موقف عبدالله بن أبي بن سلول من رسول الله ﷺ بادعائه بأنه الأعز ، إذ يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل * ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون** ﴾ [٣] .

ومما سبق يتضح أن القرآن الكريم قد حرص كل الحرص على علاج النفاق كخلق والمنافقين كمجتمع يقف في وجه المجتمع المؤمن ، ويقرر أن طبيعة النفاق لا تنتهي من الوجود .لأنها طبيعة

---

١) المنار جـ ١١، ص٣٩

٢) سورة النساء : الآية (٦٣)

٣) سورة المنافقون : الآية (٨)

نفسية أبدية أكثر منها طبيعة تستمد وجودها من المجتمع ، ولكن الهدف من ذلك هو القضاء على الأثر التخريبي الذي كان المنافقون يريدون أن يحدثوه في المجتمع الإسلامي [1] .

وما هذا التتبع الأكيد للنفاق والمنافقين في مختلف الآيات والسور إلا تعبير عن الرغبة في هزيمة المجتمع النفاقي الذي كان يتحدى بشراسة المجتمع الإسلامي .

تعاون المنافقين مع أهل الكتاب :

مثلت قاعدة النفاق في المدينة المنورة خطورة عظيمة على المسلمين ، لأنها وسيلة الإتصال بين أعداء الإسلام خارج المجتمع المسلم وداخله في تنفيذ مؤامرات الأعداء ضد الإسلام فقد اتصل المنافقون بنصارى الروم، وبهذا الإتصال بين المنافقين ونصارى الروم من جانب يكون المنافقون قد عملوا على محاربة الله ورسوله .

واتصل المنافقون باليهود [2] من جانب آخر وبهذا يكون اللقاء بين المنافقين والنصارى واليهود تجمعاً معادياً للإسلام يقوده ويعمل في خدمته أناس تسموا بأسماء إسلامية ولبسوا لباساً إسلامياً وهم في الحقيقة يتسترون وراء هذه الأسماء وتلك الأقنعة ، وقد وضح القرآن الكريم موقفهم تجاه الله والمؤمنين وهو الخداع وعدم الالتزام بأمر الله ورسوله وفضح مخططاتهم وعراهم عن الإيمان لعدم إلتزامهم ، وهم يمثلون هذه القاعدة في كل مجتمع مسلم في كل زمان ومكان لنقل أخبار المسلمين إلى أعدائهم وهذا خطأ عظيم دفع ثمنه المسلمون على مدار التاريخ الإسلامي لأنهم لم يأخذوا من العهد المدني عظة ولا من القرآن منهجاً .

و لم يكن دخول اليهود الإسلام حباً فيه ولكن بغضاً وحقداً وحسداً عليه وغرضهم من وراء دخولهم في الإسلام الدس بين المسلمين لبث دعايتهم وتشكيكهم في الإسلام ورسوله ليتصلوا بضعاف النفوس ليؤثروا عليهم ويكوّنوا منهم قاعدة تجمع ضد الإسلام من داخله وذلك شأن الأعداء في كل عصر وان اتخذت صوراً من النشاط في ذلك العصر يخالف الصورة الأولى . قال ابن اسحاق : وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون بهم فاجتمع يوماً في المسجد منهم ناس فرآهم رسول الله ﷺ يتحدثون بينهم ، خافض أصواتهم قد لصق بعضهم ببعض فأمر بهم رسول الله ﷺ فأُخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً .

---

١) انظر : رسالة (منهج الدعوة الإسلامية في مواجهة المعارضين على ضوء القرآن الكريم) مرجع سابق ص٣٨٥ وما بعدها - بتصرف .

٢) انظر : السيرة النبوية لابن هشام جـ١ . ص٥٢٧

وقام رجل من بني عمرو بن عوف إلى أخيه زوى بن الحارث فأخرجه من المسجد اخراجاً عنيفاً وأفف منه وقال غلب عليك الشيطان بإخراجهم [1] .

وعلى هذا النمط يجب أن يعامل المسلمون المنافقين حينما يسخرون من الإسلام ومن الأخلاق الإسلامية ومن المظاهر الإسلامية حتى يرتدعوا ويكفوا عن الطعن في العبادات الإسلامية كما كان يفعل الرسول ﷺ بهم .

تعاون المنافقين مع المشركين :

عمل المنافقون في المدينة على الاتصال بالمشركين خارجها للإستعانة بهم من أجل إخراج المسلمين من المدينة فاتصلوا بمشركي مكة وألبوهم على الرسول صلى الله عليه وسلم في مواقف كثيرة كما حدث في غزوة أحد والأحزاب والحديبية وقد حفل القرآن الكريم بالحديث عن هذه المواقف في آيات كثيرة منها موقفهم معه صلى الله عليه وسلم عند سفره لعمرة الحديبية والذي صورته سورة الفتح في قوله تعالى : ﴿ **سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً بل كان الله بما تعملون خبيرا * بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بورا** ﴾ [2] .

إنهم ظنوا أن هذه الفرصة إذا تركوا فيها رسول الله ولم يساندوه فسيتمكن المشركون من القضاء عليه صلى الله عليه وسلم ولكن الله خيب آمالهم وجاء الأمر على خلاف ما يظنون وعن تفسير هذه الآية يقول العلامه ابن جرير الطبري : يقول الله تعالى ذكره : لهؤلاء العرب المعتذرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من سفره إليهم (شغلتنا أموالنا وأهلونا) ما تخلفتم خلاف رسول الله حين شخص عنكم وقعدتم عن صحبته من أجل شغلكم بأموالكم وأهليكم بل تخلفتم بعده في منازلكم ، ظناً منكم أن رسول الله ﷺ ومن معه من أصحابه سيهلكون فلا يرجعون إليكم أبداً بإستئصال العدو إياهم فقعدتم عن صحبته (وظننتم ظن السوء) أن الله لن ينصر محمداً ﷺ وأصحابه المؤمنين على أعدائهم وأن العدو سيقهرونهم ويغلبونهم فيقتلونهم [3] .

---

١) المصدر السابق جـ١ ص٥٢٩

٢) سورة الفتح : الآية (١٢-١٣)

٣) جامع البيان جـ٢٦ ص٧٨

وكان لعبد الله بن أُبي موقف غريب وذلك عندما أرسلت قريش إليه قائلة له إن أحببت أن تدخل فتطوف بالبيت فافعل فقال له ابنه عبدالله : أذكرك الله ألا تفضحنا في كل موطن ، تطوف ولم يطف رسول الله فأبى حينئذ وقال لا أطوف حتى يطوف رسول الله [1] .

وعبدالله بن أبي اتخذ أتباعه يسيرون وراءه حيثما سار وقد بدأ ينثر شباكه ليضم أعداء الدين الجديد من اليهود وغيرهم وتحالف سراً مع اليهود كما جمع من استطاع استهواءه من حلفائه وأعدائه السابقين من عربان البدو الضاربين حول المدينة وأثبتت الأيام وجود هذه المحالفات السرية [2] ، خاصة في الحديبية .

وهكذا تعاون المنافقون مع المشركين وأفسحوا مجالات كثيرة للمشركين لينالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن المؤمنين ولكن الله نصر رسوله وأظهر دينه قال تعالى : ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا** ﴾ [3] .

مواجهة الدعوة الإسلامية للمنافقين :

إن وضوح موقف الكافرين وأهل الكتاب من الدعوة الإسلامية يسر عليها إتخاذ المواقف المناسبة ضدهم ، وعدم وضوح موقف المنافقين بالنسبة للمسلمين جعلهم أشد خطراً عليهم وعلى الإسلام من الكافرين وأهل الكتاب ، مما جعل اتخاذ المواقف المناسبة ضدهم أشد صعوبة من غيرهم ، لذلك كان التحليل النفسي للمنافقين في القرآن الكريم من أروع التحليلات النفسية على الإطلاق .

ومن هنا يكون الإسلام قد وضح معالم النفاق وكشف عن طبيعته وبين خطره على المسلمين وعلى الإسلام ، وحذر المسلمين منهم ، وحذرهم من أن يتصفوا بصفة من صفاته حتى لا تكون مدخلاً إلى النفاق الخالص ، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال : ﴿ أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا اؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر ﴾ [4] .

وهذا التحذير دائم لأن المرض وهو النفاق دائم في كل المجتمعات .

ولما بين القرآن الكريم صفات المنافق ، رصد المسلمون حركة النفاق في المدينة ليكشفوا عن حقيقة المنافقين ، وقد ظهرت بوضوح وجلاء في ساعات الشدة ، وفي تعامل المنافقين مع أعداء الإسلام ، وهم يتوهمون أنهم بعيدون عن أنظار المسلمين ولكن الله أخبر رسوله ﷺ بكل حركة

---

١) النفاق والمنافقون : ص١٢٤

٢) المصدر السابق ص٤٠

٣) سورة الفتح : الآية (٢٨)

٤) اللؤلؤ والمرجان ص١٢

من حركاتهم وعمل من أعمالهم ومع ذلك فالطبع يغلب التطبع فهم يعلمون أن الرسول ﷺ ينزل عليه الوحي يخبره بواقعهم ومع هذا يرتكبون الأخطاء و لم يرتجعوا عن نفاقهم مما سبق يتضح لنا أن الإسلام اعتمد في مواجهة المنافقين على ما يلي :

١- توضيح معالم النفاق والكشف عن طبيعة المنافقين .

٢- حذر الله رسوله والمؤمنين من المنافقين كما حذر الرسول ﷺ المؤمنين من النفاق .

٣- رصد المسلمون حركة المنافقين وأحوالهم داخل المجتمع المدني .

٤- فضح مخططاتهم والكشف عن أساليبهم للمسلمين وإذاعتها بين الناس وهذا مأخوذ من واقع النصوص القرآنية .

التعامل مع المنافقين وكيفية مواجهتهم :

إن التعامل مع المنافقين أصعب من التعامل مع الأصناف الأخرى من الكفار الذين تحدثنا عنهم ذلك أنهم أظهروا ما يمنع من مقاتلتهم وأبطنوا جميع أنواع الشر والحقد والكراهية ضد الإسلام والمسلمين ، ولكن الرسول ﷺ كانت له سيرته معهم رسم لنا بها خطة واضحة في معاملتهم من خلال المرحلة المدنية كلها التي نشأ فيها داء النفاق كما جاء ذلك في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ مما يوجب على المسلمين في مختلف العصور أن يأخذوا حذرهم من هذا الصنف الذي فضحه الله تعالى وأن يتجنبوه ويبعدوه عن دائرة المسلمين ، وقد أجمل ابن القيم رحمه الله سيرة الرسول ﷺ مع المنافقين فقال : (وأما سيرته في المنافقين ، فإنه أُمِرَ أن يقبل منهم علانيتهم ، ويكل سرائرهم إلى الله وأن يجاهدهم بالعلم والحجة ، وأمره أن يُعرض عنهم ويغلظ عليهم ، وأن يبلغ بالقول البليغ إلى نفوسهم ، ونهاه أن يصلي عليهم وأن يقوم على قبورهم ، وأخبر أنه إن استغفر لهم ، فلن يغفر الله لهم)[1].

وسنبسط القول في التعامل مع المنافقين من خلال النقاط التالية :

١- الأمر بمجاهدتهم .

٢- أخذ الحذر والحيطة .

٣- اقصاؤهم عن أمور الإسلام والمسلمين .

٤- عدم الاستعانة بهم .

٥- موقف المؤمنين من المنافقين وكيفية دعوتهم .

١- الأمر بمجاهدتهم :

جاء الأمر بجهاد المنافقين تصريحاً في سورة التحريم في قوله تعالى : ﴿ **يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير** ﴾ [2] ، وورد تلميحاً في مواضع كثيره من سورة التوبة قال تعالى : ﴿ **والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلى الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون** ﴾ [3] .

---

١) زاد المعاد ١٦١/٣ - ابن القيم الجوزية ، تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة مكتبة المنار الإسلامية ط١٤ سنة ١٩٨٦م

٢) سورة التحريم : الآية (٩)

٣) سورة التوبة : الآية (١٧٠)

فكان على المسلمين مقابل هذا محاربة المنافقين ولهذا فإن رسول الله ﷺ أمر بإحراق المسجد وهدمه وقام بعض الصحابة بتنفيذ أمر رسول الله ﷺ فأحرقوه وقمعوا فتنة النفاق التي حبكها المنافقون عن طريق بناء المساجد ولكن الرسول ﷺ لم يقاتل المنافقين ولم يأمر بقتلهم بل كان يجاهدهم بالحجة والبيان وكشف أستارهم ، وكان كلما حدث منهم حادث أنزل الله فيه قرآناً يبين شرهم ونفاقهم ويفضحهم ويبقى قرآناً يتلى إلى يوم القيامة ، وما ذاك إلا لوضوح شرهم وحقدهم وكراهتهم للإسلام والمسلمين ، فأراح الله عباده في ذكر أو صافهم في كل كبيرة وصغيرة حتى لكأنما تشير إليهم الآيات وتحددهم تماماً .

٢- أخذ الحيطة والحذر :

كل وصف جاء في كتاب الله أو على لسان رسول الله ﷺ عن المنافقين كان لفضحهم ليحذر المؤمنون منهم وليتقوا شرهم ، لأن المنافقين لا يزالون يؤذون المؤمنين ويتربصون بهم الدوائر قال تعالى : ﴿ **يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنا يؤفكون** ﴾ [1] ، ففي الغزوات كان المنافقون يريدون الوقيعة بالمسلمين وخذلانهم في أحلك الظروف وأشد الساعات ، وفي تناقل الأخبار كان المنافقون يطيرون فرحاً بما يصيب المسلمين ، ثم يصنعون الكذب والإفك ، كما فعلوا في إشاعة حديث الإفك واتهام الرسول ﷺ بأهله فكان المسلمون يحذرون منهم كل الحذر ... وعلى المسلمين اليوم أن يحذروا أكثر منهم بالأمس وذاك لما حل بالمسلمين اليوم من ضعف وهوان ولكثرة المنافقين في هذا الزمان الذي أصبح فيه معظم المعروف منكراً وأكثر المنكر معروفاً وراجت فيه تجارة الكذب والنفاق واختلفت فيه موازين الحياة فرفع الوضيع وخفض الشريف ووسد الأمر إلى غير أهله .

٣- اقصاء المنافقين عن أمور الإسلام والمسلمين :

لم يثبت في سيرة الرسول ﷺ وأصحابه أن تولي منافق أمراً من أمور المسلمين وذلك لقوة الإيمان عند المسلمين فكانوا كالجسد الواحد وكالبنيان المرصوص فلم يسمحوا لمنافق في دخول هذا الصف بل أخوف ما كانوا يخافونه على أنفسهم هو النفاق فكيف يسمحون لمنافق بأن يهز بنيانهم ؟ ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستحلف حذيفة أمين سر النبي ﷺ ويقول له هل عدني رسول الله من المنافقين ؟ قال : لا ولا أزكي بعدك أحداً ، فلما كان عند المسلمين هذا الخوف الشديد من النفاق وهذا التماسك لم يكن للمنافقين مدخل في صف المسلمين ، وكيف يدخلون وهم حرب على الإسلام والمسلمين وهم خارج الصف فكيف بهم لو تسللوا إلى داخل الصف ؟ إنهم سيهلكون

---

١) سورة المنافقون : آية (٤)

الحرث والنسل ويذلون المسلمين ويحرقون راية الإسلام ، ولهذا عندما كان المسلمون مسلمين ويعلمون حقيقة النفاق والمنافقين لم يجعلوا لمنافق عليهم ولاية ولا قضاء ، ولا إمارة ولا أمانة ، بل كانت القاعدة عند المسلمين هي تخوين المنافقين في كل كبيرة وصغيرة فأبعدوا عن شؤون الإسلام والمسلمين .

والصورة اليوم تخالف صورة الأمس ، فقد ضعف بنيان المسلمين لضعف العقيدة السليمة في نفوسهم واتباعهم مذاهب وطرق شتى ذات مشارب معكرة ، فانهار بنيانهم وتخلخلت صفوفهم وتعطلت الموازين واختلت جوانب الحياة ، فتسلق المنافقون والذين في قلوبهم مرض مراكز التوجيه ، وكثير ممن تربى على المذاهب الهدامة التي صنعها اليهود والنصارى شياطين المنافقين في كل زمان ومكان وأصبحوا هم الفاهمين والمتقدمين ، في ساحة أظلمت بفقدان نور السماء في واقع الحياة ، فأخذوا ما بين هذه الأمة إلى الهاوية بجلبهم لها تعاليم اليهود والنصارى شياطينهم فرحين بمظاهر الفساد والإنحلال ومساوئ الأخلاق ، يزفونها إلى بلاد المسلمين باسم التجديد وباسم الرقي والتقدم ، رامين تعاليم الإسلام وشعائره بالشدة والقسوة والرجعية والتطرف والتحجر والتخلف إلى غير ذلك من مصطلحات كثيرة متجددة اخترعتها لهم الماسونية والصليبية والصهيونية وللأسف الشديد فإن كثيراً من أبناء الأمة الإسلامية ومن ينتسبون إلى العلم والفكر قد وقع في الشرك وبدأ يردد ما طاب له من المصطلحات الشيطانية وهو يحسب أنه يحسن صنعا ...

٤- عدم الاستعانة بهم :

لقد حصحص الحق فظهرت صورتهم ومكرهم وخداعهم ، فلم يستعن بهم رسول الله ﷺ في شؤون الإسلام والمسلمين لأنهم يخربون أكثر مما يخربه العدو البارز وكيف يكونون عوناً والله سبحانه وتعالى يقول فيهم ﴿ **لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين** ﴾ [١] ؟ وقال تعالى : ﴿ **فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين** ﴾ [٢] ، وكيف يستعين بهم ﷺ وقد ثبتت خيانتهم والمؤمن لا يلدغ من جحر واحد مرتين ، والمؤمن كيس فطن * ولهذا فلم ينسوا عدواتهم للمؤمنين ولا في لحظة واحدة ، ولم تفتهم فرصة يستطيعون فيها إيذاء المسلمين وقصروا فيها بل أرادوا أن يستطير شرهم إلى غيرهم ليتبعهم على هذا المنوال الأليم ، والله سبحانه وتعالى كره أنبعاثهم مع المؤمنين وقد أغنى الله عباده الصالحين بالخير والنصر ، وكلما سلمت صفوف المسلمين من المنافقين كانت مؤهلة

---

١) سورة التوبة : الآية (٤٧)

٢) سورة التوبة : الآية (٨٣)

للنصر بإذن الله تعالى فالله أبعدهم وكرههم فعلينا أن نبعدهم ونكرههم وأن تنقي صفوف المسلمين من المنافقين وأن يبتعدوا عن شؤون المسلمين وألا يكون لأحد منهم وصاية على مسلم [1] .

٥- موقف المؤمنين من المنافقين وكيفية دعوتهم :

إن خير من دعاهم إلى الله تعالى بالأساليب والوسائل والمناهج المختلفة هو الرسول ﷺ ، ولقد وقف معهم مواقف لا يقفها غيره عليه الصلاة والسلام منها :

١- لجأ الرسول صلوات الله عليه إلى سياسة معاملة المنافقين بحسب ظاهرهم فلم يحاكم أحداً منهم بحسب باطنه ، وهذا هو واجب الحكم والقضاء الشرعي .

٢- لجأ الرسول أيضاً إلى سياسة العفو عما يبدو منهم مما يدل على نفاقهم ، ما داموا يستخفون بعداوتهم لله ورسوله والمؤمنين ، ويقدمون اعتذارهم عما يبدو منهم ، أو يحلفون الأيمان الكاذبة على إنكار ما نسب إليهم ، ، أو على سلامة نيتهم ، وآثر الرسول ﷺ أن يلجأ إلى هذه السياسة لئلا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ومن أسلم معه ، فيكون ذلك سبباً في نفرتهم عن الدخول في الإسلام ، وهم ما زالوا بالنسبة إلى هذا الدين بين الشك واليقين [2] .

٣- كان يشعرهم الرسول ﷺ أن إغضاءه عنهم - هو إغضاء الكريم الذكي الفطن لا إغضاء الغفلة والبلادة ، فكان أحياناً يغمزهم بما يكشف أمرهم .

فكلامهم غير كلام المؤمنين الصرحاء ﴿ **فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول**﴾[3] وأحوالهم غير أحوال المؤمنين المطيعين : ﴿ **ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة** ﴾ [4] ، ولكنهم لم يبدوا شيئاً كما أعد غيرهم ، فكان من علامة المنافقين عدم اهتمامهم بالإستعداد للقتال ، اكتفاء بعذر كاذب ، يعتذرون به للرسول ﷺ ، بل كان الاعتذار نفسه من جملة صفاتهم المميزة لهم : ﴿ **إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون**﴾[5].

---

١) انظر : بحث (علاقة المسلمين بغيرهم) ص١٦ وما بعدها - بتصرف .

٢) انظر الأخلاق الإسلامية جـ١ ، ٦١٥

٣) سورة محمد : الآية (٣٠)

٤) سورة التوبة : الآية (٤٦)

٥) سورة التوبة : الآية (٤٥)

٤- وصف ما هم عليه من الجبن ، وتفاهة القدر : ﴿ **وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف** ﴾ [١] أي النساء .

﴿ **فإذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم * طاعة وقول معروف** ﴾ [٢] .

وكل منصف يرى أن اكتفاء القرآن بوصف حقيقتهم هو أعدل المواقف ولك أن تقدر ما كان يحل بهؤلاء الخونة المستترين لو أنهم كانوا في دعوة من الدعوات الحديثة ، لترى السماحة التي قوبلت بها جرائم هؤلاء .

فطبيعة الموقف في هذه الجبهة أن المنافقين كانوا يجهدون لإضعاف الروح المعنوية في الجيش الإسلامي ، ويعملون لشق جماعتهم ويحاولون الغض من جلال الرسالة ليهون شأنها في قلوب الناس ، ويتصلون سراً بأعداء الإسلام في الداخل والخارج للقضاء عليه ، أما الرسول ﷺ :

١- فكان يقبل منهم ظاهر أمرهم ويترك إلى الله سرهم .

٢- ويشفق عليهم من إثم ما هم فيه .

٣- ويكتفي بأن يشعرهم بفطنته التي لا يروج لديها نفاقهم .

٤- ولا يوقع بهم من الآذى أكثر من وصف مجموعتهم بالجبن وتفاهة القدر دون أن يتعرض لأشخاصهم بشئ [٣] .

ولكن لما تصاعدت أعمال المنافقين الدالة على نفاقهم ، إذ طالت عليهم مدة الانتظار وإذ أخذ اليأس من تقهقر الإسلام يدب إلى قلوبهم ، وإذا رأوا بوادر الانطلاق إلى دق أبواب الإمبراطورية الرومانية ، عندئذ أخذت الحملة الإعلامية القرآنية تتكثف ضدهم بقدر تصاعد ظواهر نفاقهم .

فلدي تتبع الحملة القرآنية العنيفة ضد الذين تخلفوا من المنافقين فلم يخرجوا مع الرسول ﷺ في غزوة تبوك ، نلاحظ أنها بمثابة مقدمات لإعلان الحرب المسلحة ضدهم ، وبمثابة التمهيد لتغيير سياسة التغاضي عنهم وعن أعمالهم ، فالمسلمون قد غدوا قوة مؤهلة لحمل الإسلام إلى شعوب الأرض ، وكسر أسوار الامبراطورية الكبرى ، والوقت لم يعد وقت مداراة المنافقين المعوقين من

---

١) سورة التوبة : الآية (٨٦)

٢) سورة محمد : الآية (٢٠-٢١)

٣) انظر : تذكرة الدعاة - البهي الخولي ص٣٢١،٣٢٧ بتصرف والدعوة إلى الإسلام ووسائلها ، سليمان الدبشة ص٣٩٧

داخل الصفوف ، وقد آن أوان محاسبتهم على نفاقهم ومجاهدتهم مثل جهاد الكافرين المجاهرين بكفرهم .

ولئن كانت المدة الأولى تقتضي غض النظر عنهم ، ريثما يقوى المسلمون وتشتد شوكتهم ، ورجاء أن يستقيم بعضهم ويتوب من نفاقه ، فإن المسلمين بعد أن أصبحت لهم قوة تفكر بغزو الروم صاروا بغنى عن مداراة منافقيهم ، وغدت المصلحة الإسلامية تقضي بالمحاسبة الشديدة على كل مظاهر النفاق وتمييز المنافقين عن المسلمين ، ومحاربتهم ومجاهدتهم كالكافرين الصرحاء .

أما وقد صعّد المنافقون أعمالهم العدائية للإسلام والمسلمين فإن الحكمة اقتضت إنذارهم أولاً بأنهم إن لم ينتهوا فسيتم إعلان الحرب ضدهم وإغراء الرسول بقتالهم ، وكان ذلك عقب غزوة الأحزاب ، ثم لما لم يردعهم الإنذار بالوعيد ، فإن الحكمة اقتضت تنجيز إعلان الحرب عليهم ، وأمر الرسول بمجاهدتهم ، وكان ذلك عقب تخلف من تخلف منهم عن غزوة تبوك ، والأعمال التي كانت منهم في تلك الآونة [1] .

أما الإنذار بأنهم إن لم ينتهوا فسيتم إعلان الحرب ضدهم وإغراء الرسول بقتالهم فإننا نجده في قول الله تعالى في سورة الأحزاب :﴿ **لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً * معلونين أينما ثقفوا أُخذوا وقتلوا تقتيلا * سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا** ﴾ [2] .

فخاطب الله رسوله في هذا النص ، بأنه إن لم ينته المنافقون عن أعمالهم الدالة على نفاقهم ، والتي تعبر في سلوكهم عن كفرهم الكمين في قلوبهم ، لنغرينك بهم أي : لنحرضنك على مقاتلتهم ومطاردتهم وإجلائهم ، وذلك على سبيل إغرائك بالانتقام منهم ، على ما كان منهم من إيذاء لك مخالفة ، ومناهضة مقنعة للإسلام والمسلمين .

﴿ **ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً** ﴾ ، أي ثم لا يجاورونك في المدينة إلا قليلاً ، وهذا بمثابة نتيجة طبيعية للتحريض على مقاتلتهم ، ونبذهم من صفوف المجتمع الإسلامي الذي ينافقون له.

وقد أكد الله معنى طردهم من صفوف المسلمين بإعلان طردهم من رحمته سبحانه وتعالى : فقال تعالى : ﴿ **ملعونين** ﴾ منصوب على الحال : أي : لا يجاورونك إلا وهم ملعونون [3] ثم قال تعالى : ﴿ **إينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا** ﴾ أي : حينما يغري الله رسوله والمؤمنين بمقاتلتهم ، فيعاملهم معاملة الأعداء الذين يجاهرون بعداوتهم ، فسيكون الانتقام منهم أقسى وأشد نكاية من

---

١) الأخلاق الإسلامية جـ١ ، ص٦١٥ وما بعدها

٢) سورة الأحزاب : الآية (٦٠-٦٢)

٣) انظر : زاد المسيرة في علم التفسير جـ٦ ، ص٤٢٣

الكافرين الصرحاء ، فأينما وجدوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً عنيفاً ، فلا تقبل منهم بعدئذ توبة ، لأنهم قد امتحنوا فأظهروا أنهم كذابون ، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم .

وختم الله هذا الإنذار بقوله : ﴿ **سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا**﴾ للدلالة على أن من سنن الله الحكيمة التي لا تبديل لها ، أنه متى بلغ المنافقون من أية أمة من الأمم مبلغاً من الكيد للرسالة الربانية ، صار فيه بقاؤهم بين صفوف المؤمنين خطراً على سير الدعوة وانتشارها ، أو معوقاً ظاهراً لتقدمها ، فإن الله ينزل أمره لرسله بمقاتلتهم ، وبمطاردتهم حتى القضاء عليهم واستئصال شأفتهم ، وذلك لأن خطرهم حينئذ يكون أشد من خطر الكافرين المجاهرين بعداوتهم ، ولكن ما دام نفاقهم لم يصل إلى هذه الدرجة من الخطورة فإن من سنة الله تبارك وتعالى أن لا يأذن لرسله بمقاتلتهم مقاتلة جماعية تستأصلهم ، حتى لا يأخذ الناس بعضهم بعضاً بالظنة [1].

وأما تنجيز إعلان الحرب عليهم وأمر الرسول بمجاهدتهم عقب تخلف من تخلف منهم عن غزوة تبوك ، والأعمال التي كانت منهم في تلك الآونة ، فنجده في قول الله تعالى في سورة التوبة : ﴿ **يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير** ﴾ [2] .

فدعا الله رسوله في هذه الآية إلى مجاهدة الكفار والمنافقين والإغلاظ عليهم ، فدل هذا على أن المنافقين قد وصلوا إلى حالة انكشف فيها نفاقهم تماماً بتصاعد الأعمال الدالة عليه منهم ، فكان ذلك مقتضياً أن يعاملوا معاملة الكافرين الصرحاء .

ولو أنهم لم يكشفوا صفحتهم بما يدل على كفرهم من أعمال ، لما دعا الله رسوله إلى مجاهدتهم والإغلاظ عليهم ، لأن أحكام شريعته المستمرة تقضي بأن لا تحاسب القيادة الإسلامية الناس على ما في قلوبهم ، حتى يظهر في أعمالهم ما يدل عليها دلالة واضحة ، وأمر المحاسبة على ما في القلوب متروك لله جل وعلا .

قال ابن كثير [3] : أمر الله تعالى رسوله ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم ، كما أمره أن يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين ، وأخبره أن مصير الكفار والمنافقين إلى النار في الدار الآخرة ، وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال : بُعث رسول الله ﷺ بأربعة أسياف : سيف للمشركين ﴿ **فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين** ﴾ ، وسيف للكفار وأهل الكتاب : ﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون** ﴾ ، وسيف للمنافقين :

---

١) تفسير ابن كثير جـ٥/٦١٧ والأخلاق الإسلامية ص٦١٧

٢) سورة التوبة : الآية (٧٣)

٣) تفسير ابن كثير جـ٣/٤٢٣ ، وانظر : الأساس في التفسير - سعيد سوي جـ٤/٢٣٢٩

﴿ **جاهد الكفار والمنافقين** ﴾ ، وسيف للبغاة ﴿ **فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله** ﴾ ، وهـذا يقتضي أنهم يجاهدون بالسيوف إذا أظهروا النفـاق ، وقـال ابـن مسـعود في قولـه تعـالى : ﴿ **جـاهد الكفار والمنافقين** ﴾ قال : بيده ، فإن لم يستطع فليكفهـر في وجهـه ، وقـال ابـن عبـاس : أمـره الله تعالى بجهاد الكفار بالسيف ، والمنافقين باللسان وأذهب الرفق عنهم ، وقال الضحاك : جاهد الكفار بالسيف وأغلظ على المنافقين بالكلام وهو مجاهدتهم ، وعن مقاتل والربيع مثله ، وقال الحسن وقتادة ومجاهد : مجاهدتهم إقامة الحدود عليهـم ، وقـد يقـال : إنـه لا منافـاة بـين هـذه الأقـوال لأنـه تـارة يؤاخذهم بهذا وتارة بهذا ، بحسب الأحوال ، لاحظنا قوله رحمه الله (وهذا يقتضي أنهم يجـاهدون بالسيف إذا أظهروا النفاق) وقد أظهر المنافقون النفاق في عصرنا وأصبحت لهم الشوكة والسلطان ، وكل يوم يأتي يزداد الأمر شدة ، والمسلمون متقاعسون عن القتال ، متراخون عنه ، يتهيبون في ذات الله ، خوفاً من لسان كافر أو منافق ، فأين منهم قوله تعالى : ﴿ **يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم** ﴾ .

قال سيد قطب رحمه الله [1] : (لقد لاين الرسول ﷺ المنافقين كثيراً ، وأغضى عنهم كثيراً ، وصفح عنهم كثيراً ، فها هو ذا يبلغ غايته ، وتبلغ السماحة أجلها ، ويأمره ربه معهم خطة جديدة ، ويلحقهم بالكافرين في النص ، ويكلفه جهاد هؤلاء وهؤلاء جهاداً عنيفـاً غليظـاً لا رحمـة فيـه ولا هوادة .

إن للين مواضعه وللشدة مواضعها فإذا انتهى أمد اللـين فلتكـن الشـدة ، وإذا انقضـى عهـد المصابرين فليكن الحسم القاطع ، وللحركة مقتضياتها ، وللمنهج مراحله ، واللين في بعـض الأحيـان قد يؤدي والمطاولة قد تضر) .

وقد أخذ التمهيد للدعوة إلى مجاهدة المنافقين يبرز في شن الحملة الإعلاميـة ضدهـم ، بذكـر مواقفهم ، وفضح أعمالهم التي كانوا يتوارون بها .

وأتبع الله دعوة الرسول إلى مجاهدتهم ببيان الأسباب الداعيـة إلى ذلـك ، فذكـر طائفـة مـن أعمالهم الكاشفة لنفاقهم وكفرهم ، في تسع آيات من سورة (التوبة) عقب الآية السابقة .

ثم كلف الله رسوله أن يباشر تنفيذ خطة عزل للمنافقين عقب عودته إلى المدينـة مـن غـزوة تبوك سالماً :

* **الخطة الأولى** : عزل من تخلف منهم عن الغزوة عزلاً عسـكرياً وطردهـم مـن مكـان الإعتبـار بـين صفوف المسلمين ، وذلك بمنعهم عن الخروج إلى القتال مع الرسول ﷺ وبشطب أسمائهم من ديـوان المجاهدين .

---

١) في ظلال القرآن – سيد قطب م٣ ، ص١٦٧٧

* **الخطة الثانية** : عزل موتاهم من سجل موتى المسلمين ، وذلك بأن لا يصلي الرسول ﷺ على أحد منهم مات أبداً ، وبأن لا يقوم على قبره للدعاء له فالإستغفار لهم لا يفيدهم .

أما العزل العسكري فقد أمر الله رسوله به في قوله في سورة التوبة : ﴿ **فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستئذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين** ﴾ [1] .

ففي هذا إعلان عزلهم عن المشاركة في أي قتال يقوم به الرسول ﷺ ، وفي هذا العزل إبعاد لهم عن بعض مواقع المسلمين ، وفيه تمهيد لتمييزهم بالمراقبة ، ثم لتوجيه الضربة القاصمة لظهورهم متى لزم الأمر .

وأما عزل موتاهم من سجل موتى المسلمين ، الذي هو أشد قسوة على المنافقين من العزل العسكري ، وأبلغ في طردهم من صفوف المؤمنين ، فقد أمر الله رسوله به في قوله له في سورة التوبة : ﴿ **ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون** ﴾ [2] .

وظاهر في هذا الإعلان طردهم النهائي من صفوف المسلمين ، بعد الذي كان منهم .

وهكذا تم عزل المتخلفين عن الجهاد من المنافقين عزلاً عسكرياً ، وتم شطب أسمائهم من ديوان المجاهدين ثم أتبع ذلك عزل موتاهم عن سجل موتى المسلمين ، بنهي الرسول ﷺ عن الصلاة على أحد منهم مات أبداً ، أو أن يقوم على قبره للدفن أو الدعاء ، والسبب في ذلك أنهم كفروا بالله ورسوله ، وماتوا وهم فاسقون .

ثم قنط الله رسوله من رجاء إصلاحهم بعد أن مردوا على النفاق ، فقال في الآية التالية من سورة التوبة : ﴿ **ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون** ﴾ [3] .

وذلك أنه ربما يقوم في نفس الرسول ﷺ أمل بأن يصلح هؤلاء المنافقون ، رغم التجارب العديدة التي اكتوى بها منهم ، وبذلك تتوجه قوتهم في المال والرجال فتكون عوناً صحيحاً للإسلام والمسلمين ، ولكن الله قد علم من حولهم أنهم قوم مردوا على النفاق ، وأنه لا رجاء من صلاح أحوالهم ، فقنط رسوله منهم ، وقال له : ﴿ **ولا تعجبك أموالهم وأولادهم** ﴾ [4] .

---

١) سورة التوبة : الآية (٨٣)

٢) سورة التوبة : الآية (٨٤)

٣) سورة التوبة : الآية (٨٥)

٤) انظر : الأخلاق الإسلامية جـ١ ، ص٦١٨

ثم تتابعت الآيات في سورة التوبة تبين أسباب وضع المنافقين في هذا الموضع الذي غدوا فيه معزولين ، يترقبون أن يجاهدهم الرسول كما يجاهد الكافرين المجاهرين بكفرهم ، وما يعين على فهم ما ورد في القرآن الكريم خاصاً بهذه الناحية وهو - طبعاً - في السور المدنية ، ولا سيما في سورة البقرة ، وسورة النساء ، والتوبة ، الأحزاب ، محمد والمنافقون .

* **وإليك بعض النماذج من الآيات :**

١- حركة النفاق التي بدأت بدخول الإسلام المدينة قد كان لها أثر واضح في توجيه الأحداث التاريخية ، فإنها اتخذت مظاهر مختلفة وأشكالاً متعددة منذ الهجرة النبوية حتى لحق عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى ، فكان لزاماً أن يثير القرآن في كثير من سوره وآياته حملة عنيفة على هذه الحركة وعلى دسائس المنافقين وأراجيفهم ، حتى نزلت فيهم سورة تحمل اسمهم الخاص ، فدل اسمها على مسماها ، وعنوانها على محتواها وجاء في تلك السورة آيات رسمت للمنافقين أخزى صورة ، وصفتهم بالبلادة والجمود ، ونصبتهم تماثيل صامتة وخشباً مسندة بجوانب الجدران لا تبدي حراكاً ، وجعلتهم أشد توجساً وجبناً وفزعاً من الفئران كلما هجس صوت ، أو علت صيحة ، أو تحرك شيء ، برغم ظاهرهم الخداع وأجسامهم الطوال العراض التي تسر الناظرين ، وإليك الأصباغ الحية ، والملامح الشاخصة ، في آية واحدة من تلك الآيات المعجزة الفريدة : ﴿ **وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى تؤفكون** ﴾ [1] .

فهم يتصنعون الظواهر التي تخدع الأنظار حتى تظن فيهم خيراً ، ويعتنون بتحسين أجسامهم وتزيين أعمالهم مما يكسبهم وجاهة ومكانة بين الناس ، فلا تدل أجسامهم ولا مظاهرهم على أنهم منافقون أخباث .

وإن يقولوا تسمع لقولهم ، لأن لديهم القدرة على تنميق أقوالهم وتزيينها ، فهم إذا تحدثوا استمالوا سامعيهم وأثروا فيهم ، وقد كان زعيم منافقي المدينة عبدالله بن أبي بن سلول رجلاً جسيماً فصيحاً .

ويتبين من تلك الآيات أيضاً أنهم إذا حضروا مجالس العلم والموعظة والتذكير بالله حضروا بأجسامهم فقط ، وعقولهم وقلوبهم في أودية أهوائهم وشهواتهم وأغراض دنياهم ، فكأنهم في هذه المجالس الإسلامية الربانية خشب مسندة .

فكانوا إذا حضروا مجالس الرسول العامة حضروا بأجسامهم فقط ، لكنهم بأفكارهم وقلوبهم غائبون ، لا يفقهون مما يقول الرسول شيئاً ، فحضورهم في هذه المجالس كحضور أعمدة من الخشب مسندة على الجدر حتى لا تسقط ، فهي لا تفقه ولا تعي شيئاً مما يجري حولها ، ولذلك كانوا يقولون إذا خرجوا من مجلس الرسول : ﴿ ماذا قال آنفاً ؟ ﴾ قال الله تعالى في سورة (محمد)

---

١) سورة المنافقون : الآية (٤) ، وانظر : معالم الشريعة الإسلامية - صبحي الصالح ص٢٧٦

: ﴿ **ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال ءانفاً أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم** ﴾ [1] .

وجاء في تلك الآيات أنهم في حالة مستمرة من الذعر والقلق والخوف من انكشاف خياناتهم ، وفي حالة تخوف دائم من أن ينكشف كفرهم فيصدر النداء لقتالهم والنكاية بهم ، لذلك فهم يحسبون كل صيحة مسلطة عليهم .

ففي قول الله : ﴿ **يحسبون كل صيحة عليهم** ﴾ تعبير بارع ورائع عن حالة الذعر والقلق التي تلازم قلوبهم ، إنهم يتحيرون ويترددون ويضطربون وهم يسيرون في طريق الخيانة والمخادعة ، والخائن المخادع من شأنه أن يستولي عليه الذعر والقلق ، فهو على طول طريق الخيانة جبان رعديد حذر من كل شئ ، إنه يخشى ظله إذا اتبعه ، ويخشى الطائر إذ نفر منه ، وربما علق ثوبه بعود شجرة فظن أن الطلب قد أدركه ، ويحسب كل صيحة يسمعها أنها تنادي بالقبض عليه ، لمحاسبته ومعاقبته على خيانته التي يسير في طريقها ظالماً آثماً .

ولا بد أن تكون عداوة هؤلاء الخائنين الخائفين أشد من عداوة الكافرين المجاهرين بكفرهم وبعداوتهم ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿ **هم العدو فاحذرهم** ﴾ أي : هم البالغون بعداوتهم الدرجة القصوى ، وهم الذين تجب المبالغة في الحذر منهم ، بترقب كل حركة من حركاتهم ، ومراقبة كل تصرف من تصرفاتهم ، قاتلهم الله وأخزاهم وأفشل خططهم .

أنى يؤفكون ؟ أي : كيف يصرفون عن طريق الحق ، طريق الهداية والرشاد ، فيسلكون سبل الكفر والضلال ، سبل النفاق والخيانة والمخادعة ؟ [2] .

٢- ومن الظواهر السلوكية الدالة على نفاق المنافقين تركهم التحاكم إلى الله والرسول ، وتحاكمهم إلى الطاغوت ، طمعاً بأن يكون حكم الطاغوت لمصلحتهم ، وقد دل على هذه الظاهرة من ظواهرهم قول الله تعالى في سورة (النساء) : ﴿ **ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم ءامنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً * وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا * فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً * أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً** ﴾ [3] .

---

١) سورة محمد : الآية (١٦)

٢) انظر : الأخلاق الإسلامية - حبنكة جـ١ ، ص٥٧٤ بتصرف بسيط

٣) سورة النساء : الآية (٦٠-٦٣)

إن التحاكم إلى غير حكم الله والرسول مع وجود حكم الله أو حكم رسوله تحاكم إلى الطاغوت ، والمسلم منذ أن يعلن إسلامه يعطي عهداً بقبول أحكام الله وأحكام الرسول مهما كانت مخالفة لأهوائه الخاصة ، وما دام المنافق غير مؤمن إيماناً صادقاً فإنه لا يجد في نفسه دافعاً لالتزام أحكام الله والرسول ، فلا بد أن يميل إلى التحاكم إلى غير أحكام الله حينما يرى أنها قد تكون أرضى لهواه [1] .

فمن أمثلة ذلك ما روي عن ابن عباس أن منافقاً اختصم مع يهودي في أمر ، فعرف اليهودي أن الحق في جانبه ، فدعاه إلى رسول الله ﷺ ليقضي بينهما ، علماً منه بأن الرسول لا يقضي إلا بالحق الذي يراه ، أما المنافق فدعاه إلى قاض من قضاة اليهود يقال له : (كعب بن الأشرف) ليقضي بينهما ، ظناً منه أن هذا القاضي من اليهود سيمالئ المسلم المنافق ويحكم له بالباطل ، وأصر اليهودي على أن يتحاكما إلى محمد صلوات الله عليه ، فتحاكما إليه ، فقضى رسول الله ﷺ لليهودي لأن الحق معه ، فلم يرض المنافق بحكم رسول الله ﷺ ودعا اليهودي إلى عمر بن الخطاب ليحكم بينهما ، فوافق اليهودي لعلمه بأن عمر بن الخطاب لن يرضى بغير حكم رسول الله بديلاً ، فلما قدما إليه خرج إليهما فتحاكما إليه ، فقال اليهودي : يا ابن الخطاب لقد احتكمنا إلى محمد فقضى لي ، فلم يرض هذا بقضائه ، فقال عمر للرجل : أهكذا ؟ قال الرجل : نعم يا ابن الخطاب ، فقال عمر : مكانكما حتى أخرج إليكما ، فدخل فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق حتى مات ، ثم قال : هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله [2] .

وحين لا يقبل المنافقون حكم الله ورسوله ، ويفتضح نفاقهم ، يأتون بأعذارهم الكاذبة الملفقة ، ويحلفون الأيمان لتبرئة أنفسهم ، ويقولون : إننا لم نرد مخالفة الرسول في أحكامه وأقضيته ، وإنما أردنا التوفيق والمصالحة ، وأردنا الإحسان لكل من الفريقين المتخاصمين ، وهذا ما دل عليه النص بقوله تعالى : ﴿ **يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً** ﴾ ، إنها حالة مخزية ، حين يعودون شاعرين بما فعلوا غير قادرين على مواجهة الرسول ﷺ بحقيقة دوافعهم ، وفي الوقت ذاته يحلفون كاذبين : أنهم ما أرادوا بالتحاكم إلى الطاغوت - وقد يكون هنا هو عرف الجاهلية - إلا رغبة في الإحسان والتوفيق ، وهي دائماً دعوى كل من يحيدون عن الاحتكام إلى منهج الله وشريعته : أنهم يريدون اتقاء الإشكالات والمتاعب والمصاعب ، التي تنشأ من الاحتكام إلى شريعة الله ـ ويريدون التوفيق بين العناصر المختلفة والعقائد المختلفة : إنها حجة الذين يزعمون الإيمان - وهم غير مؤمنين وحجة المنافقين الملتوين ، هي دائماً وفي كل حين .

---

١) انظر : الأخلاق الإسلامية ص٥٩٢

٢) انظر : تفسير ابن كثير جـ٢ ، ص٣٢٧

وا لله سبحانه يكشف عنهم هذا الرداء المستعار ، ويخبر رسوله ﷺ ، أنه يعلم حقيقة ما تنطوي عليه جوانحهم ومع هذا يوجهه إلى أخذهم بالرفق ، والنصح لهم بالكف عن هذا الالتواء ، ﴿ **أولئك الذين يعلم ا لله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً** ﴾ ، أولئك الذين يخفون حقيقة نواياهم وبواعثهم ، ويحتجون بهذه الحجج ، ويعتذرون بهذه المعاذير ، وا لله يعلم خبايا الضمائر ومكنونات الصدور ، ولكن السياسة التي كانت متبعة - في ذلك الوقت - مع المنافقين كانت هي الإغضاء عنهم وأخذهم بالرفق وإطراد الموعظة والتعليم .

والتعبير العجيب : ﴿ **وقل لهم .. في أنفسهم .. قولاً بليغاً** ﴾ ، تعبير مصور .. كأنما القول يودع مباشرة في الأنفس ، ويستقر مباشرة في القلوب ، وهو يرغبهم في العودة والتوبة والاستقامة والاطمئنان إلى كنف ا لله وكنف رسوله ، بعد كل ما بدا منهم من الميل إلى الاحتكام إلى الطاغوت ، ومن الصدود عن الرسول ﷺ حين يدعون إلى التحاكم إلى ا لله والرسول .. فالتوبة بابها مفتوح ، والعودة إلى ا لله لم يفت أوانها بعد ، واستغفارهم ا لله من الذنب ، واستغفار الرسول لهم ، فيه القبول ولكنه قبل هذا كله يقرر القاعدة الأساسية : وهي أن ا لله قد أرسل رسله ليطاعوا - بإذنه - لا ليخالف عن أمرهم ، ولا ليكونوا مجرد وعاظ ومجرد مرشدين [1] .

﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن ا لله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا ا لله واستغفر لهم الرسول لوجدوا ا لله تواباً رحيماً** ﴾ [2] .

٣- قال تعالى : ﴿ **ويحلفون با لله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون * لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلاً لولوا إليها وهم يجمحون** ﴾ [3] .

قال ابن كثير في تفسيره [4] : يخبر ا لله تعالى نبيه ﷺ عن جزعهم وفزعهم وفرقهم وهلعهم أنهم ﴿ **يحلفون با لله إنهم لمنكم** ﴾ يميناً مؤكدة ﴿ **وما هم منكم** ﴾ أي في نفس الأمر ﴿ **ولكنهم قوم يفرقون** ﴾ أي فهو الذي حملهم على الحلف ﴿ **لو يجدون ملجأ** ﴾ أي حصناً يتحصنون به وحرزاً يتحرزون به ﴿ **أو مغارات** ﴾ وهي التي في الجبال ﴿ **أو مدخلاً** ﴾ وهو السرب في الأرض والنفق قال ذلك في الثلاثة ابن عباس ومجاهد وقتادة ﴿ **لولوا إليه وهم يجمحون** ﴾ أي يسرعون في ذهابهم عنكم لأنهم إنما يخالطونكم كرهاً لا محبة وودوا أنهم لا يخالطونكم ولكن للضرورة أحكام ولهذا لا يزالون في هم وحزن وغم لأن الإسلام وأهله لا يزال في عز ونصر ورفعة ، فلهذا كلما سر

---

١) في ظلال القرآن م٢ ، ص٦٩٥

٢) سورة النساء : الآية (٦٤٠)

٣) سورة التوبة : الآية (٥٦-٥٧)

٤) انظر : تفسير ابن كثير جـ٣/٤١٠

المسلمون ساءهم ذلك فهم يودون أن لا يخالطوا المؤمنين ولهذا قال ﴿ **لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلاً لولوا إليه وهم يجمحون** ﴾ .

والمعنى : لو وجدوا شيئاً من هذه الأشياء المذكورة لولوا إليه مسرعين هرباً من المسلمين[1].

والجبن شأن المنافقين في كل زمان ومكان ، ولقد مر المنافقون على عهد رسول الله ﷺ بمراحل وحالات كثيرة بحيث إنهم ظهروا على حقيقتهم المريضة ، وما حالتهم في غزوة بني المصطلق وغزوة تبوك إلا تعبير عن الجبن والخور الذي عشش في قلوبهم فجعلتها مريضة مرضاً حسياً معنوياً ، يقول الشيخ الدوسري : (ومرض القلب عام حسي ومعنوي ففي قلوبهم مرض الشكوك والشبهات المفسد لعقيدتهم وأخلاقهم وفيها أمراض حسية من الغل والحقد الملتهب والغيظ المستمر ونحوه مما يسرع في هلاكهم بأحداث أمراض فاتكة يشهد لها المنقول والمحسوس من تقرير الأطباء [2] .

٤- قال تعالى : ﴿ **ويقول الذين ءامنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم** ﴾ [3] .

قال ابن كثير في تفسيره [4] : ﴿ **ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة** ﴾ أي : مشتملة على حكم القتال : ﴿ **رأيت الذين في قلوبهم مرض** ﴾ أي : المنافقين ﴿ **ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت** ﴾ أي ك من فزعهم ورعبهم وجبنهم من لقاء الأعداء .

إن هذا اللون من الإختبار يصلح لأن يكون من روائع الإختبارات النفسيه ، الكاشفة لما تنطوي عليه القلوب والنفوس ، فهو يعتمد على إلقاء المثير القوي ، وملاحظة أثر ذلك في تعبيرات الوجه وتلوناته ، وفي نظرات الأعين فهؤلاء المنافقون حين أُمرت بالقتال أمراً ربانياً في آيات محكمات و لم يستطيعوا مناقشة هذا الأمر ، لأنه منزل من عند الله ، بدا أثر كراهيتهم ذلك على وجوههم ، فجعلوا ينظرون إلى الرسول ﷺ نظر المغشي عليه من الموت ، وفي هذا التصوير بديع لحالة زوغان البصر وكلاحة الوجه وصفرته ، التي تنتابهم حين امتحانهم بأوامر القتال الجازمة [5] .

ويقول سيد قطب موضحاً الجانب الحسي : (رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي من الموت) ، (وهو تعبير لا تمكن محاكاته ، ولا ترجمته إلى أي عبارة أخرى ، وهو يرسم الخوف إلى حد الهلع ، والضعف إلى حد الرعشة ، والتخاذل إلى حد الغشية ! ويبقى بعد ذلك

---

١) فتح القدير للشوكاني جـ٢/٣٧٠

٢) النفاق آثاره ومفاهيمه - الشيخ عبدالرحمن الدوسري ص١٤ ، دار الأرقم - الكويت سنة ١٤٠٠ هـ

٣) سورة محمد : آية (٢٠)

٤) تفسير ابن كثير : ٦/٣١٩

٥) الأخلاق الإسلامية - حنبكة : ١/٥٧٩

بعد ذلك منفرداً حافلاً بالظلال والحركة التي تشغف الخيال ! وهي صورة خالدة لكل نفس خوارة لا تعتصم بإيمان ، ولا بفطرة صادقة ، ولا بحياء تتحمل به أمام الخطر وهي هي طبيعة المرض والنفاق)[1] .

ويصور القرآن الكريم أثر الخوف الشديد الذي يعتريهم حينما يتعرضون لموقف مخيف ، فيلفت النظر إلى عضو معين فيهم حينئذ ، هذا العضو تتمثل فيه كل مشاعرهم وانفعالاتهم ، وهو العين ، ويضرب القرآن مثلاً من أمثلة مواقف الخوف بالنسبة للمنافقين وهو أن ينزل من القرآن ما فيه أمر بالقتال ، حينئذ يشعر المنافقون بحكم ادعائهم الإسلام أنهم مضطرون لمشاركة المسلمين في القتال ، والمشاركة في القتال تعرض حياتهم للخطر ، وحينئذ ترتسم في عيونهم كل مشاعر الرعب والفزع ، ويبحثون عن أي أمل يتعلقون به للنجاة ، أو للتخلص من هذا الموقف الذي يواجههم ، فلا يجدون أملا إلا في شخص الرسول ﷺ فتتعلق نظراتهم الفزعة الجازعة به كأنها نظرات من يعالج سكرات الموت ضارعة إلى الرسول أن يغيثها من هذا الخطر الذي يواجهونه : ﴿ **ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم** ﴾ ، وتعبير (أولى لهم) في صيغة الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه ، ويلاحظ في تعبير الآية أن كل هذا الرعب الذي اعتراهم ، والذي بدا في عيونهم ونظراتهم ليس لأنهم أمروا بالقتال ، وإنما لمجرد أن السورة التي نزلت (ذكر فيها القتال)[2] .

وفي صورة أخرى من القرآن الكريم نجد أثر الرعب أكثر وضوحاً ، ونرى الصورة أشد إبرازاً لما يعترى المنافقين من الخوف الشديد حينما يتعرضون لموقف مخيف ، فالصورة السابقة تبرز لنا النظرة الجازعة الضارعة التي ترتسم في عيون المنافقين ، وهي تدور من فرط ما يضطرب في نفوسهم وقلوبهم من الرعب والفزع ، وكأنها عيون محتضر يعاني سكرات الموت ، فيجزع من سكراته ، ويدور بعينيه ضارعاً إلى من حوله ، وكأنه يستغيث بهم ، وهو في غمرة الموت وسكراته ، لا يملك من القوة أو القدرة على الحركة في أي عضو من أعضائه غير حركة عينيه ، فيقول سبحانه : ﴿ **أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت...** ﴾[3] .

٥- يؤكد القرآن الكريم أن سخرية المنافقين مهما صيغت في كلام أو صورت في شيء محسوس ، فإنها متعمقة في قلوبهم ، نابعة من أعماق نفوسهم ، ولذلك كانوا يتوجسون دائماً ويخافون من

---

١) في ظلال القرآن م٦/٣٢٩٦

٢) اسلوب السخرية في القرآن الكريم د. حفني ص٣٢١

٣) سورة الأحزاب : آية (١٩)

نـزول القـرآن ، لأن الله سبحانه يكشـف فيـه عـن أسـرارهم ، ويفضـح مكنونـاتهم ، بـل يفضـح مشاعرهم وخبايا نفوسـهم ، وهـو أخطـر مـا يخشـاه المنـافقون ، لأنهـم يفعلـون كـل مـا يفعلـون ، ويكبدون أنفسهم كل جهد ، في سبيل أن تظل أسرارهم ونفوسهم مغلقـة معمـاة علـى المسـلمين ، ولكن القرآن يذهب جهودهم هباء حين يكشف للمسلمين مـا جهـد المنـافقون في إخفائـه ، فيقـول سبحانه : ﴿ **يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون * ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون** ؟ ﴾ [1] ، فالآية الأولى تحدد أن السر الذي يحذر المنافقون كشف القرآن إيـاه (في قلوبهـم) وليـس عملاً ظاهراً يسـرونه فيمـا بينهـم ، وهـذا السـر هـو الإسـتهزاء ﴿ **قـل اسـتهزئوا إن الله مخـرج مـا تحذرون**﴾ ، وليس استهزاؤهم موجهاً ضد المسلمين بوصفهم أعداء لهـم كمـا يغلـب علـى اسـتهزاء المشركين ، وإنما اهو استهزاء بالدين نفسه في صورة كل من يمثلونه : ﴿ **قل أبـالله وآياتـه ورسـوله كنتم تستهزئون** ؟ ﴾ فالآية الأولى تحدد صفة الاستهزاء في دخيلة نفوسـهم أمـا الآيـة الثانيـة فـيروي إنها نزلت في جماعة من المنافقين ، مر بهم النبي ﷺ وهو في سيره إلى غزوة تبـوك ، فقـالوا : انظـروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونها ، هيهات هيهات ، فأطلع الله نبيـه علـى ذلـك قال : احبسوا على هذا الركب ، فأتاهم فقال :قلتم كذا وكذا ، قالوا يا نـبي الله لا ، والله مـا كنـا في شيء من أمرك ، ولا من أمر أصحابك ، ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصـر بعضنـا على بعض السفر [2] .

ولئن كانت سخرية المنافقين أصيلة عميقة في نفوسهم ، فإنها بطبيعة الحال تظهر في كلامهم وسلوكهم ، ولذلك كان أبرز ما يظهر منهم نحو المسلمين هو الإستهزاء ، ولو كان في صورة مديـح أو تودد ، كما يروى أن منافقاً جاء إلى علي بن أبي طـالب ﷺ ، فـأخذ يثـني عليـه ويطريـه إطـراء فياضاً ، فتركه علي حتى فرغ من كلامه ، ثم قال له : يا هذا ، أنا دون ما تقول ، وفوق مـا تعتقـد يعني بالشق الأخير من كلامه إنه أعقل من أن ينخـدع بنفـاق هـذا المنـافق ، وهكـذا دائمـاً ، كـانوا يتخذون من كل شيء في الإسلام ، ومن كل موقف يمر بالمسـلمين مجـالاً لسـخريتهم واسـتهزائهم ، ومن ذلك ما يروى (أن النبي ﷺ حث المسلمين على الصدقة ، فجاء عبدالرحمن بـن عـوف بـأربعين أوقيـة مـن ذهـب ، أو بأربعـة آلاف درهـم ، وقـال : كـان لي ثمانيـة آلاف فـأقرضت ربـي أربعـة وأمسكت أربعة لعيالي ، فقال لي النبي ﷺ : بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت ، فبـارك الله له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين ألفاً ، وتصدق عاصم بن عـدي بمائـة وسـق

---

١) سورة التوبة : آية (٦٤-٦٥)

٢) تفسير ابن كثير ٤١٧/٣

من تمر ، وجاء أبو عقيل الأنصاري ﷺ بصاع من تمر ، فقال : بت ليلتي أجر بالجرير [1] على صاعين ، فتركت صاعاً لعيالي وجئت بصاع ، فأمره الرسول ﷺ أن ينثره على الصدقات ، فلمزهم المنافقون ، وقالوا ما أعطى عبدالرحمن وعاصم إلا رياء ، وإن كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطي من الصدقات [2] ، فأنزل الله سبحانه في شأن هؤلاء المنافقين .

قوله : ﴿ **الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم** ﴾ [3] .

ولكن القرآن الكريم يجمع سخريتهم كلها ، واستهزاءهم كله ، ليضعه في موضع بالغ التهوين من شأن المنافقين في استهزائهم وتهكمهم بالمسلمين ، ويصوغ ذلك في صيغة السخرية من سوء تقديرهم وتفكيرهم ، حيث يفرحون بأحداث عارضة ، وأوقات عابرة ، ناسين أن الله سبحانه لهم بالمرصاد ، وإن سخريتهم كلها ، وضحكهم كله ، سيتحول إلى آلام طويلة عميقة يتجرعونها في غير نهاية فيتحول ضحكهم إلى بكاء ، وليقارنوا بين هذا الضحك العاجل القصير الذي يفرحون به ، وبين البكاء الطويل الذي لا آخر له ، والذي هو في انتظارهم : ﴿ **فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون** ﴾ [4] ، وموضع السخرية في الآية بالإضافة إلى المقارنة بين الضحك والبكاء ، أن الآية لا تتحدث عن ضحكهم واستهزائهم بالمسلمين في صيغة الخبر ، كما هو المتوقع ، وإنما تخرجه في أسلوب الأمر (فليضحكوا) وليس المراد بداهة أن الله يأمرهم بالضحك ، وإنما هو لجوء إلى الأسلوب الشعبي المتداول في سخرية الناس بعضهم ببعض للدلالة على الإستهانة وعدم المبالاة من حيث أن ضحك المنافقين في عدم جدواه عليهم ، وعدم تفكيرهم في عاقبته بالنسبة لهم شيء يثير السخرية والضحك من المنافقين [5] .

٦-الآيات التي تجمع أسس النفاق ، في السلوك وفي العقيدة وفي الحكم عليه ، في قوله تعالى : ﴿ **إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا * مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له**

---

١) الجرير : حبل البعير .

٢) تفسير الكشاف : ٢/٢٠٥

٣) سورة التوبة : آية (٧٩)

٤) سورة التوبة : آية (٨٢)

٥) انظر اسلوب السخرية في القرآن الكريم ص٣٠٦

سبيلا * يأيها الذين آمنوا لا تتخـذوا الكـافرين أوليـاء مـن دون المؤمنـين أتريـدون أن تجعلـوا لله عليكم سلطاناً مبينا * إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا ﴾ [1] .

فالأساس الذي يقوم عليه النفاق إذن هو عدم الإستعداد النفسي للإعتقـاد والإيمـان أصـلاً ، كما يدل عليه قوله تعالى في الآيات السابقة : : ﴿ **ومن يضلل الله فلن تجد لـه سـبيلا** ﴾ علـى إن كثيراً من آيات القرآن الكريم تؤكد نتيجة هذا المعنى ، من حيث إنهم لا يرجى منهم قط أن يؤمنوا ، مهما وجه إليهم من تذكير ومهما بذلت معهم المحاولات في هدايتهم إلى الإيمان ، فهـذه المحـاولات كلها في غير طائل ، لأن طبعهم وتكوينهم غـير مستعد لقبـول الإيمـان ، ومـن ذلـك تـأكيد القـرآن الكريم أن النفاق ليس في السلوك ، ولا في مجرد المظهر ، بحيث يمكن التحكم فيه ، وإنما هـو متغلغـل في القلب والطبع ، ملازم لصاحبه ملازمة كاملة حتى المـوت ، كمـا في قولـه تعـالى : ﴿ **فـأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبمـا كـانوا يكذبـون** ﴾ [2] ، فالنفـاق إذن (في قلوبهم) وحينئذ فهو طبع ملازم لهم ، ولذلك لا يرجـى ولا ينتظـر أن ينفـك عنهـم ، بـل هـو مستمر (إلى يوم يلقونه) [3] .

وفي هذه الآيات من سورة النساء نجد صورة كاملة عن المنافقين ، في سلوكهم وفي عقيدتهم ، وفي الحكم عليهم أيضاً ، وتبدأ الآيات بالسخرية من النفاق الذي يعرفه العلماء بأنه إظهـار الإيمـان وإبطان الكفر [4] ، وهم بهذا يحاولون مخادعة المسلمين بـأن يظهـروا لهـم أنهـم مؤمنـون مثلهـم ، في حين يضمرون لهـم كـل عـداء ولكـن القـرآن بسـخريته منهـم يجعلهـم لا يخـادعون المسـلمين ، ولا يخادعون أحداً من الناس ، وإنما يخادعون الله ، وكأنه يقـول لهـم : إذا كنتـم تسـتطيعون أن تخدعـوا الناس وتضللوهم ، فهل تستطيعون أن تخدعوا الله سبحانه ؟ وكان الأجدر بكم ألا تصرفـوا همكـم إلى الناس ، وإنما إلى الله لأنه هو الرقيب عليكم ، والمحاسب لكم ، ويمعن القـرآن في السـخرية منهـم ومن خداعهم ، فيصور لهم أنهم إذا كانوا يعتقدون في أنفسهم المهـارة في الخـداع فـإن الله سبحانه أقدر على أن ينتقم منهم بذات الوسيلة التي يسلكونها في مخادعة الناس ، فيخدعهم عن أنفسهم وعن حالهم ، حتى يظنوا أنهم قد نجحوا في خداعهم ، وحققوا آمالهم ، وإذا عقاب الله ينصب عليهم من كل وجه ، وإذا كل وسائلهم وأقنعة نفاقهم هباء منثور ، وحينئذ يعلمون أن الله سبحانه أعظم منهم مكراً ، وأقدر منهم على انقاذ ما يريد : ﴿ **إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم** ﴾ .

---

١) سورة النساء : آية (١٤٢-١٤٥)

٢) سورة التوبة : آية (٧٧)

٣) اسلوب السخرية في القرآن الكريم ص٢٩٧

٤) انظر الكشاف ٢/٢

ثم يستمر السياق يرسم لهم صوراً زرية شائنة ، لا تثير في قلوب المؤمنين إلا الإشمئزاز والإحتقار ﴿ **وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس * ولا يذكرون الله إلا قليلاً** ﴾ ، فهم لا يقومون إلى الصلاة بحرارة الشوق إلى لقاء الله ، والوقوف بين يديه ، والإتصال به ، والإستمداد منه .. إنما هم يقومون يراءون الناس ، ومن ثم يقومون كسالى ، كالذي يؤدي عملاً ثقيلاً ، أو يسخر سخرة شاقة ! وكذلك هم لا يذكرون الله إلا قليلاً ، فهم لا يتذكرون الله إنما يتذكرون الناس ! وهم لا يتوجهون إلى الله إنما هم يراءون الناس .

وهي صورة كريهة - ولا شك - في حس المؤمنين ، تثير في نفوسهم الإحتقار والإشمئزاز ، ومن شأن هذا الشعور أن يباعد بينهم وبين المنافقين ، وأن يوهن العلائق الشخصية والمصلحية ، وهي مراحل في المنهج التربوي الحكيم ، للبت بين المؤمنين والمنافقين [1] .

ثم يبين القرآن مصدر هذا التلون الذي يلقون به الناس ، وأساس هذا النفاق الذي يجعلهم يظهرون لبعض الناس بوجه غير الذي يظهرون به للآخرين ، وهنا تبدو طبيعة النفاق كما سبقت الإشارة إليها ، وهي أنها ليس اخفاء عقيدة كافرة يعتقدونها ، ثم الظهور للمسلمين بأنهم يدينون بالإسلام ، وإنما طبيعة النفاق انتفاء غريزة التدين ، وعدم وجود الإستعداد لمبدأ الإعتقاد في النفس ، ولذلك كان من الخطأ الإعتقاد بأنهم يدينون بدين الكافرين الآخرين ويعتقدون عقيدتهم ، لأن الحقيقة إنهم لا دين ولا عقيدة لهم ، وإنما هم أعداء للمؤمنين ، وأعداء للكافرين الآخرين أيضاً لأنهم يحملون مبدأ الإعتقاد ، ولذلك كان واقعهم أنهم لا مع المؤمنين ، ولا مع المشركين ، وإنما يصانعون الطرفين، وينافقونهم لينتفعوا من كلا الوجهين : ﴿ **مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء** ﴾ ، ويقول الزمخشري عن تفسير ذبذبة المنافقين (وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين ، أي يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد ، ... إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب ، كأن المعنى كلما مال إلى جانب ذب عنه) ثم عن بقية المعنى يقول (ذلك : إشارة إلى الكفر والإيمان (لا إلى هؤلاء) لا منسوبين إلى هؤلاء فيكونون مؤمنين (ولا إلى هؤلاء) ولا منسوبين إلى هؤلاء فيسمون مشركين)[2] ، وفي هذا تصريح بالمعنى الذي نقرره هو فقدان المنافقين لمبدأ الاعتقاد ، سواء أكان اعتقاداً صحيحاً وهو الإيمان ، أم خاطئاً وهو الشرك ، ويؤكد هذا اختيار القرآن الكريم للفظ (مذبذبين) كما فسره الزمخشري من واقع اللغة ، فإن اللفظ يقضي بأنه ليس المنافقون هم الذين ينفرون من الإيمان والشرك وأهلهما ، وإنما الإيمان والشرك هما اللذان ينبذان المنافقين ويرفضان قبولهم ، وذلك لأن الإيمان والشرك كلاهما عقيدة وإيمان ، بصرف النظر عن الصحة والخطأ في

---

١) في ظلال القرآن م٢، ص٧٨٤

٢) انظر الكشاف : ٣/٢

الاتجاه بالعقيدة ، وأما النفاق فهو شذوذ على الطبع السوي ، لأنه فقدان نزعة الاعتقاد في النفس كما سبق ، وحيث كان الإيمان والشرك يجمعهما مبدأ الإعتقاد ، كان من شأنهما أن يرفضا ما يشذ عنهما ويأبياه وهو النفاق ، ولذلك اختار القرآن لفظ (مذبذبين) المشتق من الذب بمعنى الذود والدفع ، وحيث كان المنافقون في صيغة اسم المفعول (مذبذبين) فهم الذين وقع عليهم الذود والدفع من جانب المؤمنين والمشركين كليهما .

ثم تحدد الآيات منزلة المنافقين بين الناس ، مقارنة بينهم وبين غيرهم من الكافرين ، وتبدو هذه المقارنة من خلال درجة كل طائفة في جهنم ، وموضع كل نوع من الكافرين في العقاب ، ومن البدهي أن العقاب على قدر الجرم ، ودرجة العقاب حكم على الجريمة ، وتحديد لمقدارها المعنوي ، والآيات تحكم على المنافقين بأن عقابهم أشد العقاب ، وإنهم في أسفل درك من النار ﴿ **إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا** ﴾ .

في الدرك الأسفل ... إنه مصير يتفق مع ثقلة الأرض التي تلصقهم بالتراب ، فلا ينطلقون ولا يرتفعون ثقلة المطامع والرغائب ، والحرص والحذر ، والضعف والخور ! الثقلة التي تهبط بهم إلى موالاة الكافرين ومداراة المؤمنين ، والوقوف في الحياة ذلك الموقف المهين : (مذبذبين بين ذلك ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) .

فهم كانوا في الحياة الدنيا يزاولون تهيئة أنفسهم وإعدادها لذلك المصير المهين (في الدرك الأسفل من النار) بلا أعوان هنالك ولا أنصار ، وهم كانوا يوالون الكفار في الدنيا ، فأنى ينصرهم الكفار ؟ [1] .

٧- قال تعالى : ﴿ **يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم * يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين أمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب * ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور * فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا * مأواكم النار هو مولاكم وبئس المصير** ﴾ [2] .

تطبيقاً لسنة الجزاء الرباني الذي هو من جنس العمل ، يلقى المنافقون يوم القيامة عذابهم في صورة تشبه عملهم في الدنيا ، إنهم يوم القيامة في الظلمات لا نور لهم ، لأنهم كانوا محرومين من نور الإيمان الصادق في الدنيا ، ويرون المؤمنين يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ، يهديهم إلى الجنة

---

١) في ظلال القرآن م٢ ص٧٨٥

٢) سورة الحديد : آية (١٢-١٥)

دار النعيم ، فيحاول المنافقون السير في نور المؤمنين كما كانوا في الدنيا يسيرون معهم نفاقاً ، إلا أنهم لا يستطيعون مسايرتهم ، يثقلهم كفرهم ، ويظلم عليهم ما قدموا من سيئات ، فيقولون للذين آمنوا : انتظرونا لنقتبس من نوركم ، فيقال لهم : ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً من أعمالكم الصالحات ، فإذا التفتوا وراءهم ضرب بينهم وبين المؤمنين بسور له باب لا يدخله إلا الذين آمنوا ، وهذا السور له باطن وظاهر ، أما باطنه وهو ما يقع في جهة المؤمنين ففيه الرحمة ، فيه دار النعيم ، جنات تجري من تحتها الأنهار ، وأما ظاهره وهو ما يقع في جهة الكافرين والمنافقين فيأتي من قبله العذاب ، عذاب جهنم .

فينادي المنافقون من ظاهر السور المؤمنين وهم في باطنه : ألم نكن معكم في الدنيا فلماذا لا نكون معكم في الآخرة ؟ .

فيقول لهم المؤمنون : بلى ، كنتم معنا في الظاهر ، ولكن لم تكونوا معنا في الحقيقة ، لقد فتنتم أنفسكم بالكفر ، وتربصتم في مواقع الكافرين ، وارتبتم فيما أنزل الله على رسوله ، وغرتكم الأماني التي كنتم تتمنونها بسلوككم مسلك النفاق ولبثتم على حالتكم هذه حتى جاءكم الموت ، وأنتم مغترون بوساوس الشيطان .

ويوضح سيد قطب الجانب الحسي في الآيات فيقول : (وننظر من ناحية التناسق الفني في عرض المشهد ، فنجد لاختيار مشهد النور في هذا الموضع بالذات حكمة خاصة ، إن الحديث هنا عن المنافقين والمنافقات ، والمنافقون والمنافقات يخفون باطنهم ويتظاهرون بغير ما في الضمير المكنون ، ويعيشون في ظلام من النفاق والدس والوقيعة ، والنور يكشف المخبوء ويفضح المستور ، كما أنه الصفحة المقابلة الوضيئة لصفحة النفاق المظلمة المطموسة ، فهو أليق شيء بأن تطلق أشعته على المشهد الكبير ، وبأن ينير أيدي المؤمنين والمؤمنات وبإيمانهم ، بينما المنافقون في الظلام الذي يناسب ظلمات الضمير وظلمات الخفاء المستور !) [1] .

٨- في غزوة بين المصطلق جرى شجار بين أجير لعمر بن الخطاب ، وهو من بني غفار ، وبين سنان بن وبر الجهني ، وهو حليف الخزرج ، فاستغل عبدالله بن أبي سلول هذا الشجار وهو جزرجي ، وكان عنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم وهو غلام حدث السن ، فقال ابن أبي : أو قد فعلوها ؟ قد نافرونا [2] وكاثرونا في بلادنا والله ما أعدنا وجلابيب [3] قريش إلا كما قال الأول : سمّن كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله

---

١) في ظلال القرآن م٦ ص٣٤٨٦

٢) نافرونا : فاخرونا وغالبونا في نفرهم .

٣ جلابيب قريش : لقب أطلقه المشركون على المهاجرين كأنهم شبهوهم بذوات الجلابيب .

لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير داركم [1] ، فأنزل الله قوله تعالى : ﴿ **هم الذين يقولون لا تُنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا * و لله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون * يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعز منها الأذل و لله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون** ﴾ [2] .

في الآية الأولى يتجلى فيها خبث الطبع ، ولؤم النحيزة [3] ، وهي خطة التجويع التي يبدو أن خصوم الحق والإيمان يتواصون بها على اختلاف الزمان والمكان ، في حرب العقيدة ومناهضة الأديان ، ذلك أنهم لخسة مشاعرهم يحسبون لقمة العيش هي كل شيء في الحياة كما هي في حسهم فيحاربون بها المؤمنين .

إنها خطة قريش وهي تقاطع بني هاشم في الشعب لينفضوا عن نصرة رسول الله ﷺ ويسلموه للمشركين !

وهي خطة المنافقين كما تحكيها هذه الآية لينفض أصحاب رسول الله ﷺ عنه تحت وطأة الضيق والجوع !

وهي خطة الشيوعيين في حرمان المتدينين في بلادهم من بطاقات التموين ، ليموتوا جوعاً أو يكفروا بالله ويتركوا الصلاة !

وهي خطة غيرهم ممن يحاربون الدعاة إلى الله وحركة البعث الإسلامي في بلاد الإسلام ، بالحصار والتجويع ومحاولة سد أسباب العمل والارتزاق .

وهكذا يتوافى على هذه الوسيلة الخسيسة كل خصوم الإيمان ، من قديم الزمان ، إلى هذا الزمان ، ناسين الحقيقة البسيطة التي يذكرهم القرآن بها قبل ختام هذه الآية : ﴿ **و لله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون** ﴾ .

ومن خزائن الله في السماوات والأرض يرتزق هؤلاء الذين يحاولون أن يتحكموا في أرزاق المؤمنين فليسوا هم الذين يخلقون رزق أنفسهم ، فما أغباهم وأقل فقههم وهم يحاولون قطع الرزق عن الآخرين !

وهكذا يثبت الله المؤمنين ويقوي قلوبهم على مواجهة هذه الخطة اللئيمة والوسيلة الخسيسة ، التي يلجأ أعداء الله إليها في حربهم ، ويطمئنهم إلى أن خزائن الله في السماوات والأرض هي خزائن الأرزاق للجميع ، والذي يعطي أعداءه لا ينسى أولياءه ، فقد شاءت رحمته ألا يأخذ حتى

---

١) تفسير ابن كثير ١٨/٧

٢) سورة المنافقين : آية (٨،٧)

٣) النحيزة : أي طبيعة النفس .

عنهم الأرزاق ! وهو أكرم أن يكل عباده - ولو كانوا أعداءه - إلى ما يعجزون عنه البته ، فالتجويع خطة لا يفكر فيها أخس الأخساء وألأم اللؤماء ! [1] .

وهذه هي خطة المنافقين في كل زمان ومكان ، يعمدون إلى محاربة المسلمين الصادقين في أرزاقهم ، ليتفرقوا عن زعمائهم المخلصين في الدعوة إلى الله .

وعلم الرسول بما قال زعيم المنافقين ابن أُبي ، أذ أخبره زيد بن أرقم بما سمع منه ، وكان عند الرسول ﷺ عمر بن الخطاب ، فقال : يا رسول الله ، مُر به عباد بن بشر فليقتله ، فأجابه رسول الله ﷺ بقوله : (فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، لا ولكن أذن بالرحيل) وكان ذلك في ساعة لم يكن الرسول يرتحل فيها ، فارتحل الناس ، ولما ركب الرسول مرتحلاً لقيه أسيد بن حُضير ، فحياه بتحية النبوة وسلّم عليه ، ثم قال : يا نبي الله والله لقد رحت في ساعة منكرة ، ما كنت تروح في مثلها ، فقال له رسول الله ﷺ : (أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟!) قال : وأي صاحب يا رسول الله ؟ قال : (عبدالله بن أُبي) ، قال أسيد بن حُضير : وماذا قال ؟ فقال الرسول ﷺ : (زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل) قال أسيد : فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ، وعلم ابن أبيّ أن الرسول بلغه ما قال بين جماعته ، فجاء إلى الرسول فحلف له بالله أنه ما قال الكلام الذي بلغه عنه ، وهي عادة المنافقين في ستر جرائمهم بحلف الأيمان الكاذبة الفاجرة ، ليتقوا بها عقوبة ما يرتكبون .

ثم جاء إلى الرسول الله ﷺ ولد عبدالله بن أبي ، وكان هذا الولد مؤمناً صادقاً ، فقال : يا رسول الله ، إنه بلغني أنك تريد قتل أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت لا بد فاعلاً فمرني به ، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبدالله بن أُبي يمشي في الناس ، فأقتله ، فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر ، فأدخل النار ، فقال له رسول الله ﷺ : (بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا) [2] .

---

[1]) في ظلال القرآن م٦ ص٣٥٧٩

[2]) انظر فقه السيرة - البوطي ص٢١٥-٢١٦ بتصرف .

المبحث الثاني : خصيصة عمق التأثير وسرعته في المدعوين :

التمهيد :

وصف الله عز وجل القرآن الكريم بأن له تأثيراً عجيباً عند قراءته أو سماعه لمن يفهم معانيه ويتدبر آياته وذلك في قوله تعالى: ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم** ﴾ [1] .

وهذا التأثير إعجاز أضاف لإعجاز القرآن الكريم وتحديه للعالمين إعجازاً آخر غير إعجاز التحدي ويتمثل هذا الإعجاز في تأثير القرآن في النفوس بل في المخلوقات الأخرى حيوانها وجمادها سواء كان التأثير تأثيراً مباشراً تلقائياً ، أو ما يقال له انطباع ذاتي تلقائي مباشر ، أو كان تأثيراً بصورة غير مباشرة أي يكون بعد التدبر والتأمل وفهم المعنى .

وقد أشار إلى ذلك سيد قطب - رحمه الله - حيث قال : (إن في هذا القرآن سراً خاصاً يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداءً ، قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيه ، إنه يشعر بسلطان خاص في عبارات القرآن ، يشعر أن هناك شيئاً ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير وأن هنالك عنصراً ما ينسكب في الحس بمجرد الإستماع لهذا القرآن ، يدركه بعض الناس واضحاً ، ويدركه بعض الناس غامضاً ولكنه على كل حال موجود ، هذا العنصر الذي ينسكب في الحس ، يصعب تحديد مصدره أهو العبارة ذاتها ؟ أهو المعنى الكامن فيه ؟ أهو الصور والظلال التي تشعها ؟ أهو الإيقاع القرآني الخاص المتميز من إيقاع سائر القول المصوغ من اللغة ؟ أهو هذه العناصر كلها مجتمعة ؟ أم أنها هي وشئ أخر وراءها غير محدودة ! .

ذلك سر مودع في كل نص قرآني يشعر به كل من يواجه نصوص هذا القرآن إبتداءً ، ثم تأتي وراءه الأسرار المدركة بالتدبير والنظر والتفكير في بناء القرآن كله [2] .

وسوف نتطرق إلى هذا الموضوع في عدة مطالب :

المطلب الأول : النصوص القرآنية الدالة على تأثير القرآن الكريم في النفوس .

المطلب الثاني : القرآن باعتباره اسلوب عرض للدعوة وتأثيره في النفوس .

المطلب الثالث : الآيات الحسية عمق تأثيرها وسرعتها في المدعوين .

---

١) سورة الزمر : الآية (٢٣)

٢) في ظلال القرآن - ٦/٣٣٩٩

المطلب الأول : النصوص القرآنية الدالة على تأثير القرآن الكريم في النفوس :

١- قال تعالى : ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد** ﴾ [١] .

هذا إخبار من الله سبحانه عن هذه الحقيقة ، فالقرآن الكريم حينما يسمعه الذين يخشون ربهم تقشعر من سماعه جلودهم وذلك من خشيته تأثراً لكلام الله عز وجل لما فيه من الوعد والوعيد والترغيب والترهيب وغيره ، ثم تطمئن نفوسهم وقلوبهم إلى ذكر الله [٢] .

٢- قال تعالى :﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون** ﴾ [٣] .

في الآية الكريمة يشير الله عز وجل إلى شدة تأثير القرآن بحيث إنه لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ، فلو كان قلب من يسمع القرآن قاسياً كالجبال الرواسي فلابد أن يتأثر بالقرآن وذلك (لكمال تأثيره في القلوب) [٤] ، وهذا خبر من الله سبحانه وتعالى ومن أصدق من الله حديثاً ! .

٣- قال تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ [٥] .

في الآية الكريمة دلالة واضحة على تأثيره في قلب من يسمعه ، إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي خافت ورهبت من خشية الله ، وسماعهم للآيات القرآنية يزيدهم إيماناً لتدبرهم لكلام الله عز وجل [٦] .

٤- قال تعالى : ﴿ **إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً * ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا * ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا** ﴾ [٧]

---

١) سورة الزمر : الآية (٢٣)

٢) إنظر : ابن سعدي - تيسير الكريم الرحمن ٣١٨/٤ الطبعة ١٤٠٨هـ - دار المدني - جدة .

٣) سورة الحشر : الآية (٢١)

٤) انظر عبدالرحمن بن سعدي . تيسير الكريم الرحمن ٢١٤/٥

٥) سورة الأنفال : الآية (٢)

٦) انظر : المرجع السابق ١٨٨/٢ - وانظر تفسير ابن كثير جـ٣ ص٢٧٨

٧) سورة الأسراء : الآية (١٠٧-١٠٩)

في الآية الكريمة دلالة على شدة تأثر من يستمع القرآن إن كان من الذين أوتوا العلم من قبل محمد ﷺ أو من قبل نزول هذا القرآن من أتباع الديانات - فهم (يتأثرون به غاية التأثير ويخضعون له) [1] .

٥- قال تعالى : ﴿ **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين** ﴾ [2] .

في الآية الكريمة إشارة إلى أن فئة من النصارى من القسيسين والرهبان وهم الذين كانوا سبب نزول الآيات - تفيض أعينهم من الدمع تأثراً بما يسمعون من القرآن المنزل على محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين [3] .

٦- قال تعالى : ﴿ **قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجبا * يهدي إلى الرشد فآمنا به** ﴾ [4] .

في الآيتين الكريمتين دلالة على أن التأثير ليس مقتصراً على الإنس فقط بل يشمل الجن ، فإن الجن حينما سمعوا رسول الله ﷺ يتلو القرآن ، قالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد أي يدل على الخير فمن تأثر بهذا الكلام وآمن به دله إلى الخير وإلى السداد والنجاح وهذا المقام شبيه بقوله تعالى : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن** ﴾ [5] .

٧- قال تعالى : ﴿ **وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون** ﴾ [6] .

في الآية الكريمة نجد أن الكافرين يقولون لبعضهم ، ويتواصون فيما بينهم بعدم السماع للقرآن واللغو فيه (بالمكاء والتصدية) [7] ، لعلهم يغلبون (أي يسكت الرسول ﷺ عن القرآن) [8]

ولا يتأثرون بسماع القرآن الذي كانوا يخافون من أثر سماعه .

---

١) ابن السعدي - المرجع السابق ١٣٦/٣

٢) سورة المائدة : الآية (٨٢-٨٣)

٣) انظر : المرجع السابق -٥١١/١

٤) سورة الجن : الآية (١-٢)

٥) مختصر تفسير ابن كثير - للرفاعي ٤٣١/٤ ، وكذلك تفسير ابن كثير جـ٦ ص١٣٠ -٢٩٠ سورة الأحقاف : الآية (٢٩)

٦) سورة فصلت : الآية (٢٦)

٧) المرجع السابق : ٩٩/٤

٨) ابن سعدي - مرجع سابق ٣٩٥/٤

٨- قال تعالى : ﴿ **وكذلك أنزلناه قرآنا عربياً وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا** ﴾ [١] .

تفيد الآية الكريمة أن الله عز وجل أنزل القرآن بلفظ عربي مبين - وصرف فيه من الوعيد ليزداد التأثر بالقرآن عسى أن يكون في ذلك اتقاءوهم للنار أو يحدث لهم فيتذكرون وينتهون [٢] .

٩- قال تعالى : ﴿ **انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون** ﴾ [٣] ، تفيد الآية الكريمة إصرار المشركين على عدم التأثر بالقرآن على الرغم من تنويع الآيات وتصريفها إلا أنهم يعرضون [٤] .

١٠- قال تعالى : ﴿ **وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون** ﴾ [٥] ، تفيد الآية الكريمة أن لمثل هذا التنويع البديع في عرض الدلائل الكونية يعرض الله عز وجل الدلائل المنوعة المفصلة ، حتى تقوم الحجة بها على الجاحدين فلا يجدوا الاختلاق والكذب ، فيتهموك بأنك تعلمت من الناس ، لا من الله ولنبين ما أنزل إليك من الحقائق ، من غير تأثر بهوى لقوم يدركون الحق ويذعنون له تأثراً بما فيه [٦] .

١١- قال تعالى : ﴿ **ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً** ﴾ [٧] ، في الآية الكريمة إشارة كذلك إلى تأثير القرآن بأن الله عز وجل يصرف للناس من كل مثل ولكن الطبيعة البشرية للإنسان أنه يكثر من المجادلة وليست تلك المجادلة لنصرة الحق بل لاتباع الباطل .

١٢- قال تعالى : ﴿ **ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا**﴾[٨] ، كذلك تفيد الآية الكريمة معنى قريباً من الآية السابقة بل وتؤكد أن أكثر الناس أطاعوا الشيطان وآثروا الكفر على الإيمان .

---

١) سورة طه : الآية (١١٣)

٢) انظر ابن السعدي - المرجع السابق ٢٥٤/٣

٣) سورة الأنعام : الآية (٤٦)

٤) انظر ابن السعدي - المرجع السابق ٢٢/٢-٢٣

٥) سورة الأنعام : الآية (١٠٥)

٦) ابن السعدي - تيسير الكريم الرحمن ٥٥/٢-٥٦

٧) سورة الكهف : الآية (٥٤)

٨) سورة الأسراء : الآية (٨٩)

١٣- قال تعالى : ﴿ **ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفورا** ﴾ [١] ، تفيد الآية الكريمة أن الإنسان لم يؤثر الكفر على الإيمان فقط بل يتبع السبل التي تزيده من الإصرار على الكفر فهو ينفر من سماع كلام الله عز وجل حتى لا يتأثر بما فيه من حق وحتى لا يذعن لهذا الحق .

١٤- قال تعالى : ﴿ **وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا** ﴾ [٢] ، تفيد الآية الكريمة : أن النبي إذا ذكر الله وحده في القرآن مستشهداً بآياته على توحيده ولوا على أدبارهم خشية التأثر فينفرون من ذلك حباً منهم للباطل [٣] .

---

١) سورة الأسراء : الآية (٤١)

٢) سوةر الأسراء : الآية (٤٦)

٣) انظر : ابن السعدي - المرجع السابق ١١٢/٣

المطلب الثاني : القرآن باعتباره أسلوب عرض للدعوة وتأثيره في النفوس :

إذا تحدثنا عن القرآن ، بإعتباره أسلوب عرض للدعوة ، وبإعتباره المثل الأعلى في قوة التأثير والإقناع ، فسنجد الشواهد القاطعة على كل ما قلناه ، فقد واجه العرب الدعوة بكل ألوان المقاومة ، ولم يدعوا وسيلة لمقاومتها إلا اتبعوها ، باللطف والمساومة أو بالعنف والبطش .

ولم يكن موقفهم هذا من القرآن لما يعلنه من أفكار وعقائد فقط بل كان الأساس فيه هو هلعهم الشديد مما لمسوه من أثره في النفوس وقدرته على اقناع الناس به ، وضمهم إلى صفه .

لقد كان في العرب – قبل الإسلام – حنفاء من فحول الخطباء والشعراء كقس بن ساعدة ، وأمية بن أبي الصلت ، وفيهم الموحدون على دين إبراهيم ، كورقة بن نوفل وفيهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وكان كل واحد من هؤلاء – طبعاً – يدعو إلى دينه ويحدث الناس بما يعتقد أنه الحق ، ويرغبهم فيه .

ولم نسمع أن قريشاً قد اتخذت موقفاً معادياً لأحد من هؤلاء أو احتقرته بل كانت لهم مكانتهم اللائقة بهم كأمثالهم من المشركين ، ولم يكن لليهوديه ولا للنصرانية أدنى صولة في مكة ، ولا خافها رؤساء قريش على زعامتهم الدينية أو الدنيوية .

فلما جاء محمد ﷺ تغير موقفهم وواجهوا دعوته بكل ألوان المقاومة لأنهم أحسوا بأن في قرآنه الذي يتلوه قوة غلابة ، وتأثيراً بالغاً فيهم وفي أتباعهم ، فما أن يستمع الواحد منهم إلى آيات منه حتى تنقاد لها نفسه ، ويهوى إليها قلبه ، ولا يمضي يوم دون أن ينضم إلى صفوف المؤمنين مؤمن جديد والدليل على ذلك أن أسلوبهم في التصدي لهذا الخطر كان هو الحيلولة بمختلف الوسائل بين هذا القرآن وبين الناس ، مهما كلفهم ذلك من تضحية ، فتواصوا بعدم سماعه ، وكانوا يلاقون القبائل الواردة إلى مكة في المواسم يحذورنها من الإصغاء إلى ما جاء به محمد بن عبدا لله من كلام قالوا إنه السحر يفرق بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه وزوجه وعشيرته [1] .

ولقد حكى القرآن الكريم عنهم ذلك في قوله سبحانه : ﴿ **وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون** ﴾ [2] ، وما ذلك إلا لأنهم أدركوا تأثير هذا القرآن فيهم وفي أتباعهم وهم يرون هؤلاء الأتباع يسحرون بين عشية وضحاها بالآيات يستمعون إليها ، فتنقاد إليها النفوس ، وتهوى إليها الأفئدة .

---

١) انظر : سيرة ابن هشام جـ١ ، ص٢٧٠ ، مطبعة الحلبي سنة ١٩٥٥م.

٢) سورة فصلت : الآية (٢٦)

(وهذا التأثير هو الذي كان يجذب رؤساء أولئك المعاندين ليلاً لاستماع تلاوة رسول الله ﷺ في بيته ، على ما كان من نهيهم عنه ، وتواصيهم وتقاسمهم ألا يسمعوا له ، ثم كانوا مع ذلك يتسللون فرادى مستخفين ، ويتلاقون متلاومين) [1] .

ويروي البخاري في باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده قال : (قال أبو صالح : حدثني عبدالله عن يونس عن الزهري ، قال : أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت : لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين [2] ولم يمر علينا يوم إلا ويأتينا رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشيا ، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً قبل الحبشة ، حتى بلغ برك الغماد [3] ، لقيه ابن الدغنة ، وهو سيد القارة ، فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجني قومي ، فأنا أريد أن أسيح في الأرض فأعبد ربي ، قال ابن الدغنة : إن مثلك لا يخرج ولا يخرج [4] ، فإنك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، وأنا لك جار ، فارجع فاعبد ربك ببلادك ، فارتحل ابن الدغنة فرجع مع أبي بكر ، فطاف في أشراف كفار قريش ، فقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج ، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم ؟ ويصل الرحم ، ويحمل الكل ، ويقري الضيف ، ويعين على نوائب الحق ؟ فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة ، وآمنوا أبا بكر ، وقالوا لابن الدغنة : مر أبا بكر فليعبد ربه في داره ، فليصل وليقرأ ما شاء ولا يؤذنا بذلك ولا يستعلن به ، فإنا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا . قال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر فطفق أبو بكر يعبد ربه في داره ، ولا يستعلن بالصلاة ولا القراءة في غير داره ، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره ، وبرز فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن ، فينقذف[5] عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن ، فأفزع ذلك أشراف من المشركين ، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم ، فقالوا له : إنا كنا قد أجرنا أبا بكر ، على أن يعبد ربه في داره وإنه جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره وأعلن الصلاة والقراءة ، وقد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا ، فأته ، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل ، وإن أبى إلا أن يعلن ذلك فسله أن يرد إليك ذمتك ، إنا كرهنا أن نخفرك [6] ، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان . قالت عائشة : فأتى ابن الدغنة أبا بكر

---

١) الوحي المحمدي ص١٣٦ للسيد محمد رشيد رضا مطبعة المنار ، ط٣ ، سنة ١٩٣٥م.

٢) يدينان الدين : أي يطيعان دين الإسلام .

٣) برك الغماد : بفتح الباء وسكون الراء وفتح الغين : موضع باليمن أو وراء مكة بخمس ليال القاموس ص٢٠٤ جـ٣

٤) لا يخرج ولا يخرج : الأولى بفتح الياء وضم الراء ، والثانية بضم الياء وفتح الراء .

٥) ينقذف عليه نساء المشركين : أي يجتمعن عليه .

٦) نخفرك : ننقض عهدك .

فقال : قد علمت الذى عقدت لك عليه ، فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترد إلي ذمتي ، فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى أخفرت فى رجل عقدت له ، قال أبو بكر : إنى أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله [1] .

إذا فتأثير القرآن ، وسلطانه على النفوس ، هو ما كان يخشاه المشركون ، فما كانت حملاتهم موجهة إلى القرآن فى الصدور ولا فى داخل البيوت ، فقد قبلوا منه أن يعبد ربه فى بيته كيف شاء ، إنما كانت مصوبة إلى هدف واحد ومقاومة لخطر واحد ، هو إعلان هذا القرآن ونشره بين العرب .

مما يؤيد ذلك ما ورد عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول حين يعرض نفسه على الناس فى الموقف : (ألا رجل يحملنى إلى قومه ؟ فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي) ، فلم يمنعوه من تلاوته بينه وبين نفسه كما يشاء ، وإنما منعوه أن يبلغه للناس ، لثقتهم من تأثيره فيهم ، واستجابتهم له .

ويروى التاريخ ، أن الإحساس بتأثير القرآن الكريم كان يجذب رؤساء هؤلاء المعاندين ليلاً لاستماع تلاوة النبي ﷺ فى بيته ، على ما كان من نهيهم عن سماعه ، وتواصيهم بذلك .

يروى أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريق كان كل واحد منهم يأتي من ناحية على غير موعد ، إلى حيث يستمعون من رسول الله ﷺ وهو يصلي ويتلو القرآن في بيته ، فأخذ كل منهم مجلساً يستمع فيه ، ولا أحد منهم يعلم بمكان الآخر ، وعندما تفرقوا آخر الليل وجمعهم الطريق تلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً .. ثم انصرفوا .

حتى إذا كانت الليلة التالية ، عاد كل منهم إلى مجلسه ، لا يدري بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون للمصطفى ﷺ حتى طلع الفجر ، فتفرقوا ، وجمعهم الطريق فتلاوموا وانصرفوا على ألا يعودوا ، لكنهم عادوا في الليلة الثالثة وباتوا يستمعون إلى القرآن [2] .

ومن أحوالهم الدالة على تأثير القرآن الكريم فيهم ، أنه ربما وصلت آيات منه إلى سمع أشدهم عداوة للإسلام ، فإذا به يتحول إلى إنسان جديد ، ويلقي وراء ظهره كل ما كان يكنه من عداوة وبغض للإسلام ونبيه ، ويتقدم مبايعاً موقناً أن هذه الكلمات التي استمع إليها ليست من قول بشر .

---

١) صحيح البخاري جـ٢ ص ٣٩ .

٢) انظر : سيرة ابن هشام جـ١، ص٣٣٧،٣٣٨

يقول الإمام الخطابي [1] : (وذلك هو صنيعه بالقلوب ، وتأثيره في النفوس ، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً ، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ، ومن الروعة والمهابة في حال أخرى ، ما يخلص منه إليه .

(تستبشر به النفوس ، وتنشرح له الصدور ، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة ، قد عراها الوجيب [2] والقلق ... فكم من عدو للرسول ﷺ من رجال العرب وفتاكها ، أقبلوا يريدون اغتياله وقتله فسمعوا آيات من القرآن ، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم ،أن يتحولوا عن رأيهم الأول ، وأن يركنوا إلى مسالمته ، وصارت عداوتهم موالاة ، وكفرهم إيماناً) .

ثم يذكر الخطابي من ذلك قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقصة عُتبة بن ربيعة حينما بعثته قريش ليساوم الرسول ﷺ على ترك ما يدعو إليه ، ويشير أيضاً إلى ما قالته الجن حين استمعت إلى كتاب الله : ﴿ **إنا سمعنا قرآناً عجبا * يهدي إلى الرشد فآمنا به** ﴾ [3] .

قوة تأثيره :

جرب بنفسك واقرأ ما شئت من كلام البشر في موضوع من موضوعات الحياة ثم اقرأ ما تيسر من كلام ربك في نفس الموضوع عندئذ تشعر أن لهذا القرآن تأثيراً لا يشبه غيره من كلام البشر ، أو استمع لوعظ واعظ أو استمع إلى حديث وترقب أثر ما يتلو من القرآن على نفسك وأثر ما تسمعه من كلامه ،بل جرب أن تعظ الناس بكلامك وجرب أن تعظهم بكلام الله ، وستحس الفرق في وجوه المستمعين وفي نفسك بشرط أن تكون قد شرحت بعض الألفاظ القرآنية المجهولة المعنى لدى العامة في هذا الطريق .

ولقد أدرك قوة تأثير القرآن المستشرق (س.ل) كما أدركها غيره فقال : (إن أسلوب القرآن جميل وفياض ، ومن العجب أنه يأسر بأسلوبه أذهان المسيحيين ، يجذبهم إلى تلاوته سواء في ذلك الذين آمنوا أم لم يؤمنوا به وعارضوه) ، ويكفي المتأمل ما أحدثه من تأثير هائل في حياة العرب الجاهلين حتى جعل منهم خير أمة أُخرجت للناس [4] .

ويقول المستشرق الفرنسي رينان : (إن القرآن هو أساس الإسلام وقد احتفظ بكينونته القديمة بدون أن يعتريه أي تبديل أو تحريف وعندما تستمع إلى بعض آياته وما فيها من فصاحة

---

١) بيان إعجاز القرآن الخطابي ص٧٢

٢) الوجيب : أي الإخفاق والاضطراب : لسان العرب ١/٧٩٤

٣) سورة الجن : الآية (١-٢)

٤) توحيد الخالق - عبدالمجيد الزنداني ص٢٣٠،٢٣١

وسحر تأخذك رجفة الوله والوجد ، وبعد أن تتوغل في دراسة روح التشريع الذي انطوى عليه هـذا الكتاب العلوي المقدس لا يسعك إلا أن تعظمه وتمجده) [1] .

ويقول المستشرق "سيل" : (إن أسلوب القرآن جميل وفياض ، وفي كثير من نواحيـه نجـد الأسـلوب عذباً وفخماً وبخاصة عندما يتكلم عن عظمة الله وجلاله ، ومن العجيـب أن القـرآن يأسـر بأسـلوبه هذا أذهان المستمعين إلى تلاوته ، سواء منهم المؤمنين به أو المعارضين له ، ويفسـر المعـارضون ذلـك بقولهم (إنهم قد سحروا بالقرآن وأسلوبه فأنصتوا له وأعجبوا به) [2] .

وتقول الدكتورة لوريا : " عن القرآن في كتابها " دفاع عن الإسلام " : -

(إن هذا الكتاب الذي يتلى كل يوم في طـول العـالم الإسـلامي وعرضـه لا يوقـع في نفـس المؤمن أيما إحساس بالملل ، على العكس ، إنه من طريقة التلاوة المكررة - يحبب نفسه للمؤمنين أكثر فأكثر يوماً بعد يوم ، إنه يوقع في نفس من يتلوه أو يصغى إليه حساً عميقاً من المهابـة والخشية ، إن في إمكان المرء أن يستظهره في غير عسر - حتى إننا لنجد اليـوم - علـى الرغـم مـن انحسـار موجـة الإيمان - في نظرها - آلافاً من الناس قادرين على ترديده عن ظهر قلـب ، وفي مصـر وحدهـا عـدد الحفاظ أكثر من عدد القادرين على تلاوة الأناجيل عن ظهر قلب في أوروبا كلها) [3] .

هؤلاء هم بعض من اعترف بتأثير القرآن الكريم من الغرب ولو تتبعنا ذلك لوجدنا كثيراً ولا عجـب في ذلك فإن العربي قد سجد حينما سمع قوله تعـالى : ﴿ **فاصدع بما تؤمر** ﴾ [4] ، قيـل لـه ولـماذا سجدت قال لفصاحته [5] ، فكان سبب التأثير في نفس الأعرابي الفصاحة .

هكذا نجد أن أسباب التأثير التي تعود إلى القرآن الكريم بنفسه كثيرة ومتعددة بحسـب حـال السامع وفهمه - فمنهم من قد يتأثر ويوله ببلاغته - ومنهـم مـن تأسـره هيبتـه عندمـا يتحـدث عـن عظمة الخالق ، ومنهم من يكون سبب التأثير ما فيه من تشريعات محكمـة وعلـوم ثابتـة لا تتغـير ولا تتبدل ﴿ **ما يبدل القول لديّ وما أنا بظلام للعبيد** ﴾ ، ومنهم من تؤثر فيـه قصـص الأمـم السـابقة وما فيها من عبر وعظات وما تحتويه من إشارات على قدرة الخالق سبحانه .

ذلك أن القرآن الكريم قد بلغ في تأثيره مبلغاً خرق به العادة في كل ما عرف من كتـب الله السابقة التي بلسان الأنبياء ولفظهم وكتب الناس ، وخرج عن المعهود في سنن الله مـن التأثـير النـافع بالكلام وغير الكلام ، حيث يكون له السلطان القاهر على النفـوس والحكـم النـافذ علـى العواطـف

---

١) واقعية المنهج القرآني ص٤٢٦

٢) كيف نحيا بالقرآن - نبيه زكريا عبد ربه ص١٦ ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ ، سنة ١٩٨٣م. - دار الحرمين الدوحة - قطر .

٣) المرجع السابق ص١٨

٤) سورة الحجر : الآية (٩٤)

٥) انظر : اعجاز القرآن والبلاغة النبوية - الرافعي - مرجع سابق ص٣٠٥ ، وانظر : واقعية المنهج القرآني ص٤٢٦

والميول إلى ما يصد الناس عن نهجهم الأول في عقائدهم التي توارثوها ، وعبادتهم التي ألفوها وأخلاقهم التي نشأوا عليها ، وعاداتهم التي امتزجت بدمائهم ، وما يحملهم على اعتناق هذا الدين الجديد الذي هدم تلك الموروثات فيهم ، وحارب تلك الأوضاع المألوفة لديهم [1] .

وما ذلك إلا لأن القرآن الكريم سحر العرب وسلب عقولهم ببيانه ونظمه وروعة معانيه الخالدة ، وهز النفوس منذ نزول آياته الأولى إلى أن اكتملت سوره وكان الإعجاز روحه الخفيفة التي تسري في قارئه وسامعه ومتدبره ، فينبعث فيه الإقرار النفسي والقناعة الذاتية بأن هذا كتاب إلهي أبدعته القدرة الإلهية .

وإن قوى الإنسان عاجزة عن الإتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً [2] فكتاب الله يخاطب العقل والقلب معاً ويؤثر فيهما تأثيراً متلازماً [3] ، لكون المخاطب إنساناً له عقله وقلبه وبينهما من الترابط ما بينهما وهذا ما يلمسه الإنسان عندما يتلو أو يستمع إلى كتاب الله بتدبر وتمعن.

---

١) انظر : مناهل العرفان - الزرقاني ٣٠١/٢ مرجع سابق .

٢) الإعجاز الفني - عمر السلامي ص٥٢ - تونس بدون طبعة .

٣) الجدل في القرآن الكريم - زاهر الألمعي ص٧٠ - مرجع سابق

المطلب الثالث : الآيات الحسية عمق تأثيرها وسرعتها في المدعوين :

من أساليب التأثير في القرآن الكريم أسلوب الدعوة إلى التدبر والتأمل في الآيات الحسية في الآفاق وفي الأنفس والملاحظة العلمية لما في الكون من ظواهر وآثار ، وتدبر أسرارها ، والتأمل في ملكوت السماوات والأرض وما فيها من دلائل قاطعة على أن وراءها صانعاً حكيماً ، وخالقاً مبدعاً وقادراً عظيماً .

ولهذا الأسلوب تأثير عقلي ووجداني في وقت واحد ، فعن طريقه تجد العقول الباحثة عن الحق الدليل الذي لا يجحد على أن لهذا الكون إلهاً منفرداً بالملك ، متعالياً عن الشركاء ، متصفاً بكل كمال ، وعن طريقه أيضاً يفاض على الروح تيار متدفق من المشاعر تملؤها هيبة واكباراً وتقديساً لهذا المبدع العظيم وتلين وتصفو وترق ، وتتطهر من نوازع العناد والتطاول ، فيعنوا وجهها لهذا الخالق العظيم بعد أن عرفت أنها ليست بأكثر من هباءة في هذا الملكوت الرهيب ، وصدق الله العظيم : ﴿ **إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب * الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار** ﴾ (١) .

ومن سمات هذا الأسلوب أن تأثيره ذاتي متجدد ، لا يختص بعصر دون عصر ، ولا بجنس دون جنس ، ولا بمستوى ثقافي دون آخر ، فمتى وجه الإنسان فكره إلى هذا السبيل انهالت عليه تأثيراته العقلية والروحية ، فلا يملك لها دفعاً ، وكلما ازداد علماً ازدادت قدرته على استقبال فيض أعظم من هذه التأثيرات (٢) .

ولعل ما نقرؤه من كتب كثيرة لعلماء لا صلة لهم بأمور الدين - بل ربما كانوا في موقع يغري بالتمرد عليه ، فجلهم علماء في العلوم الكونية والطبيعية - دليل ساطع على ما نقول ، فإن هؤلاء العلماء أدركوا بعقلهم المجرد في نظرته لمظاهر الكون وتوصلوا إلى كل ما تدعو إليه الأديان في مجال العقيدة من إثبات الألوهية والتوحيد ، وصفات الكمال .

* درجات التأثير وسرعتها في المدعوين :

مما هو معلوم أن النفس الإنسانية بالنسبة إلى الهداية أو غيرها في أي دعوة من الدعوات ليست متساوية في نسبة التأثر بها أو الرفض لها هذه واحدة .

الثانية : ليست كل الأساليب المتبعة في الدعوة متساوية كذلك في التوفيق وفي قوى الإقناع وموافقة الميول والرغبات .

---

١) سورة آل عمران : الآية (١٩٠-١٩١)

٢) انظر : اسلوب الدعوة القرآنية ص٣٤٣

الثالثة : ليس كل الدعاة في القوة والبيان والذكاء والتأثير والتدريب بمنزلة واحدة ، إذا لكل هذه العوامل يتفاوت التأثر في المدعوين من درجة إلى درجة ومن قوة إلى ضعف [1] .

ولهذا وجدنا في دعوة الرسول ﷺ في الصدر الأول لأصحابه تفاوت في الإجابة والهداية بالنسبة للأشخاص والأحوال والدعاة ، فبعض الصحابة آمن بمجرد دعوة الرسول له وبمجرد سماعه للإسلام وكذلك بعض النساء وبعض الشباب .

فأبو بكر رضوان الله عليه آمن بمجرد دعوة الرسول ﷺ ، روى ابن اسحاق عن رسول الله ﷺ قال : (ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر إلا أبا بكر) وقد ثبت في صحيح البخاري عن أبي الدرداء في حديث ما كان بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وفيه : فقال رسول الله ﷺ وإن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر : صدق ، وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي [2] . مرتين فما أوذي بعدها .

وآمن عمر بعد فترة وآمن غيره بعده وآمن العباس قبل الفتح هو وخالد ابن الوليد ، وآمن أبو سفيان في الفتح هو وعكرمة وكذلك بالنسبة إلى دخول الإسلام في المدينة وفي غيرها من البلاد الإسلامية ، وليس معنى هذا أن التأثر كان وقتياً ولم تكن له مقدمات ثم ظهر فجأة في صورة اقناع كامل واستسلام ، بل لا بد أنه سبق هذا تفكير وتأثر بدرجات مختلفة في غالب الأحوال أدى هذا تدريجياً إلى قمة التأثر والإنفعال ، فرضى هذا المدعو الدعوة الجديدة وانخرط فيها وصار من جنودها ننظر إلى قصة إسلام خالد بن الوليد ، وعثمان بن طلحة وعمرو بن العاص .

قال خالد بن الوليد : لما أراد الله بي ما أراد من الخير قذف في قلبي حب الإسلام وحضرني رشدي وقلت : قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد ، فليس موطن أشهده إلا انصرفت وأنا أرى نفسي أني موضع في غير شيء ، وأن محمداً سيظهر ، ودافعته قريش بالرماح يوم الحديبية فقلت أين المذهب ؟ وقلت أخرج إلى هرقل ، ثم قلت : أخرج من ديني إلى نصرانية أو يهودية فأقيم مع عجم تابعاً لها ، مع عيب ذلك عليّ ؟ ودخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح ، فتغيبت ، فكتب إلى أخي : (لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك ، ومثل الإسلام جهله أحد ؟ وقد سألني رسول الله ﷺ عنك فقال أين خالد فقلت : يأتي الله به ، فقال : " ما مثل خالد جهل الإسلام فاستدرك يا أخي ما فاتك " فلما أتاني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الإسلام وسرتني مقالة النبي ﷺ ، فأرى في المنام كأني في بلاد ضيقة جدبة فخرجت إلى بلد أخضر واسع

---

١) انظر : الدعوة إلى الله د. توفيق الواعي ص٢٥٤

٢) سيرة ابن كثير ١/٤٣٤ ط ، عيسى البابي الحلبي وانظر صحيح البخاري - باب مناقب المهاجرين وفضلهم جـ٤ ص٥٥٦ - رقم (٣٦٦١) دار الكتب العلمية - سنة ١٤١٢ هـ - بيروت .

فقلت هذه لرؤيا (فذكرتها بعد إسلامي لأبي بكر) فقال هو مخرجك الذي هداك الله فيه للإسلام ، والضيق الشرك ، فأجمعت الخروج إلى رسول الله ﷺ وطلبت من أصحاب ، فلقيت عثمان بن طلحة فذكرته الذي أريد فأسرع الأجابة وخرجنا جميعاً فادلجنا سحراً ، فلما كنا بالهدة إذا عمرو ابن العاص فقال : مرحباً بالقوم : فقلنا : وبك فقال : أين مسيركم ؟ فأخبرناه ، وأخبرنا أنه يريد أيضاً النبي ﷺ فاصطحبنا حتى قدمنا المدينة على رسول الله ﷺ أول يوم من صفر سنة ثمان ، فلما طلعت على رسول الله ﷺ سلمت عليه بالنبوة ، فرد علي السلام بوجه طلق فأسلمت فقال رسول الله ﷺ : قد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير ، وبايعت رسول الله ﷺ وقلت (أستغفر لي كل ما أوضعت فيه من صد عن سبيل الله : فقال إن الإسلام يجب ما قبله ، ثم استغفر لي ، وتقدم عمرو وعثمان بن طلحة فأسلما فو الله ما كان رسول الله ﷺ من يوم أسلمت يعدل بي أحداً من أصحابه فيما يخز به [1] .

* نماذج من تأثير استخدام المنهج الحسي في النفوس :

أشار القرآن الكريم في أكثر من آية إلى أثره في النفوس عندما تسمعه ، بل إلى أثره في الجبال لو خاطبها الله به ، كما أشار إلى إدراك الكفار لهذا الأثر ، ولذلك تواصوا على التشويش عليه ، ومنع الإخرين من سماعه ، حتى يبقوا هم الغالبين .

ومما يدل على أن الجبال لو خوطبت بالقرآن الكريم لأثر فيها وتزلزلت وتصدعت قوله سبحانه : ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون** ﴾ [2] .

أما الكفار فقلوبهم أقسى من الجبل ، ولذلك لما سمعوا القرآن نفروا منه : ﴿ **وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجاباً مستوراً وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا** ﴾ [3] .

ولقد تواصى الكفار فيما بينهم على أن لا يسمعوا القرآن ، وأن يحدثوا لغواً وضجة وضوضاء عند تلاوة الرسول ﷺ أو المؤمنين له ، ليشوشوا على الآخرين : ﴿ **وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون** ﴾ [4] .

---

١) صفوة الصفوة ١/٣٣٠ ابن الجوزي - دار الكتب العلمية - بيروت ط ١ ، سنة ١٩٨٩م. ضبطها إبراهيم رمضان ، سعيد اللحّام والحديث أخرجه مسلم كتاب الإيمان - باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج جـ ١ ص١١٢ رقم (١٩٢)

٢) سورة الحشر : الآية (٢١)

٣) سورة الأسراء : الآية (٤٥-٤٦)

٤) سورة فصلت : الآية (٢٦)

أما القرآن فإنه (واثق) من أثـره في النفـوس ، ولذلـك طـالب المسـلمين أن يتلـوه علـى الكـافر المستجير وأن يسمعوه إياه ليسلم ، ﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كـلام الله ثم أبلغه مأمنه** ﴾ [1] .

وبالنسبة للمسـلمين المؤمنـين المخبتـين ، فـإن القـرآن يـترك علـى قلوبهـم ونفوسـهم وكيـانهم وحياتهم أثراً بالغاً ، أشار له القرآن بقوله : ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتابـاً متشـابهاً مثـاني تقشـعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي بـه مـن يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد** ﴾ [2] .

أولاً : تأثيره فى نفوس الكافرين :

وإليك بعض النماذج القرآنية التي أثرت في نفوس الكافرين :

أ- سورة الطور نموذج لطيف لعمل القرآن الكريم فى النفس عندما يطلع عليها بالهدى كما يطلع الصبح على الليل فيمحو ظلامه ويضيء أركانه ! ولذلك فكان لها التأثير الكبير والقوي على جبير بن مطعم الذي قدم المدينة وهو مشرك بعد هزيمة بدر التي لحقت بقومه ليفاوض فى فكاك الأسرى ، ودخل المسلمون المسجد ليصلوا المغرب وراء نبيهم ﷺ ، وبقي هو خارج المسجد ! ، واستمع إلى سورة الطور يقرؤها النبي فى الصلاة ، فتغيرت نفسه واهتز الشرك فى ضميره وأحس كأن الوحي المتلو يسحق بقايا الكفر فى نفسه ويكتسحها اكتساحاً . قال جبير : سمعت النبي يقرأ فى المغرب بالطور ، فلما بلغ هذه الآية ﴿ **أم خُلقوا من غير شيءٍ أم هم الخالقون * أم خلقوا السماوات والأرض ؟ بل لا يوقنون * أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون** ﴾ كاد قلبي يطير !! [3] .

وفى رواية أخرى يقول جبير : (قدمت المدينة على رسول الله لأكلمه فى أسارى بدر ، فدفعت إليه وهو يصلي بأصحابه صلاة المغرب فسمعته يقرأ : ﴿ **والطور ..** ﴾ إلى ﴿ **إن عذاب ربك لواقع * ماله من دافع** ﴾ فكأنما صدع قلبي ، فأسلمت خوفاً من نزول العذاب ! وما كنت أظن أن أقوم من مقامي حتى يقع بي العذاب) ، لقد ترك الرجل أوثانه بنفسه وأخرجها من الظلمات إلى النور ، ولم تقف سورة الطور عند هذا الحد بل ورد بعد هذه الآيات السابقة خمسة عشر استفهاما كأنها خمسة عشر صدمة كهربائية تنقل المرء من حال إلى حال وترغمه على التفكير في الحال والمال وهي :

---

١) سورة التوبة : الآية (٦)

٢) سورة الزمر : الآية (٢٣)

٣) أخرجه البخاري - كتاب التفسير - سورة الطور ص١٠٤١ برقم (٤٨٥٤)

١- ﴿ **أم يقولون شاعرٌ نتربص به ريب المنون * قل تربصوا فإني معكم من المتربصين** ﴾ ليس محمد شاعراً ﴿ **وما علمناه الشعر وما ينبغي له** ﴾ وكتابه مشحون بالحقائق لا بالخيالات ﴿ **وبالحق أنزلناه وبالحق نزل** ﴾

٢- ﴿ **أم تأمرهم أحلامهم بهذا** ﴾ ؟ إن ذوي العقول يترفعون عن اختلاق هذه التهم .

٣- ﴿ **أم هم قومٌ طاغون** ﴾ ؟ الطغيان هو الباعث الأول على التكذيب .

٤- ﴿ **أم يقولون تقوّله . بل لا يؤمنون * فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين** ﴾ لو كان القرآن كلام بشر فما يمنع البشر من الإتيان بمثله ؟

٥- ﴿ **أم خلقوا من غير شيءٍ ..** ﴾ إن الصفر لا يوجد شيئاً .

٦- ﴿ **أم هم الخالقون ..** ﴾ ؟ إن الإنسان مخلوق مربوب ، وهو لا يخلق شيئًا.

٧- ﴿ **أم خلقوا السماوات والأرض . بل لا يوقنون** ﴾ لقد وجدنا في عالم ممهد لنا لم نصنع من دراته ولا بحراته شيئاً .

٨- ﴿ **أم عندهم خزائن ربك** ﴾ أغلب الكافرين يتساءلون لماذا اختير الأنبياء من بيننا ؟ ولماذا لم يقع الاختيار علينا ؟

٩- ﴿ **أم هم المسيطرون** ﴾ إذا كانت لهم سطوة فليجربوا حظهم ، ﴿ **إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه** ﴾ .

١٠- ﴿ **أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين** ﴾ إن تيسر لهم وحي فليجيئوا به ، وهيهات .

١١- ﴿ **أم له البنات ولكم البنون** ﴾ ؟ إن مشركي مكة يستكبرون أن تكون لهم بنات ، ومع ذلك يقولون إن لله بنات ! .

١٢- ﴿ **أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون** ﴾ إن الأنبياء لا يسألون الناس شيئاً ولا يطلبون منهم ديناً .

١٣- ﴿ **أم عندهم الغيب فهم يكتبون** ﴾ ليس لدى الكفار علم من غيب أو شهادة .

١٤- ﴿ **أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون** ﴾ قد يطول الصراع بين الحق والباطل ولكن العاقبة للمتقين .

١٥- ﴿ **أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون** ﴾ ما عدا الله باطل وبعد هذه الأسئلة قال الله تعالى ﴿ **وإن يروا كسفا من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم** ﴾ أي أنهم أهل عناد ومكابرة ، لا يعنون للحق وأدلته أبدا ، ولذلك قيل للرسول تربص بهم أياماً يذلون فيها للحق ،

ويعرفون فيها من أسباب القوة واشتغل أنت بالعبادة والجهاد ﴿ **واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا**﴾[1] .

ب – قال تعالى : ﴿ **حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم * غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير ...** ﴾[2] .

إن السورة كلها تبدو وكأنها مقارع ومطارق تقع على القلب البشري وتؤثر فيه بعنف وهي تعرض مشاهد القيامة ومصارع الغابرين ، وقد ترق أحياناً فتتحول إلى لمسات وإيقاعات تمس هذا القلب برفق ، وهي تعرض حملة العرش ومن حوله يدعون ربهم ليتكرم على عباده المؤمنين ، أو هي تعرض عليه الآيات الكونية والآيات الكامنة في النفس البشرية [3] .

ومن قوة تأثير هذه الآيات الكريمة قال الوليد بن المغيرة لقومه بعد سماعه لها من رسول الله ﷺ (يقولون كاهن لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزة الكاهن ولا سجعه قالوا فنقول مجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم قالوا فما تقول يا أبا عبد شمس قال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوه وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يعلى عليه) [4] .

وفي الآيات مما يقتضي الاتعاظ ما فيها ، أخرج عبد بن حميد عن يزيد بن الأصم أن رجلاً كان ذا بأس وكان من أهل الشام وأن عمر رضي الله عنه فقده فسأل عنه فقيل له : تتابع في الشراب فدعا عمر كاتبه فقال له : اكتب من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو (بسم الله الرحمن الرحيم حم – إلى قوله تعالى – إليه المصير) وختم الكتاب ، وقال لرسوله : لا تدفعه إليه حتى تجده صاحياً ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول : قد وعدني ربي أن يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها على نفسه حتى بكى ثم نزع فأحسن النزوع فلما بلغ عمر توبته قال : هكذا فافعلوا إذا رأيتم أخاكم قد زل زلة فسددوه ووقفوه وادعوا الله تعالى أن يتوب عليه ولا تكونوا أعواناً للشياطين عليه [5] .

---

١) أنظر مجلة النور الكويتية تحت موضوع (قبس من التنزيل) للشيخ / محمد الغزالي رحمه الله. العدد (١٤٥) فبراير ١٩٩٧م ص٧ بتصرف .

٢) سورة غافر : الآية (١-٣)

٣) في ظلال القرآن م٥ ، ص٣٠٦٥

٤) سيرة ابن هشام جـ ١ ، ص٢٧٠

٥) انظر : روح المعاني جـ ٢٤/٤٣ ، والكشاف ٦/١٧٤

وإليكم شهادات ناطقة ، وعاها التاريخ ، جاءت على لسان أقدر الناس على الإحساس ببلاغة الكلام والحكم عليه .

أ) روى أنه جاء الوليد بن المغيرة حتى أتى قريشا فقال : إن الناس يجتمعون غداً بالموسم - يعني الحج - وقد فشا أمر هذا الرجل في الناس فهم سائلوكم عنه ، فماذا تردون عليهم ؟

فقالوا : نقول : مجنون يحنق [1] ، فقال : يأتونه فيكلمونه ، فيجدونه صحيحاً فصيحاً عادلاً ، فيكذبونكم .

قالوا : نقول : هو شاعر ، قال : هم العرب ، وقد رووا الشعر وفيهم الشعراء ، وقوله ليس يشبه الشعر ، فيكذبونكم .

قالوا : نقول : هو كاهن ، قال : إنهم لقوا الكهان ، فإذا سمعوا قوله لم يجدوه يشبه الكهنة ، فيكذبونكم ، ثم انصرف إلى منزله .

فقالوا : صبأ الوليد - يعنون أسلم - ولئن صبأ لا يبقي أحد إلا صبأ ، فقال لهم ابن أخيه أبو جهل بن هشام بن المغيرة : أنا أكفيكموه ، قال : فأتاه محزوناً فقال له الوليد : مالك يا بن أخ ؟ قال : أو لست أكثر قريش مالاً ؟ قال : بلى ، ولكنهم يزعمون أنك صبأت لتصيب من فضل طعام محمد وأصحابه .

قال الوليد : والله ما يشبعون من الطعام ، فكيف يكون لهم فضول ؟ ثم أتى قريشاً فقال : (تزعمون أني صبأت ! لعمري ما صبأت ،إنكم قلتم : محمد مجنون ، وقد ولد بين أظهركم ، لم يغب عنكم ليلة ولا يوماً ، فهل رأيتموه يحنق قط ؟ فكيف يكون مجنوناً ولم يحنق قط ؟

وقلتم : شاعر ، وأنتم شعراء ، فهل منكم أحد يقول ما يقول ؟ وقلتم : كاهن ، فهل حدثكم محمد في شئ يكون في غد ، إلا أن يقول إن شاء الله ؟ قالوا : فكيف تقول يا أبا المغيرة ؟ قال : أقول : ساحر ، فقال : وأي شيء السحر ؟ قال : شيء يكون ببابل ، من حذقة فرق بين الرجل وإمراته ، والرجل وأخيه أليس تعلمون ، أن محمداً فرق بين فلان وفلانة زوجته ، وبين فلان وإبنه وأخيه ، وبين فلان ومواليه .. قالوا : بلى فاجتمع رأيهم على أن يقولوا إنه ساحر ، وإن يردوا الناس عنه بهذا القول .

وانصرف الوليد ، فمر بأصحاب النبي ﷺ منطلقاً إلى رحله ، وهم جلوس بالمسجد ، فقالوا : هل لك يا أبا المغيرة إلى خير ؟ فرجع إليهم فقال : وما ذاك الخير ؟ فقالوا : التوحيد ،قال : ما يقول صاحبكم إلا سحراً ، وما هو إلا قول البشر يرويه عن غيره ، وعبس في وجوههم وبسر ، ثم أدبر إلى أهله مكذباً ، واستكبر عن حديثهم الذي قالوا له ، وعن الإيمان ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إنه

---

١) يحنق : أي يشتد غضبه ، فلا يدري ما يقول أو يفعل من الحنق بالتحريك ، وهو الغضب أو شدته .

فكر وقدر * فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال إن هذا إلا سحرٌ يؤثر * إن هذا إلا قول البشر ﴾ [1].

وقد وردت روايات متعددة تبين أن المعني هنا هو الوليد بن المغيرة المخزومي ، قال ابن جرير[2]، إن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رق له ، فبلغ ذلك أبا جهل بن هشام ، فأتاه فقال له : أي عم ! إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً : قال لم ؟ قال : يعطونكه ، فإنك أتيت محمداً تتعرض لما قبله (يريد بخبث أن يثير كبرياءه من الناحية التي يعرف أن الوليد أشد بها اعتزازاً) قال ، قد علمت قريش أني أكثر مالاً ! قال : فقل فيه قولاً يعلم قومك أنك منكر لما قال ، وأنك كاره له ! قال : فماذا أقول فيه ؟ فوالله ما منكم رجل أعلم با لأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ، ولا بأشعار الجن ! والله ما يشبه الذي يقوله شيئاً من هذا ، والله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة ، وإنه ليحطم ما تحته ، وإنه ليعلو وما يعلى ... قال : والله لا يرضي قومك حتى تقول فيه ..قال : فدعني حتى أفكر فيه .. فلما فكر قال : إن هذا إلا سحر يؤثر عن غيره ، فنزلت : ﴿ **ذرني ومن خلقت وحيدا * حتى بلغ عليها تسعة عشر** ﴾ .

وفي رواية أخرى أن قريشاً قالت : لئن صبأ الوليد ، لتصبون قريش كلها ! فقال أبو جهل : أنا أكفيكموه ثم دخل عليه ! .. وأنه قال بعد التفكير الطويل : إنه سحر يؤثر ، أما ترون أنه يفرق بين المرء وأهله وولده ومواليه .

ب) وروى ابن اسحاق [3] أن عتبة بن ربيعة كان سيدا حليما ، توفده قريش في الملمات ليكون لسانها المعبر وعقلها المفكر . وقد أرسلته إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ليساومه على أن يدع ما هو عليه ، على أن يقدموا له ما شاء من مال أو رياسة أو طب وعلاج إن كان في حاجة إلى شيء من ذلك (حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال " أفرغت يا أبا الوليد ؟" قال نعم ، قال " فاستمع مني " قال أفعل ، قال ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم ، حم تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون * بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون** ﴾ [4] ثم مضى رسول الله ﷺ فيها وهو يقرؤها عليه ، فلما سمع عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ثم قال " قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك " فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليدبغير

---

١) سورة المدثر : آية (١٨-٢٥) وانظر : الرسالة الشافية لعبدالقاهر الجرجاني ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص١٢٢-١٢٣ ، وانظر الإعجاز القرآني وجوهه وأسراره د. عبدالغني محمد سعد بركه ٤٧-٤٨

٢) ابن جرير الطبري ، ٣٠٩/١٢ - دار الكتب العلمية - بيروت ط الأولى سنة ١٩٩٢م.

٣) هذه قصته أخرجها ابن اسحاق المغازي (١٨٥/١ من سيرة ابن هشام) وانظر فقه السيرة للبوطي ص٨٨

٤) سورة فصلت : آية (١-٤)

الوجه الذي ذهب به فلما جلس إليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد قال ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها لي خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به ، قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم .

ويقول محمد الغزالي رحمه الله [1] (بعد ما استمع عتبة إلى آيات القرآن توقظ ما كان نائماً من فكره واستمع إلى الوعيد يهدر فيحرك ما كان هاجعاً من عاطفته): ﴿ **فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود** ﴾ [2] لقد وضع عتبة يده على جنبه وقام كأن الصواعق ستلاحقه ، وعاد إلى قريش يقترح عليها أن تدع محمداً وشأنه ، ويعلق سيد قطب على هذه الآيات فيقول : (وقد كانوا يعرضون فلا يسمعون فعلاً ، ويتحامون أن يعرضوا قلوبهم لتأثير هذا القرآن القاهر ، وكانوا يحضون الجماهير على عدم السماع كما في قوله تعالى : ﴿ **لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون** ﴾ وأحياناً كانوا يسمعون ، وكأنهم لا يسمعون ، لأنهم يقاومون أثر هذا القرآن في نفوسهم ، فكأنهم صم لا يسمعون) [3] .

جـ) وإذا كان ما سبق من ذكر يدل على ما حدث لبعض المشركين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فإننا هنا ننقل ما حدث لبعض المعاصرين من تأثير هذا الكلام العزيز يروي سيد قطب رحمه الله ما حدث لامرأة يوغسلافية حين سماعها منه بعض آيات القرآن الكريم فيقول : (إن الأداء القرآني يمتاز ويتميز من الأداء البشري .. إن له سلطاناًعجيباً على القلوب ليس للأداء البشري ، حتى ليبلغ أحياناً أن يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون من العربية حرفاً .. وهناك حوادث عجيبة ، لا يمكن تفسيرها بغير هذا الذي نقول - وإن لم تكن هي القاعدة - ولكن وقوعها يحتاج إلى تفسير وتعليل ..

ولن أذكر نماذج مما وقع لغيري ولكني أذكر حادثاً وقع لي ، وكان عليه معي شهود ستة ، وذلك منذ حوالي خمسة عشر عاماً ...

كنا ستة من المنتسبين للإسلام على ظهر سفينة مصرية ، تمخر بنا عباب المحيط الأطلسي إلى نيويورك، من بين عشرين ومائة راكب وراكبة أجانب ، ليس فيهم مسلم .. وخطر لنا أن نقيم صلاة الجمعة على ظهر السفينة ! والله يعلم - أنه لم يكن أن نقيم الصلاة ذاتها أكثر مما كان بنا

---

١) فقه السيرة محمد الغزالي رحمه الله ص١١٣-١١٤ ، دار إحياء التراثالعربي ط ٧ ، سنة ١٩٧٦

٢) سورة فصلت : الآية (١٣)

٣) في ظلال القرآن م٥ ص٣١١٥

حماسة دينية ، إزاء مبشر كان يزاول عمله على ظهر السفينة ، وحاول أن يزاول تبشيره معنا ! ، وقد يسر لنا قائد السفينة - وكان إنجليزياً - أن نقيم صلاتنا ، وسمح لبحارة السفينة وطهاتها وخدمها - وكلهم نوبيون مسلمون - أن يصلي منهم معنا ، من لا يكون في الخدمة وقت الصلاة ! وقد فرحوا بهذا فرحاً شديداً ، إذا كانت المرة الأولى التي تقام فيها صلاة الجمعة [1] على ظهر السفينة .

وقمت بخطبة الجمعة وإمامة الصلاة ، والركاب الأجانب - معظمهم - متحلقون ، يرقبون صلاتنا ! .

وبعد الصلاة جاءنا كثيرون منهم ، يهنئوننا على نجاح القداس !!! فقد كان هذا أقصى ما يفهمونه من صلاتنا ! .

ولكن سيدة من هذا الحشد - عرفنا فيما بعد أنها يوغسلانية مسيحية ، هاربة من جحيم "تيتو" وشيوعيته ! - كانت شديدة التأثر والإنفعال ، تفيض عيناها بالدمع ، ولا تتمالك مشاعرها ، جاءت تشد على أيدينا بحرارة ، وتقول - في انجليزية ضعيفة - إنها لا تملك نفسها من التأثر العميق بصلاتنا هذه ، وما فيها من خشوع ونظام وروح ! .

وليس هذا موضع الشاهد في القصة ، ولكن ذلك كان في قولها ، أي لغة هذه التي كان يتحدث بها "قسيسكم" ! فالمسكينة لا تتصور أن يقيم " الصلاة " إلا قسيس - أو رجل دين - كما هو الحال عندها في مسيحية الكنيسة ! وقد صححنا لها هذا الفهم ! وأجبناها .

فقالت : إن اللغة التي يتحدث بها ذات إيقاع موسيقي عجيب ، وإن كنت لم أفهم منه حرفاً ..

ثم كانت المفاجأة الحقيقية لنا وهي تقول : ولكن ليس هذا الموضوع الذي أريد أن أسأل عنه .. إن الموضوع الذي لفت حسي هو أن "الإمام " كانت ترد في كلامه - بهذه اللغة الموسيقية - فقرات من نوع آخر ، غير بقية كلامه ! نوع أكثر موسيقية وأعمق إيقاعاً .. هذه الفقرات الخاصة كانت تحدث فيّ رعشة وقشعريرة ! إنها شيء آخر ! كما لو كان - الإمام - مملوءاً من الروح القدس - حسب تعبيرها المستمد من مسيحيتها - .

وتفكرنا قليلاً ، ثم أدركنا أنها تعني الآيات القرآنية التي وردت في أثناء الخطبة وفي أثناء الصلاة ! وكانت - مع ذلك - مفاجأة لنا تدعو إلى الدهشة ، من سيدة لا تفهم مما نقول شيئاً .

---

١) لا جمعة على مسافر : لأنه ﷺ سافر هو وأصحابه في الحج وغيره ، فلم يصل أحد منهم الجمعه فيه ، مع اجتماع الخلق الكثير ، إنظر المعتمد في فقه الإمام أحمد ٢٠٣/١ وحديث جابر (حتى أتى عرفه فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر) وقد كان ذلك يوم الجمعة ، إنظر (الإرواء ٦٠/٣) وهنا صلى سيد الجمعة من باب الحماسة الدينية ضد المبشر النصراني وليس للصلاة أنها واجبة .

وليست هذه قاعدة كما قلت ، ولكن وقوع هذه الحادثة - ووقوع أمثالها دلالة على أن في هذا القرآن سراً آخر تلتقطه بعض القلوب لمجرد تلاوته ، وقد يكون إيمان هذه السيدة بدينها - وفرارها من الجحيم الشيوعي في بلادها ، قد أرهف حسها بكلمات الله على هذا النحو العجيب[1].

وبعد فهذا طرف مما روى عن أحوال العرب وغيرهم وأقوالهم على انبهارهم بما سمعوه من القرآن الكريم ، وتأثيره في نفوسهم ، وإقرارهم بإعجازه ، وإنه ليس من قول بشر .

د) الإعجاز الطبي في القرآن الكريم وراء إسلام البروفيسير البريطاني :- [2]

وفي أول احديث له بعد إسلامه قال البروفيسير آرثر أليسون - الذي أصبح اسمه عبدا لله أليسون ، رئيس قسم الهندسة الكهربائية والألكترونية بجامعة لندن - ((إننا معشر المسلمين علينا دور مهم وكبير في إبراز الحقائق العلمية ، التي احتوى عليها كتابنا القرآن الكريم ، فهذه الحقائق هي طريق الدعوة الإسلامية الصحيحة في الغرب الذي يتخاطب بلغة العقل والعلم))

وقال العالم البريطاني : إن الحقائق العلمية التي جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية من قبل ألف وأربعمائة عام والتي أثبتها العلم الحديث الآن ، تؤكد أن ذلك لم يكن من عند بشر ، وتؤكد أن محمدا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأضاف أن العالم المادي في مأزق اليوم ، وما يقولونه أو يرونه لا يفسر الحقيقة تماما ، وأنهم يبحثون عن العودة إلى الدين ، والبيان الصحيح الشامل ، وهنا يقع العبء على المسلمين ، هذا هو واجبهم أن يتقدموا إلى البشرية الحائرة التائهة ، وعندئذ ستجد البشرية نفسها في لقاء مع الدين والعلم والدنيا والآخرة والمادة والروح ، وتكامل يسعد في ظله الإنسان .

وقال البروفيسير عبدا لله أليسون إنه قدم لمؤتمر الإعجاز الطبي في القرآن الكريم - الذي نظمته نقابة الأطباء في القاهرة - بحثا مع الدكتور محمد يحيى الشرقي ، يلقي الضوء على معنى قوله تعالى : ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾ [3] وهذه الآية وردت في سورة الزمر ، واستطعنا خلالها أن نثبت أن النوم والموت عملية متشابهة ، تخرج فيها النفس وتعود في حالة النوم ، ولا تعود في حالة الموت ، فالآية تذكر أو الوفاة تعني الموت وتعني النوم ، وأن الموت وفاة غير راجعة ، والنوم وفاة راجعة ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها** ﴾ فالله يمسك النفس في حالة الموت ،

---

١) في ظلال القرآن - سيد قطب ١٧٨٦/٣ ، وهو يعلق على قوله تعالى ﴿ أم يقولون إفتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ سورة يونس : الآية (٣٨)

٢) أنظر رحال نور الله قلوبهم جـ١ ص١١٠ وما بعدها ، مصطفى فوزي غزال ، شركة دار القبلة للثقافة الإسلامية - جده ط١ سنة ١٩٩٢م . وانظر جريدة المسلمون ٤/٣٦ ، وانظر منار الإسلام ، ربيع الأول سنة ١٤٠٦ / ٦٣

٣) سورة الزمر الآية : (٤٢)

وهذه وفاة غير راجعة ، وفي حالة النوم وفاة راجعة ﴿ **ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى** ﴾ يرجع النفس التي تمت إلى أجل مسمى .

وعندئذ أدركت أن هناك قوة فوق البشر هي التي قالت هذا الكلام .. غير أنني آثرت أن أعطي نفسي فرصة أخرى للتثبت والتيقن .

وعلى مدى ثلاثة أيام كاملة هي أيام المؤتمر كنت أتابع ما يطرح من حقائق ونتائج في الأبحاث مقارنة بما جاء في القرآن .. ولقد أيقنت أن القرآن سبق في الإشارة إلى هذه الحقائق مما زاد من يقيني بصحة القرآن وبضرورة الإذعان لنداء الإسلام .

وقد دعا د. عبدالله أليسون العلماء إلى تدبر ما جاء في القرآن الكريم من قيم تحمل الخير والسعادة وأسباب النجاح في كل ميادين الحياة وفي شتى مناحيها مؤكدا أن واحدا ممن يفكرون في الإسلام بحياد لن يتوانى عن الدخول فيه .

- ومن أقوال البروفسور : (إن الإسلام كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يتضمن حقائق علمية لا تتعارض مع علوم اليوم ، وأعتقد أن العالم الغربي كله لا يفهم الإسلام بهذا الفهم ، وعدد كبير من زملائي العلماء الغربيين لو فهموا الإسلام لدخلوا فيه جميعا فلا ننسى أن معظم الأديان التي يدين بها الغرب جاءت من الشرق) .

ويتحدث البرفويسير عبدالله أليسون عن نتيجة لقاء العلم البشري مع ما جاء في القرآن الكريم ، فيقول إن النتيجة قد وعدنا بها من قبل ألف وأربعمائة سنة ، فلقد أخبرنا القرآن الكريم أن فيه من الأخبار والأنباء ، ما لا يعلم إلا بمرور الزمن ، قال تعالى:﴿ **لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون**﴾ [1] .

أي لكل نبأ من أنباء القرآن الكريم زمن يستقر عنده المعنى ، ويتجلى فيه وقال تعالى : ﴿ **ولتعلمن نبأه بعد حين** ﴾ [2] ، أي فيه أنباء الآن أنتم لا تعلمونها ولكنها ستتجلى لكم بعد حين ، وقال تعالى ﴿ **وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها** ﴾ [3] أي أن هذه الآيات التي كانت مسموعة للأجيال السابقة أصبح الكثير منها لنا مشاهدا ، فجمعنا نحن في عصرنا في الآيات الكونية بين السماع من النص القرآني والمشاهدة من الواقع الكوني ، فكانت النتيجة أن تبين لنا وازداد المؤمنون إيمانا وبيانا بأن القرآن هو الحق .

---

١) سورة الأنعام : آية (٦٧)

٢) سورة ص : آية (٨٨)

٣) سورة النمل : آية (٩٣)

وقال البروفيسور عبدالله إنني عندما حضرت إلى مؤتمر الإعجاز الطبي للقرآن الكريم ورأيت هذا الحشد الهائل من الحقائق القرآنية والنبوية ، التي تتكلم عن المخلوقات والتي جاء العلم فأيدها أدركت أن هذا لا يمكن أن يكون من عند بشر ، وما جاء إلى محمد صلى الله عليه وسلم من قبل ألف وأربعمائة عام يؤكد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك أعلنت شهادتي وآمنت وأسلمت.

وتحدث العالم البريطاني عن الحقائق العلمية في الإسلام كمدخل للدعوة الاسلامية في الغرب ، فقال إن ذلك هو أمثل طريق للدعوة الاسلامية .

وقال إن الطريقة الغربية لتعاطي العلوم تعتقد أن الإنسان هو عبارة عن كيلوجرامات محدودة من الأنسجة ، إضافة إلى عقل ألكتروني صغير أو كمبيوتر في رأسه ليدير هذا الجهاز الآدمي ، وإن الكون عبارة عن مرئيات ومحسوسات ، وهذه الصورة ابتدأت في التصدع ، صارت تتصدع على المستوى الدقيق ، ذلك أن الإنسان كلما يكتشف شيئا يعلم أنه يجهل أكثر وأكثر وأن القوانين الفيزيائية التي كان يعرفها تتقلص وتذوب وتنتهي .

هـ) إسلام غرينيه : طبيب فرنسي وعضو مجلس النواب الفرنسي :-

يحدثنا الأستاذ محمود بك سالم في حلقة صغيرة من حلقات جمعية الشبان المسلمين فيقول :

كنت أسمع وأنا نزيل فرنسا بطبيب عظيم له شهرة واسعة بين بني قومه في حب الخير ونشر الفضيلة ، هذا الطبيب هو الدكتور غرينيه الذي كان في بعض أيام حياته عضوا في مجلس النواب الفرنسي ، فرأى الأمور التي تجري في ذلك المجلس غير ملائمة لكثير من مبادئه الإنسانية ، فانسحب من ذلك الكرسي على كثرة المتزاحمين لنيلة ، وآثر الاقامة في بلدة صغيرة هادئة من بلاد فرنسا يداوي فيها أمراض الناس الجسمية والروحية .

والدكتور غرينيه هذا هو أخ لنا في الإسلام ، وقد اعتنق الهداية المحمدية عن اقتناع ، ودخل فيها على بينة .

أردت أن أعرف هذا الرجل الفاضل ، وأن أسمع من لسانه سبب خروجه من النصرانية ودخوله في الإسلام ، فتوجهت إلى البلد الذي انزوى فيها مبتعدا عن ضجيج الحضارة وموبقات باريس ، فلما دخلتها جعلت أسأل عن الدكتور غرينيه ، فكان كل من سألته عنه يجيبني بلهفة وابتهاج ، فعلمت من ذلك أن جميع أهل ذلك البلد مغمورون بفضل الرجل ، وليس منهم أحد إلا وقد سبق له منه شيء من الخير . فهو يطبب الفقراء وأشباه الفقراء بلا مقابل ويعطيهم العلاج من عنده وإذا جاء معهم أطفال يفرح قلوبهم بما يمنحهم من الملبس والحلويات وغيرها . وهو لجميعهم بمقام الوالد بمشورته ونصائحه وإرشاداته .

ولما اجتمعت بالدكتور غرينيه في منزله عرفته بنفسي ، وذكرت له سبب زيارتي ، فرحب بي كثيرا ولقيت منه فوق ما كنت أتوقع ، وسألته عن سبب إسلامه فقال :

- لقد كنت في أيام شبابي طبيبا بحريا ألازم السفن وأعيش فيها بين السماء والماء . وأطلعت مرة على نسخة من القرآن مترجمة إلى الفرنسية بقلم المسيو سافاري ، فقرأت فيها ترجمة آية من سورة النور تتضمن صفة الجاحد وتخبطه في جحوده كما يتخبط الغريق بين ظلمات الأمواج في يوم شات كثير السحاب ، وهي قوله تعالى : ﴿ **أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور** ﴾ [1] .

وكنت لما قرأت هذه الآية لم أتشرف بعد بهداية الإسلام ، ولا أعلم شيئا عن محمد صلى الله عليه وسلم ، فخيّل إليّ أن محمدا صلى الله عليه وسلم رجل عاش في البحار طوال أيام حياته ، ومع ذلك كنت أعجب كيف يتسنى لرجل أن يصف تخبط الضالين بمثل هذا الوصف الموجز الذي جمع بكلمات قلائل أهوال البحار وحالتها الطبيعية حتى يكاد الإنسان يشهد الحقيقة بحواسه كلها بأسلوب لا يستطيعه أبلغ ممارس لأهوال البحار ، فلما علمت بعد ذلك أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يركب البحر قط ، وأنه فوق ذلك كان أميا ، رجعت إلى القرآن فأطلت النظر في سورة النور وفي سائر آيات هذا الكتاب الحكيم ، فأيقنت أنه ليس من كلام البشر وإنما هو من وحي الله فأسلمت ولا أزال مغتبطا بإسلامي الذي أراه دين الفطرة المعقول البعيد عن كل ما في الديانات الأخرى من بقايا الوثنية [2] .

آية واحدة في القرآن هزته وحركت فطرته وجعلته يؤمن بصدق القرآن وكثير غيره آمن بسبب آية لأن القرآن جاء مخاطبا للعقول قبل القلوب .

ثانياً : تأثيره في نفوس المؤمنين :

أ- في مقدمة الذين أثر فيهم القرآن ، من نزل على قلبه القرآن ، محمد ﷺ الذي كان يتأثر وهو يتلو القرآن ، ويتأثر وهو يسمع القرآن ، ويبدو التأثر واضحا عندما تذرف عيناه الشريفتان .

ومن الأمثلة على تأثره وبكائه لسماع القرآن ، ما رواه البخاري ومسلم عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال : قال لي رسول الله ﷺ إقرأ عليّ ! قلت : أقرأ عليك ، وعليك أُنزل ؟ قال : نعم ، إني أُحب أن أسمعه من غيري ، فقرأت سورة النساء ، حتى أتيت على هذه الآية :

﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا** ﴾ [1] ، فقال : حسبك الآن .. فإذا عيناه تذرفان [2] ..

ولقد أثر القرآن في نفوس الصحابة تأثيراً عظيماً قادهم إلى الانتقال من الشرك والكفر والجاهلية إلى الإسلام .

ب – ومن أوضح الأمثلة على ذلك ، عمر بن الخطاب ، الذي كان سبب إسلامه سماعه القرآن من الرسول ﷺ ، أو قراءته صحيفة فيها آيات من القرآن عند أخته فاطمة .

فقد روى ابن هشام في السيرة في قصة إسلام عمر وذهابه إلى أخته وزوجها سعيد بن زيد ليبطش بهما لإسلامهما ، وأنه ضرب أخته وشج وجهها ، ثم رق قلبه وأخذ الصحيفة التي فيها آيات من القرآن من سورة طه : ﴿**طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إلا تذكرة لمن يخشى * تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلي * الرحمن على العرش استوى** ﴾ [3] (فقرأها ، فلما قرأ منها صدراً ، قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه) وتوجه إلى الرسول عليه الصلاة والسلام فأسلم لأنه استمع إلى كلام الله عز وجل هذا الكلام الذي إذا لمس القلوب العادية حركها وأثر فيها تأثيرا ما بعده تأثير فكيف إذا كان هذا القلب قلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك العربي الأصيل الذي يتأثر بما يسمع ويعيه جيدا .

وأورد ابن هشام في الرواية الثانية عن إسلام عمر ، والتي رواها هو ، وحدث عن نفسه فقال : (كنت للإسلام مباعداً ، وكنت صاحب خمر في الجاهلية ، أحبها وأسر بها ، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش .

فخرجت ليلة أريد جلسائي أولئك في مجلسهم ذلك ، فجئتهم فلم أجد فيه منهم أحداً ، فقلت : لو أني جئت فلاناً الخمار لعلي أجد عنده خمراً فأشرب منها ، فجئته فلم أجده .

فقلت : فلو أني جئت الكعبة فطفت بها سبعاً أو سبعين ..

فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة ، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي .

فقلت حين رأيته : والله لو أني استمعت لمحمد الليلة ، حتى أسمع ما يقول ، فقلت : لئن دنوت منه لأستمع منه لأروّعنه ، فجئت من قبل الحجر ، فدخلت تحت ثيابها ، فجعلت أمشي

---

١) سورة النساء : آية (٤١)

٢) انظر رجال نور الله قلوبهم جـ ١/١٧٧ – وانظر البخاري ١٨٨/٨ ومسلم كتاب صلاة المسافرين - باب فضل الإجتماع على القرآن ٥٥٠/٢ رقم (٨٠٠)

٣) سورة طه : آية (١-٥)

رويداً ، ورسول الله ﷺ قائم يصلي يقرأ القرآن ، حتى قمت في قبلته ، مستقبله ، ليس بيني وبينه إلا ثياب الكعبة .

فلما سمعت القرآن رق له قلبي ، فبكيت ودخلني الإسلام ، فلم أزل قائماً في مكاني ذلك ، حتى انصرف رسول الله ﷺ فتبعته وأسلمت) [1] .

جـ — ومن ذلك أيضاً ، ما روى في حديث بيعة العقبة (أن الرسول ﷺ ندب صاحبه " مصعب بن عمير " ليذهب مع أصحاب العقبة إلى يثرب ليقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، فنزل هناك على " أسعد بن زرارة " الأنصاري الخزرجي .

فحدث أن خرجا يوماً إلى حي بني عبد الأشهل ، رجاء أن يسلم بعض القوم ، فلما سمع كبيرا الحي " سعد بن معاذ " ، و " أسيد بن حضير " بمقدم مصعب وأسعد ضاقا بهما ، وأنكر موضعهما من الحي .

قال سعد بن معاذ لصاحبه أسيد بن حضير : لا أبا لك ! انطلق إلى هذين الرجلين ، فازجرهما وانههما عن أن يأتيا دارنا ، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة منى حيث قد علمت ، لكفيتك ذلك ، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدماً .

والتقط أسيد بن حضير حربته ومضى إلى صاحبي رسول الله ﷺ ، فزجرهما متوعداً بقوله : ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلا إن كانت لكما بنفسيكما حاجة .

فقال له مصعب بن عمير : أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كف عنك ما تكره ؟

فركز أُسيد حربته ، واتكأ عليها يصغي إلى ما يتلو مصعب من القرآن ، ثم أعلن إسلامه من فوره ، وعاد إلى قومه ، فعرفوا أنه جاء بغير الوجه الذي ذهب به ، وما زال أسيد بسعد بن معاذ حتى صحبه إلى ابن خالته " أسعد بن زرارة " فبادره سعد قائلاً في غضب : يا أبا أمامة ، لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني ، أتغشانا في دارنا بما نكره ؟

ولم يجب أبو أمامة ، بل أشار إلى صاحبه " مصعب " الذي استمهل سعد ابن معاذ حتى يسمع منه ، ثم تلا آيات من معجزة المصطفى ، نفذت إلى قلب ابن معاذ ، فمزقت عنه حجب الغفلة ، وغشاوة الضلال ، وأعلن إسلامه ، فعاد إلى قومه فسألهم : يا بني عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمري فيكم ؟

---

١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ١ ، ص٣٦٦ وما بعدها

أجابوا جميعاً : سيدنا وأفضلنا رأياً ، وأيمننا نقيبه ، فعرض عليهم الإسلام ، فوالله ما أمسى في حي بنى الأشهل رجل أو امرأة إلا مسلماً ومسلمة [1] .

وروى أيضاً أنه لما قرأ رسول الله ﷺ القرآن في الموسم على النفر الذين حضروه من الأنصار ، آمنوا به ، وعادوا إلى المدينة ، فأظهروا الدين بها ، فلم يبق من بيوت الأنصار بيت إلا وفيه قرآن ، وقد روي عن بعضهم أنه قال : فتحت الأمصار بالسيوف وفتحت المدينة بالقرآن [2] .

د — سيد قطب يروي عن تأثير القرآن فيه : ونقدم نموذجاً آخر معاصراً لتأثير القرآن في نفوس المؤمنين ، ونختار ما رواه سيد قطب عن نفسه ، وعن تأثير القرآن في نفسه .

فقد قال رحمه الله في تفسير سورة النجم : (كنت بين رفقة نسمر ، حين طرق أسماعنا صوت قارئ للقرآن من قريب ، يتلو سورة النجم ، فانقطع بيننا الحديث ، لنستمع وننصت للقرآن الكريم ، وكان صوت القارئ مؤثراً ، وهو يرتل القرآن ترتيلاً حسناً .

وشيئاً فشيئاً عشت معه فيما يتلوه ، عشت مع قلب محمد ﷺ في رحلته إلى الملأ الأعلى ، عشت معه وهو يشهد جبريل – عليه السلام – في صورته الملائكية التي خلقه الله عليها ، ذلك الحادث العجيب المدهش ، حين يتدبره الإنسان ويحاول تخيله ! وعشت معه وهو في رحلته العلوية الطليقة ، عند سدرة المنتهى وجنة المأوى .

عشت معه بقدر ما يسعفني خيالي ، وتُحلق بي رؤاي ، وبقدر ما تطيق مشاعري وأحاسيسي .

وتابعته في الإحساس بتهافت أساطير المشركين حول الملائكة وعبادتها وبنوتها وأنوثتها .

ووقفت أمام الكائن البشري ينشأ من الأرض ، وأمام الأجنة في بطون الأمهات ، وعلم الله يتابعها ويحيط بها ..

وارتجف كياني تحت وقع اللمسات المتتابعة في المقطع الأخير من السورة : الغيب المحجوب لا يراه إلا الله ، والعمل المكتوب لا يندّ ولا يغيب عن الحساب والجزاء ، والمنتهى إلى الله في نهاية كل طريق يسلكه العبيد ، والحشود الضاحكة والحشود الباكية ، وحشود الموتى ، وحشود الأحياء ، والنطفة تهتدي في الظلمات إلى طريقها ، وتخطو خطواتها وتبرز أسرارها ، فإذا هي ذكر أو أنثى ، والنشأة الأخرى ، ومصارع الغابرين ، والمؤتفكة أهوى ، فغشاها ما غشى ! .

---

١) بتصة من السيرة النبوية لابن هشام جـ٢ ، ص٤٣٥

٢) بيان إعجاز القرآن للخطابي ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص٧١، دار المعارف – مصر .

واستمعت إلى صوت النذير الأخير قبل الكارثة الداهمة : ﴿ **هذا نذير من النذر الأولى * أزفت الآزفة * ليس لها من دون الله كاشفة** ﴾ [1] .

ثم جاءت الصيحة الأخيرة ، واهتز كياني كله أمام التبكيت الرهيب ﴿ **أفمن هذا الحديث تعجبون * وتضحكون ولا تبكون * وأنتم سامدون** ﴾ .

فلما سمعت : ﴿ **فاسجدوا لله واعبدوا** ﴾ كانت الرجفة قد سرت من قلبي حقاً إلى أوصالي ، واستحالت رجفة عضلية مادية ذات مظهر مادي ، ثم أمللت مقاومته فظل جسمي كله يختلج ، ولا أتمالك أن أثبته ، ولا أن أكفكف دموعاً هاتنة لا أملك احتباسها مع الجهد والمحاولة!..[2]

هـ — توبة أعرابي لسماع آية من القرآن : عن الأصمعي قال : أقبلت ذات يوم من المسجد الجامع بالبصرة فبينما أنا في بعض سككها ، إذ طلع أعرابي جلف جاف على قعود له متقلداً سيفه وبيده قوس ، فدنا وسلم فقال لي ممن الرجل ؟

قلت من بني الأصمع ، قال أنت الأصمعي ؟ قلت نعم ، قال ومن أين أقبلت ؟ قلت : من موضع يتلى فيه كلام الرحمن ، قال وللرحمن كلام يتلوه الآدميون ! قلت نعم ، قال : اتل علي شيئاً منه ، فقلت له : أنزل عن قعودك ، فنزل ؟ وابتدأت بسورة الذاريات فلما انتهيت إلى قوله تعالى ﴿ **وفي السماء رزقكم وما توعدون** ﴾ قال يا أصمعي !! هذا كلام الرحمن ؟ قلت أي والذي بعث محمداً بالحق إنه لكلامه فقال لي حسبك ! ثم قام إلى ناقته فنحرها وقطعها بجلدها ، وقال : أعني على تفريقها ففرقناها على من أقبل وأدبر ، ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وجعلهما تحت الرجل وولى مدبراً نحو البادية وهو يقول : ﴿ **وفي السماء رزقكم وما توعدون** ﴾ !! .

فاقلبت على نفسي باللوم ، وقلت : لم تنتبه إلى ما انتبه له الأعرابي ؟ فلما حججت مع الرشيد دخلت مكة ، فبينما أنا أطوف بالكعبة ، إذ هتف بي هاتف بصوت دقيق فالتفت فإذا أنا بالأعرابي نحيلاً مصفراً فسلم عليّ وأخذ بيدي وأجلسني من وراء المقام وقال لي : أتل كلام الرحمن ، فأخذت في سورة الذاريات ، فلما انتهيت إلى قوله تعالى : ﴿ **وفي السماء رزقكم وما توعدون** ﴾ صاح الأعراب : وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً !! ثم قال وهل غير هذا ؟ ! قلت نعم : يقول الله عز وجل : ﴿ **فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون** ﴾ فصاح الأعرابي !! وقال يا سبحان الله ! من الذي أغضب الخليل حتى حلف ؟! ألم يصدقوه حتى ألجؤوه إلى اليمين ؟! قالها ثلاثاً وخرجت روحه رحمه الله .

---

١) سورة النجم : آية (٥٦-٥٨)

٢) الظلال ٦ : ٣٤٢٠-٣٤٢١

انظر يا أخي إلى أثر القرآن الكريم في نفوس الصادقين المتقين ! وما أسعد الإنسان حين يكون للقرآن وقع على النفس فيحيا به القلب وينشرح به الصدر ويجد طعم وحلاوة الإيمان [1] .

و – تأثر أبو بكر الصديق رضي الله عنه به ذكرت من قبل أن أبا بكر الصديق كان رجلاً رقيق الصوت بكاء ، وكان لقراءته تأثير عميق في النفوس ، وطالما اجتمع عليه النساء والشباب والعبيد وهو قائم يتلو من الليل فأخذتهم رجفة الوله فبكوا وتأثروا ، وقد خافت قريش على مصير أبنائها ، فتدخلت لتمنع الصديق من الجهر بالقراءة كل ذلك حدث [2] ، وما زال يحدث حتى لنسمع في ذلك الأعاجيب فمجرد تلاوة القرآن كانت كافية لاجتذاب الناس إلى الإسلام وكثيراً ما أسلم أهل البلاد النائية لمجرد سماع القرآن من الإذاعة وحدثني من لا أشك في صدقه أن أسرة بأكملها قد أسلمت لمجرد سماع صوت الشيخ محمد رفعت .

وصدق الله إذ يقول : ﴿ **إن الذين أُوتوا العلم من قبله إذا يُتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً * ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً** ﴾ [3] .

سر تأثير القرآن في النفوس :

لكن : ما سر ذلك التأثير ؟ وما مصدره ؟ .. الواقع أن لهذا التأثير أسباباً كثيرة أهمها : أنه نغم إلهي مقدس .. وهو سبحانه أعلم بما يجذب الألباب ويحرك المشاعر .. وإذا كان لا بد من استقصاء علمي فقد قيل : إن تأثير القرآن يكمن في بلاغة الأسلوب .. وجمال التصوير ، وجلال المعاني ، وموافقة الطبع ، ولمس السرائر ، ورُوئ المستقبل وأحداث التاريخ وإشارات العلوم .. وقيل أكثر من هذا !! .

وأنا لا أنفي أن يكون لما مضى كله دخل في التأثير وكذلك لما سيجد ، ولكني أعمد إلى إضافة يسيرة لعلها تتآخى وتتعاطف مع سوابقها لتعطي سر ذلك التأثير ، وهو العيش مع الآيات الكونية والإنسانية مع واقعية التعبير لهذه الآيات ، وواقعية التصوير وواقعية المنهج القرآني : تعبيراً وتصويراً وعقيدة وشريعة وأخلاقاً ، كلها تنتظم لتحدث التأثير ، حين يستمع الإنسان إلى هذه الآيات فيجدها سهلة التناول قريبة من نفسه منسجمة مع واقعه ، ومع روحه فإنه يخشع لهذا التأثير [4].

---

١) جريدة الوطن الكويتية العدد ٧١٨١ لسنة ٣٥ الموافق ٦ فبراير سنة ١٩٩٦ ، للكاتب/ عبدالله الدليمي . نقلاً عن مختصر كتاب التوابين – موفق الدين ابن قدامة المقدسي – ص٢٨٣ الطبعة الأولى سنة ١٩٩١ دار الخير – بيروت .

٢) النبأ العظيم ص ٨٨ مرجع سابق .

٣) سورة الإسراء : الآية (١٠٧)

٤) واقعية المنهج القرآني ص٤٣٠ – بتصرف .

ولن يقتصر هذا التأثير على الصوت المنغم ، بل ربما كان الصوت الطبيعي أدعى إلى الخشية ، وأعون على التأثير !! .. ومما ساعد على ذلك التأثير .. وجعله ممتداً على مدار الزمن أن القرآن ظل محتفظاً بلغة الوحي المقدس لم يطرأ عليه أي تشويه أو تبديل يغضان من تأثيره ، أو يضعفان من فاعليته في النفوس .

وللقرآن تأثير عجيب على النفوس ، وسلطان قوي على القلوب : (ويبقى وراء ذلك السر المعجز في هذا الكتاب العزيز .. يبقى ذلك السلطان الذي له على الفطرة - متى خلي بينه وبينها لحظة - وحتى الذين رانت على قلوبهم الحجب ، وثقل فوقها الركام ، تنتفض قلوبهم أحياناً وتتململ ، تحت وطأة هذا السلطان ، وهم يستمعون إلى هذا القرآن !.

إن الذين يقرؤون كثيرون ، وقد يقولون كلاماً يحتوي على مبادئ ومذاهب وأفكار واتجاهات ، ولكن هذا القرآن ينفرد في إيقاعاته على فطرة البشر وقلوبهم فيما يقول ! إنه قاهر غلاب بذلك السلطان الغلاب)[1] .

إن للقرآن سراً خاصاً على النفوس ، حتى ليبلغ أن يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون العربية ، وعلى العوام الذين - عندما يسمعون إلى تلاوته - لا يطرق عقولهم منه شيء ، ولكن يطرق قلوبهم إيقاعه ، ويظهر على ملامحهم سره : (إن كل آية وكل سورة تنبض بالعنصر المستكن العجيب المعجز في هذا القرآن ، وتشي بالقوة الخفية المودعة في هذا الكلام ، وإن الكيان الإنساني ليهتز ويرتجف ويتزايل ، ولا يملك التماسك أمام هذا القرآن ، كلما تفتح القلب ، وصفا الحس ، وارتفع الإدراك ، وارتقت حساسية التلقي والاستجابة ، وإن هذه الظاهرة لتزداد وضوحاً كلما اتسعت ثقافة الإنسان)[2] .

ويحار العلماء في تعليل هذه الظاهرة ، وفي بيان سبب تأثير القرآن في النفوس ، وفي كشف سر تأثيره ومصدره ، وتحديد الجزء من القرآن الذي يحقق له في النفوس التأثير المعجز العجيب : (إن في هذا القرآن سراً خاصاً ، يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداء ، قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها .

إنه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن ، يشعر أن هنالك شيئاً ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير ، وأن هنالك عنصراً ما ينسكب في الحس بمجرد الاستماع لهذا القرآن ، يدركه بعض الناس واضحاً ، ويدركه بعض الناس غامضاً ، ولكنه على كل حال موجود .

---

١) الظلال ٣ : ١٤٢١

٢) الظلال ٥ : ٢٨٠٥

هذا العنصر الذي ينسكب في الحس ، يصعب تحديد مصدره :أهو العبارة ذاتها ؟ أهو المعنى الكامن فيها ؟ أهو الصور والظلال التي تشعها ؟ أهو الإيقاع القرآني الخاص المتميز من إيقاع سائر القول المصوغ من اللغة ؟ أهي هذه العناصر كلها مجتمعة ؟ أم أنها وشيء آخر وراءها غير محدود ؟

ذلك سر مودع في كل نص قرآني ، يشعر به من يواجه نصوص هذا القرآن إبتداء .. ثم تأتي وراءه الأسرار المدركة بالتدبر والنظر والتفكير في بناء القرآن كله) [1] .

---

١) الظلال ٦/٣٣٩٩

الفصل الخامس : نماذج تطبيقية للدعوة إلى ا لله باستخدام المنهج الحسي في القران الكريم

ويشتمل على تمهيد و خمسة مباحث :

المبحث الأول : استخدام نوح عليه السلام للمنهج الحسي في الدعوة إلى الله .
المبحث الثاني : استخدام إبراهيم عليه السلام للمنهج الحسي في الدعوة إلى الله .
المبحث الثالث : استخدام موسى عليه السلام للمنهج الحسي في الدعوة إلى الله .
المبحث الرابع : استخدام عيسى عليه السلام للمنهج الحسي في الدعوة إلى الله .
المبحث الخامس : استخدام محمد ﷺ للمنهج الحسي في الدعوة إلى الله .

الفصل الخامس : نماذج تطبيقية للدعوة إلى الله باستخدام المنهج الحسي في القرآن الكريم :

التمهيد :

إن ما نقدمه في هذا الفصل من نماذج تطبيقية عن إثبات أولى العزم من الرسل لوحدانية الله عز وجل والنبوة والبعث باستخدامهم المنهج الحسي . ليس بالشيء الجديد الذي نطرقه لأول مرة ، فإن مضمون هذه الرسالة كلها قائم على هذا الأمر ، وما من مبحث من مباحثها ولا فصل من فصولها إلا وفيه لفته إلى ذلك أو تصريح بذلك .

لكن الذي دفعني إلى عقد فصل مستقل لهذه التطبيقات للمنهج الحسي، هو إبرازها وحدة متكاملة ، أجمعت عليها كل الديانات ، ودعت إليها كل الرسالات ، وإذا كانت هداية الله قد صحبت البشرية في تاريخها الطويل ، فان مشاهد الكون كانت في صحبتها جنبا إلى جنب دلائل إثبات لهذه الأصول منذ أن أهبط آدم أبو البشر إلى الأرض التي مهدها الله لسكناه هو و بني جنسه على النحو الذي نراها عليه الآن ، وما من نبي من الأنبياء ، ولا رسول من الرسل ، إلا دعا قومه إلى النظر في آيات الله المبثوثة في الكون هنا وهناك .

و لأن الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ ، بلفت الأنظار إلى مظاهر الكون و أغوار النفس ، للاستدلال على وحدانية المولى تبارك وتعالى باب عظيم من أبواب الدّعوة ومنهج واسع من مناهجها ، إذ يخاطب العقول والعواطف والفطر .

لذلك فقد كان رسل الله الكرام ، عليهم الصلاة و السلام ، يدعون أممهم إلى الإيمان بوحدانية الله وبالنبوات والبعث عن طريق الآيات المبثوثة في الكون وبما هو مألوف عندهم مما هو مشهود من جاري السنن ومعهود الحياة - وقد مرّ طرف من ذلك في مناهج دعوة كل من هود وسليمان وصالح و شعيب ، عليهم الصلاة والسلام ، في الفصل الثالث في مبحث التدرج - ولقد عرض القرآن الكريم لدعوات هؤلاء الرسل السابقين وتاريخهم مع أقوامهم في تلك القصص التي تحتل مساحة واسعة في المصحف الشريف وجميعها يعرض لنا قصة الدعوة إلى الله تعالى من بداية الخلق وما لقيت من كيد وما واجهت من خصام ، كما أن جميعها يجلي لنا موكب الإيمان في طريقه الممتد الطويل عبر التاريخ ، وتتبع هذا الموكب الطاهر في طريقه الرحب الواسع حيث يفيض على القلب سكينة ونوراً ويعطي الداعية زاداً روحياً يشد أزره وينير طريقه كما يعطيه رصيداً ضخماً من الخبرات والتجارب التي عاشها هؤلاء الأنبياء في كفاحهم ضد الكفر والضلال .

وما من ريب أن دعوات الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام هي أقوم الدعـوات منهاجـاً ، وأرشدها سبيلاً ، وأسماها غايةً .. ذلك أن الرسل من قبـل الله - جلـت آلاؤه - يبعثـــون ، ومـن وحيه المباشر يستمدون ، تحوطهم رعاية الله ، وتكلؤهم عنايته ، ويتـنزّل الوحـي بـين الحـين والحـين لتوجيههم للتي هي أهدى وأبقى .

وعلى هذا فهم لإصابة الحق أوفق ، ولمعرفة طبائع الناس وأهوائهم ونزعاتهم أقرب وأعدل ، ولانتقاء الأساليب والوسائل ومراعاة الظروف والأحوال أعلم وأرشـد .. وأي دعـوة ترتقـي في سمـو غاياتها وعدل مناهجها إلى دعوات الأنبياء عليهم السلام ؟؟

ومهما قرأت ما سطره الأقدمـــون واللاحقـــون حول هذه الدعوات المباركة فأنت واجد - بعون الله وفضله - الجديـد المفيـد ممـا يفتـح الله بـه عليـك مـن منـاهج الدعـوة تـأصيلاً أو تصويـراً ولنحاول هنا إلقاء الضوء في مباحث خمسة على دعوة أبرز الرسل الكرام أعني أولى العزم من الرســل لنرى كيف استخدموا المنهج الحسي في دعوتهم إلى الله عز وجل .

المبحث الأول :

استخدام نوح عليه السلام للمنهج الحسي في الدعوة إلى الله .

ويشتمل على :

أولاً : التمـــهيـــــد .

ثانياً : منهج نوح عليه السلام في الدعوة إلى الله .

ثالثاً : استخدام نوح عليه السلام المنهج الحسي في دعوته

المبحث الأول : استخدام نوح عليه السلام للمنهج الحسي في الدعوة إلى الله :

أولاً : التمهيد

من هو نوح ؟

هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ . وهو ادريس بن يرد بن مهلاييل بن قينن بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام كان مولده بعد وفاة آدم بمائة وست وعشرين سنة فيما ذكره ابن كثير وغيره [1] ، ولكن هذه المدة الزمنية بينه وبين آدم لا تتناسب مع ما ذكر من آباء وأجداد ، ولكن جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس قال : (كان بين آدم ونوح كلهم قرون كلهم على الإسلام) [2] ، فإن كان المراد بالقرن مائة سنة كما هو المتبادر عند كثير من الناس فبينهما ألف سنة لا محالة لكن لا ينفي أن يكون أكثر باعتبار ما قيد به ابن عباس بالإسلام إذ قد يكون بينهما قرون أخر متأخرة لم يكونوا على الإسلام .

وإن كان المراد بالقرآن الجيل من الناس كما في قوله تعالى : ﴿ **وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح** ﴾ [3] ، وقوله : ﴿ **ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين** ﴾ [4] ، وقال تعالى : ﴿ **وقروناً بين ذلك كثيراً** ﴾ [5] ، وقال تعالى : ﴿ **وكم أهلكنا قبلهم من قرن** ﴾ [6] ، وكقوله عليه السلام : (خير أمتي قرني) [7] ، فقد كان الجيل قبل نوح يعمرون الدهر الطويلة ، فعلى هذا يكون بين آدم ونوح ألوف من السنين والله أعلم .

ذكر نوح في القرآن

ذكر " نوح " عليه السلام في ثلاثة وأربعين موضعاً من القرآن الكريم .. وذكرت قصته مفصلة في القرآن في كثير من السور الكريمة ، منها : الأعراف وهود ، والمؤمنون ، والشعراء ،

---

١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ج١ ص ١٠٠-١٠١ ط الثانية - مكتبة المعارف -بيروت وأنظر تفسير الألوسي ، ج٢٩ ص٦٧ .

٢) أخرجه البخاري وقال عنه ابن كثير في تفسيره أن حديث ابن عباس أصح سنداً ومعنى لأن الناس كانوا على ملة آدم حتى عبدوا الأصنام ، فبعث الله إليهم نوحاً عليه السلام ، فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ، تفسير ابن كثير ٢١٩/١ - المكتبة العصرية - بيروت سنة ١٩٩٥م.

٣) سورة الإسراء : آية (١٧)

٤) سورة المؤمنون : آية (٣١)

٥) سورة الفرقان: آية (٣٨)

٦) سورة مريم : آية (٩٨)

٧) أخرجه البخاري - كتاب الشهادات - باب لا يشهد على جور جـ٣ ص٢٠٩ رقم (٢٦٥١) وانظر فتح الباري لابن حجر الجزء ٥ ، ص ٣٢٤ رقم الحديث (٢٦٥١) - دار الكتب العلمية - بيروت طـ ١ ، سنة ١٩٨٩م.ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب (٥٢) رقم (٢٥٣٤) جـ ٤ ص١٩٦٢

والقمر ، وذكرت له سورة خاصة تسمى (سورة نوح) وكلها تشير إلى بعثته ورسالته وطريق دعوته ، وإلى ما لاقاه من قومه من جحود وعصيان ، وإلى صبره الطويل على الإيذاء ، وإلى العذاب الذي حلّ بالمكذبين وهو " الغرق " وإلى نجاة من آمن به على ما يأتي بيانه عند تفصيلي منهجه عليه الصلاة والسلام . كما ذكر اسمه دون بسط لقصته في سور كثيرة ، كما في سورة النساء والإسراء ، والتوبة ، وإبراهيم ، وغير ذلك مما هو كثير جداً [1] وكان نوح عليه السلام أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض [*] لدعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه كما في حديث الشفاعة الذي ورد في الصحيحين وذلك لأنه لما انتشر الفساد في الأرض وعم البلاء بعبادة الأصنام بعث الله نوحاً إلى أهل الأرض يدعوهم إلى عبادة الله وحده .

ففي حديث الشفاعة الطويل عن أبي هريرة رضي الله عنه ..... (فيأتون نوحاً فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبداً شكوراً ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما بلغنا ؟ ألا تشفع لنا إلى ربك عز وجل ؟ فيقول : ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ، وأنه كانت لي دعوة دعوتها على قومي ، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري ...) [2] .

ولما بعث إلى أهل الأرض دعاهم إلى إفراد الله وحده بالعبادة وألا يعبدوا معه صنماً ولا تمثالاً ولا طاغوتاً وأن يعترفوا بوحدانيته و أنه لا إله غيره و لا رب سواه . وقد أخذ نوح بحظه من هذا المنهج الحكيم الذي رسمه الله عز وجل لرسله وأمرهم بالالتزام به في دعوتهم العباد إلى توحيده سبحانه و تعالى فأمر قومه بعبادة الخالق وحده وحذرهم من عبادة غيره كما أخبرنا القرآن الكريم بذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ **لقد أرسلنا نوحاً إلى قومهِ فقال يقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره . إني أخاف عليكم عذاب يومٍ عظيمٍ** ﴾ [3] .

---

١) أنظر قصص الأنبياء لابن كثير ج١ ص٧٤ وانظر الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، د. محمد شحرور ص ٦٧٦ . لقد جاء ذكر نوح بشكل مباشر أو غير مباشر في الآيات التالية : ١- آل عمران (٣٣) . ٢- النساء (١٦٣) . ٣- الأنعام (٨٤) . ٤- الأعراف من (٥٩الى ٦٤) ، ٦٩ . ٥- يونس (٧١) . ٦- هود من (٢٥الى٤٨) ، ٨٩ . ٧- إبراهيم (٩) . ٨- الإسراء (٣، ١٧). ٩- مريم(٥٨). ١٠- الأنبياء (٧٦-٧٧). ١١- الحج (٤٢). ١٢- المؤمنون (٢٣). ١٣- الفرقان (٣٧) . ١٤- الشعراء (من ١٠٥ الى ١٢١) ١٥- العنكبوت (١٤) . ١٦- الأحزاب (٧) . ١٧- الصافات (من ٧٥ الى ٨٣) . ١٨- (ص ١٢) . ١٩- غافر (٥، ٣١) . ٢٠- الشورى (١٣). ٢١- ق(١٢) . ٢٢- النجم (٥٢) . ٢٣- القمر (٩). ٢٤- الحديد (٢٦) . ٢٥- التحريم (١٠) . ٢٦- الحاقة (١١-١٢) . ٢٧- سورة نوح. ٢٨- التوبة (٧٠). ٢٩- الذاريات (٤٦) .

٠) لأنه لم يكن موجود في ذلك الوقت إلا قومه ولهذا بعث إلى أهل الأرض .

٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير في سورة بني اسرائيل في باب ذرية من حملنا مع نوح ٢٤٨/٨ رقم (٤٧١٢) ومسلم في كتاب الايمان ج١ ص ١٨٥ .

٣) سورة الأعراف : آية (٥٩)

وقال تعالى : ﴿ **ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومهِ إنّي لكم نذيرٌ مُّبين .أن لاّ تعبدوا إلا ا لله . إني أخاف عليكم عذاب يومٍ أليم** ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ **ولقد أرسلنا نوحاً إلَى قومهِ فقال يقوم اعبدوا ا لله مالكم من إلهٍ غيره .أفلا تتّقون** ﴾ [2] .

وقال تعالى حاكياً عنه : ﴿ **قال يقوم إنّي لكم نذيرٌ مُّبين . أن اعبدوا ا لله واتّقوه وأَطيعون**﴾ [3] .

وقد ذكر القرآن أسماء الأصنام التي كان يعبدها قوم نوح بما جاء على لسان أشرافهم : ﴿ **وقالوا : لا تذرُنَّ** [4] **آلهتكم ولا تذرُنَّ وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا . وقد أضلوا كثيرا ...** ﴾ [5] .

كما كان لقوم نوح آلهة أخرى كما أشارت الآية : ﴿ **لا تذرُنَّ آلهتكم** ﴾ قيل : هي الكواكب السيارة ، وبما أن هذه الكواكب تظهر ليلاً وتغيب نهاراً لذا اتخذوا الأصنام واسطة لتقربهم إلى آلهتهم [6] .

ففي زمنه عليه السلام عبدت الأصنام والطواغيت وشرع الناس في الضلال والكفر فبعثه ا لله رحمة للعباد فكان أول رسول بعث إلى أهل الأرض ، وذلك أنهم كان فيهم رجال صالحون ، ود ،وسواع ،ويغوث ،ويعوق، ونسر، ولما مات هؤلاء الرجال الصالحون أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ذلك فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك الناس ونسخ العلم عبدت .

روى ابن جرير أن يغوث ويعوق ونسرا كانوا قوماً صالحين من بني آدم وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم : لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا جاء آخرون دب إليهم إبليس فقال : إنما كانوا يعبدونهم ، وبهم يسقون المطر فعبدوهم [7] .

---

١) سورة هود : آية (٢٣-٢٤)

٢) سورة المؤمنون : آية (٢٣)

٣) سورة نوح : الآية (٢-٣)

٤) لا تذرن : لا تتركن

٥) سورة نوح الآيتان : (٢٣-٢٤) .

٦) انظر مع الأنبياء في القرآن الكريم ، عفيف طباره ص٦١ و الدعوة إلى ا لله في سورة إبراهيم الخليل ، محمد بن سيدي بن الحبيب ص٢٨٤ .

٧) تفسير ابن جرير ج٢٩ ص٦٢ المصدر السابق .

ولقد بذل نوح منتهى وسعه واجتهد بغاية إمكانه أن يتبعه قومه ، وأن يؤمنوا بالله تعالى ويتركوا عبادة تلك الأصنام ، وطال عليه الزمن وهو يغاديهم ويراوحهم بالدعوة والنصح ، ويأمل منهم الإيمان يدعوهم سراً وعلانية منفراً إياهم من عبادة غير الله عز وجل ، ومرغباً لهم في عبادة الله سبحانه وتعالى بعد إغراءات كإنزال المطر على أرضهم إذا آمنوا ، وإمدادهم بالمال والبنين كما حاول إقناعهم بلفت أنظارهم إلى خلق السماوات والأرض وأن من خلقهن يستحق أن يعبد وأن يوحد ، ثم ذكرهم بكيفية خلقهم وأنهم خلقوا أطواراً طوراً بعد طور إلى غير ذلك من جميع الوسائل التي حاول إقناعهم بها فلم يفد ذلك فيهم شيئاً و لم يزدادوا إلا إعراضاً وبعداً عما يدعوهم إليه من توحيد الله وما آمن معه إلا قليل [1] .

---

١) انظر قصص الأنبياء للنجار بتصرف في الألفاظ ص٣٣ .

ثانياً : منهج نوح عليه السلام في الدعوة إلى الله :

استعمل نوح عليه السلام في دعوته إلى الله عز وجل منهجاً حكيماً لإقناع قومه بوحدانية الله عز وجل ويتمثل هذا المنهج فيما يلي :

١- التلطف والترفق ولين الكلمة .. وهذا واضح في أسلوبه وهو يوجه قومه إلى الحقائق الغائبة عنهم من أمر الألوهية والرسالة . فعندما قال له كفار قومه كما حكى القرآن ﴿ **وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين** ﴾ [١] .

أي لم يظهر لكم شأن بعد اتصافكم بالإيمان ، ولا مزية بادية لكم علينا قال : ﴿ **يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون** ﴾ [٢] .

وغير ذلك من المواقف الأخرى التي تنطق بلين نوح وتسامحه مع قومه واستعلائه على ثورتهم وشتمهم له ، فلا يعيب كما عابوا ولا يقبح كما قبحوا ولما قالوا له : ﴿ **إنا لنراك في ضلال مبين** ﴾ [٣] .

رد في هدوء وتعفف ﴿ **يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون** ﴾ [٤] .

ويرد نوح -عليه السلام - على قومه بأسلوب مهذب ، فينفي عن نفسه الضلالة ، ويوضح لهم حقيقة دعوته فيقول - كما أخبرنا القرآن عنه :- ﴿ **قال يقوم ليس بي ضلالةٌ ...** ﴾ [٥] .

والمعنى : قال نوح لقومه : يا قوم ليس بي أدنى شئ من الضلالة ، وليس بي خروج عن الحق والرشاد إذ أمرتكم بتوحيد الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له .

---

١) سورة هود : آية (٢٧) .

٢) سورة هود : آية (٢٨) .

٣) سورة الأعراف : آية (٦٠) .

٤) سورة الأعراف : آية (٦١-٦٢) .

٥) سورة الأعراف : الآية (٦١) .

وهنا نلحظ أن نوحاً – عليه السلام – ينفي الضلال عن نفسه على أبلغ وجـه؛ لأن التـاء في الضلالة للمرة الواحدة .يقول الإمام النسفي : (ولم يقل ضلال) كما قالوا ؛ لأن الضلالة أخص من الضلال [1] .

وفي تقديم الظرف " بي " في قوله :﴿ **ليس بي ضلالةٌ** ﴾ .

تعريض بأنهم في ضلال واضح ، ثم استدرك لتأكيد نفي الضلالة فقـال :﴿ **ولكنّي رسولٌ من ربّ العالمين** ﴾ .

فبعد أن نفى نوح – عليه السلام – عن نفسه أي لون من ألوان الضلالة وصف نفسه بـأربع صفات كريمة :

أولها – قوله : ﴿ **ولكنّي رسولٌ من ربّ العالمين** ﴾ .

يعني أرسلت من رب العالمين إليكم لهدايتكم وإنقاذكم ، مما أنتـم فيـه مـن شـرك وكفـر ، فكان في الغاية القصوى من الهدى [2] .

يقول الإمام الجمل : (وقد جاءت " لكن " هنـا أحسـن مجـيء ، لأنهـا بـين نقيضـين ؛ لأن الإنسان لا يخلو من أحد شيئين : ضلالة وهدى ، والرسالة لاتجامع الضلالة ، و " من رب العـالمين " صفة لرسول ، و" من " لابتداء الغاية) [3] .

والرسالة يلزمها الهدى التام غير القـابل للضـلال ، فاستدرك الملزم ليكـون كالبرهـان علـى استدراك اللازم ، كأنه قال : ولكني على هدى في الغاية لأني رسـول من رب العالميـن [4] .

وثانيهما – قوله : ﴿ **أُبلِغُكم رسالات ربّي** ﴾ .

أي: مـا أوحـي إلي في الأوقـات المتطاولـة ، أو في المعـاني المختلفـة مـن الأوامـر والنواهـي والزواجر والبشائر ... .

---

١) انظر تفسير النسفي ١٧/٢ طبعة :محمد علي صبيح .

٢) انظر قصص الأنبياء مع أقوامهم والعبر المستفادة منه في سورة الأعراف ص ٥٣ الدكتور /البدري عاطف علي محمد أبو حربة .
وأنظر أسس الدعوة إلى الله تعالى في القرآن الكريم ، د. عمر يوسف حمزة ص ٧٢ .

٣) حاشية الجمل على الجلالين ج ٢ ص ١٥٤ عيسى الحلبي .

٤) راجع : تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي ج٣ ص ١٨٣ ، الطبعة العثمانية سنة ١٣٣١ هـ.

يقول الإمام الألوسي : (وجمع الرسالات مع أنَّ رسالة كل نبي واحدة ، رعاية لاختلاف أوقاتها أو تنوع معاني ما أرسل - عليه السلام - به من العبادات والمعاملات ، أو أنه أراد رسالته ورسالة غيره ممن قبله من الأنبياء كإدريس عليه السلام) [1] .

وثالثهما - قوله :﴿ وأنصحُ لكم ﴾ . أي: وأقصد صلاحكم بإخلاص .

والنصح : تحري فعل أو قول فيه صلاح صاحبه . يقول الإمام القرطبي : (النصح : إخلاص النية من شوائب الفساد ، يقال : نصحته ، ونصحت له ، نصيحة ونصاحة . أي: أرشدته إلى مافيه صلاحه ، ويقال : رجل ناصح الجيب ، أي: نقي القلب .

والناصح: الخالص من العسل وغيره ، مثل الناصع ، وكل شئ خلص فقد نصح) [2].

والفرق بين تبليغ الرسالة والنصح ، هو أن تبليغ الرسالة معناه: أن يعرفهم جميع أوامر الله ونواهيه ، وجميع أنواع التكاليف التي كلفهم الله بها ، وأما النصح فمعناه أن يرغبهم في قبول تلك الأوامر والنواهي والعبادات ، ويحذرهم من عذاب الله إن عصوه [3].

ومثل هذه الآية الكريمة قول الحق تعالى عن هود - عليه السلام - : **﴿ وأنا لكم ناصحٌ أمينٌ ﴾** [4] .

وقد روى مسلم وغيره : عن أبي رقية تميم بن أوس الداري - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: (الدين النصيحة) [5] . قلنا : لمن ؟ قال : (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) [6] .

أما الصفة الرابعة : فهي قوله : ﴿ وأعلم من الله مالا تعلمون ﴾ .

والمعنى: وأعلم من الأمور الغيبية التي لا تعلم إلا عن طريق الوحي أشياء لا علم لكم بها؛ لأن الله قد خصني بها .

يقول صاحب البحر المحيط : وفي قوله : " ما لا تعلمون " إبهام عليهم ، وهو عام ، ولكن ساق ذلك مساق المعلومات التي خفيت عليهم ، ولم يسمعوا قط بأمة عذبت فتضمن التهديد والوعيد ، فيحتمل أن يريد : مالا تعلمون من صفات الله وقدرته وبطشه على من اتخذ إلها معه . أو

---

١) انظر: تفسير روح المعاني للألوسي ج٨ ص ١٥٢ طبعة المنيرية ، دون تاريخ .

٢) تفسير القرطبي ج ٧ ص٢٣٤ بتصرف ، طبعة دار الكتاب العربي .

٣) انظر: تفسير الخازن ج ٢ ص ٢٤٦ طبعة مصطفى الحلبي الثانية سنة ١٩٥٥ م وحاشية الجمل على الجلالين ج ٢ ص ١٥٤ .

٤) سورة الأعراف : آية (٦٨) .

٥) أي : عماد الدين وقوامه النصيحة . وهي كلمة جامعة ، معناها : حيازة الخير للمنصوح له .

٦) أخرجه مسلم في صحيحه برقم ٥٥ وأبو داود في سننه برقم (٤٩٤٤) والنسائي ج ٧ ص ١٥٦ .

يريد : مالا تعلمون مما أوحى إلى ، قال ابن عطيه : (ولا بد أن نوحاً – عليه السلام – وكل نبي مبعوث إلى الخلق كانت له معجزة بخرق العادة ، فمنهم من عرفنا بمعجزته ومنهم من لم نعرف ، وما أحسن سياق هذه الأفعال ، قال أولاً : " أبلغكم رسالات ربي " وهذا مبدأ أمره معهم ، وهو التبليغ ، كما قال : ﴿ **إن عليك إلا البلاغ** ﴾ .

ثم قال : " وأنصح لكم "أي: أخلص لكم في تبيين الرشد والسلامة في العاقبة إذا عبدتم الله وحده ، ثم قال: ﴿ **وأعلم من الله مالا تعلمون** ﴾ أي: من بطشه بكم [1] .

قال الحافظ ابن كثير : (وهذا شأن الرسول أن يكون مبلغاً ناصحاً عالماً بالله لا يدركه أحد من خلق في هذه الصفات ، كما جاء في صحيح مسلم أن رسول الله – ﷺ – قال لأصحابه يوم عرفة وهم أوفر ما كانوا وأكثر جمعاً : أيها الناس وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس : اللهم اشهد ، اللهم اشهد – ثلاث مرات) [2] .

وجملة (وأعلم من الله مالا تعلمون) مقررة للرسالة مبينة لمزيد علمه ، وأنه يختص بعلم الأشياء التي لا يعلمونها بإخبار الله بذلك ، ومنها قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه ، وأن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين) [3] .

ومن جملة ما سبق نرى أن نوحاً عليه السلام مع كفر قومه وعنادهم وقسوتهم في الخطاب: فإنه ضرب المثل الأعلى للدعاة في لين الجانب للمدعوين والتلطف بهم لأجل هدايتهم و لم يشتد معهم إلا حينما حصل له اليأس من هدايتهم عن طريق الوحي من الله ، هنالك يشتد عليهم ويقسو ويدعو عليهم كما قال الله تعالى عنه : ﴿ **وقال نوحٌ ربّ لا تَذر على الأرضِ من الكافرين دَيَّارًا** ﴾[4] .

فنوح عليه السلام لم يدع على قومه و لم يقس معهم إلا بعد أن أخبره الله أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن كما قال تعالى : ﴿ **وأُوحِيَ إلى نوحٍ أنّه لن يؤمن من قومك إلاّ من قد ءَامن فلا تبتئِسْ بما كانوا يفعلون** ﴾ [5] .

---

١) انظر : البحر المحيط لأبي حيان ج٣ ص٣٢١ ، ٣٢٢ طبعة النصر الحديثة بالرياض .

٢) أخرجه مسلم في صحيحه ج٨ ص ١٨٤ طبعة المصرية ، باب حجة الالوداع ، وابن كثير ١٨٣/٣ .

٣) انظر : فتح البيان في مقاصد القرآن ، صديق حسن خان ج٣ ص٣٥٣ ، ٣٥٤ ط العاصمة بالقاهرة .

٤) سورة نوح : الآية : (٢٦) .

٥) سورة هود الآية : (٣٦) .

وقد ذكر القرآن نماذج من أدبه مع قومه وتلطفه ولينه معهم عندما يعارضه الملأ من قومه ويكذبونه علناً ، هنالك يلين جانبه ويتلطف لهم في الخطاب ويضرع إلى الله عز وجل ، وهكذا ينبغي أن يكون الداعي اليوم متحلياً بالصبر ولين الجانب والصفح واللجوء إلى الله تعالى ويسلك الطريق السوي الذي رسمه أول رسول إلى أهل الأرض نوح: - عليه وعلى نبينا الصلاة والتسليم - للدعاة فإن في رسل الله الأسوة الحسنة .

٢- تنويعه لأساليب الدعوة ، فلم يجمد على حال واحدة و لم يلتزم طريقة بعينها ، وإنما أخذ يدعوهم بالليل والنهار والسر والإجهار ينذر تارة ويرغب أخرى لعل القوم يفيقون ، لكن كل هذا لم ينفع معهم ولجوا في عتو ونفور .

إلى أن ضاق بهم نوح عليه الصلاة والسلام ذرعاً فلجأ إلى ربه مستغيثاً به من إعراض قومه عنه وعن دعوته فقال : يا رب إني دعوت قومي إلى الإيمان بك وترك عبادة الأصنام ، وقد حرصت على إيمانهم فلم ادع مناسبة إلا وقد دعوتهم فيها سواء في الليل أو لنهار فلم يزدهم حرصي ودعوتي لهم إلى عبادتك وحدك إلاّ تمرداً وعصياناً ، وإني كلما دعوتهم لعبادتك لتتجاوز عن سيئاتهم وضعوا أطراف أصابعهم في آذانهم كراهة أن يستمعوا دعوتي وبالغوا في الإعراض فتغطوا بثيابهم كي لا يروني ولا يسمعوا الدعوة التي آتيتهم بها ، وقد أصّروا على إعراضهم عن دعوة الله ، وتكبّروا عن إتباعي والاستجابة لي تكبراً عظيماً .

ثم إني يا رب دعوتهم إلى عبادتك مرّة بعد أخرى بأساليب مختلفة فحيناً أدعوهم جهراً في مجتمعاتهم وحيناً انفرد ببعضهم سرّاً ، فكنت أقول لهم : استغفروا ربكم وتوبوا عن الكفر والمعاصي إنه يقبل توبة عباده ويعفو عن السيئات ، وسيجزيكم على توبتكم واستغفاركم فيرسل لكم المطر الغزير الذي يخصب أرضكم بعد جدبها ويرزقكم أموالاً تتنعمون بها ويمنحكم الله بنين يشدون أزركم وحدائق غناء ترفه عيشكم وأنهاراً تضمن الري لأرضكم ، قال تعالى : ﴿ **قال: رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعائي إلا فراراً * وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم** [1] **وأصّروا واستكبروا استكبارا * ثم إني دعوتهم جهاراً * ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا * فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفّارا * يرسل السماء**

---

١) استغشوا ثيابهم : تغطوا بها .

عليكم مدرارا [1] * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات [2] ويجعل لكم أنهاراً مالكم لا ترجون لله وقارا * وقد خلقكم أطواراً ﴾ [3] .

فمن خلال هذه الآيات الكريمة نرى إن نوحاً عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم نوّع أساليب دعوته لقومه فقد استعمل معهم أسلوب الترغيب تارة ، وأسلوب الترهيب تارة ، وتارة يلفت أنظارهم إلى الاعتبار بمخلوقات الله المحسوسة المشاهدة بالنظر في خلق السماوات والأرض والنجوم والشمس والقمر .

كما أرشدهم إلى النظر في بدء خلقهم ، وأنهم خلقوا من تراب ، وأنهم سوف يعادون إليها ويخرجون منها بعد ذلك أحياء .

وكان يذكرهم بنعم الله التي أنعم عليهم بها حيث بسط لهم الأرض ليسلكوا منها سبلاً فجاجاً لتحصيل معاشهم وغير ذلك من الأساليب التي اتخذها معهم ﷺ . وقد أنزل الله فيه وفي دعوته لقومه سورة كاملة من القرآن لم يذكر فيها غير قصته مع قومه من أول السورة إلى آخرها ، فيها كيفية دعوته لهم وطول صبره على ذلك ووسائل الدعوة التي استعملها معهم ، وما كانوا يواجهونه به من التكذيب والإعراض عن الحق والتمادي على عبادة الأصنام .

وقد ميز الله عز وجل نوحاً عليه السلام بأن أفرد له سورة كاملة تتحدث عنه وعن دعوته مع قومه وهي سورة نوح كما قال تعالى : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم . إنّا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذابٌ أليمٌ** ... ﴾ إلى آخر السورة .

فهذه السورة الكريمة قد اشتملت على كثير من أساليب الدعوة إلى الله تعالى ووسائلها المختلفة التي رسم بها نوح عليه السلام للدعاة طريقاً يسلكونه في دعوتهم [4] .

وإليك بعضاً من الأساليب التي سلكها نوح عليه السلام مع قومه :

أ- أسلوب الترهيب :

استعمل نوح عليه السلام أسلوب الترهيب في دعوة قومه ، ولعلنا نلمس ذلك جيداً في مطلع سورة نوح عليه السلام ، وذلك في قوله : ﴿ **يا قومُ إنّي لكم نذيرٌ مبينٌ** ﴾ .

ثم أعقب ذلك بأمره لهم بثلاثة أشياء مستعملاً فيها أسلوب الطلب :

---

١) مدراراً : متتابعاً .

٢) جنات : بساتين .

٣) سورة نوح الآيات : (٥-١٤) وأنظر الأنبياء في القرآن الكريم ص ٦٥ ، ٦٦ .

٤) انظر الدعوة إلى الله في سورة ابراهيم الخليل بتصرف ، مرجع سابق ص ٢٩٦ .

اولاً : طلب منهم عبادة الله وحده لا شريك له وذلك في قولـه تعـالى : ﴿ **أن أعبـدوا الله واتقوه وأطيعون** ﴾ [1] وفي قوله : ﴿ **اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفـلا تتقـون** ﴾ [2] وفي قولـه تعالى : ﴿ **ألا تعبـدوا إلا الله** ﴾ [3] ، حيـث دعـاهم لعبـادة الله وحـده مستعملاً اسـلوب الطلـب الصريح وأخبرهم بعدم وجود إله لهم غير الله ، وذلك أدعى لعباته .

ثانياً : طلب منهم أن يتقوا الله عز وجل وذلك في قوله تعالى : ﴿ **فاتقوا الله وأطيعون**﴾[4] وفي قوله : ﴿ **أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون** ﴾ [5] وفي قوله : ﴿ **اعبدوا الله مالكم من إله غـيره أفلا تتقون** ﴾ [6] .

حثهم على تقوى الله في صورة استفهام وعرض كما في قوله (أفـلا تتقـون) . وهـي بيـان للداعي إلى عبادته ، لأنه هو الذي يجب أن يتقي غضبه ، دون ما كانوا يعبدون من دونه ، والمراد بـه حثهم واستنهاضهم وتخويفهم ليتقوا الله [7] .

ثالثاً : طلب منهم أن يطيعوه وذلك قي قوله تعالى : ﴿ **فاتقوا الله وأطيعون** ﴾ [8] وفي قوله : ﴿ **أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون** ﴾ [9] . وقد نوع نوح عليه السلام فأتى بهذه المطـالب الثلاثـة - كل واحد منها له معنى وإن كان المعنى الأول شاملاً لها وهو عبادة الله تعالى على الوجه المطلوب ، ولكن نبي الله نوح عليه السلام غاير في الأسلوب ليبين لقومه ويوضح لهم مـا ينبغـي عليهـم عملـه ولئلا يترك طريقاً إلا وسلكه معهم .

---

١) سورة نوح : الآية (٣) .

٢) سورة المومنون : الآية (٢٣) .

٣) سورة هود : الآية (٢٦) .

٤) سورة الشعراء : الآية (١٠٨)

٥) سورة نوح : الآية (٣) .

٦) سورة المومنون الآية : (٢٣) .

٧) أنظر تفسير الرازي ٢٤٣/٣٠ .

٨) سورة الشعراء الآية : (١٠٨)

٩) سورة نوح : الآية (٣)

ب – أسلوب الترغيب :

ثم أخذ نوح عليه السلام في نوع آخر من أساليب الدعوة إلى الله عز وجل وهو أسلوب الترغيب لكي يجمع بذلك بين الترغيب والترهيب في دعوته جرياً مع طبيعة الناس فالناس منهم من لا يؤثر فيه إلا الترغيب ومنهم من لا ينساق إلا بالترهيب . ومما يدل على استخدام نوح عليه السلام لهذا الأسلوب قوله عز وجل حاكياً عما قاله هذا الرسول الكريم : ﴿ **يَغفر لكم من ذنوبكم ويؤخّركم إلى أَجلٍ مسمًّى** ﴾ [1] .

فكأنه يقول لهم : إن فعلتم ما أمرتكم به من عبادة الله وتقواه وطاعتي فيما أمرتكم به يغفر الله لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى عند الله فقد وعدهم بغفران الذنوب التي ارتكبوها من الكفر والشتم لرسول الله نوح وتكذيبه والسخرية منه .

وقوله : ﴿ **ويؤخّركم إلى أجلٍ مسمًّى** ﴾ نوع آخر من الترغيب ، رغبهم في طول المكث في الدنيا بطول العمر إن آمنوا بالله واتقوه وأطاعوا رسولهم لأن طاعته تستلزم طاعة الله جل وعلا .

قال الزمخشري هنا : فإن قلت كيف قال : ﴿ **ويؤخّركم** ﴾ مع إخباره بامتناع تأخير الأجل وهل هذا إلا تناقض ؟

قلت : قضى الله مثلاً أن قوم نوح إن آمنوا عمرهم الله ألف سنة ، وإن بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمى أي إلى وقت سماه الله وضربه أمداً تنتهون إليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الأطول تمام الألف ، ثم أخبرهم أنه إذا جاء ذلك الأجل لا يؤخر هذا الوقت و لم تكن لهم حيلة [2] .

جـ – أساليب أخرى استعملها نوح عليه السلام في دعوته لقومه :

ثم بعد هذا كله شرع يخبر ربه وهو أعلم بحاله بالوسائل التي إستعملها في دعوة قومه من دعوته لهم في السر والعلانية وفي الليل والنهار وما وقع منهم من التمادي على التكذيب والكفر ، وأنه كلما دعاهم إلى سبب المغفرة الذي هو الإيمان جعلوا أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا دعوته ، وغطوا وجوههم بثيابهم وأصروا على كفرهم .

---

١) سورة نوح : الآية (٤)

٢) انظر الكشاف ج٤ ص١٦١ وانظر مع الأنبياء في القرآن لكريم ص ٦٢ .

المبحث الثاني :

استخدام إبراهيم عليه السلام للمنهج الحسي في الدعوة إلى الله .

ويشتمل على :

أولاً : التمـــهيـــــد .

ثانياً : منهج إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى الله .

إن المتأمل في قوله تعالى : ﴿ **قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً . فلم يزدهم دعائي إلا فراراً . وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً . ثم إني دعوتهم جهاراً . ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً** ﴾[1] .

يتضح له بجلاء لا لبس فيه الأسلوب الحكيم الذي اتبعه نوح عليه السلام في إرشاد قومه وتبصيرهم بطريق الحق والهداية ، حيث تدرج في دعوته لهم بما يلي :

أ- دعاهم في الليل وفي النهار ، فقابلوا دعوته بأربعة أشياء وهي أنهم وضعوا أصابعهم في آذانهم ، واستغشوا ثيابهم و أصروا على الكفر والعناد ، واستكبروا عن طاعة الله وإتباع رسوله نوح عليه السلام .

ب- ثم دعاهم في السر .

ج- ولما لم تجد مناصحتهم في السر ، ثنى بالمجاهرة جهاراً ..

د- ثم انتقل إلى الجمع بين الإعلان والإسرار لما لم يؤثر فيهم جميع ما سبق .

هذه أساليب دعوته لقومه التي تتضح من بعض آيات القرآن الكريم ، حيث أن كلمة ثم تدل على تراخي بعض هذه المراتب عن بعض ، إما بحسب الزمان وإما بحسب الرتبة ، لأن الجهار أغلظ من الأسرار ، والجمع بين الإسرار والجهار أغلظ من الجهار وحده [2] .

د - أسلوب القسوة :

إن نبي الله نوحاً لما علم بوحي من ربه أن قومه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن بعد أن اتخذ معهم أساليب اللين والترغيب والترهيب وعلم أن ذلك لن يزيدهم إلا إصراراً على الكفر ، عند ذلك دعا عليهم بالهلاك وذلك في قوله سبحانه وتعالى حاكياً قول نوح :

﴿ .... **ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً * إنك إن تذرهم يضلُّوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفّاراً** ﴾ [3] .

---

١) سورة نوح : الآية (٥-٩)

٢) أنظر تفسير الفخر الرازي ٣٠/١٣٦-١٣٧ ، وتاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ، د/ محمد الطيب النجار ص ٦٤ ، ونوح عليه السلام في القرآن المجيد ، مرجع سابق ص ١٧٩ -١٨٤ ، والدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل ، مرجع سابق ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .

٣) سورة نوح : الآيتان (٢٦-٢٧)

ويعلق سيد قطب على هذه الآيات فيقول : (ألهم قلب نوح أن الأرض تحتاج إلى غسل يطهر وجهها من الشر العارم الخالص الذي انتهى إليه القوم في زمانه . وأحياناً لا يصلح أي علاج آخر غير تطهير وجه الأرض من الظالمين ، لأن وجودهم يجمد الدعوة إلى الله نهائياً ، ويحول بينها وبين الوصول إلى قلوب الآخرين . وهي الحقيقة التي عبر عنها نوح ، وهو يطلب الإجهاز على أولئك الظالمين إجهازاً كاملاً لا يبقي منهم ديّاراً - أي صاحب ديار - فقال : " إنك إن تذرهم يضلوا عبادك " . ولفظة (عبادك) توحي بأنهم المؤمنون , فهي تجيء في السياق القرآني في مثل هذا الموضع بهذا المعنى . وذلك بفتنتهم عن عقيدتهم بالقوة الغاشمة ، أو بفتنة قلوبهم بما ترى من سلطان الظالمين وتركهم من الله في عافية !

ثم إنهم يوجدون بيئة وجواً يولد فيه الكفار ، وتوحي بالكفر من الناشئة الصغار ، بما يطبعهم به الوسط الذي ينشئه الظالمون ، فلا توجد فرصة لترى الناشئة النور ، من خلال ما تغمرهم به البيئة الضالة التي صنعوها . وهي الحقيقة التي أشار إليها قول النبي الكريم نوح عليه السلام ، وحكاها عنه القرآن : " ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً " .. فهم يطلقون في جو الجماعة أباطيل وأضاليل ، وينشئون عادات وأوضاعاً ونظماً وتقاليد ، ينشأ معها المواليد فجاراً كفاراً ، كما قال نوح ...

من أجل هذا دعا نوح - عليه السلام - دعوته الماحقة الساحقة . ومن أجل هذا استجاب الله دعوته ، فغسل وجه الأرض من ذلك الشر ، وجرف العواثير التي لا تجرفها إلا قوة الجبار القدير)[1] .

وهذا مثل دعاء نبي الله موسى على قومه لما علم بالوحي من الله عدم إيمانهم قال : ﴿ ... **ربَّنا اطمسْ على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتّى يَرَوا العذاب الأليم** ﴾ [2] .

وقد استجاب الله دعاء نبيه عليه الصلاة والتسليم فأهلكهم الله جميعاً بالغرق ونجى الله نوحاً وجميع من أمن معه .

ثم بين عليه السلام علة دعائه عليهم بالإبادة فقال : ﴿ **إنك إن تذرهم يضلُّوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفّاراً** ﴾ .

وذلك لشدة خبرته بهم وطول مكثه بين أظهرهم علم خبثهم وفساد نواياهم إلى غير ذلك مما اتصفوا به من المكر والكفر .

---

١) في ظلال القرآن ، م٦ ص٣٧١٧ .

٢) سورة يونس : الآية (٨٨) .

هكذا سلك نوح عليه السلام إلى آذان قومه وقلوبهم وعقولهم بشتى الأساليب ، ومتنوع الوسائل في دأب طويل ، وفي صبر جميل ، وفي جهد نبيل ، ألف سنة إلا خمسين عاماً ثم عاد إلى ربه الذي أرسله إليهم ، يقدم حسابه ، ويبث شكواه ، في هذا البيان المفصل ، وفي هذه اللهجة المؤثرة . ومن هذا البيان الدقيق نطلع على تلك الصورة النبيلة من الصبر والجهد والمشقة ، وهي حلقة واحدة في سلسلة الرسالة السماوية لهذه البشرية الضالة العصية ! فماذا كان بعد كل هذا البيان ؟ [1]

﴿ ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً ﴾ .

---

١) الظلال م٦ ص٣٧١٧

ثالثاً : استخدام نوح عليه السلام المنهج الحسي في دعوته :

بعد أن نادى نوح قومه وطلب منهم عبادة الله ورغبهم فيها وحذرهم من عبادة غيره ، أخذ يشرح لهم الدعوة ، ويبين الحجة ، ويربطهم بواقعهم عن طريق استخدام المنهج الحسي رغم أنه ملازم تقريباً للمنهج العقلي ، لتقريب الدعوة إلى أذهانهم [1] ، ويتضح ذلك من قوله لهم :

١- قال تعالى : ﴿ **فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدراراً * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً * مالكم لا ترجون لله وقاراً * وقد خلقكم أطواراً * ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً * وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً * والله أنبتكم من الأرض نباتاً * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً * والله جعل لكم الأرض بساطاً * لتسلكوا منها سبلاً فجاجا** ﴾ [2] .

في هذه الآيات الكريمة نجد أن نوحاً عليه الصلاة والسلام يأخذ بقومه إلى آيات الله في أنفسهم وفي الكون من حولهم وهو يعجب من استهتارهم وسوء أدبهم مع الله ، وينكر عليهم ذلك الاستهتار ، ويبين لهم من خلال المنهج الحسي فائدة الاستغفار ، فالاستغفار معنوي وفي نفس الوقت عبادة محسوسة الآثار يترتب عليها سعادة الدنيا والآخرة ، وذلك من خلال الآيات الكونية في إرسال المطر مدراراً على الناس لإنبات الزرع وتسييل الأنهار ، والإمداد بالأموال والأولاد ، لكنهم لم يؤمنوا بل كذبوا لم يكتفوا بذلك بل استهتروا : ﴿ **مالكم لا ترجون لله وقاراً * وقد خلقكم أطواراً** ﴾ .

وكذلك لفت نظرهم إلى الحس في الخلق وتدرجه من نطفة إلى علقة إلى مضغة ثم عظاماً ثم كسا العظام لحماً فإذا هو خلق آخراً من قدر على ذلك ؟ وكيف لا يخافون عظمته وسلطانه [3] .

ثم وجه نظرهم إلى كتاب الكون المفتوح : ﴿ **ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً ؟ وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً** ﴾ [4] ، فقد وجه نوح وقومه إلى السماء وأخبرهم كما علمه الله أنها سبع طباق ، فيهن القمر نور وفيهن الشمس سراج ، وهم يرون القمر ويرون الشمس ويرون ما يطلق عليه اسم السماء وهو هذا الفضاء ذو اللون الأزرق أما ما هو ؟ فلم يكن ذلك مطلوباً منهم ، ولم يجزم أحد إلى اليوم بشيء في هذا الشأن ، وهذا التوجيه يكفي لإثارة التطلع والتدبر فيما وراء هذه الخلائق الهائلة من قدرة مبدعة وهذا هو المقصود من ذلك التوجيه الذي وجه نوح عليه السلام نظر قومه إلى سر الوجود وإبداع الكائنات : ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، وقمر

---

١) انظر التفسير الواضح د. محمد محمود حجازي ٢٩/١٠٦-١٠٧

٢) سورة نوح : آية (١٠-٢٠)

٣) انظر دعوة نوح عليه السلام - يحي القحطاني - بحث مكمل لنيل درجة الماجستير - كلية الدعوة - المدنية المنورة سنة ١٤١٠ هـ

٤) سورة نوح آية (١٥-١٦)

يسبح ، وشمس تسطع ، وأرض فجر خلالها الأنهار ، وأنبت فيها الزروع والثمار وهو في كل هذا يتحدث بلسان فصيح ، وينطق ببرهان صحيح عن إله واحد ، وقدرة فذة عجيبة [1] .

إن القرآن في وصفه قدرة الله في هذا الكون يسبغ على الوصف المراد تعبيراً دقيقاً فهمه العرب منذ أربعة عشر قرناً ينسجم مع ما وصلت إليه عقولهم من الإدراك ، كما يفهمه الرجل المتمدن اليوم فهماً جديداً بما تسلح به من علم ومعرفة ، وبما توصل إليه من مكتشفات علمية في مجال هذا الكون ، والأمثلة على ذلك كثيرة في القرآن ، ولكن هنا سنقتصر على مثالين ورداً في قصة نوح .

جاء في القرآن الكريم قوله عز وجل : ﴿ **وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً**﴾.

فالله سبحانه يعلن بأن الشمس تشبه السراج الوهاج : أي السراج المضيء المتقد بلهب وهو الذي يضاء بالزيت أو الكحول ، والسراج له ضوء ذاتي ، وبين العلم أن الشمس كتلة غازية ملتهبة ، وأنها تستمد طاقتها من تفاعلات وأن هذا اللهب يستمد طاقته من مركزها الداخلي ، كما وصف القرآن القمر بأنه (نور) فهو إذاً كتلة مظلمة ، وضوء مكتسب ومعكوس منه ، وهذا ما اثبته العلم من أن القمر مظلم يستمد نوره من الشمس .

ثم عاد نوح فوجه قومه إلى النظر في نشأتهم من الأرض وعودتهم إليها بالموت ليقرر لهم حقيقة إخراجهم منها بالبعث ﴿ **والله أنبتكم من الأرض نباتاً * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً**﴾ ولتستشعر قلوبهم يد الله وهي تنبتهم من هذه الأرض نباتاً وهي تعيدهم فيها مرة أخرى ثم تتوقع النشأة الأخرى وتحسب حسابها ، وهي كائنة بهذا اليسر وبهذه البساطة ، بساطة البداهة التي لا تقبل جدلاً .

ومن المدهش أن هذه الآية هي حقيقة علمية فقد قرر علماء الأحياء إنه لابد لجميع الحيوانات ، وضمنها أنا وأنت أيها القارئ ، وكذلك جميع البكتيريا أن تعيش عن طريق أكل النباتات أو المنتجات النباتية أو الحيوانات التي أكلت هذه النباتات ، فقد نأكل سمكة كانت تعيش على أكل أسماك أصغر ، وهذه بدورها كانت تعيش على أسماك ما زالت أصغر أو على ديدان أو غيرها من الحيوانات ، ولكن إذا تتبعنا هذه السلسة حلقة حلقة ، فلا بد أن نجد نباتات في نهايتها ... فالنباتات إذاً هي قاعدة وأساس هرم الحياة الذي يحتل الجنس البشري قمته) [2] .

والتعبير عن نشأة الإنسان من الأرض بالإنبات تعبير عجيب موح ، وهو يكرر في القرآن في صور شتى ، كقوله تعالى : ﴿ **والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا**

---

١) انظر قصص القرآن ، محمد أحمد جاد المولى وآخرين ص١٣ ، وأدع إلى سبيل ربك ص٢١٦ .

٢) انظر مع الأنبياء في القرآن ص٧٨

نكداً﴾[1] ، وهو يشير في هذا إلى نشأة الناس كنشأة النبات ، كما يقرن نشأة الإنسان بنشأة النبات في مواضع متفرقة ، ففي سورة الحج يجمع بينهما في آية واحدة في صدد البرهنة على حقيقة البعث فيقول : ﴿ **يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة * لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً * ثم لتبلغوا أشدكم * ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً * وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج** ﴾ [2] ، وفي سورة (المؤمنون) يذكر أطوار النشأة الجينية قريباً مما ذكرت في سورة الحج ويجيء بعدها ﴿ **فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب** ﴾ [3] ، وهكذا ....

وهي ظاهرة تستدعي النظر ولا ريب فهي توحي بالوحدة بين أصول الحياة على وجه الأرض ، وأن نشأة الإنسان من الأرض كنشأة النبات ، من عناصرها الأولية يتكون ، ومن عناصرها الأولية يتغذى وينمو ، فهو نبات من نباتها ، وهبه الله هذا اللون من الحياة كما وهب النبات ذلك اللون من الحياة وكلاهما من نتاج الأرض وكلاهما يرضع من هذه الأم .

وكذلك ينشئ الإيمان في المؤمن تصوراً حقيقياً حياً لعلاقته بالأرض وبالأحياء ، تصوراً فيه دقة العلم وفيه حيوية الشعور ، لأنه قائم على الحقيقة الحية في الضمير وهذه ميزة المعرفة القرآنية الفريدة [4] .

وأخيراً وجه نوح قلوب قومه إلى نعمة الله عليهم في تيسير الحياة لهم على هذه الأرض وتذليلها لسيرهم ومعاشهم وانتقالهم وطرائق حياتهم ﴿ **والله جعل لكم الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً** ﴾ ، وهذه الحقيقة القريبة من مشاهدتهم وإدراكهم تواجههم مواجهة كاملة ، ولا يملكون الفرار منها كما كانوا يفرون من صوت نوح وإنذاره ، فهذه الأرض بالقياس إليهم مبسوطة ممهدة حتى جبالها قد جعل لهم خلالها دروباً وفجاجاً ، كما جعل في سهولها من باب أولى ، وفي سبلها ودروبها يمشون ويركبون وينتقلون ؟ ويبتغون من فضل الله ، ويتعايشون في يسر وتبادل للمنافع والأرزاق .

---

١) سورة الأعراف : آية (٥٨)

٢) سورة الحج : آية (٥)

٣) سورة المؤمنون : آية (١٩)

٤) في ظلال القرآن م ٦ ص٣٧١٤

وهم كانوا يدركون هذه الحقيقة المشاهدة لهم بدون حاجة إلى دراسات علمية عويصة ، يدرسون بها النواميس التي تحكم وجودهم على هذه الأرض ، وتيسير لهم الحياة فيها ، وكلما زاد الإنسان علماً أدرك من هذه الحقيقة جوانب جديدة وأفاقاً بعيدة [1] .

٢- ومن أساليبه الحسية عليه السلام أن وجه أنظار قومه إلى السفينة التي أمره الله أن يصنعها وأعلمه أنه سيكون محاطاً بعنايته مشمولاً برعايته ، ونهاه أن يدعوا للكفار بالنجاة بعد أن أصروا على كفرهم لأنه حكم عليهم بالغرق .

وأخذ نوح يصنع الفلك ، وكان هذا العمل العجيب مفاجأة للملأ الذين كفروا فأخذوا يسخرون منه ويستهزئون به ويتندرون به ويتندرون بعمله ، واتخذوا من علمه وسيلة للتشهير به في مجالسهم .. ذلك بأنهم لم يكونوا يعرفون شيئاً عن صناعة السفن ولا عن فوائدها ، فلما رأو نوحاً عليه السلام يفعل ما يفعل من أمر السفينة ظنوا أنه يشقى نفسه في عمل لا نفع فيه ولا فائدة من ورائه ، أو لأنه كان يصنع السفينة في برية بعيدة كل البعد عن الماء ، فكانوا يتساءلون ساخرين : ماذا تقصد يا نوح بهذه السفينة ؟ وأين الماء الذي سيحملها ؟ يقولون له صرت نجاراً يا نوح بعد أن كنت نبياً ؟ [2] .

ثم أتم نوح صنع السفينة وظهرت علامات بدء العذاب وهي تفجر الماء من الأرض فأمر الله نوحاً أن يجمع من كل صنف من الأحياء والحيوانات زوجين : ذكراً وأنثى ليحملهما معه على السفينة لأجل أن تبقى بعد غرق سائر الأحياء فتتناسل ويبقى نوعها على الأرض .

كما أمره عز وجل أن يحمل معه في السفينة جميع أهله وأقاربه باستثناء اثنين منهم كفرا بالله هما إحدى زوجاته وأحد أبنائه ، كما أمره أن يحمل معه في السفينة المؤمنين من غير أقاربه وهم قليلون ففعل نوح عليه السلام ما أمره الله عز وجل به ، ثم ركب من ركب في السفينة مع نوح وتوجهوا إلى الله عز وجل بالذكر والدعاء وقت سيرها ووقت وقوفها ، لأن السفينة ليست سبباً لحصول النجاة بل يجب عليهم أن تتجه قلوبهم إلى الله فإنه هو المجري والمرسي للسفينة ، كما ذكرهم بأن الله واسع المغفرة رحيم بعباده المؤمنين حيث أنجاهم من الهلاك ، ثم سارت السفينة بعد أن علا الماء وسط موج بلغ من الضخامة والعلو ضخامة الجبال وعلوها [3] .

---

١) في ظلال القرآن م٦ ص٣٧١٣ - ٣٧١٥ بتصرف .

٢) انظر تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ص٧٢

٣) مع الأنبياء في القرآن الكريم ص٦٩،٧٠ بتصرف .

وفي ذلك يقول سبحانه : ﴿ **حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور * قلنا : احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن * وما آمن معه إلا قليل * وقال : اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم * وهي تجري بهم في موج كالجبال** ﴾ [1] .

قال ابن كثير رحمه الله : في قوله تعالى (وفار التنور) : التنور وجه الأرض ، أي صارت الأرض عيوناً تفور حتى فار الماء من التنانير التي هي مكان النار صارت تفور الماء [2] .

وفي قوله تعالى : ﴿ **اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها** ﴾ ، تعبير عن تسليمها للمشيئة في جريانها ورسوها فهي في رعاية الله وحماه ، وماذا يملك البشر من أمر الفلك في اللجة الطاغية والأمواج العالية وقت الطوفان .

ويعلق الأستاذ سيد قطب رحمه الله على الآيات الكريمة فيقول : ثم يأتي المشهد الهائل المرهوب مشهد السفينة في وسط الطوفان كما في قوله تعالى : ﴿ **وهي تجري بهم في موج كالجبال * ونادى نوح ابنه – وكان في معزل – يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين * قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال : لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم * وحال بينهم الموج فكان من المغرقين** ﴾ [3] .

إن الهول هنا هولان ، هول في الطبيعة الصامتة ، وهول في النفس البشرية يلتقيان ﴿ **وهي تجري بهم في موج كالجبال** ﴾ .

وفي هذه اللحظة الرهيبة الحاسمة يبصر نوح ، فإذا أحد أبنائه في معزل عنهم وليس معهم ، وتستيقظ في كيانه الأبوة الملهوفة ، ويروح يهتف بالولد الشارد .

﴿ **يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين** ﴾ ولكن البنوة العاقة لا تحفل بالأبوة الملهوفة ، والفتوة المغرورة لا تقدر مدى الهول الشامل ﴿ **قال : سآوي إلى جبل يعصمني من الماء** ﴾ .

ثم ها هي ذي الأبوة المذكرة لحقيقة الهول وحقيقة الأمر ترسل النداء الأخير : ﴿ **قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم** ﴾ لا جبال ولا مخابئ ولا حام ولا واقٍ إلا من رحم الله .

وفي لحظة تتغير صفحة المشهد ، فها هو ذا الموج الغامر يبتلع كل شيء ﴿ **وحال بينهما الموج فكان من المغرقين** ﴾ .

وإننا بعد آلاف السنين ، لنمسك أنفسنا – ونحن نتابع السياق – والهول يأخذنا كأننا نشهد المشهد وهي تجري بهم في موج كالجبال ، ونوح الوالد الملهوف يبعث بالنداء تلو النداء ، وابنه الفتى المغرور يأبى إجابة الدعاء ، والموجة الغامرة تحسم الموقف في سرعة خاطفة راجفة وينتهي كل شيء ،

---

١) سورة هود : آية (٤٠-٤٢)

٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص٥٥١

٣) سورة هود : آية (٤٢-٤٣)

وكأن لم يكن دعاء ولا جواب ! وإن الهول هنا ليقاس بمداه في النفس الحية - بين الوالد والمولود - كما يقاس بمداه في الطبيعة ، والموج يغطي على الذري بعد الوديان ، وإنهما لمتكافئان ، في الطبيعة الصامتة وفي نفس الإنسان وتلك سمة بارزة في تصوير القرآن [1] .

٣- ثم يوجه نوح عليه السلام أنظار قومه إلى معجزة الطوفان الحسية التي يقول عنها الله تبارك وتعالى :﴿ **كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر * فدعا ربه أني مغلوب فانتصر * ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر * وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قُدر وحملناه على ذات ألواح ودسر * تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر** ﴾ [2] .

ما أروع هذه الصورة التي رسمها القرآن للطوفان ، مطر من السماء ولكن ليس كالمطر بل ماء غزير يحدث السيول الجارفة ، والأرض ينبع منها الماء ولكن ليس من مكان واحد أو أمكنة متفرقة ، بل الأرض كلها تتفجر عيوناً ، فلو قال القرآن : وفجرنا عيون الأرض لم تعط المعنى المراد ، وهو أن الأرض كلها صارت عيوناً ، ثم ها هو ماء الأرض وماء السماء يلتقيان ليحصل من جراء ذلك الطوفان العظيم ، ووسط هذا الطوفان تسير السفينة بمن فيها من المؤمنين بأمان الله ورعايته [3].

ويقول سيد قطب حول هذه الآيات : ﴿ **فدعا ربه أني مغلوب فانتصر** ﴾ ...

انتهت طاقتي ، فانتهت جهدي ، انتهت قوتي ، وغلبت على أمري : ﴿ **أني مغلوب فانتصر** ﴾ انتصر أنت يا ربي انتصر لدعوتك ، انتصر لحقك ، انتصر لمنهجك ، انتصر أنت فالأمر أمرك ، والدعوة دعوتك ، وقد انتهى دوري .

وما تكاد هذه الكلمة تقال ، وما يكاد الرسول يسلم الأمر لصاحبه الجليل القهار ، حتى تشير اليد القاهرة إلى عجلة الكون الهائلة الساحقة ، فتدور دورتها المدوية المجلجلة .

﴿ **ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر * وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر** ﴾ .

وهي حركة كونية ضخمة غامرة تصورها ألفاظ وعبارات مختارة تبدأ بإسناد الفعل إلى الله مباشرة : (ففتحنا) فيحس القارئ يد الجبار تفتح (أبواب السماء) بهذا اللفظ وبهذا الجمع (بماء منهمر) ، غزير متوال ، وبالقوة ذاتها وبالحركة نفسها ، ﴿ **وفجرنا الأرض عيوناً** ﴾ وهو تعبير يرسم مشهد التفجير وكأنه ينبثق من الأرض كلها وكأنما الأرض كلها قد استحالت عيوناً .

والتقى الماء المنهمر من السماء بالماء المتفجر من الأرض (**على أمر قد قدر**) التقيا على أمر مقدر ، فهما على اتفاق لتنفيذ هذا الأمر المقدر ، طائعان للأمر ، محققان للقدر .

---

١) انظر في ظلال القرآن جـ ٤ ص١٨٧٨

٢) سورة القمر : آية (٩-١٤)

٣) انظر مع الأنبياء في القرآن الكريم ص٧٥

حتى إذا صار طوفان يطعم ويغم ويغمر وجه الأرض ، ويطوي الدنس الذي يغشى هذا الوجه ، وقد يئس نوح عليه السلام من تطهيره ، وغلب على أمره في علاجه ، امتدت اليد القوية الرحيمة إلى الرسول الذي دعا دعوته ، فتحرك لها الكون كله ، امتدت له هذه اليد بالنجاة وبالتكريم [1] .

ثم تأمل أيها القارئ أسلوب هذه الآيات وما تحمله من إيقاع موسيقي وكيف ينحدر الكلام فيها بسهولة لفظ وعذوبة سبك وتأمل أطراد الفاصلة في آخر الآيات على نسق معين مما يعطي القرآن قوة في التعبير وتأثير في النفس .

ويصف الله انتهاء الطوفان بهذه الآية التي ترتقي إلى أعظم مراقي البلاغة . ﴿ **وقيل يا أرض أبلعي ماءك وياسماء أقلعي * وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين** ﴾ [2] .

ثم بين الله الغاية التي توخاها من الطوفان بقوله : (وقضى الأمر) وحقيقة معناه : هلك من قضى الله هلاكه ، ونجا من قدر له النجاة ، وجملة (قضى الأمر) تشعر بأن الإهلاك والإنجاء كانا بأمر مطاع ، وقضاء من لا يرد قضاءه .

ويصف القرآن الكريم استقرار السفينة على جبل الجودي بلفظ (استوت) دون استقرت لما في الاستواء من الإشعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل ولا حركة ، فبهذا الاستواء تسكن قلوب أهل السفينة ويسهل خروجهم منها بدون خوف ، بخلاف معنى استقرت فإنه يحمل معنى الزيغ والميل ، وأخيراً ينهي القرآن الآية بقوله : ﴿ **وقيل بعداً للقوم الظالمين** ﴾ وهذا دعاء على الهالكين ، ووصفهم بالظلم ليعلم الذين من بعدهم أن جميع من هلك كان مستحقاً للهلاك ، احتراساً لما قد يتوهم أن الهلاك بعمومه قد شمل من لا يستحق العذاب [3] .

---

١) في ظلال القرآن م٦ ص٣٤٣٠

٢) سورة هود : آية (٤٤)

٣) انظر مع الأنبياء في القرآن الكريم ص٧٦-٧٧

المبحث الثاني : استخدام ابراهيم عليه السلام للمنهج الحسي في الدعوة إلى ا لله :

أولاً : التمهيد :

أ) من هو إبراهيم ؟

هو إبراهيم بن تسارخ [١] بن ناحور ، بن ساروغ بن راعو بن فالغ ، بن عابر بن شالح ، بن أرفخشذ ، بن سام ، بن نوح عليه السلام ، وقد تقدم نسب نوح [٢] .

ب) مكان مولد إبراهيم ونشأته :

روي "ابن عساكر " من غير وجه عن "عكرمة " أنه قال : لما كان عمر "تسارخ" خمساً وسبعين سنة ولد له "إبراهيم " عليه السلام ، وكان ذلك في أرض " الكلدانيين " يعنون أرض " بابل "[٣] وهي تقع بين نهري " دجلة والفرات " من السهل إلى الجنوب [٤] ، وكان ذلك في القرن السابع عشر قبل المسيح عليه السلام . وكان مولد " ابراهيم "عليه السلام في عهد الملك "نمرود بن كنعان بن كوش "ويثبت المؤرخون أن الزمن الذي عاش فيه نبيّ ا لله "ابراهيم "في العراق كانت حضارة " بابل " هي المسيطرة على العراق [٥] .

ج) الآلهة التي كان يعبدها القوم الذين نشأ فيهم إبراهيم :

يحدثنا التاريخ أن أهل "بابل" كانوا يعبدون الأصنام من دون ا لله تعالى وكان لهم عدد كثير من هذه الآلهة ، إذ كان لكل مدينة صنم يحميها حسب معتقداتهم الباطلة ، وكان كبير هذه الأصنام صنم يقال له " مردك " [٦] .

---

١) هكذا يقول أهل الكتاب وأهل التاريخ أن اسم أبي إبراهيم تسارخ أو تسارح والذي أقول : إن إبراهيم بن آزر كما أخبرنا ا لله جل وعلا بذلك في قوله : (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر ..) فا لله صرح بأن آزر أبو إبراهيم ولا داعي للقول بغير ذلك تبعاً لما عند أهل الكتاب لما ثبت لدينا من كتابنا من تحريفهم وتبديلهم وعدم الثقة فيما عندهم لا سيما إذا خالف القرآن الكريم . أما المؤرخون فإنهم تبع في ذلك ومعلوم أن التاريخ ينقل الثابت وغير الثابت وعليه فإن إبراهيم بن آزر . اللهم إلا إذ كان آزر لقباً وليس اسماً .

٢) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ج١ ، ص١٣٩ط . بيروت .

٣) بابل : بكسر الباء : اسم ناحية منها "الكوفة" وقيل : "الكلدانيون" هم لذين كانوا ينزلون "بابل" في الزمن الأول ، ويقال : إن أول من سكنها "نوح" عليه السلام ، وهو أول من عمرها ، وكان قد نزلها عقب الطوفان ، فسار هو معه من لسفينة إليها ، فأقاموا بها ، وتناسلوا فيها ، وكثروا من بعد "نوح" "واتصلت مساكنهم بدجلة والفرات "انظر : معجم البلدان ج١ ،ص ٣٠٩ " .

٤) انظر: مع الأنبياء ص١٠٧.

٥) انظر: المرجع السابق .

٦) انظر: مع الأنبياء ص٢٠٨ط . بيروت

ومن يقرأ القرآن الكريم يجده يخبر في أكثر من موضع بأن قوم "إبراهيم" كانوا يعبدون الأصنام من دون الله تعالى ، وقد ورثوا ذلك عن آبائهم يشير إلى ذلك قول الله تعالى : ﴿ **وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهةً إنيّ أراك وقومك في ضلالٍ مبين** ﴾ [1] .

وقوله تعالى : ﴿ **ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنّا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون** ﴾ [2] .

وقوله تعالى : ﴿ **واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيهِ وقومِهِ ما تعبدون قالوا نعبد أصناماً فنظّل لها عاكفين** ﴾ [3] .

إلى غير ذلك من النصوص التي لا تدع مجالات للشك من أن قوم "إبراهيم" كانوا يعبدون الأصنام من دون الله الواحد القهار .

(د) الله سبحانه وتعالى يؤتي إبراهيم رشده:

في هذه البيئة التي سيطر عليها الشرك ، وتعدد الآلهة ، ونصبت فيها التماثيل لعبادتها من دون الله تعالى الواحد الأحد الذي ليس له شريك في الملك ، إذ لو كان هناك آلهة غير الله تعالى لفسد نظام الكون ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **لوكان فيهما آلهةٌ إلاّ الله لفسدتا** ﴾ [4] ، أقول : في هذه البيئة ولد ابراهيم عليه السلام ونشأ وترعرع لكنه أنعم الله عزوجل عليه فآتاه سبحانه وتعالى رشده أي هداه مبكراً قبل البلوغ [5] وقيل : آتاه الله رشده : في سابق علمه [6] لأن الله سبحانه وتعالى علم أولاً أن إبراهيم أهل للنبوة ، وصدق الله حيث قال : ﴿ **ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين** ﴾ [7] .

ثم شاءت إرادة الله تعالى أن يرسل إلى المشركين "إبراهيم" عليه السلام ، ليبلغهم رسالة الله تعالى ، والتي في مقدمتها الإيمان بالله وحده ، ونبذ عبادة الأصنام ، والإيمان باليوم الآخر ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات بالثواب العظيم ، وينذر الكافرين بالعذاب المقيم [8] .

---

١) سورة الأنعام : الآية (٧٤) .

٢) سورة الأنبياء : الآيات (٥١-٥٢) .

٣) سورة الشعراء : الآيات (٦٩-٧١) .

٤) سورة الأنبياء : الآية (٢٢) .

٥) روى هذا القول أبوصالح عن ابن عباس ، انظر : زاد المسير في علم التفسير ج٥، ص٥٦ .

٦) روى هذا القول الضحاك عن ابن عباس، انظر : زاد المسير في علم لتفسير ج٥.ص٥٦ .

٧) سورة الأنبياء : الآية (٥١) .

٨) انظر منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى ص ٤٢-٤٣ .

فقام بتبليغ دعوة ربه على أكمل وجه ، وقد تكلم الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز عن ابراهيم أبي الأنبياء وخليل الله إبراهيم عليه السلام في إحدى وعشرين سورة هي : البقرة ، آل عمران ، النساء ، الأنعام ، التوبة ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، الحجر ، النحل ، مريم ،الأنبياء ، الشعراء ، العنكبوت ، الأحزاب ، الصافات ، ص ، الذاريات ، النجم ، الحديد ، الممتحنة . وبلغ مجموع الآيات التي مثلت هذا الحديث في تلك السور اثنتين وعشرين ومائة (١٢٢) .

ومن خلال النظر في النصوص القرآنية من خلال هذه السور يظهر إلى أيّ مدى جاء حديث القرآن الكريم عن شخصية إبراهيم - عليه السلام - ضافياً مجلياً معالمها وكاشفاً عن حقيقتها في أبعادها المختلفة النبوية والبشرية والنفسية والسلوكية والاجتماعية أو الدينية والدنيوية .

ففيها بيان لاصطفاء الله له وجعله نبياً رسولاً واتخاذه خليلاً . وفيها إبراز لأخص صفاته عليه السلام ، وبيان لابتلاءاته وجهاده في الدعوة إلى الله وخضوعه وتضرعه لخالقه وهجرته وبنائه البيت العتيق وفيها كشف لمشاعره وتطلعاته وآماله وتحديد لذريته وورثته وأولى الناس به وفيها ثناء الله عليه والشهادة له بالجدارة والأهلية لفضل الله عليه وفيها الأمر بتلاوة قصته والإشادة به وبذريته والأمر بالاقتداء به وجعله أسوة للصالحين وتبشيره وبراءته من المشركين ومفاصلته قومه على الحق وتنويه بكرمه من خلال الكشف عن أسلوبه في الضيافة وفيها بيان لتطلعه إلى بقاء الدعوة في ذريته وذم لمن رغب عن ملته [١] .

كما جاء في القرآن الكريم أيضاً وصف ابراهيم عليه السلام بالإمامة ، فالله جعله إماماً يقتدى به في التوحيد حين قام بما كلفه الله به من الأوامر والنواهي [٢] . كما يقتدى بقوله وفعله في أمور الدين كلها [٣] وهو إذ يتخذه الناس إماماً يقتدون به إنما يقودهم إلى الله ويقدمهم إلى الخير وتكون له فيهم قيادة .

والإمامة التي كشفت فضل إبراهيم ومنزلته عند ربه هي الرسالة باعتبارها أكمل أنواع الإمامة [٤] . كذلك تميز إبراهيم عليه السلام بالعلم النافع والعمل الصالح والقوة في العبادة والبصيرة

---

١) انظر ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام ، د. سيد محمد ساداتي ص٢٣ دار عالم الكتب - الرياض ط١ سنة ١٩٩٤ م .

٢) انظر تفسير القرآن العظيم ج١ص١٦٤ وانظر تفسير المنار ج١ص ٤٥٣ .

٣) انظر زبدة التفسير من فتح القدير ص ٢٤.

٤) انظر التحرير والتنوير ج١ص٦٩٩ . يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور "والمراد بالإمام هنا الرسول فإن الرسالة أكمل أنواع الإمامة والرسول أكمل أفراد هذا النوع وإنما عدل عن التعبير ب"رسولاً " الى "إماماً" لتكون دالاً على ان رسالته تنفع الأمة المرسل إليها بطريق التبليغ وتنفع الامم الأخرى بطريق الاقتداء " المرجع السابق ص ٧٠٣ - ٧٠٤ .

النافذة [1] مما جعله أهلاً لشهادة الله عزوجل له وأي شهادة ﴿ **وإبراهيم الذي وفى** ﴾ [2] وأهلاً لأن يجزي "بنعمة الدنيا وهي العقب الشريف وبنعمة الأخرى وهي الرحمة وبأثر تينك النعمتين وهو لسان الصدق ولا يذكر به إلا من حصل النعمتين "[3] وصدق الله ﴿ **أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً** ﴾ [4].

وإذا كان إبراهيم عليه السلام قد اتصف بصفات الكمال تلك فإنه باني أول بيت وضع للناس بأمر من الله فكان بذلك أول من أعلن التوحيد إعلاناً باقياً حيث استجاب الله دعاءه عنده ببعثة سيد الخلق محمد - صلى الله عليه وسلم - ﴿ **ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليك آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم** .. ﴾ [5] . وهو أول من أذن في الناس بالحج : وإذا كان من الحقائق المسلمة اليوم أن الاستجابة للدعوة تتأثر إلى حد بعيد بعناصر شخصية الداعي[6].وكانت أفضل الطرق وأصحها في إقناع الناس بالدعوة إنما هي في ظهور شخص هو التصوير التام للفضائل [7] . فإن أبا الأنبياء إبراهيم عبدا لله ورسوله وخليله هو من توفرت لدعوته لكمال شخصيته كل أسباب الاقناع والقبول بما خصه الله به من الخلال والخصال والفضائل والإنابة . وصدق الله إذ يقول عن إبراهيم عليه السلام ﴿ **إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين** ﴾ [8].

---

١) تفسير القرآن العظيم ج٤ص٤٠ .

٢) سورة النجم : الآية (٣٧) .

٣) التحرير والتنوير ج١٦،١٧ص١٢٦.

٤) سورة النساء : الآية (٥٤) .

٥) سورة البقرة : الآية (١٢٩) .

٦) دلائل النبوة للبيهقي ج١ص٥ .

٧) الاسلام والعروبة في عالم متغير د.عبدالعزيز كامل ص٤٦،٤٧

٨) سورة النحل : الآية (١٢٠) .

ثانياً : منهج إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى الله :

اتبع ابراهيم عليه السلام في دعوته إلى الله عزوجل منهجاً حكيماً ، فقد بدأ أول ما بدأ في الدعوة بدعوته لأبيه ثم ثنى بدعوته لقومه ثم ثلث بدعوته لأبيه مع قومه ثم دعا النمرود وأقام عليه الحجة وإليك بعضاً من الضوء على هذه الدعوات.

أولاً: دعوته لأبيه :

قال تعالى : ﴿ **واذكر في الكتاب إبراهيم إنّه كان صديقاً نبياً * إذ قال لأبيه يا أبت لِمَ تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً * يا أبت إنّي قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتّبعني أهدك صراطاً سوياً * يا أبت لا تعبد الشيطان إنّ الشيطان كان للرحمن عصياً * يا أبت إنّي أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً * قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً * قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنّه كان بي حفياً * وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألاّ أكون بدعاء ربي شقياً * ﴾** [1] .

بتأمل الآيات السابقة يبرز بوضوح استخدام ابراهيم عليه السلام للتدرج في دعوته أبيه على النحو التالي :

١- بدأ دعوته لأبيه بالمنهج العاطفي منادياً إياه بقوله﴿ **يا أبت** ﴾ و لم يبدأ الدعوة مع أبيه بتسفيه معبوداته أو تحقير الآلهة ، لئلا ينفر منه أو يرميه بالعقوق والجحود ، بل رتب الكلام معه على أحسن اتساق ، وخاطبه بالقول اللين ، حيث استهل خطابه بتذكيره برابطة الأبوة ، ليستثير عطفه ، ويمس شغاف قلبه ، وهي رابطة من أقوى الروابط ، من شأنها أن تجعل كلا من المترابطين حريص على مصلحة صاحبه ، ومن ناحية أخرى يحاول نبي الله إبراهيم عليه السلام أن يكسر بهذا الأسلوب الجذاب حدة أبيه ، حتى يستطيع أن يبلغه رسالة الله ، ويقيم عليه الحجة ، وهو هادئ غير ثائر..

٢- بعد أن ناداه بهذا الأسلوب الموجب للحنان ، والعطف ، دعاه إلى الحق بألطف عبارة وأحسن إشارة ، فبين له بطلان ما هو عليه من عبادة الأوثان ، التي لا تسمع دعاء عابدها ، ولا تبصر مكانه ، فكيف تغني عنه شيئاً أو تفعل به خيراً من رزق أو نصر ، حيث قال سائلاً في أدب رفيع ، مستخدماً المنهج الحسي والعقلي معاً ، ﴿ **لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً** ﴾ .

---

١) سورة مريم الآيات : (١-٤٨).

نرى تنوع الأسلوب ، وليس تنوع الأسلوب فقط ، بل تنوع فهم النفسية والدخول إلى أغوار النفس الإنسانية ، فإذا تأملنا في الآيات التي وردت في دعوة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام لوالده : عرفنا كيف يدعو الولد الوالد ، ثم إذا قارناه بالأسلوب الذي دعا فيه قومه ، عرفنا أسلوباً آخر يليق بالمقام .

٣- إثارته للحنان الأبوي :

فقد خاطب سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام أبوه بأسلوب فيه رقة وأدب وتواضع وبر ، يبين ذلك قول الحق عزوجل " يا أبت " وهذا يرجع إلى الذوق السليم والأدب الرفيع والأخلاق العالية التي استمدها ابراهيم عليه السلام من نور الله عزوجل . وكان يمكن لابراهيم أن يصيح فيقول : يا سيدي ، أو : يا شيخ الكهان ، لأنه كان كاهناً ، ولكنه يناديه بقوله : " يا أبت " متعمداً هذه الكلمة ليصل بها إلى أعماق قلبه ، ويثير فيه الحنان ، فالولد مهما بلغ الغضب من والده إذا ناداه بقوله : " يا أبت " يا والدي الكريم ، رق وتهيأ لسماع كلامه ، إن إبراهيم أثار فيه الحنان قبل أن يثير فيه الإيمان ، والحنان يسبق الإيمان أحياناً ، فقد يكون الوالد حنوناً ولا يكون مؤمناً ، فهذا الحنان هو الذي يستطيع الانسان أن يعتمد عليه ، ولا ينبغي للداعي الحكيم أن يغفل هذا الجانب ، وإذا أغفل هذا الجانب فإنه أساء إلى نفسه ، وأساء إلى دعوته إذا كان غليظاً **﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾** [1] ، فالرسول عليه الصلاة والسلام رعى هذا الجانب مع عمه أبي طالب ، فخاطبه في مواضع دقيقة محرجة بقوله : " ياعم ! " فقال حين رأى حيرته في أمر الدعوة إلى الاسلام وارتباكه فيها وتخوفه من معرة قريش ، " يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمر ، حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته " .

وكانت نتيجة هذه الرقة مع الصرامة ، وإثارة العاطفة الانسانية في أبي طالب - مع إيثاره لدين آبائه - أن قال له ، وقد خاطبه بقوله : يا ابن أخي ، كما خاطبه رسول الله ﷺ بقوله : " يا عم "، :- " اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت ، فوالله ما أسلمك لشيء أبداً " [2] .

٤- حسن اختيار ابراهيم للدلائل :

ثم إن سيدنا إبراهيم عليه السلام اختار من الدلائل في إثبات كون هذه الآلهة التي كان يعبدها قومه لا تستحق العبادة ، الأشياء المحسوسة الملموسة اليومية ، فلم يبدأ بالأشياء التي تعتمد

---

١) سورة آل عمران :الآية (١٥٩) .

٢) سيرة ابن هشام ج١ص٢٦٥،٢٦٦ .

على المنطق وتعتمد على الذكاء النادر ، وتعتمد على بحوث علمية أو نظرات فلسفية ، إنما اختار الشيء الذي يفهمه الطفل ، لأن والده ، كان في دور الطفولة العقلية ، وإن كان متقدماً في السن ، فخاطبه كما يخاطب الطفل : " **يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً** " ، ثم قال " **إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك** " وهذا من دواعي السرور للوالد العاقل فينبغي أن يفتخر ويستبشر بتفوق ولده [1] .

﴿ **يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً** ﴾ .

٥- ثم أراد أن يزهده في أوثانه وينأى به عن عبادة أصنامه فأخذ ينهاه عن طاعة الشيطان ، فإن الشيطان عصى الله ، ولا ينبغي للإنسان أن يطيع من عصى ربه .

٦- وختم وعظه بإشفاقه على أبيه وخوفه أن يصاب بعذاب من الله فيكون ولياً للشيطان وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ **يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً** ﴾ ، إن كل آية من هذه الآيات وراءها معان عميقة وحكم دقيقة ، إنه لم يذكر الشيطان بصفات تدق وبصفات يلتوي فهمها على هذا الرجل الساذج البسيط ، الذي بلغ من غباوته أن كان ينحت الأصنام ثم يعبدها ، إن أكبر جنايات إبليس ، أنه كان للرحمن عصياً ﴿ **يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً** ﴾ .

ولهذا نهى إبراهيم والده عن طاعة الشيطان لأنه هو الذي زين له عبادة الأصنام ، واتباعه له بمنزلة عبادته وإلا فإن أبا أبراهيم لم يعبد الشيطان مباشرة [2] .

لكن الأب الكافر قابل دعوة الحق التي وجهها إليه إبراهيم عليه السلام باللطف واللين بكل القسوة والغلظة ، فقال له : أتارك يا ابراهيم عبادة آلهتي .. ناداه باسمه ، و لم يقل له يا ولدي ، في مقابلة يا أبت ، ثم هدده بالرجم إن لم يكف عن سب الآلهة ، وطلب من ابراهيم أن يهجره دهراً طويلاً ، ومع كل ذلك فقد قابل إبراهيم عليه السلام غلظة أبيه وجهالته بقول مهذب ، إذ قال له : أما أنا فلن ينالك مني أذى ، وسأسأل ربي لك الهداية ، إنه في غاية اللطف بي ..

هكذا تدرج إبراهيم عليه السلام في دعوة أبيه بأسلوب يفيض عطفاً ويسيل رقة وحناناً ، يحذر في لطف ، وينذر في لين ، ويعرف مكان الأبوة ويعطيها حقها من اللين والاحترام [3] .

---

١) روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة . ابو الحسن الندوي ص ١٩ او ما بعدها . دار القلم - الكويت ص٢ سنة ١٩٨١ .

٢) انظر تفسير أبي السعود ج٣ص٢٨٣ بتصرف

٣) انظر (التدرج في الأساليب الدعوية) بحث مكمل لنيل درجة الماجستر (مرجع سابق) ص٥٤،٥٥ .

وبذلك يكون إبراهيم عليه السلام قد رسم الطريق السوي للدعـاة وعلمهـم كيـف يدعـون وبين لهم منهج الدعوة الصحيح وأنه لا بد أن يكون بحكمة وموعظة حسنة ومجادلة بالتي هي أحسن، فالواجب على الدعاة أن يتأسوا به في دعوتهم قال تعالى : ﴿ **ومَن يرغب عن ملّة إبراهيـم إلاّ مـن سَفِهَ نَفسَهُ** ﴾ [1] .

أي لا يرغب عن ملة إبراهيم إلا من يزهد فيها وينأى بنفسه عنها ، وقال بعضهم لا يرغـب عن ملته إلا من جهل أمر نفسه فلم يفكر فيها ، وقال بعضهـم ، فعـل بهـا مـن السـفه مـا صـار بـه سفيهاً[2] .

---

١) سورة البقرة جزء من الآية : (١٣٠) .

٢) انظر الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل ص٤٤١ وفي ظلال القرآن ج٤ص٢٢٠١ .

ثانياً – منهج إبراهيم عليه السلام في دعوته لقومه :

أ – دعوته عبدة الأصنام :

إن إبراهيم عليه السلام كما دعا أباه أولاً إلى الإيمان با لله واتباع إبراهيم و لم يؤثر ذلك في أبيه بدأ يدعو قومه إلى الإيمان فأمرهم بعبادة ا لله وحده وبتقوى ا لله وحذرهم معصيته وأخبرهم أن ذلك خير لهم من عبادتهم الأصنام ، وما هم عليه من الكفر با لله وبرسوله ، والاتيان بصيغة التفضيل مع أن ما هم عليه من الكفر لا خير فيه البتة : باعتبار زعمهم الباطل أنه فيه الخير فأخبرهم إنهم إن كانوا يميزون بين الخير والشر ، أو يعلمون شيئاً من الأشياء بوجه من الوجوه فليعلموا أن عبادة ا لله وتقواه خير مما هم عليه ، ثم أخبرهم أن ما يعبدونه من دون ا لله أوثان صنعوها بأيديهم وعبدوها وهي كذب لا أصل لعبادتها لأنها لا تنفع ولا تضر ولا تملك رزقاً لعابديها وأمرهم أن يطلبوا الرزق من ا لله عز وجل وأن يشكروا له نعمه وأخبرهم أنهم راجعون إليه بعد الموت ومجازيهم على أعمالهم وعلى رأسها إشراكهم معه غيره في العبادة من لا يستحق أن يعبد فإن المستحق للعبادة هو الذي يحيي ويميت ويرزق وترجع إليه الخلائق يوم الحشر ، وبعد هذا كله أخبرهم أنهم إن كذبوه فليس ذلك ببدع فقد كذبت الأمم من قبلهم رسلهم وليس ذلك بضائر له ولا لرسل ا لله من قبله فإنهم جميعاً أدوا ما عليهم إذ ليس عليهم الا التبليغ البين أي الواضح وليست الهداية بأيديهم [1] ، وقد عرض القرآن الكريم لنا هذاالمنهج في سورة العنكبوت حيث يقول : ﴿ **و إبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا لله واتّقوه ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون * إنما تعبدون من دون ا لله أوثاناً وتخلقون إفكاً[2] * إن الذين تعبدون من دون ا لله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند ا لله الرزق واعبدوه واشكروا له * إليه ترجعون * وإن تكّذبوا فقد كذّب أممٌ مّن قبلكم * وما على الرّسول إلاّ البلاغ المبين** * ﴾[3].

بتأمل هذه الآيات الكريمات يتضح أن ابراهيم عليه السلام قد تدرج في دعوته لقومه بادئاً بالأهم ثم المهم ، بخطوات مرتبة ترتيباً دقيقاً وذلك كما يلي :

١– بدأ عليه السلام ببيان حقيقة الدعوة التي يدعوهم إليها حيث دعاهم إلى عبادة ا لله سبحانه واتقاء عقابه وعذابه بإخلاص العبادة له وحده مستخدماً أسلوب الطلب الصريح في قوله لهم ﴿ **اعبدوا ا لله واتقوه** ﴾ .

---

١) انظر الدعوة إلى ا لله في سورة إبراهيم ص ٤٤١ ، ٤٤٢ .

٢) ومعنى (وتخلقون افكاً) أي تخلقون هذه الأصنام لأنها من صنع أيديكم ، وقيل معناه : تكذبون كذباً حيث تسمون هذه الأصنام آلهة وأنها شفعاء عند ا لله لكم – أنظر تفسير الطبري ج٢ ص ١٣٧ .

٣) سورة العنكبوت : آية (١٦–١٨).

٢- بعد أن دعاهم إلى عبادة الله وحده ثنى بتحبيبها إليهم لما تتضمنه لهم من الخير في الدنيا والآخرة ، لو كانوا يعلمون أين يكون الخير مستخدماً أسلوب الاشارة ، وذلك في قوله ﴿ **ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾ .

٣- بعد أن دعاهم إلى عبادة الله وحده وحببها إليهم انتقل إلى بيان فساد ما هم عليه من العقيدة ، من عدة وجوه :

أ- أنهم يعبدون من دون الله أوثاناً ، وهي عبادة سخيفة وبخاصة إذا كانوا يعدلون بها عبادة الله تعالى .

ب- أنهم بهذه العبادة لا يستندون إلى برهان أو دليل ، وإنما يخلقون إفكاً وينشئون باطلاً من عند أنفسهم بلا أصل ولا قاعدة .

ج- أن هذه الأوثان لا تقدم لهم نفعاً ولا تستطيع أن تملك وتجلب لهم ما به قوام حياتهم ، وأقرب شيء إلى نفوسهم وهو الرزق ، فما فائدتها وما جدواها ؟ ...

وهو بهذا ينبههم ويلفت أنظارهم مستخدماً المنهج الحسي والعقلي معاً علهم يحكمون عقولهم ويقلعون عن عبادة الأصنام إلى عبادة الواحد القهار .

٤- بعد أن بين لهم فساد ما هم عليه من العقيدة وأن تلك الأصنام لا تستطيع أن تجلب لهم ما يهمهم ويمس حاجاتهم وهو الرزق وجههم إلى أن يطلبوا الرزق من الله ، مستخدماً أسلوب الطلب الصريح في قوله " فابتغوا عند الله الرزق " .

٥- ويدعوهم إلى الاحساس بما حولهم من مظاهر الكون وظواهره والأحداث التي تجري من حولهم ويوجه أنظارهم نحو المستقبل تخويفاً وتحذيراً وتبشيراً من خلال " تلك الآيات الباهرة الموحية المحيية للمشاهد والظواهر في القلوب والضمائر ليثير تطلعهم وانتباههم إلى أسرارها وآثارها ويجعل منها دلائله وبراهينه التي تراها الأبصار وتتأثر بها المشاعر ، ولا يتخذ طرائق الجدل الذهني البارد والقضايا المنطقية التي لا حياة فيها ولا حركة " [1] ، ونراه قد تدرج عليه السلام في دعوته من بيان حقيقة ما يدعوهم إليه ثم ثنى بتحبيب هذه الحقيقة إليهم وما تضمنه من الخير لهم ، وفي الخطوة الثالثة بين لهم فساد ما هم عليه ، ثم هو رابعاً يوجههم إلى من يبتغون عنده الرزق الأمر الذي يهمهم ويمس حاجتهم ، وهو في المرحلة الأخيرة يكشف لهم أنه لا مفر من الله [2] ، ﴿ **اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً إن الذين تعبدون**

---

١) في ظلال القرآن ج/٥ ص٢٧٢٩ .

٢) انظر في ظلال لقرآن ، ج/٥ ، ص ٢٧٢٨

من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون *﴾ حيث يسلك معهم مسلك الاستدلال بالنعم الحسية لأن إثباتها أقرب إلى أذهان العموم [1] .

٦- بعد أن دعاهم إلى عبادة الله وحده وبين لهم فساد معتقدهم وأن الآلهة التي يعبدونها لا تملك لهم نفعاً ولا ضراً ، وأنهم عائدون إلى الله ومحاسبون على تفريطهم وعبادتهم غير الله تعالى ، وهو المنعم المتفضل عليهم ، بين لهم أنهم إن كذبوا بعد كل هذا فلن يضروا الله شيئاً ولن يخسر رسل الله شيئاً ، فقد كذب الكثير من قبل ، وما على الرسول إلا واجب التبليغ ، وذلك في قوله : ﴿ **و إن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين** ﴾ [2] .

قال الإمام ابن جرير [3] : في تفسير قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين** ﴾ إن الخطاب فيها لهذه الأمة وأنهم اذا كذبوا محمداً ﷺ فإن أمم الرسل من قبلهم كذبت رسلها وما ضر ذلك الرسل فقد أدوا مهمتهم وبلغوا رسالة ربهم . ولم يذكر ابن جرير غير هذا القول والعلم عند الله تعالى .

* المراحل التي اتبعها نبي الله " ابراهيم " من أجل إبطال عبادة الأصنام .

لقد كانت المهمة الأساسية والرئيسة لنبي الله " إبراهيم " عليه السلام في دعوته هي إقامة الحجة على أبيه وقومه ، في أن هذه الأصنام لاتستحق أن تعبد من دون الله تعالى لأنها لاتنفع ولاتضر ، بل ولاتغني عن نفسها من الأمر شيئاً ، وقد سلك نبي الله " إبراهيم " - في إقامة الحجة وإبطال عبادة الأصنام - منهجاً عظيماً تدرج فيه على أربع مراحل : [4]

المرحلة الأولى : عيبه على قومه عبادة الأصنام .

المرحلة الثانية : تبرؤه من قومه ومن عبادة الأصنام .

المرحلة الثالثة : إقامته الحجة على قومه في أن الأصنام لاتستحق العبادة .

المرحلة الرابعة : تحطيمه الأصنام ليثبت لقومه عدم صلاحيتها للعبادة وهذا تفصيل الكلام على كل مرحلة على حدة .

---

١) انظر التحرير والتنوير ج/٢٠،٢١ ص٢٢٦ ، مرجع سابق .

٢) انظر تفسير ابن كثير ، مرجع سابق ٤/٤٢١ ، فتح القدير للشوكاني مرجع سابق ٤/١٩٦-١٩٧ ، والتدرج في الأساليب الدعوية ص ٥٦، ٥٧ مرجع سابق . وفي ظلال القرآن للسيد قطب ، مرجع سابق ٥/٢٧٢٨-٢٧٢٩ ، والدعوة إلى الله في سورة إبراهيم ، مرجع سابق ص ٤٤١ - ٤٤٢ .

٣) تفسير الطبري ج٢٠ ص١٣٧ .

٤) انظر منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى ص٤٨ وما بعدها بتصرف

المرحلة الأولى : عيب إبراهيم على أبيه وقومه عبادة الأصنام .

من أساليب الدعوة الناجحة أن يقيم الداعية الحجج الواضحة على بطلان دعوى الخصم وهذا ما فعله سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، فقد استخدم في دعوته لقومه واقامة الحجة لهم على بطلان ما هم عليه الحجج القوية والبراهين القاطعة لإقناعهم بترك عبادة الأوثان ، لكنهم لم يستجيبوا لنداء الحق . ومن ذلك :

١- أنه كان تارةً يوجه التهمة إلى أبيه وقومه ويثبت لهم أنهم في ضلال مبين بسبب عبادة الأصنام .

يوضح ذلك قول الله تعالى : ﴿ **وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين** ﴾ [١] .

٢- وتارة يتهكم على أبيه وقومه بسبب عبادتهم الأصنام يدل على ذلك قوله تعالى : " إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون " [٢].

٣- وتارة يعيب على قومه عبادتهم الأصنام التي لاترزق أحداً ، يوضح ذلك قوله تعالى : ﴿ **إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً إن الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون**﴾ [٣] .

٤- وتارة يوجه التهمة إلى قومه بسبب أنهم يعبدون أصناماً نحتوها بأنفسهم ، وتركوا عبادة الله الذي ليس كمثله شيء والذي هو خالقهم وخالق أعمالهم يرشد إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ **قال أتعبدون ما تنحتون * والله خلقكم وما تعملون** ﴾ [٤] .

المرحلة الثانية : تبرؤ إبراهيم من قومه ومن عبادة الأصنام .

وبعد أن عاب نبي الله " إبراهيم " عليه السلام على قومه عبادة الأصنام وبين لهم بالدليل والبرهان الساطع أنها لاتستحق العبادة ، ومع ذلك أصروا على كفرهم و لم يؤمنوا . سلك نبي الله المرحلة الثانية : وهي تبرؤه من قومه ومن عبادة الأصنام ، وهذا الأسلوب في الدعوة من الأساليب الفعالة في إقامة الحجة على الخصم . ومن الأدلة القاطعة على أن نبي الله " إبراهيم " عليه السلام تبرأ من قومه ومن عبادة الأصنام قوله تعالى " فلما رأى الشمس بازغةً قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت

---

١) سورة الأنعام : الآية (٧٤) .

٢) سورة الأنبياء : الآية (٥٢) .

٣) سورة العنكبوت الآيات ١٦-١٧.

٤) سورة الصافات : الآيات (٩٥-٩٦) .

قال ياقوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين " [1] .

وقد تبرأ "إبراهيم" عليه السلام من شركهم بعد أن أقام عليهم الحجة ووضع أيديهم على مواطن الضعف منهم وانتقل بهم من كوكب إلى كوكب وأراهم أن موقفه منهم موقف الباحث حتى لاينفروا من مجادلته وبين لهم أن الكواكب على اختلافها لاتصلح أن تكون آلهة لأنها تغيب وتحضر، وبعد أن أقام عليهم الحجة بالموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى أملى عليهم عقيدته فأراهم أنه برئ مما يشركون ، وأنه أسلم وجهه للذي فطر السموات والأرض [2] . وفي ذلك يقول عزوجل حاكياً ما قاله ابراهيم عليه السلام : ﴿ **وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين** ﴾ [3] .

ويقول تعالى : ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا** ﴾ [4].

المرحلة الثالثة : إقامة إبراهيم عليه السلام الحجة على قومه في أن الأصنام لاتستحق العبادة.

من المهام الأساسية لكل نبي إقامته الحجة والبرهان على صدق نبوئته ، وصحة دعوته . ولهذا كانت معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ونبي الله "إبراهيم" عليه السلام أقام الحجة تلو الحجة على صدق نبوته ، وبين لقومه بالأدلة القاطعة ، والبراهين الواضحة أن هذه الأصنام لاتصلح للعبادة ، لأن الذي يستحق العبادة هو الله الذي ليس كمثله شيء ، والذي لاتأخذه سنه ولانوم ، والذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد إلى آخر الصفات التي تجب لله تعالى ، والتي أثبتها القرآن الكريم والسنه النبوية المطهرة . ولقد كان نبي الله "إبراهيم" عليه السلام قوي الحجة ، واضح البرهان ، تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ **وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه** ﴾ [5] .

والقرآن الكريم جاء حافلاً بالآيات القرآنية التي تثبت بجلاء ووضوح مدى الجهد الذي بذله نبي الله إبراهيم عليه السلام من أجل إقامة الحجة على قومه كي يتركوا عبادة الأصنام ويتوجهوا إلى عبادة الله الواحد الغفار ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ **قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا**

---

١) سورة الأنعام : الآيات (٧٨-٧٩)

٢) دعوة الرسل - العدوى ص٤٤ مرجع سابق

٣) سورة الزخرف : الآيات (٢٦-٢٧)

٤) سورة الممتحنة : الآية (٤)

٥) سورة الأنعام : الآية (٨٣)

ينطقون * فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله مالاينفعكم شيئاً ولايضركم أفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴾ [1] .

وقوله تعالى : ﴿ **واتل عليهم نبأ إبراهيم* إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون * قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين * قال هل يسمعونكم إذ تدعون * أو ينفعونكم أو يضرون * قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون * قال أفرأيتم ماكنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون * فإنهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين * والذي هو يطعمني ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين . والذي يميتني ثم يحيين * والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين** ﴾ [2] .

يقول أبو الحسن الندوي حول هذه الآيات [3] : تتأملون في هذه الآيات وتعرفونها من أولها إلى آخرها ، فأولا تتفكرون في حكمة سيدنا إبراهيم في الدعوة ، لأنه لم يقترح من نفسه أسماءً أو صفات لهذه الآلهة حتى لايثير هؤلاء فيردون عليه وينكرونها ، بل استنطقهم أولاً فقال : ﴿ **ما تعبدون ، قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين ، قال هل يسمعونكم إذ تدعون ، أو ينفعونكم أو يضرون** ﴾ فإن الحياة الإنسانية تدور حول هاتين النقطتين ، يسمع الإنسان إذا دعي ، وينفع ويضر إذا استعين ، هذا الخيط الذي يربط فرداً بفرد ووجوداً بوجود ، ومؤسسة بمؤسسة ، اختار هذين الشيئين وهما القطبان اللذان تدور حولهما رحى الحياة كلها .

﴿ **قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون** ﴾، هذا الذي كان يريد سيدنا إبراهيم أن يقولوه ، فهذا هو جواب العاجز ، جواب المنقطع ، يعني ما هو الدليل على هذه الأسماء ؟ هل لها مسميات ؟ وهذه الأصنام المنحوته ، والأوثان المنصوبة والآلهة الخيالية الأسطورية الآخرى ، هل لها فائدة في الحياة ؟ وقدرة على العمل ومكنة من النفع والضرر ، وسند من العلم ؟

ونستمر في دراسة هذه الآيات حيث تنقلنا من معنى إلى معنى لنرى فهم سيدنا إبراهيم العميق الدقيق ، للنفسية الإنسانية ، وقدرته وبراعته في الدخول إلى مداخل النفس الدقيقة ، وإلى أغوارها العميقة ، كيف استخرج كل ما عندهم من ثروة ذكاء وثروة بيان ، وثروة دفاع عن النفس ، وآخر سهم في كنانتهم كانوا يستطيعون أن يطلقوه ﴿ **بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون** ﴾ فسيدنا

---

١) سورة الأنبياء : الآيات (٦٣-٦٧)

٢) سورة الشعراء : الآيات (٦٩-٨٢)

٣) روائع من أدب الدعوة ص٢٣-٢٨ بتصرف يسير .

إبراهيم استنفد كل ماعندهم من قدرة جواب فأصبحوا مفلسين ، أصبحوا فقراء أصبحوا لاشيء عندهم .

ثم بدأ يوجه إليهم الدعوة ويدعوهم إلى الله وإلى التوحيد ، فقال ﴿ **أفرأيتم ما كنتم تعبدون، أنتم وآبائكم الأقدمون * فإنه عدو لى إلا رب العالمين * الذى خلقنى فهو يهدين* والذى هو يطعمنى ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين * والذى يميتنى ثم يحيين * والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين** ﴾ [1] .

فقد وصف ربه عزوجل هنا بخمس خصال ، أما هناك خصلتين فقط ﴿ **هل يسمعونكم إذ تدعون. أو ينفعونكم أو يضرون** ﴾ لكنه هنا لما ذكر الله تعالى وتحدث عنه كأنه شعر بطرب وجاشت نفسه ، فتوسع في الحديث عنه تعالى ، إن الإنسان إذا ذاق شيئاً لذيذاً فإنه يلوكه ويمضغه ويديره في الفم ، أما إذا كان الشيء مراً - ولابد منه - فإنه يبتلعه ابتلاعاً ويتخلص منه بسرعة وهذا ما حدث لإبراهيم عليه السلام لما تكلم عن الأصنام تكلم سريعاً ليتخلص من الكلام عنها أما عندما تكلم عن الله عزوجل فقد توسع عنه سبحانه وتعالى في الحديث لأن عاطفته تحركت وجاش فيه الإيمان فقال : ﴿ **فإنهم عدو لى إلا رب العالمين ، الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين * والذى يميتنى ثم يحيين * والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين**﴾ .

الإله الذى يستحق العبادة :

ومما هو ثابت أن نبي الله (إبراهيم) عليه السلام أثناء مناقشته لقومه ، ودعوته لهم لعبادة الله ونبذ عبادة الأصنام كان يقيم عليهم الحجج المتتابعة على صدق دعوته ، ويبين لهم أن الإله الذي يستحق العبادة هو الذي ليس كمثله شيء . وأخذ فى كل موقف من المواقف التي وقفها معهم يذكر صفة أو أكثر من صفات الله تعالى .

- فتارة نجد نبي الله إبراهيم عليه السلام يبين لقومه أن الإله الذي يستحق العبادة دون سواه هو الذي خلق السموات والأرض وما فيهن على غير مثال سبق . يرشد إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ **قال ياقوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين**﴾ [2] .

---

١) سورة الشعراء : الآيات (٧٧-٨٢)

٢) سورة الأنعام : الآيات (٧٨-٧٩)

- وتارة يقول لقومه : الإله الذي يستحق العبادة هو الذي أحاط علمه بكل شيء ، وهذه الأصنام لاحياة فيها ولذا فهي لاتدرك أي شيء ، ويوضح ذلك قوله تعالى : ﴿ **وحاجه قومه قال أتحاجوني في ا لله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علماً أفلا تتذكرون** ﴾ [1] .

- وتارة يبرهن لقومه على أن الإله الذى يجب ان يُعبد هو الذي بيده الحياة و الموت ، والأصنام التي تعبدونها أنتم الذين أوجدتموها فكيف تعبدونها . يشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ **إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت** ﴾ [2] .

- وتارة أثناء عرض إبراهيم عليه السلام لقضية التوحيد ودعوته له ، يبرهن على ذلك بأن الإله الذي يجب أن يُعبد دون سواه هو الذي في قبضته كل شيء يسخره كيف يشاء بما في ذلك الأفلاك ، ومنها الشمس التى تقرون بمنفعتها . يؤيد ذلك قوله تعالى على لسان إبراهيم أثناء محاجاته لعدو ا لله نمروذ ﴿ **قال إبراهيم فإن ا لله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر**﴾[3] .

- وتارة أثناء دعوة إبراهيم عليه السلام لعبادة ا لله وحده يدلل على صدق قوله بأن الإله الحقيقي هو الذي يسمع ويبصر ، والأصنام التي يعبدونها أحجار صماء لاتدرك القليل ولا الكثير [4] .

يوضح ذلك قوله تعالى : ﴿ **إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً**﴾ [5] وقوله تعالى : ﴿ **قال أفتعبدون من دون ا لله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم** ﴾ [6] وقوله تعالى : ﴿ **قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون**﴾ .

---

١) سورة الأنعام : الآية (٨٠)

٢) سورة البقرة : الآية (٢٥٨)

٣) سورة البقرة : الآية (٢٥٨)

٤) انظر منهج الأنبياء في الدعوة إلى ا لله تعالى ص ٥٥ ، ومعالم الدعوة في القصص القرآني جـ١ ص ٢٨٠،٢٨١ .

٥) سورة مريم : الآية (٤٢)

٦) سورة الأنبياء : الآية (٦٦)

المرحلة الرابعة : تحطيم الأصنام ليثبت إبراهيم عليه السلام لقومه عدم صلاحيتها للعبادة :

مما سبق تبين أن نبي ا لله إبراهيم عليه السلام استعمل مع قومه أكثر من وسيلة من وسائل الإصلاح ، وتدرج معهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأقام لهم البرهان تلو البرهان كي يتبصروا ويتركوا عبادة الأصنام إلى عبادة ا لله الواحد الرحمن ولكن كل ذلك ذهب أدراج الرياح ، وما زادهم إلا كفراً وعناداً ، وتمسكاً بعبادة هذه الأصنام التي لاتنفع ولا تضر ، بل ولا تغنى عن نفسها شيئاً .

بعد ذلك استعمل نبي ا لله إبراهيم عليه السلام وسيلة لاتدع مجالاً للشك في أن هذه الأصنام لا تصلح للعبادة حيث لم تستطع الدفاع عن نفسها فضلاً عن جلب النفع ، أو دفع الضر عن غيرها ، فعمد إلى تحطيم هذه الأصنام و لم يدع منها شيئاً سوى كبيرهم كي يرجعوا إلى سؤاله عن الذي حطم آلهتهم .

وعندما يظهر لهم عجز الصنم الكبير و لم يستطع الرد على سؤالهم ، يثوبون إلى رشدهم ويؤمنون با لله رب العالمين ولكن للأسف مع ظهور الحقيقة كوضح النهار ، وعجز الصنم عن الكلام لأنه لم يسبق له الكلام .

مع كل هذا يسيطر الجهل على عقولهم ، وأصروا على كفرهم وعنادهم وقد صور القرآن الكريم هذا المشهد أبلغ تصوير فقال عز من قائل : ﴿ **ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين، إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين * قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين وتا لله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياإبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم إن كانوا ينطقون فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون ا لله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أفٍ لكم ولما تعبدون من دون ا لله أفلا تعقلون**﴾ [1].

---

١) سورة الأنبياء الآيات : (٥١-٦٧)

وقال تعالى : ﴿ **فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون * مـا لكـم لا تنطقـون * فـراغ عليهـم ضرباً باليمين * فأقبلوا إليه يزفون قال أتعبدون ما تنحتون * والله خلقكم وما تعملون** ﴾ [1] . في هذه الآيات الكريمات يتدرج إبراهيم عليه السلام في دعوته لقومه مستخدماً المنهج العقلي المتمثـل في الحوار الذي دار بينه وبين قومه كما هو واضح من الآيات السابقة ، وذلك بسؤالهم عـن معبوداتهـم تحقيراً وتصغيراً لشأنها ، واتباع ذلك بمواجهتهم بالحكم عليهم وعلـى آبـائهم صراحـة بـالضلال ثـم يعقب على هذا الحكم بان الجدير بالعبادة هو رب السموات والأرض الذي أبدع خلقهن وأنه شاهد لربه بالوحدانية .. إلى آخر ما جاء في الايات من محاورة بينه وبين قومه . ولما لم تجد المحاجة اللسـانية شيئاً انتقل إلى تغيير المنكر بالفعل مستخدماً المنهج الحسى ، فقام بتحطيم الأصنام مـا عـدا كبـيرهم ، ليتخذه مادة للحوار مرة أخرى مع قومه ، لإرجاعهم إلى عقولهم ولو للحظة ، لتقوم الحجة عليهم ، وهذا هو المطلوب .

وكاد بعضهم أن يثوب إلى رشده بعد أن ألزمهم إبراهيـم عليـه السـلام الحجـة ، وأسـكتهم بالبرهان ، وناقشهم بمنطق الفكر ، غير أن الشيطان لم يفسح لهم المجـال بعـد أن أسـتولى عليهـم ، إذ سرعان ما نكسوا على رؤوسهم ورجعوا إلى جاهليتهم وضلالهم ، بعد تلك الومضة مـن النـور الـتي جالت في خاطرهم ، قال تعالى : ﴿ **فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكـم أنتـم الظـالمون . ثـم نكسـوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون**﴾ .. وهنا يسكتهم إبراهيم عليه السلام حاكماً عليهـم بعدم العقل لعبادتهم مالا ينفع ولا يضر ، ولما لم يجدوا حجة يستطيعون أن يـردوا بهـا علـى إبراهيـم عليه السلام ، أجمعوا على إلقائه في النار ، ليحرقوه بها .

فجمعوا له حطباً كثيفاً وأوثقوه وألقوه فيها ولكن الله سبحانه وتعالى أمـر النـار أن كونـي برداً وسلاماً عليه صلى الله عليه وسلم [2] يشير إلى ذلك قول الله تبارك وتعـالى : ﴿ **قـالوا حرقـوه وانصروا ءَالهتكم إن كنتم فاعلين** ﴾ [3]. وهذا هو ما يلجأ إليه العاجز عن الحجة والبرهـان ، ومـن فقد المنطق السليم الذي يواجه به خصمه ، فيضطر إلى استعمال البطش والقوة : ﴿ **قـالوا ابنـوا لـه بنياناً فالقوه في الجحيم** ﴾ [4] .

---

١) سورة الصافات : الآيات (٩١-٩٦).

٢) انظر تفسير ابن كثير ، مرجع سابق ٤/١٠٤ -١٠٨ ، والجامع لأحكام القرآن لقرطبي ١١/٢٩٦-٣٠٥ ، وفتح القدير للشوكاني مرجع سابق ٣/٤١١-٤١٦ ، وفي ظلال القرآن للسيد قطب ، مرجع سابق ٤/٢٣٨٥-٢٣٨٨ ، والدعوة إلى الله في سورة غبراهيم ، مرجع سابق ص ٤٤٢ .

٣) سورة الأنبياء : آية (٦٨)

٤) سورة الصافات : آية (٩٧)

ولقوّة اعتماده على ربه عز وجل ، فقد ظل ثابت الجنان ، قوي العزيمة ، لايرنو ببصره إلا إلى ربه ، ولا يطلب النصرة إلا منه ، روى البخاري عن ابن عباس قال : (حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا : ﴿ **إن الناس قد جمعوا لكم فأخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾ [1] . وفي رواية أخري للبخاري أيضاً عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال : (كان آخر قول إبراهيم حين القي في النار " حسبي الله ونعم الوكيل ") [2] . وكانت رعاية الله وحفظه تحوط ابراهيم عليه السلام الذي تجلت فيه قمة الثبات على الإيمان بربه ، واعتماده عليه : ﴿ **قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم . وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين** ﴾ [3] .

ب – دعوته عبدة الكواكب :

قال تعالى : ﴿ **وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين * وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين * فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الافلين * فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربى لأكونن من القوم الظالمين * فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم إني بريء مما تشركون * إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين** ﴾ [4] . بينت هذه الآيات الكريمة أسلوب إبراهيم عليه السلام في الإقناع ، حيث سلك مع قومه اسلوب التدرج والإستدراج مستخدماً المنهج الحسى فإنه عليه السلام كما توضح هذه الآيات الكريمة حينما ستر الليل بظلمته [5] كل ضياء ، رأى كوكبا مضيئاً في السماء فقال على سبيل الرد عليهم والتوبيخ والإستدراج لهم حتى يدركوا أخطاءهم في عبادة غير الله ، فيعرفوا أنه سبحانه هو المعبود بحق يقول الإمام الزمخشرى [6] حول هذه الآيات : ﴿ **هذا ربي** ﴾ . قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل فيحكى قوله كما هو من غيرتعصب لمذهبه ، لأن ذلك أدعى إلى الحق ، ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة .

---

١) كلا الحديثين في البخاري : ٦/٤٨-٤٩ . وروى الأخير الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي : ٢/٢٩٨

٢) كلا الحديثين في البخاري : ٦/٤٨-٤٩ . وروى الأخير الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي : ٢/٢٩٨

٣) سورة الأنبياء : آية (٦٩-٧٠)

٤) سورة الأنعام : الآية (٧٤-٧٩)

٥) يقول د.محمد الفندى في كتابه مع القرآن في الكون ص ١٩٧ : وظاهر أن قوله تعالى ﴿ فلما جن عليه الليل ... ﴾ إنما يعنى عندما فوجيء باظلام كظلام الجنّة الناجم عن ظلال أشجارها التى تحجب ضوء الشمس ولا يحجب ضوء الشمس فى ملكوت السموات سوى القمر فى حالات الكسوف الكلى للشمس .

٦) الكشاف جـ ٢ ص ٣١

فلما غاب ذلك الكوكب قال (لا أحب الأفلين) أي لاأحب عبادة من هذه حاله لأن الرب لا يجوز عليه الغياب أو التغيير والانتقال ، لأن ذلك من صفات المخلوقين . ثم إنه لما رأى القمر طالعاً قال ﴿ **هذا ربي** ﴾ على نفس الأسلوب المتقدم ، فلما غاب قال : لئن لم يرشدني ربي على الهدى لأكونن من القوم الظالمين .. وفيه تعريض للقوم بأنهم على ضلال .

ثم أنه لما رأى الشمس طالعة قال (هذا ربي هذا أكبر) أي من الكواكب والقمر ، فلما غابت قال : ﴿ **ياقوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين** ﴾ .. وقال ابن كثير : وهذا المقام مقام مناظرة لقومه وبيان لهم أن هذه الأجرام المشاهدة ، من الكواكب النيرة ، لاتصلح للألوهية ، ولا أن تعبد مع الله ، لأنها مخلوقة مربوبة ، مصنوعة ، مدبرة ، مسخرة ، تطلع تارة وتأفل أخرى ، فتغيب عن هذا العالم .. والرب تعالى لايغيب عنه شيء ، ولا تخفى عليه خافية ، بل هو الدائم الباقي بلا زوال ، لا إله إلا هو ، ولا رب سواه ، فبين لهم أولاً عدم صلاحية الكوكب لذلك ، قيل هو الزهرة ، ثم ترقى منها إلى القمر الذي هو أضوأ منها وأبهى من حسنها ، ثم ترقى إلى الشمس التي هي اشد الأجرام المشاهدة ضياء وسناء وبهاء ، فبين أنها مسخرة مسيرة ، مقدرة مربوبة .

ثم بعد أن أقام الحجة عليهم بذلك الأسلوب اللين ، أملى عليهم عقيدته ، فأراهم أنه بريء مما يشركون بالله ، وأنه أسلم وجهه للإله الذي فطر السموات والأرض ، مائلاً من الباطل إلى الحق ، ﴿ **وما أنا من المشركين** ﴾ [1] . ومما يؤكد كون إبراهيم عليه السلام أراد بهذا المقام التدرج مع قومه ليلقمهم حجراً ويثبت لهم بطلان ما هم عليه من عبادة الشمس والقمر والنجوم ما ذكره الفخر الرازي في تفسيره من جملة أجوبة ذكرها عن قول إبراهيم في هذا المقام قال :

الوجه السادس أنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يبطل قولهم بربوبية الكواكب إلا أنه عليه السلام كان قد عرف من تقاليدهم لأسلافهم وبعد طبائعهم عن قبول الدلائل أنه لو صرح بالدعوة إلى الله تعالى لم يقبلوا و لم يلتفتوا إليه فمال إلى طريق به يستدرجهم إلى استماع الحجة وذلك بأن ذكر كلاماً يوهم كونه مساعداً لهم على مذهبهم بربوبية الكواكب مع أن قلبه صلوات الله وسلامه عليه كان مطمئناً بالإيمان ومقصوده من ذلك أن يتمكن من ذكر الدليل على إبطاله وإفساده وأن يقبلوا قوله [2] .

---

١) انظر تفسير بن كثير ٣/٥٤-٥٥ ، والدعوة إلى الله في سورة إبراهيم ص ٤٤٨،٤٤٩ وفتح القدير ٢/١٣٣-١٣٥ ومعالم الدعوة الإسلامية في عهدها المكي ، خليفة العسال ص ٤٣٧ .

٢) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي جـ ٤ ص ١١٢

ونصر قول ابن كثير الشيخ محمد الأمين الشنقيطي حيث قال .. لأن الله نفى كون الشرك الماضي عن إبراهيم في قوله : ﴿ **وما كان من المشركين** ﴾ في عدة آيات ، ونفى الكون الماضى يستغرق جميع الزمن الماضي فثبت أنه لم يتقدم عليه شرك يوماً ما .. إلى أن قال فدل على أنه قال ذلك موقناً مناظراً ومحاجاً لهم كما دل عليه قوله : ﴿ **وحاجه قومه**﴾ وقوله ﴿ **وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه** ﴾ [1] .

وذكر الإمام الشهرستانى أن إبراهيم (أقبل على إبطال مذهب أصحاب الهياكل على ميزان الزامه على أصحاب الأصنام ﴿ **بل فعله كبيرهم هذا** ﴾ [2] وإلا فما كان الخليل عليه السلام كاذباً في هذا القول ولا مشركاً فى تلك الإشارة ، ثم استدل بالأفول : الزوال ، والتغيير والانتقال على أنه لايصلح أن يكون رباً إلهاً فإن الإله القديم لايتغير وإذا تغير احتاج إلى مغير هذا لو اعتقدتموه رباً قديماً وإلهاً أزلياًولو اعتقدتموه واسطة وقبلة وشفيعاً ووسيلة فإن الأفول والزوال يخرجه أيضاً عن حد الكمال وعن هذا ما استدل عليه بالطلوع وان كان الطلوع أقرب إلى الحدوث من الأفول فإنهم إنما انتقلوا إلى عمل الأشخاص لما عراهم من التحير بالأفول فأتاهم الخليل عليه السلام من حيث تحيرهم فاستدل عليهم بما اعترفوا بصحته وذلك أبلغ فى الاحتجاج ... قرر مذهب الحنفاء وأبطل مذهب الصابئة وبين أن الفطرة هى الحنيفية وأن الطهارة فيها وأن الشهادة بالتوحيد مقصورة عليها وأن النجاة والخلاص متعلقة بها وان الشرائع والأحكام مشارع ومناهج إليها وأن الأنبياء والرسل مبعوثون لتقريرها) [3] .

وهكذا أبطل الخليل عبادة الكواكب فيما حكاه القرآن وبهذا يكون القرآن أبطل عبادة الكواكب وضلل عبادها وأعلن التوحيد الكامل لله والعبادة الحقة له .

---

١) أنظر أضواء البيان جـ ٢ ص ١٨٠ المصدر السابق .

٢) سورة الأنبياء : آية (٦٢) .

٣) الملل والنحل جـ ٢ ص ٥٣ . دار المعرفة ، تحقيق محمد سيد كيلاني سنة ١٩٨٢م

ثالثاً : دعوته لأبيه وقومه :

ذكر القرآن لنا نوعاً آخر من منهج إبراهيم عليه السلام في دعوته وهو أنه لما دعا أباه أولاً وثنى بدعوة قومه قرن بين دعوة أبيه وقومه .

فقد بين لنا القرآن الكريم أنه سأل أباه وقومه معاً ماذا يعبدون ؟ ولما أخبروه أنهم يعبدون الأصنام وأنهم يظلون عاكفين لها سألهم أيضاً هل هي تسمعهم حين يدعونها ؟ وهل هي تنفعهم أو تضرهم ؟ أو يعبدونها عبادة عمياء دون تفكير في حالها ؟ وكان قصده من هذا كله تنبيههم ولفت أنظارهم إلى أن ما يعبدونه لا يستحق أي نوع العبادة ، ولكنه صاغ لهم ذلك في أسلوب بديع خال من القساوة والتنفير موجب للإصغاء والتفكير ، فقد سألهم عن هذه الأصنام هل تسمع الدعاء ، أي هل يسمعون دعاءكم ، أو ينفعونكم بسبب عبادتكم ، أو يضرونكم إذا تركتم عبادتهم ، فلم يترك طريقاً إلا أتاهم منها ليبين لهم بطلان ما هم عليه دون أن يجرح من شعورهم ، وقد أقام عليهم الحجة من حيث لا يشعرون . يقول تعالى آمراً نبيه محمداً ﷺ أن يتلو قصة إبراهيم في دعوته لأبيه وقومه وبيانه لهم فيها أن الأصنام لا تنفع عابدها ، ولا تضر من ترك عبادتها ﴿ **واتل عليهم نبأ إبراهيم * إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون * قالوا نعبد أصناماً فنظلُّ لها عاكفين * قال هل يسمعونكم إذ تدعون * أو ينفعونكم أو يضرُّون * قالوا بل وجدنآ ءابآءنا كذلك يفعلون** ﴾ [1] .

وبعد الحوار بين إبراهيم عليه السلام وبين أبيه تتحدث سورة الشعراء عن الحوار بينه وبين أبيه وقومه يقول ابن جرير الطبري في قوله تعالى : ﴿ **واتل عليهم نبأ إبراهيم * إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون * قالوا نعبد أصناماً فنظلُّ لها عاكفين** * ﴾ [2] .

(يقول تعالى ذكره : واقصص على قومك من المشركين يا محمد خبر إبراهيم حين قال لأبيه وقومه أي شيء تعبدون ؟ (قالوا) له : ﴿ **نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين** ﴾ .

يقول : فنظل لها خادمين مقيمين على عبادتها وخدمتها ، قال إبراهيم فيما حكاه القرآن : ﴿ **قال هل يسمعونكم إذ تدعون * أو ينفعونكم أو يضرُّن * قالوا بل وجدنآ ءابآءنا كذلك يفعلون** ﴾ [3] .

---

١) سورة الشعراء : الآيات (٦٩ - ٧٤) .

٢) سورة الشعراء : الآيات (٦٩-٧١) .

٣) سورة الشعراء : الآيات (٧٢-٧٤) .

أي : قال إبراهيم عليه السلام لقومه : هل تسمع هذه الآلهة دعاءكم إذ تدعونهم ؟ أو تنفعكم هذه الأصنام فيرزقونكم شيئاً على عبادتكموها ؟ أو يضرونكم فيعاقبونكم على تركك عبادتها بأن يسلبوكم أموالكم أو يهلكوكم؟ فكان جوابهم إيّاه : لا ، ما يسمعوننا إذا دعوناهم ولا ينفعوننا ولا يضروننا) [1] .ثم عللوا عبادتهم لهذه الآلهة بتقليدهم آباءهم في عبادتهم لها .

ويقول سيد قطب رحمه الله عن تفسير هذه الآيات الكريمة :(إن هذه الأصنام لا تسمع ولا تضر ولا تنفع . ولكنا وجدنا آباءنا يعكفون عليها ، فعكفنا عليها وعبدناها وهو واجب مخجل . ولكن المشركين لم يخجلوا أن يقولوه ، كما لم يخجل المشركون في مكة أن يفعلوه . فقد كان فعل الآباء لأمر كفيلاً باعتباره دون بحث ، بل لقد كان من العوائق دون الإسلام أن يرجع المشركون عن دين آبائهم ، فيخلوا باعتبار أولئك الآباء ، ويقروا أنهم كانوا على ضلال . وهذا مالا يجوز في حق الذاهبين ! وهكذا تقوم مثل هذه الاعتبارات الجوفاء في وجه الحق ، فيؤثرونها على الحق ، في فترات التحجر العقلي والنفسي والانحراف التي تصيب الناس ، فيحتاجون معها إلى هزة قوية تردهم إلى التحرر والانطلاق والتفكير .

وأمام ذلك التحجر لم يجد إبراهيم – على حلمه وأناته – إلا أن يهزهم بعنف ، ويعلن عداوته للأصنام ، وللعقيدة الفاسدة التي تسمح بعبادتها لمثل تلك الاعتبارات) [2] .

إن إبراهيم عليه السلام يبين بلسانه لأبيه وقومه حقيقة هذه الآلهة فلما لم يتأثروا بقوله واستهانوا به ظل على التوحيد الخالص الذي دعاهم إليه ولقنهم الدرس الأخير في كشف حقيقة هذه الآلهة كما حكي القرآن الكريم : ﴿ **فراغ عليهم ضرباً باليمين فأقبلوا إليه يزفون قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم * فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين** ﴾ [3] .

وتوضح سورة الأنبياء الحوار الناتج عن تكسير هذه الآلهة وضياع معالمها وعدم قدرتها الدفاع عن نفسها وعجزها عن النطق باسم من كسرها وعن إنزال اللعنة عليه وعجز الكهان عن معرفة من فعل هذا ، ولهذا دلالة هي استيقاظ العقل والحس عند هؤلاء الناس وهزهم هزاً عنيفاً ليعرفوا حقيقة ماهم عليه من ضلال ، يقول الحق عزوجل : ﴿ **قالو أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم * قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون * فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا انكم**

---

١) تفسير الطبري ج١٩ ص ٨٤ .

٢) في ظلال القرآن ج٥ ص ٢٦٠٢ .

٣) سورة الصافات : الآيات (٩٣-٩٨)

أنتم الظالمون * ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون * قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم * أفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون * قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين * قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾ [1] .

إن إبراهيم عليه السلام حين أقدم على تكسير هذه الآلهة أراد رد هؤلاء الجماهير إلى حقيقتها من جانب وفضح أصحاب الامتياز في مجتمعه أمام الناس الذين يسعون فيهم وفي توجيههم .

يقول سيد قطب رحمه الله:(وما كان تحويل النار برداً وسلاماً على إبراهيم إلا مثلاً تقع نظائره في صور شتى ولكنها قد لا تهز المشاعر كما يهزها هذا المثل السافر الجاهر ، فكم من ضيقات وكربات تحوط بالأشخاص والجماعات من شأنها أن تكون القاصمة القاضية وإن هي إلا لفتة صغيرة فإذا هي تحيي ولا تميت ، وتنعش ولا تخمد ، وتعود بالخير وهي الشر المستطير . إن ﴿ **يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم** ﴾ ، تكرر في حياة الأشخاص والجماعات والأمم وفي حياة الأفكار والعقائد والدعوات وإن هي إلا رمز للكلمة التي تبطل كل قول وتحبط كل كيد لأنها الكلمة العليا التي لا ترد) [2] .

رابعاً : محاجة ابراهيم عليه السلام للنمرود :

استخدم ابراهيم عليه السلام المنهج العقلي والحسي معاً عندما حاجه النمرود في ربه ، وطلب منه الدليل على وجود الرب ، حيث استدل على ذلك بظاهرتي الإحياء والإماتة ، وهما الظاهرتان المعروضتان لحس الانسان وبصره ، والمتكررتان دائماً ، وهما في الوقت نفسه أبرز خصائص الألوهية القادرة على الايجاد والافناء .. ولكن النمرود ادعى ذلك مكابرة وعناداً لهذا انتقل ابراهيم عليه السلام إلى سنة كونية أخرى ظاهرة مرئية ، وسلك طريقة التحدي في طلب تغيير سنة الله في الكون ، وهذا يتضح من الآية التالية ..

قال تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذي حاجَّ إبراهيم في ربِّه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحي ويميت قال أنا أحيي وأميت * قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ [3] .

---

١) سورة الأنبياء : الآيات (٦٢ - ٦٨) .

٢) في ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٣٨٨ .

٣) سورة البقرة : الآية (٢٥٨) .

جاء في تفسير ابن كثير ، أن النمرود طلب من إبراهيم عليه السلام دليلاً على وجود الرب الذي يدعو إليه ، فقال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت ، أي إنما الدليل على وجوده حدوث هذه الاشياء المشاهدة بعد عدمها وعدمها بعد وجودها ، وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة ، لأنها لم تحدث بنفسها ، فلا بد لها من موجد أوجدها وهو الرب الذي أدعو إلى عبادته وحده لا شريك له ، فعند ذلك قال المحاج وهو النمرود ﴿ **أنا أحيي و أميت** ﴾ وذلك أني أوتى برجلين قد استحقا القتل فآمر بقتل أحدهما فيقتل ، وآمر بالعفو عن الآخر فلا يقتل ، فذلك معنى الإحياء والإماتة والظاهر وا لله أعلم أنه ما أراد هذا لأنه ليس جواباً لما قال ابراهيم ، ولا في معناه ، لأنه غير مانع لوجود الصانع ، وإنما أراد أن يدعي لنفسه هذا المقام عناداً ومكابرة ، ويوهم أنه الفاعل لذلك ، وأنه هو الذي يحيي ويميت ، لهذا قال له ابراهيم لما رأى هذه المكابرة : ﴿ **فإن ا لله يأت بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب** ﴾ أي إذا كنت كما تدعي من أنك تحيي وتميت فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود ، في خلق ذواته وتسخير كواكبه وحركاته ، فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق فإن كنت إلهاً كما ادعيت وتحيي وتميت ، فأت بها من المغرب ؟ فلما علم عجزه وانقطاعه وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام ، بهت ، أي أخرس ، فلا يتكلم ، وقامت عليه الحجة.

قال ا لله تعالى : ﴿ **وا لله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ أي لا يلهمهم حجة ولا برهاناً ، بل حجتهم داحضة عند ربهم ، وعليهم غضب ولهم عذاب شديد ، وهذا التنزيل على هذا المعنى أحسن مما ذكره كثير من المنطقيين ، أن عدول إبراهيم عن المقام الأول إلى المقام الثاني انتقال من دليل إلى أوضح منه ، ومنهم من قد يطلق عبارة ترديه وليس كما قالوه ، بل المقام الأول يكون كالمقدمة للثاني ، ويبين بطلان ما ادعاه النمرود في الأول والثاني ، و لله الحمد والمنة [1] .

وقال الدكتور زاهر عواض الألمعي ما نصه : قلت وا لله أعلم إن إبراهيم عليه السلام لما رأى من خصمه المعاندة واللجاجة والمغالطة ، أراد أن يستدرج خصمه ولأن يحيطه بلجام من الإلزام والإفحام ، فكأنه قال له : لو سلمنا لك إحدى مقدمات دليلك جدلاً ، فإننا نريد منك البرهان على المقدمة الثانية وهي أن من يحيي ويميت قادر على تسخير هذا الكون ، فهل تستطيع أن تغير شيئاً من نظام هذا الكون على خلاف ما هو عليه الآن ؟ ..

---

١) تفسير ابن كثير ، ١/٥٥٦-٥٥٧

وعمد إبراهيم عليه السلام إلى الشمس دون سائر الآيات الكونية الأخرى ، ليلزم خصمه بأحد أمرين ، كلاهما من صميم دعوته عليه السلام :

الأمر الأول : قطع لجاجة الخصم وإفحامه وإثبات عجزه وقد جعل هذا الأمر وفقاً لما أراده إبراهيم عليه السلام و لله الحمد .

الأمر الثاني : ان ابراهيم عليه السلام قد خبأ للخصم في هذا الطلب إلزاماً آخر يفسد على الخصم جمهور أتباعه ومناصريه فيما لو استرسل في مغالطته إذ كانوا يعتقدون في الكواكب بأنها مؤثرة ويعتبرون الشمس الإله الأكبر .. فلو قال الملك من قبيل المكابرة والمعاندة ، أنا الذي أتيت بها من المشرق وأنا الذي سخرتها تجري في مدارها على هذا النظام القائم ، لقال إبراهيم عليه السلام ، ما دمت أنت المدبر لهذه الأفلاك والمسير لها فكيف يعتقد قومك بأنها آلهة يعبدونها من دونك فهل يكون الإله مدبراً أو مسيراً هذا أمر يستلزم بطلان اعتقادهم في هذه الكواكب بأنها آلهة [1] .

من هنا رأينا ابراهيم عليه السلام في مجادلته لأبيه وقومه والنمرود يسلك في دعوته مسالك الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى بصورة تتداخل فيها تلك الأساليب وتتعاضد لتحقق لدعوته أسباب الإقناع والقبول فهو يبدأ المجادلة بدلالة عجز الناس عن إحياء الأموات ثم هو يترك الاعتراض على معارضة النمروذ الفاسدة ويعدل إلى المثال الجلي من مقدورات الله التي لا يقدر عدو الله على التمويه فيها [2]. ولا يتيسر له الخروج عنها بمكابرة [3] . وهو عليه السلام يسوق حجته الأولى كالمقدمة لحجته الثانية التي قضت على دعوى الخصم النمروذ وبهتته [4] .

وهكذا تدرج ابراهيم عليه السلام في دعوته لأبيه وقومه والنمرود ، في حوار هادىء قائم على لفت أنظارهم بلطف إلى عدم صحة اتخاذ آلهة تعبد من دون الله ، أو تشرك في العبادة ، متنقلاً بهم من حالة إلى حالة ، لكي ينبه عقولهم بهذا الأسلوب المتدرج ، مسايرة لهم حتى يدحض حجتهم ، وذلك أدعى للفت نظرهم إلى ما في حجتهم من خلل ، وأقوم سبياً في إقناعهم ، لما فيه من نصفة وهدوء .. فيما عدا عبدة الأصنام فإنه عليه السلام لما لم يجد معهم الحوار انتقل إلى الفعل مستخدماً المنهج الحسي في دعوتهم .

---

١) مناهج الجدل ، مرجع سابق ص ١٥٥ .

٢) تفسير البيضاوي ج١ ص١٣٦ .

٣) زبدة التفسير ص ٥٤ .

٤) تفسير ابن كثير ج١ ص ٣١٣ .

ولكنه على رغم ما بذله من جهود مضنية لهداية قومه وما تحمله من صعاب في سبيل إبلاغ الدعوة سواء مع أبيه أو في محاجته لعبدة الأصنام أو عبدة الكواكب ، أو الملك المغالي الجاحد وإقامة الحجة على أولئك جميعاً لم تجد دعوته آذاناً صاغية في قومه ، إلا النزر اليسير منهم ، فقرر عليه السلام الهجرة إلى حيث أمره الله لعله يجد أرضاً يستطيع فيها أن يعبد الله وينشر الدعوة الإسلامية التي أمر بتبليغها ..

قال تعالى : ﴿ **فآمن له لوط وقال إنّي مهاجر إلى ربي إنّه هو العزيز الحكيم * ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين** ﴾ [1] .

---

١) سورة العنكبوت : الآيات (٢٦ ، ٢٧) .

ثالثاً : الآيات الحسية من خلال المنهج الحسي في دعوة إبراهيم عليه السلام :

أولاً : حجة إبراهيم في بطلان تعدد الآلهة :

إبراهيم عليه السلام الذي آمن با لله وحده كان لا يترك فرصة إلاّ ويحاور فيها قومه ويجادلهم في معبوداتهم ، من ذلك تلك المحاورة التي أراد بها بيان بطلان عبادة الكواكب والشمس والقمر ، وإظهار أن المعبود بحق هو ا لله وحده ، قال تعالى :

﴿ وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين * فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال : هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين * فلما رأى القمر بازغاً قال : هذا ربي فلما أفل قال : لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال : هذا ربي ، هذا أكبر فلما أفلت قال : يا قوم إني بريء مما تشركون * إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ﴾[1] .

معنى هذه الآيات : إن ا لله أظهر لإبراهيم بعض أسرار ملكوته الدالة على ربوبيته ليكون من أهل اليقين الراسخين في الإيمان وليقيم بذلك الحجة على قومه الوثنيين ، وإليكم ما جرى :

ها هو الليل بدأ يرخي سدوله وإبراهيم بين جماعة من قومه يتحدثون ويتسامرون فليمح إبراهيم أحد الكواكب السيارة مما كان يعبده هؤلاء القوم يلمع في السماء فيقول إبراهيم على مسمع من الحاضرين : **﴿ هذا ربي ﴾** لتقرير الحجة على قومه فأظهر موافقتهم .

ولكن هذا الكوكب لم يلبث أن احتجب نهاراً عن الأنظار وغاب ، عندئذ قال إبراهيم لصحبه بأنه لا يؤمن بمعبود يظهر ثم يغيب .

أسلوب حكيم اختاره إبراهيم فهو لم يحقّر معبوداتهم ، ويسفه معتقداتهم في بادئ أمره فينفروا منه ويخاصموه ويصمّوا آذانهم عن سماع حجته ، بل أظهر موافقتهم لينال ثقتهم وليكون لكلامه وقع في نفوسهم يستطيع به بعد ذلك أن ينفذ إلى قلوبهم ويبين موضع الخطأ في معتقداتهم الذي يتمثل في أن ظهور الكوكب الذي أعقبه احتجاب يقتضي الحدوث ، والحدوث ينافي الألوهية.

ويجتمع إبراهيم بصحبه في مجلس آخر ويرى القمر يطلع من وراء أفق يشق بنوره ظلمة الليل فيقول إبراهيم : **﴿ هذا ربي ﴾** في مقام المناظرة لبطلان معتقداتهم . ولكن القمر لم يلبث أن غاب عن الأنظار ، عندئذ يقول إبراهيم لئن لم يهدني ربي الذي خلقني لأكونن من القوم الضالين ، فهو

---

١) سورة الأنعام : الآيات (٧٥-٧٩) .

في هذا الاعتراف يرمي إلى هدفين : أولاً - نقض عبادة القمر ، وثانياً - أن هناك معبوداً آخر هو الله وحده الذي يهدي النفوس ويحول بينها وبين تسرب الحيرة والشك إلى أعماقها .

وفي اليوم التالي تشرق الشمس وتبرز في كبد السماء وهاجة فيقول إبراهيم لمن حوله : ﴿ **هذا ربي هذا أكبر** ﴾ إنها أكبر من الكوكب والقمر وذلك استدراج لهم حتى يجاروه في الاستماع له بعد ذلك التعريض السابق بها ونكران ألوهيتها ، ولكن عند غياب الشمس يعلن إبراهيم النتيجة التي كان يتوخاها وهي : التبرؤ من معبوداتهم ، فهذه الكواكب التي تظهر ثم تختفي لا بد لها من خالق وهو الله سبحانه [1] .وقد تبرأ إبراهيم عليه السلام من شركهم بعد أن أقام عليهم الحجة ووضع أيديهم على مواطن الضعف منهم وانتقل بهم من كوكب إلى كوكب وأراهم أن موقفه منهم موقف الباحث حتى لا ينفروا من مجادلته وبين لهم أن الكواكب على اختلافها لا تصلح أن تكون آلهة لأنها تغيب وتحضر وبعد أن أقام عليهم الحجة بالموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى أملى عليهم عقيدته فأراهم أنه برئ مما يشركون وأنه أسلم وجهه للذي فطر السماوات والأرض [2] .

ولما فاجأهم بموقفه أخذوا يحاجونه ويخوفونه بطش آلهتهم من الكواكب والنجوم فقال : ﴿ **أتحاجّوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شئ علما أفلا تتذكرون ، وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً** ﴾ [3] .

أي كيف أخاف من هذه الكواكب العاجزة ، ولا تخافون أنتم من خالق الكواكب ثم يقول متهكماً ﴿ **فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون** ﴾ . إبراهيم الموحد بالله أم قومه المشركون ثم ختم الآية بأن التمكين والأمان لا يكون إلا لأهل الإيمان واليقين فقال ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهو مهتدون** ﴾ [4] .

أما أهل الشرك فليسوا أهلاً للأمن من عذاب الله .

وهكذا أبطل إبراهيم عليه السلام عبادة الكواكب ، وبين البيان الشافي أن المستحق للعبادة هو الخالق لهذه الكواكب الذي لا يتغير ولا يتبدل وهو الذي يعبده ويدعو الناس لعبادته . كما قال

---

١) أنظر مع لأنبياء ص ١١٦ ، ١١٧ بتصرف .

٢) أنظر دعوة الرسل ص ٤٤ .

٣) سورة الأنعام : الآيتان (٨٠ ، ٨١)

٤) سورة الأنبياء: الآية (٨٢) .

تعالى : ﴿ **بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين ...**﴾[1].

وهكذا قضى إبراهيم عليه السلام حياته يجاهد في سبيل الله [2] .

ثانياً : البرهان على ربوبية الله وحده :

كان نمرود ملكاً على عهد إبراهيم عليه السلام ، وكان يدّعي الألوهية ، فبلغته دعوة إبراهيم عليه السلام التي تقوم على عبادة الله وحده ونبذ أي معبود دون الله ، فبعث الملك في طلبه ودار بينهما هذا الحوار الذي يقصه علينا القرآن الكريم : ﴿ **ألم تر إلى الذي حاجَّ إبراهيم في ربه أنْ آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال : أنا أُحيي وأُميت ، قال إبراهيم : فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ [3].

والمعنى : ألم تر إلى من عمي عن أدلة الإيمان وجادل إبراهيم في ألوهية ربه ووحدانيته ، وسبب ذلك الجدال هو أن الله أعطى هذا الملك السلطان الدنيوي فكان ذلك داعيةً لغروره ، وسبباً لكبريائه ، وإعجابه بقدرته [4] .

حينما علم النمرود بنجاة إبراهيم من النار وتسامع أخبار دعوته أحس هذا الكافر الذي جعل من نفسه إلهاً على شعبه خطر هذا الداعية على نفسه ومنصبه فاستدعاه ليناقشه . وكانت هذه المناظرة بين إبراهيم والنمرود يوم أن خرج من النار وقد دعاه إبراهيم عليه السلام إلى عبادة الله وحده ولكنه طغى وبغى وتكبر وتجبر وادعى لنفسه الربوبية فناظره الخليل عليه السلام وسفه عقله وأبطل حجته فسأله (النمرود) من ربك يا إبراهيم ؟

وهل لك رب غيري تدعو الناس إلى عبادته فأجابه الخليل بكلام العقل والمنطق (ربي الذي يحيي ويميت) أي الذي يحيي الإنسان من العدم ثم يميته ثم يبعثه فهو على كل شئ قدير ولكن النمرود الأحمق السفيه ضحك منه ساخراً وعارضه قائلاً (أنا أحيي وأميت) قال له وكيف ؟ فدعا حاجبه وقال له اذهب فأتني برجلين قد استوجبا القتل ولما أتى بهما

---

١) سورة الأنبياء : الآية (٥٤) .

٢) أنظر معالم الدعوة الإسلامية في عهدها المكي ص ٤٣ وما بعدها .

٣) سورة البقرة : الآية (٢٥٨) .

٤) مع الأنبياء ص ١١٨ .

إليه أمر الجلاد أن يضرب عنق أحدهما فمات وعفا عن الآخر فقال النمرود هذا أمته وهذا أحييته [1] . وهكذا أراد أن يظهر قدرته على الإحياء والإماتة اللتان هما من خصائص قدرة الله وصفاته فلما رأى الخليل عليه السلام حقارته وقلة عقله وبلاهة تفكيره انتقل معه إلى أمر قاطع يفحم كل معاند ويلجم كل مكابر فقال له (إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) .

لأن الإله الحق يستطيع أن يفعل كل شئ ولا يمنعه مانع (فبهت الذي كفر) وشاء الله أن يكون هلاكه بأحقر الأشياء . ذكر ابن كثير عن زيد بن أسلم (دخلت بعوضة واحدة في منخريه فمكثت فيه أربعمائة سنة عذبه الله بها حتى كان يضرب رأسه بالمرزاب في هذه المدة كلها حتى أهلكه الله بها) [2] ، ﴿ **والله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ [3] .

ثالثاً : قدرة الله تعالى على إحياء الموتى :

الإيمان باليوم الآخر و ما فيه من جزاء على الخير والشر وإحياء الله تعالى للموتى يومئذ ، هذه القضايا كانت ولا تزال أهم قضايا الإيمان .

وقد أثار الماديون شكوكاً حول هذا الاعتقاد تؤدي بضعاف الإيمان إلى إنكار الأديان ، والقرآن في مواضع كثيرة يرد على المرتابين - الذين يستبعدون حدوث اليوم الآخر - بأن الله لا يعجزه شئ فهو القادر على كل شئ ، فكما أنه خلق الإنسان في البدء قادر على إحيائه يوم القيامة ، جاء في القرآن في وصف قدرة الله : ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده** ﴾ [4] .

وإبراهيم عليه السلام كان مؤمناً بقدرة الله تعالى على إحياء الموتى يوم القيامة ولكنه طلب من ربه مثالاً محسوساً على ذلك ليطمئن قلبه ، وقد أجاب الله طلبه وأراه قدرته [5] ، وهذا ما يقصه علينا القرآن : ﴿ **وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي . قال : فخذ أربعة من الطير فَصُرْهُنّ إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم إن الله عزيز حكيم** ﴾ [6] .

---

١) تفسير ابن كثير ج١ ص٥٥٦ ، وتفسير أبو السعود ج ١ ص ٢٥١ .

٢) انظر ابن كثير ج ١ ص ٣١٣ ، والبداية والنهاية ج١ ص ١٤٩ .

٣) سورة البقرة : الآية (٢٥٨) .

٤) سورة الروم : آية (٢٧)

٥) مع الأنبياء ص ١١٩ .

٦) سورة البقرة : الآية (٢٦) .

والله تعالى حين سأل خليله عليه الصلاة والسلام بقوله ﴿ **أو لم تؤمن** ﴾ إنما هو سؤال الكشف والبيان وإلا فإنه تعالى يعلم إيمان خليله إبراهيم ، ولم يكن سؤال إبراهيم لشك في نفسه ، ولكنه أراد أن يشاهد ذلك عياناً لأن النفس البشرية تحب رؤية ما أخبرت عنه وليس الخبر كالمعاينة فإذا اجتمع دليل العيان إلى دليل الإيمان بلغ الاطمئنان مبلغه [1] .

إنه سؤال عقل يريد أن يشبع نهمه في استجلاء الحقيقة سافرة ، فهو في ذلك يسأل ربه باسم العقل ويتلقى الجواب باسم العقل .

ولكن ماذا كان جواب ربه عليه ؟ لقد قال له : خذ أربعة من الطير الحي فضمهنّ إليك لتعرفهن جداً ، ثم جزئهن بعد ذبحهن ، واجعل على كل جبل من الجبال المجاورة جزءاً منهن ، ثم نادهن فسيأتينك مسرعات طيراناً ومشياً وفيهن الحياة كما كن ، واعلم أن الله لا يعجز عن شئ ، وهو ذو حكمة بالغة في كل أمر .

يعلق الفخر الرازي[2] على هذه القصّة قائلاً : والغرض منها ذكر مثال محسوس في عودة الأرواح إلى الأجساد على سبيل السهولة .

رابعاً : إبراهيم يكيد للأصنام :

ولما كان المنطق السليم لا يثمر ثمرته المرجوة مع النفوس السقيمة ، والقلوب المظلمة لجأ إبراهيم عليه السلام إلى طريقة عملية يفضح بها زيف هذه العبادة وفسادها . فدبر المكيدة المحكمة لآلهتم حتى يلمسوا بأيديهم ضعفها وذلتها ، وحتى يروا أنها لا تملك دفع الأذى عن نفسها ولا تلحق بهم ضراً إذا تركوا عبادتها ، أو تكسبهم خيراً إذ عكفوا عليها وأخلصوا لها ..

وكان من عادة هؤلاء القوم أن يقيموا عيداً لهم في كل عام يقضون أيامه خارج المدينة . وكانوا يضعون الأطعمة الشهية الكثيرة في بيوت العبادة لتباركها آلهتهم ، حتى إذا رجعوا من عيدهم أكلوها فرحين . وقد صمم إبراهيم على أن ينتهز فرصة غيابهم عن هذه الآلهة ليفعل فعلته ويدبر مكيدته [3] .

---

١) انظر الطبري ٣/٥٢ ، وفتح القدير ١ / ٢٨١ .

٢) التفسير الكبير م٤ جـ٧ ص٤٢ - دار إحياء التراث الإسلامي - الطبعة الثالثة - بيروت .

٣) تاريخ الأنبياء ص ١٠٦ .

قال تعالى : ﴿ **وتا لله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين .. فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون ، قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ، قالوا سمعنا فتىً يذكرهم يقال له إبراهيم ..** ﴾ إلى قوله ﴿ **أفٍ** [1] **لكم ولما تعبدون من دون ا لله أفلا تعقلون** ﴾ [2] ، لقد اتخذ معهم الأسلوب الحسن والحوار البنّاء فلّما لم ينفع معهم لجأ إلى أسلوب آخر هو تكسير الأصنام ، وقد ترك كبيرهن ليخاطب فيهم عقولهم من خلاله ، قال : فعله كبيرهم فاسألوه ، اسألوه إن كان ينطق ، فاعترفوا بذنبهم ولام بعضهم بعضا ، فاتخذها إبراهيم عليه السلام فرصة لما كان يريد ، فكيف إذاً تعبدون أصمَّ أبكمَ لا يضر ولا ينفع هل عندكم عقول مُيِّزتم بها عن سائر المخلوقات ؟ ، لقد كان إبراهيم عليه السلام ذكي الفؤاد ، صائب الرأي ، ثاقب الفكر ، فقد أراد أن يشترك أبصار القوم مع بصائرهم وحواسهم مع أفئدتهم في تفهُّم عقيدته والوقوف على حقيقة دعوته ، لعلهم يثوبون إلى رشدهم ويرجعون عن غيِّهم [3] ، وا لله تعالى يقُّص على نبيه عليه الصلاة والسلام هذه القصة ، قصة إبراهيم عليه السلام ليتأسى به ، وكذلك الدعاة إلى ا لله من بعده ، فقد أُوتي إبراهيم رشده وكان موضع رضاء ا لله تعالى ، فتتبع حياته عليه السلام ، وترسم خطاه رضاً لله تعالى وفوزاً في الدارين [4] .

خامساً : عناية ا لله بإبراهيم :

ولما أعيتهم الحيل .. و لم يجد المنطق السليم سبيلاً إلى قلوبهم الغلف ، وآذانهم الصماء ، عمدوا إلى شريعة الغاب ، ومنطق الظفر والناب ، ولجأوا إلى القوة ، ليطمسوا نور الحق ، ويضيعوا معالمه .. وقالوا : ﴿ **حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إن كُنتُمْ فاعلين** ﴾ [5] .

وبدأوا ينفذون مكيدتهم ، فجمعوا الحطب حتى تراكمت أكوامه ، وأصبح كافياً لحرق المئات من الناس . ثم ابتنوا حظيرة واسعة ، وأشعلوا النار فيها ، فاضطرمت وتأججت ، وتطاولت أعناقها حتى خاف القوم أن يفلت زمامها من أيديهم فتدمرهم وتأتي عليهم ، ثم جاءوا بإبراهيم و هو مقيد بالحبال ، وقذفوا به من مسافة بعيدة ، حتى تلقفته ألسنة النيران واستقر في جوفها ، واختفى عن أعينهم بما يحيط به من الدخان واللهب .

---

١) كلمة استقذار ، انظر : الأصفهاني ، المفردات ص ١٩ .

٢) سورة الأنبياء : آية (٥-٦٧)

٣) محمد أحمد جاد المولى وزملاؤه : قصص القرآن ص ٣٩ .

٤) أنظر : محمد أحمد العدوي ، دعوة الرسل إلى ا لله تعالى ص ٥٣ .

٥) سورة الأنبياء : الآية (٦٨) .

وحينئذ هدأت نفوسهم ، واطمأنت قلوبهم ، واعتقدوا أن إبراهيم قد انتهى أمره ، وزال عنهم خطره ، وما كانوا يدرون أن عناية الله تحيط بإبراهيم في كل وقت وحين ، فتمنع عنه كيد الكائدين ، ومكر الماكرين وما كانوا يظنون أن قدرة الله تحبط في لحظة واحدة ما أعدوه في أمد طويل .

بل ما كانوا يتخيلون أن النار التي أشعلوها بأيديهم ، واتخذوا لها كل الأسباب ، سوف يختلف وضعها ، ويتغير طبعها .

ما كانوا يتخيلون شيئاً من ذلك . ولكنهم بعد أن هدأت النيران ، نظروا فوجدوا إبراهيم في جوفها لم يمسسه سوء .ورأوه يضيء وجهه بالإيمان ، فانصرفوا عنه ناقمين . وتواروا عن أعين الناس خجلين [1] .

وهكذا تكون عناية الله مع رسله وأنبيائه .. وصدق الله العظيم : ﴿ **قالوا حَرِّقُوه وَانُصُروا آلِهَتَكُمْ إن كُنُتْم فاعلين * قلنا يا نارُ كوني بَرداً وسَلاماً عَلَى إبراهيم * وأرادوا بهِ كيداً فجعلناهم الأخسرين** * ﴾ [2] .

---

١) تاريخ الأنبياء ص ١٠٨ .

٢) سورة الأنبياء : آية (٦٨ - ٧٠) .

المبحث الثالث :

استخدام موسى عليه السلام للمنهج الحسي في الدعوة إلى الله .

ويشتمل على :

أولاً : التمـــهيـــــد .

ثانياً : منهج موسى عليه السلام في الدعوة إلى الله .

المبحث الثالث : استخدام موسى عليه السلام للمنهج الحسي في الدعوة إلى الله .

أولاً : التمهيد :

من هو موسى ؟

هو : موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام [1] .

وكان رسولاً نبياً ، وناداه الله من جانب الطور الأيمن وقربه نجياً ووهب له من رحمته أخاه هارون نبياً ، وقد ذكر الله قصته في مواضع كثيرة من القرآن مبسوطة مطولة تارة وموجزة تارة أخرى .

وموسى هو كليم الله ، وثالث أولى العزم من الرسل ، وحسبه عزماً وصبراً أنه أرسل إلى بني إسرائيل ، وما هم عليه من عناد ، وصلابة رأي ، وطمع وجحود . وإن تاريخ دعوة موسى لأحفل تواريخ الأنبياء بالمواقف المعلمة الهادية ، إذ حفظ الله موسى وليداً ورضيعاً من متجبر في الأرض ، يذبِّح أبناء بني إسرائيل ، ويستحيي نساءهم خادمات وجواري وإماءً [2] .

وسبب ذلك أن هذا الملك نظر فرأى الإسرائيليين في ازدياد مضطرد ، فخشي أن يقع منهم شر على مصر والمصريين أو أن يكونوا إلباً على مصر في يوم من الأيام فاستعمل معهم أساليب الذل والاستعباد حتى أفسد فطرتهم ، وأوهن استعدادهم لما دعاهم إليه موسى فيما بعد من دخول الأرض المقدسة وذلك من كثرة ما مرنوا عليه من الذل والخشوع وكان من صور ما أوقعه فرعون بهم :

١- تفريقهم شيعاً وأحزاباً قال تعالى : ﴿ **إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً** ﴾ [3] .

٢- تسخيرهم في أشق الأعمال لإنهاك قواهم قال تعالى : ﴿ **يستضعف طائفة منهم** ﴾ [4] .

٣- قتل ذكورهم وذلك عندما أخبره أحد الكهنة بأن زوال ملكه على يد وليد من بني إسرائيل ، فجن جنونه . وأصدر أمراً بقتل كل ذكر يولد في تلك الأيام .

ويشير الله عز وجل إلى ظلم فرعون لبني إسرائيل واضطهاده لهم في كثير من الآيات منها قوله تعالى : ﴿ **وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم** ﴾ [5] .

---

١) أنظر البداية والنهاية لابن كثير ج١، ص ٢٣٧ .

٢) فقه الدعوة إلى الله ج١ ص٣٦ .

٣) سورة القصص الآية : (٤) .

٤) سورة القصص الآية : (٤) .

٥) سورة البقرة الآية : (٤٩) .

ظروف المولد والنشأة :

في وسط هذا الاضطهاد الأليم الذي وقع لبني إسرائيل ولد موسى عليه السلام فرافقته العناية الإلهية منذ الصغر ، ورعته في كل خطاه ، وشاء الله عز وجل أن يربي موسى عليه السلام تحت بصر عدوه ، وبين ردهات قصره ، لا يمسه سوء ، ولا يصيبه أذى ، ويكفي وصف الله لرعايته له منذ صغره حتى كبره بقوله تعالى : ﴿ **ولتصنع على عيني** ﴾ [1] .

ويقول صاحب كتاب تاريخ الأنبياء : وكانت ولادته في مصر حيث كان بنو إسرائيل في أعظم محنة مرت عليهم ، وحيث كان فرعون وهو رمسيس الثاني ، أو منفتاح بن رمسيس الثاني ، يبالغ في إلحاق الأذى والنكال بهم ، فيذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم . وقد قال الرواة عن ذلك العهد الذي مر به بنو إسرائيل في مصر : لم يكن هناك ملك تولى في مصر أقسى قلباً وأسوأ ملكاً لبني إسرائيل منه . فلقد كان يعذبهم ويستعبدهم ، وجعلهم خدماً مستذلين ، وصنفهم في أعمالهم : فصنف يبنون ، وصنف يحرثون ، وصنف يتولون الأعمال القذرة . وهذا هو ما يشير إليه القرآن الكريم بقوله : ﴿ **يسومونكم سوء العذاب** ﴾ .

وقد تزوج فرعون امرأة منهم ، يقال لها آسية بنت مزاحم ، وكانت مثلاً أعلى في سمو الأخلاق وسلامة العقيدة ، وهي التي ضربها الله مثلاً في الإيمان الكامل حيث قال تعالى :﴿ **وضرب الله مثلاً للّذين ءَامنُوا امرأتَ فرعون إذ قَالَت ربِّ ابنِ لي عندك بيتاً في الجنّة ونجّني من فرعون وعملهِ ونجني من القومِ الظّالمين** ﴾ [2] ، وكان مبدأ تعذيب فرعون لبني إسرائيل أنه رأى في نومه كأنه نار قد أقبلت من ناحية الشام ، حتى اشتعلت على بيوت مصر فأحرقتها ، وأحرقت المصريين ، وتركت بني إسرائيل .

فدعا فرعون الكهنة والسحرة ، والمعبرين والمنجمين ، فسألهم عن رؤياه فقالوا : يولد في بني إسرائيل غلام يسلبك الملك ، ويغلبك على سلطانك ويخرجك أنت وقومك من أرضك ، ويبدل دينك ، وقد أظلك زمانه الذي يولد فيه . فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل [3] .

بعد ذلك دبَّ الموت والفناء في الشيوخ الكبار ، من بني إسرائيل ، فدخل رؤساء القبط على فرعون وقالوا له : إنَّ الموت قد وقع في الكبار من بني إسرائيل ، وأنت تأمر بقتل صغارهم ونحن نخشى أن لا يبقى أحد من بني إسرائيل للخدمة . لذلك نريد منك أن تأمر بقتل الغلمان سنة ، ويتركون سنة حتى لا يهلك جميع أبناء بني إسرائيل . وفي السنة التي لا يقتل فيها أحد من الغلمان

---

١) سورة طه الآية : (٣٩) وانظر تاريخ الدعوة ج١ ص٢٧٥ .

٢) سورة التحريم الآية : (١١) .

٣) تاريخ الأنبياء ص ١٨١ .

ولد " هارون " فترك وشأنه وتربّى في أحضان والديه . أمّا " موسى " فقد كانت ولادته العام الذي يذبح فيه الأطفال ، ولمّا ولدته أمّه خبّأته عن العيون ، ولم يتسرّب خبره إلى فرعون ، مكث " موسى " بعد ولادته فترة زمنية قصيرة وهو في كنف والديه ، ثم بعد ذلك خافت أمُّه أن يكشف الستر ويعلم فرعون بموسى فألهمها الله تعالى أن تهيئ له صندوقاً وتضعه فيه ، ثم تلقي الصندوق في نهر النيل ، ورحمةً بها فقد أزال الله من روعها ، وبشّرها بأنّه سيرجع إليها ولدها ، وسيكون من المرسلين . انتشل بعض آل فرعون الصندوق من الماء ، وعندما فتحوه ووقعت عين "امرأة فرعون " على الطفل "موسى " ألقى الله محبّته في قلبها ، وخشيت من زوجها أن يقتله كما قتل أولاد بني إسرائيل فقالت له : هذا الولد سيكون قرّة عينٍ لي ولك ، لا تقتله عسى أن ينفعنا أو نتّخذه ولدا ، بعد أن حرمنا من الأولاد . فوافقها فرعون على ذلك واستبقاه لها . وهكذا نجا "موسى " من الهلاك المحقق [1] .

من هذا يتبّين أنّ نبيّ الله "موسى " عليه السلام نشأ في بيت " فرعون " ، في أرض "مصر " . وقد قصّ "القرآن " علينا ذلك بأبلغ عبارة ، وأفصح أسلوب ، فقال تعالى : **﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليمِّ ولا تخافي ولا تحزني إنا رادُّوه إليك وجاعلوه من المرسلين ، فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّاً وحزناً إنّ فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقالت امرأة فرعون قرّة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون وأصبح فؤاد أمِّ موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لأخته قصّيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه إلى أمه كي تقرَّ عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حقّ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾** [2] .

وقال تعالى : **﴿ ولقد منّنا عليك مرةً أخرى إذ أوحينا إلى أمّك ما يوحى * أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في أليم فليلقه اليمُّ بالساحل يأخذه عدوٌ لي وعدوٌ له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني إذ تمشي أختك فتقول هل أدُّلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن ﴾** [3] .

---

١) منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى ص ٦٠ .

٢) سورة القصص ، الآيات (٧-١٢) .

٣) سورة طه ، الآيات (٣٧-٤٠) .

خروج موسى من مصر إلى مدين [1] .

شبَّ نبي الله موسى عليه السلام في بيت فرعون مصر وكان موسى قويَّ الجسم ، وافر القوَّة ، ولم يخف عليه أنَّه إسرائيلي من ذلك الشعب المضطهد .

وفي يوم من الأيَّام غادر " موسى " قصر فرعون ، ودخل المدينة فجأة دون أن يعلم به أحد ، ومرَّ بشوارع المدينة للنزهة فوجد رجلين يتشاجران ، أحدهما إسرائيلي ، والآخر مصري ، فاستغاث الإسرائيلي بموسى ، فأخذ موسى في نصرته ، ووكز خصمه المصري وكزة كانت القاضية عليه ، فندم "موسى" على فعلته واعتبرها من عمل الشيطان ، ثم استغفر الله تعالى عمّا صدر منه وتضرَّع إليه فتاب الله عليه .

وفي اليوم التالي خرج "موسى" إلى المدينة وهو يخاف افتضاح أمره فوجد ذلك الإسرائيلي الذي نصره بالأمس يتشاجر مع مصري آخر ، فاستغاثه الإسرائيلي على المصري وطلب نصرته ، فغضب "موسى" من مشاكسة الإسرائيلي وميله إلى ذلك ، ثم أراد موسى أن يتدخل بينهما ليفض النزاع فخاف الإسرائيلي وظنَّ أنّ "موسى" يقصد قتله هو فقال له : ﴿ **أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلاّ أن تكون جبَّاراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين** ﴾ [2] . فلم يكد الفرعوني يسمع هذا الإقرار الصريح - وقد كان قومه في حيرة من أمر قتيل الأمس لا يعرفون قاتله - حتى وافاهم وأخبرهم بخبر موسى ، فتألب عندئذ القوم وراحوا يبحثون عن موسى للفتك به ، سمع بالأمر رجل مخلص لموسى فجاءه من أقصى المدينة مسرعاً وأعلمه بما يدبَّر له القوم ، ونصحه بأن ينجو بنفسه ويخرج من مصر حتى لا تمتد إليه أيديهم بسوء ، فقبل منه موسى نصيحته ، وفر هارباً متوجساً خيفةً داعياً ربه أن ينجيه من القوم الظالمين . في ذلك يقول سبحانه : ﴿ **فأصبح في المدينة خائفاً يترقَّب ، فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى ، إنّك لغوي مبين . فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدوّ لهما ، قال : يا موسى ، أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس ، إن تريد إلاّ أن تكون جبّاراً في الأرض ، وما تريد أن تكون من المصلحين . وجاء رجلٌ من أقصى المدينة يسعى ، قال : يا موسى ، إنّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين . فخرج منها خائفاً يترقب ، قال : رب نجني من القوم الظالمين** ﴾ [3] .

---

١) مدين : بفتح أوله وسكون ثانية ، وفتح الياء المثناة من تحت ، وآخره نون : بلاد واقعة حول خليج العقبة عند نهايته الشمالية . وقال "أبو زيد الأنصاري" ت٢١٥هـ : مدين على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو ست مراحل ، وبها البئر التي استقى منها "موسى" اهـ انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي ج٥، ص٧٧ .

٢) سورة القصص آية : (١٩) .

٣) سورة القصص الآيات : (١٨-٢١) .

موسى في أرض مدين :

خرج موسى من مصر إلى أرض مدين بعد مشقة ، ولما قصد ماءها ليروي ظمأه وجد عنده حشداً من الناس قد تزاحموا عليه بشدة ، كل منهم يعتمد على قوته في التقدم والمسابقة إلى الحوض ، ورأى على مقربة من الماء فتاتين تهشان غنمهما لئلا تقترب من الماء ، رأى موسى هذا المشهد فعجب لأمرهما ، وتقدم وسألهما عن شأنهما فأجابتاه : أتينا لنسقي غنمنا ، ولكن لشدة الزحام لن نستطيع السقيا حتى ينصرف الرعاة . هذا الجواب يدل على ما في الأنثى من ضعف وحياء يدفعانها إلى التخلف في مثل هذه المواقف التي يكثر فيها التزاحم ويختلط فيها النساء بالرجال ؛ ثم تضيف الفتاتان في تعليل ذلك قولهما : ((وأبونا شيخ كبير)) . كأنهما بذلك تريدان استثارة الرحمة والشفقة في قلب موسى ثارت حمية موسى وسقى لهما غنمهما ، ولم يقدر أحد على منعه ، لأنهم رأوا من قوته وصلابته ما منعهم من مقاومته ، ثم اتجه بعد ذلك إلى الظل منهوك القوى ليستريح ، شاكراً ربه قائلاً : ربّ إني فقير لكل ما قدمته إليَّ من خير .

وبعد برهة من الزمن جاءته إحدى الفتاتين وهي ((تمشي على استحياء)) ، فقالت له : إن أباها يدعوه ليجزيه أجر السقي الذي قام به لهما . وهل ينتظر من موسى إلاّ أن يجيب على هذه الدعوة بلهفة ؟ فهو الغريب الفقير . إذاً فليطو معها الطريق ليلق الشيخ . وهكذا فعل ، واجتمع به وأفضى إليه بمكنون سرّه فوقف منه الشيخ موقف الشهم الكريم وطمأنه على نجاته من القوم الظالمين [1] . ونرى ذلك في قوله تعالى : ﴿ **ولّما توجه تلقاء المدين قال : عسى ربي أن يهديني سواء السبيل * ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون * ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال : ما خطبكما ؟ قالتا : لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير. فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال : ربّ ، إني لما أنزلت إليَّ من خيرٍ فقير . فجاءته إحداهما تمشي على استحياء ، قالت : إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ، فلما جاءه وقص عليه القصص ، قال : لا تخف ، نجوت من القوم الظالمين** ﴾ [2] .

جزاء الإحسان والأمانة :

وجد موسى برد الراحة والسعادة في منزل الشيخ الكريم ، فهدأت نفسه ، واطمأن قلبه . وكان موسى صادقاً أميناً ، وقوياً فتياً ، وكانت هذه الصفات النادرة مبعث حب وإعجاب من الشيخ وبنتيه ، فاتجهت نفوسهم إلى الانتفاع بمزاياه ، والإبقاء عليه في منزلهم فترة طويلة . وتحدثت

---

١) أنظر مع الأنبياء في القرآن الكريم ص٢٢٢ ، ٢٢٣ .

٢) سورة القصص الآيات : (٢٢-٢٥) .

إحدى البنتين بهذه الرغبة إلى أبيها فقالت : ﴿ **يـاأبتِ استئجره إنَّ خيرَ من استئجرتَ القوي الأمين**﴾[1] .

وحينئذ سألها أبوها : وماذا تعرفين من قوته وأمانته ؟ فأخذت تسترجع ذكرياتها القريبة عما رأت من قوته ، كيف استطاع أن يقهر العصبة أولى القوة ويسقي لها ولأختها ، وعما رأت من أمانته ، وكيف تعفف أن يمشي وراءها حتى لا يرى شيئاً من جسمها إذا عصفت الريح بجزء من ثيابها ، فمشي أمامها وطلب إليها أن تصف له الطريق ، وأن تنبهه إذا انحرف أو حاد عنه .

وقد اتصل حديث الفتاة بقلب أبيها حين سمعته أذناه ، ووجد نفسه من الحب لموسى والتعلق به ما دفعه إلى أن يصارحه بالرغبة في أن يزوجه إحدى ابنتيه ، فقال له : يا موسى إني أريدك أن أزوجك إحدى ابنتي هاتين وفي نظير ذلك تقوم بمعاونتي على أعباء الحياة ثمانية أعوام ، فإن أتممتها عشراً كان ذلك براً منك وفضلاً ونبلاً ، وسأكون لك إن شاء الله من الأوفياء المخلصين .

ولقد وجد موسى في طلب الشيخ الجليل ما تطلبه نفسه ، فابتسمت له الحياة ، وأشرق في قلبه الأمل ، وكان عند حسن ظن الشيخ الجليل في كنف هذه الأسرة المباركة عشرة أعوام ، كان فيها مثال الجد والمثابرة والإخلاص والأمانة [2] .

ويصور لنا القرآن الكريم ذلك فيقول سبحانه في سورة القصص : ﴿ **قالت إحداهما يـاأبتِ استئجره إنَّ خيرَ من استئجرتَ القويُّ الأمين* قال إنّي أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج ، فإن أتممت عشراً فمن عندك ومـا أريد أن أشقَّ عليك ، ستجدني إن شاء الله من الصالحين* قال ذلك بيني وبينك ، أيّما الأجلين قضيت فلا عدوان عليَّ والله على ما نقول وكيلٌ** ﴾[3] .

اصطفاء الله لموسى وعودته عليه السلام إلى مصر رسولاً إلى فرعون .

بعد أن أتم "موسى" عليه السلام السنين المتفق عليها في خدمة الشيخ توجه بأهله قاصداً "مصر" مسقط رأسه ، والتي فيها قومه وعشيرته ، وظل سائراً بهم حتى وصل "طور سيناء" وفي ليلة شديدة البرد ، رأى "نوراً" على بعد فخيل إليه أنه "نار" فقال لأهله : امكثوا مكانكم إني أبصرت "ناراً " سأذهب إليها لعلي آتيكم منها بقبس نستضيء به ، أو آتيكم بجذوة منها لعلكم تستدفئون بها.

---

١) سورة القصص الآية : (٢٦) .

٢) أنظر تاريخ الأنبياء ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

٣) سورة القصص الآيات : (٢٦-٢٨) .

فلما قرب "موسى" من موضع "النور" الذي رآه سمع نداء يقول له : ﴿ **يـا موسـى إنـي أنـا ربك فاخلع نعليك إنّك بالواد المقدس طوىً وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إنني أنـا الله لا إلـه إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري** ﴾ [1] . ثم أمره الله تعالى بالذهاب إلى "فرعون" ليبلغـه الرسـالة ، ويأمره وقومه بعبادة الله الذي ليس هناك أحد في الكون كله يستحق العبادة غيره .

وقد قص "القرآن" علينا ذلك في أماكن متعددة ، وبأساليب مختلفة : من ذلك قولـه تعـالى : ﴿ **قـال يـا موسـى إنـي اصطفيتـك علـى النـاس برسـالاتي وبكلامـي فخـذ مـا آتيتـك وكـن مـن الشاكرين** ﴾[2] .

---

١) سورة طه الآيات : (١١-١٣) .

٢) سورة الأعراف الآية : (١٤٤) .

ثانياً : منهج موسى عليه السلام في الدعوة إلى الله

أولاً : منهجه في دعوة فرعون :

كان فرعون يدعي الربوبية ، إذ استخف قومه ، فأطاعوه ، وعبده كثير منهم من دون الله ، فوجه الله إليه موسى ، عليه السلام ، بالقول اللين ، والدعوة إلى عبادة الله وحده ، وإلى الحق لعله يتذكر أو يخشى .

ولقد سجل القرآن الكريم هذا الحوار بين موسى عليه السلام ، الداعية إلى الله ، وفرعون الذي يدعي الربوبية ، قال تعالى : ﴿ **وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين * قوم فرعون ألا يتقون * قال رب إني أخاف أن يكذبون * ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلي هارون .ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون .**

– قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون . فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بني إسرائيل .

– قال ألم نربِّك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين . وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين .

– قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين . ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين . وتلك نعمة تمنّها عليَّ أن عبَّدت بني إسرائيل.

– قال فرعون وما رب العالمين .

– قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين .

– قال لمن حوله ألا تستمعون .

– قال ربكم ورب آبائكم الأولين .

– قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون .

– قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون .

– قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين .

– قال أو لو جئتك بشيء مبين .

– قال فأت به إن كنت من الصادقين .

– فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين . ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين .

– قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم . يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون .

– قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين . يأتوك بكل سحار عليم . فجمع السحرة إلى ميقات يوم معلوم . وقيل للناس هل أنتم مجتمعون . لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين . فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين .

– قال نعم وإنكم إذاً لمن المقربين .

– قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون .

– فألقوا حبالهم وعصيّهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون .

– فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون .

– فألقي السحرة ساجدين . قالوا آمنا برب العالمين . رب موسى وهارون .

– قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين .

– قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون . إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنّا أول المؤمنين ﴾[1]

من خلال التأمل في هذه الآيات يتضح لنا أن الله سبحانه وتعالى أمر موسى عليه السلام أن يتوجه إلى فرعون ويدعوه إلى الحق والهدى بعد أن تلقى الإرشاد من ربه وأعطى المعجزات الدالة على صدقه . ومناهج الدعوة التي سلكها موسى عليه السلام في دعوته لفرعون والتي كان من بينها استخدامه للمنهج الحسي :-

المنهج الحسي الذي استخدمه موسى عليه السلام في دعوة فرعون :

استخدم موسى عليه السلام المنهج الحسي في دعوته لفرعون وذلك لتوجيه عقله ولفت نظره إلى بديع صنع الله وعجيب خلقه مما هو ملموس مشاهد في أرجاء هذا الكون فيذكر فرعون ببعض نعم الله سبحانه عليه وعلى الخلق جميعاً ، ليلفت نظره إلى عظمة الخالق سبحانه وكمال قدرته ، وأن ما يتمتع به فرعون إنما هو من عند الله سبحانه ، وبذلك يري فرعون نفسه على حقيقتها من الضعف والعجز والحاجة الدائمة والافتقار إلى مولى النعم كلها سبحانه ، فيقر له بالوحدانية ويكف عما كان عليه من التولي والإعراض والجحود .

قال الله تعالى – حكاية عن سيدنا موسى عليه السلام ، وقد سأله فرعون : **﴿ فَمَنْ رَبُّكما يا موسى ﴾ : ﴿ قال ربُّنا الّذي أعطى كل شيءٍ خلقه ثمَّ هدى ﴾** [2] .

وهو جواب دلَّ على كمال هيمنة الله سبحانه على كل شئ ، وعلى عموم إحسانه على جميع خلقه ، وعلى الدقة المتناهية في الخلق والإحكام ، وأنَّ فرعون وقومه مهما

---

١) سورة الشعراء الآيات : (١٠-٥١) .

٢) سورة طه الآية : (٥) .

طغوا ، وبغوا فإنهم جزء من خلقه ، وتحت مشيئته و قبضته . فـا لله سبحانه وتعـالى ، هـو : الـذي أعطى كل شئ في الوجود خلقه اللائق به في المنافع المنوطـة بـه ، ومـا هـو بـه أنسـب مـن الصـورة والشكل والمقدار واللون والطبع ، (ثم هدى) كُلاًّ إلى وظيفته ، كما هدى كلَّ حيـوان إلى منافعـه فيسعى لها ومضاره فيحذرها .

ولما لزمت فرعون الحجة بهذا الدليل الساطع ، أراد أن يصرف الأنظار إلى ما يتسع فيه المجال للجـدال وهـو مـا أخـبر الله سـبحانه عنـه بقولـه : ﴿ **قـال فمـا بـال القـرون الأولى** ﴾ [1] . غير أن موسى عليه السلام لم يطل في الرد على هذا الأمر ، بل أجابـه بجـواب مختصـر وهـو مـا أخـبر الله سبحانه عنـه بقولـه : ﴿ **قـال علمهـا عنـد ربِّـي في كتـابٍ لاَّ يضـلُّ ربِّـي ولا ينسى** ﴾[2].

(نلاحظ التعبير الدقيق في الآية وتخيير الكلمات ، هنا السر الكامن والإعجاز الكامل ، كان هنالك ألف تعبير ويستطيع كل واحد منا إذا واجه هذا الموقف أو وقع في مثل هذه المحنة أن يتخلـص منها بألف تعبير ، خل هذا الذكر ، أترك هذا الحديث ، هـذا في قصـص الغـابرين ، هـذا في حديـث الأولين .

ولكن موسى لم يترك سبيل الدعوة ، و لم يترك الخيط الذي كـان متمسـكاً بـه ، بـل انتقـل بسرعة لا تتصور سرعة أكثر منها ، وببلاغة لا تتصور بلاغة أبلغ منها ، وبحكمـة لا تتصـور حكمـة أقوى منها وأدق منها ، بكلمة واحدة ﴿ **علمها عند ربي** ﴾ و لم يرد أن تطول هذه العبارة ، لأنه إذا طول هذه العبارة انتهز فرعون الفرصة واقتحم المعركة ، ﴿ **قال علمها عند ربي** ﴾ وصل بها إلى مـا كان عليه ﴿ **علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى** ﴾ ثـم اسـتمر وبـدأ يذكـر صفـات الله التي كان يتهرب منها فرعون ، و هذا الذي كان فرعون يجب أن يتخلص منه) [3] .

ثم عاد موسى عليه السلام إلى الحديث السابق وهو الحديـث عـن عظمـة الخـالق سبحانه ، ولفت النظر إلى آياته في الكون ، ونعمه التي لا تحصى ، فإنَّ ذلك أدلُّ علـى المقصـود ، أعـني إفحـام الخصم ، بذكر دلائل التوحيد المبثوثة في الأنفس وفي الكون كله ، فقال تعالى : ﴿ **الَّذي جعل لكـم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء مآءً فأخرجنا بـه أزواجاً مـن نبـاتٍ شـتّى* كلوا وارعوا أنعامكم ، إنَّ في ذلك لآياتٍ لأولى النُّهى*** ﴾ [4] .

---

١) سورة طه الأية : (٥١) .

٢) سورة طه الآية : (٥٢) .

٣) روائع من أدب الدعوة ص ٥٨ .

٤) سورة طه الآيتان :(٥٣ ، ٥٤) .

ولما كانت هذه الآيات البينات كافية في الهداية إلى الله عز وجل ، والحمل على توحيده وعبادته ، ختمها بقوله : ﴿ **إنَّ في ذلك لآياتٍ لأولى النُّهى** ﴾ .

أي : العقول التي من شأنها أن تنهي صاحبها عن الغي ، ومن عمي عن ذلك فلا عقل له أصلاً ، لأن عقله لم ينفعه ، وما لا ينفع في حكم العدم [1] . وفي موضع آخر يذكر الله سبحانه ، محاجة أخرى لموسى أيضاً مع فرعون ، وهو يقرر ربوبية الله سبحانه ، بما يذكر له من آيات الله سبحانه ، الناطقة بوحدانيته فيقول سبحانه : ﴿ **قال فرعون وما ربُّ العالمين* قال ربُّ السماواتِ والأرضِ وما بينهما إن كنتم موقنين* قال لمن حوله ألا تستمعون* قال ربُّكم وربُّ ءَابائِكُم الأولّين* قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون* قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون* قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين*** ﴾ [2] .

سؤال فرعون عن رب العالمين يقتضي أن موسى دعاه إلى طاعة رب العالمين ، ويدل لذلك أن الله قال لموسى وهارون : ﴿ **فأتيا فرعون فقولآ إنا رسول رب العالمين** ﴾ [3] .

فلا بد أن يكونا أخبراه أنهما رسولان من رب العالمين ، ودعواه إلى طاعته ، فهناك سأل فرعون عن رب العالمين ما هو ؟ ولما كان فرعون لا يمكن إطلاعه على معرفة الله تعالى إلا بآثاره في خلقه ، وأظهر آثار خلق الله وأبرزها هو السماوات والأرض وما بينهما فلم يكن لسؤال فرعون جواب غير ما أجابه به موسى حيث قال له : ﴿ ... رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ﴾ . أي إن كنتم موقنين باسناد هذه المحسوسات إلى موجود واجب الوجود فهو رب العالمين الذي سألتم عنه . " وما بينهما " معنى ذلك أن عرش فرعون قائم على غير قوائم ، ولم يكتف موسى بذلك ولكنه قال : " إن كنتم موقنين " تحداه كذلك ووضع الأصبع على موضع الداء [4] ، ولما أجابه بهذا الجواب أبدى عدو الله العجب وكأنه أظهر لملئه أن الجواب غير مطابق للسؤال لأنه سأل عن ذات الله تعالى وأجابه موسى بتأثير تلك الذات في الخلق ﴿ **قال لمن حوله ألا تسمعون** ﴾ فأجابه موسى بما هو أقرب إلى الأذهان من الجواب الأول فقال له : ﴿ **ربكم ورب آبائكم الأولين** ﴾ . فقد عدل عن التعريف بخالقية السماوات والأرض بعظمهما ودوامهما لا يمتنع أن يعتقد أحد وجوب وجودهما لذاتهما واستغنائهما عن الخالق ، ولكن لا يمكن أن يعتقد عاقل في أبيه وأجداده وجوب الوجود لأن المشاهدة شهدت بأنهم وجدوا بعد عدم ، وعدموا بعد وجود ، ولهذا عدل موسى إلى هذا التعريف لأنه أظهر ، وكان جواب فرعون أن قال :﴿ ... **إنَّ رسولكم الذي**

---

١) نظم الدرر : للبقاعي : ١٢/٢٩٤ - ٢٩٨ .

٢) سورة الشعراء الآيات : (٢٣ ، ٢٩) .

٣) سورة الشعراء الآية : (١٦) .

٤) روائع من أدب الدعوة ص ٦٠ .

أرسل إليكم لمجنون ﴾ يعني أن موسى عرّفه على الله بالآثار الخارجية و لم يسأله عن ذلك فهو إذاً مجنون لا يفهم السؤال فضلاً عن أن يجيب عليه ، ثم أتى موسى بجواب ثالث فقال : ﴿ ... **رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون** ﴾ ، والمشرق والمغرب مشهدان معروضان للأنظار كل يوم ، ولكن القلوب لا تنتبه إليهما لكثرة تكرارهما ، وشدة ألفتهما . واللفظ يدل على الشروق والغروب كما يدل على مكاني الشروق والغروب ، وهذان الحدثان العظيمان لا يجرؤ فرعون ولا غيره من المتجبرين أن يدعي تصريفهما ، فمن يصرفهما إذن ومن ينشئهما بهذا الاطراد الذي لا يتخلف مرة ولا يبطئ عن أجله المرسوم ؟ إن هذا التوجيه يهز القلوب البليدة هزاً ، ويوقظ العقول الغافية إيقاظاً . وموسى – عليه السلام – يثير مشاعرهم ، ويدعوهم إلى التدبر والتفكير :﴿ **إن كنتم تعقلون**﴾[1]

ولما عجز فرعون و قامت عليه الحجة عدل إلى التهديد فقال : ﴿ **لئن اتّخذت إلهاً غيري لأجعلنّك من المسجونين** ﴾ فأجاب موسى بلين و حكمة : ﴿ ... **أولو جئتك بشيءٍ مبين** ﴾ أي أتسجنني ولو جئتك بأمر واضح بيّن لا لبس فيه على أني رسول من رب العالمين ، وعلى أنه موجود واجب الوجود لذاته . فعند ذلك طغى على فرعون جهله فقال لموسى : ﴿ ... **فأت بها إن كنت من الصادقين** ﴾ أي إئت بهذا الشيء المبين الذي ذكرت أنه دليل على أنك رسول من رب العالمين وأن رب العالمين موجود .

قال تعالى : ﴿ **فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين* ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين** ﴾ [2] . فلما رأى فرعون ذلك ﴿ **قال للملإ حوله إنّ هذا لساحرٌ عليم* يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون* قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين ، يأتوك بكلّ سحارٍ عليم** ﴾ [3] ، إلى آخر القصة التي نصر الله فيها موسى وأخاه هارون حيث آمن السحرة بموسى [4] .

---

١) في ظلال القرآن ج٥ ص ٢٥٩٣ .

٢) سورة الشعراء الآيات : (٣٢ – ٣٣) .

٣) سورة الشعراء الآيات : (٣٤-٣٧) .

٤) أنظر تفسير الفخر الرازي بتصرف ج٢٤ ص ١٢٧ – ١٣٠ . والدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ . ومعالم الدعوة في القصص القرآني ج١ ص ٢٥٩ – ٢٦٢ بتصرف .

ثانياً : منهجه في دعوة بني إسرائيل:

في هذه المرحلة التي قام بها موسى عليه السلام بدعوة بني إسرائيل أبلى فيها بلاءً عظيماً لنكصهم على أعقابهم وتقلبهم في غمرة النعم الإلهية فموسى عليه السلام إذاً واجه المشاقّ ، في سبيل تخليص بني إسرائيل من العذاب المهين ، حتى منَّ الله سبحانه عليهم بذلك كما قال تعالى : ﴿ **ولقد نجَّينا بني إسرائيل من العذاب المهين* من فرعون إنه كان عالياً من المسرفين*** ﴾ [1] .

وقد ذكر الله سبحانه بعض صور هذا العذاب على لسان موسى عليه السلام ، وهو يذكّرهم نعم الله عليهم ، قال تعالى : ﴿ **وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من ءال فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاءٌ من ربكم عظيمٌ** ﴾ [2] .

ولقد كان للوثنية التي ألفها بنو إسرائيل في مصر أثر كبير على نفوسهم إذ كانت لاصقة بقلوبهم ، كما كانت بلادة الطبع غالبة عليهم نتيجة الإذلال الذي مارسه نحوهم فرعون طويلاً حتى طبع الذل والبلادة في نفوسهم ، من أجل هذا كله لم تؤثر فيهم الآيات العظيمة التي أجراها الله سبحانه لإنجائهم وإهلاك عدوهم - لا على مقتضى السنة الظاهرة ، بل بخوارق العادات - مثل انفلاق البحر لهم حتى جاوزوه على يبس ، ولذلك لما جاوزوا البحر ، وأتوا على قوم يعكفون على أصنام طلبوا من موسى عليه السلام : أن يتخذ لهم إلاهاً كما لهؤلاء القوم آلهة . قال تعالى : ﴿ **وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قومٍ يعكفون على أصنامٍ لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم ءَالهةٌ قال إنكم قومٌ تجهلون** ﴾ [3] .

ولقد أعيت موسى عليه السلام بلادة الحسّ التي أصيب بها بنو إسرائيل ، وقسوة قلوبهم التي كانت أشد قسوة من الحجارة ، فكم وعظ وذكر ، ووعد وأوعد وأوضح وبيَّن مع هذا كله كان يواجه منهم العصيان المتكرر ، والتأبّي عن قبول الحق مرة تلو أخرى . وهو في كل هذه الحالات لا يفتأ يذكرهم بآلاء الله سبحانه عليهم .

والذي يعنينا من هذا كله هو أن نذكر أن موسى عليه السلام اتبع منهجاً حكيماً في دعوة قومه إلى الإستقامة على دين الله وكان من بين هذا المنهج بل ومن أهمه دعوتهم له بالوسائل الحسية التي تؤثر فيها تأثيراً مباشراً وكان من بين ما استخدمه موسى عليه السلام هو لفت أنظارهم إلى بديع

---

١) سورة الدخان الآيتان : (٣٠ ، ٣١) .

٢) سورة إبراهيم الآية : (٦) .

٣) سورة الإعراف الآية : (١٣٨) .

صنع الله وعجيب خلقه مما هو ملموس مشاهد في أرجاء هذا الكون ، وقد عرض كتاب الله لهذا المنهج على لسان موسى ، عليه السلام ، في مواضع عدة اقتصر على بعضها :

قال تعالى : ﴿ **إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى * قال : فمن ربكما يا موسى ؟ قال : ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، قال : فما بال القرون الأولى ؟ قال : علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض مهداً ، وسلك لكم فيها سبلاً، وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى، كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولى النهى، منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى** ﴾ [1] ، وأنت ترى من هذا السياق القرآني المعجز :

١- الحبل الموصول بالله في دقائق الأمور وجلائلها مما نعرف ونجهل ﴿ **إنا قد أوحي إلينا** ﴾ ، ﴿ **ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى** ﴾ ، ﴿ **علمها عند ربي** ﴾ ، ﴿ **لا يضل ربي ولا ينسى** ﴾ ، ﴿ **الذي جعل لكم الأرض ... وسلك لكم ... وأنزل من السماء ...** ﴾ ويتبدل الأسلوب فجأة من الماضي إلى المضارع : ﴿ **فأخرجنا به ...** ﴾ ، ﴿ **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ...** ﴾ فانظر كيف فوض علم عالمي الغيب والشهادة إلى العليم الخبير في كلمات وجيزة عظيمة مبينة ، وهذا أساس العلوم في الإسلام وأساس هذا المنهج في الدعوة إلى الله .

٢- تصحيح التصورات الخاطئة في الإلهية والربوبية ، إذ عبد المصريون القدماء فرعون ومظاهر الكون كالشمس والنيل .. فالله تعالى : ﴿ **..أوحى .. وأعطى .. وعلم .. ولا يضل .. ولا ينسى** ﴾ ، فهو صاحب التصرف المطلق في الأرض والسماء .

٣- مع الاستدلال بمظاهر الطبيعة ومشاهد الكون على وحدانية الله وبطلان ما يعبد سواه ثمة استدلال آخر على إمكانية البعث ، فكما أن الله يخرج الماء نباتاً حياً يانعاً من الأرض الميتة الخاوية تأكلونه وترعى فيه أنعامكم .. كذلك خلقكم من الأرض نفسها وأخرجكم منها وفيها يعيدكم ومنها يخرجكم تارة أخرى .. [2] .

ومن خصائص هذا المنهج كما بينا مراعاة الظروف والأحوال ومخاطبة المدعوين على قدر ما يعون ويفهمون ، وهذا كله ملاحظ في دعوة موسى - عليه السلام - فمن لباقته وفطنته قوله : ﴿ **موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى** ﴾ [3] ، فهو يوم تجمع عام وفي أجلى ساعات النهار ، قال في البحر : (وإنما واعدهم موسى بذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت

---

١) سورة طه : آية (٤٨-٥٥)

٢) انظر الدعوة إلى الله - عبدالرب نواب ص١٨٥

٣) سورة طه : آية (٥٩)

الكافر وزهوق الباطل على رؤوس الأشهاد وفي المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق ويكل حد المبطلين وأشياعهم ويكثر المحدث بذلك الأمر في كل بدو وحضر ، ويشيع في جميع أهل الوبر والمدر)[1] ، ومن الوسائل الحسية كذلك المعجزات وهي على تنوعها وتتابعها وكثرتها ووضوحها فإنها تنسلك في مناهج الدعوة من وجوه عدة فهي من المنهج العقلي لأنها تخاطب العقول والبصائر ، وتدعو إلى التفكر والتبصر ، كما أنها تخاطب الفطر السليمة والعواطف الصادقة إذ أثرت في السحرة الذين خبروا فنون السحر ودقائقه فعلموا أنها خارجة عن نطاق البشر وقدرته الممدودة فخروا سجداً مؤمنين ، ومن هذا يتبين لنا أن الآيات الحسية والمعجزات لها أبلغ الأثر في إيمان الأتباع وتصديقهم في نبوة موسى عليه السلام ومن هذه المعجزات الحسية ما يلي :

---

١) البحر المحيط ، لأبي حيان : ٦/٢٥٤

أولاً : العصا التي أبطل الله بها كيد السحرة وأهمية أسلوب الحوار في الرد على المعاندين :

فقد استخدم موسى عليه السلام عصاه بأمر الله وقدرته في إبطال كيد السحرة ، وجعلها سبباً في انفلاق البحر ، وإيجاد الطريق اليابس فيه ، وأمر موسى عليه السلام أن يضرب الصخرة بها لما استسقى موسى عليه السلام لقومه فتفجرت منها أعين الماء ، إلى غير ذلك من الآيات الباهرة . يقول الله تعالى ﴿ **وما تلك بيمنك يا موسى قا لهي عصاي أتوكّؤا عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى** ﴾ [1]- في الإخبار عن هذه الآيات : ﴿ **وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون** ﴾ [2] .

ويقول الله تعالى : ﴿ **ولقد أوحينآ إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى** ﴾ [3] .

ويقول سبحانه : ﴿ **وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناسٍ مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين** ﴾ [4] .

وحاصل القول أن سيدنا موسى عليه السلاو استخدم هذا الأسلوب في دعوته لقومه حرصاً على هدايتهم وذلك لأن الرسل بمقتضى أمانتهم لابد أن يبلغوا عن الله رسالته ، ويؤدوا الأمانة التي ائتمنوا عليها فهي طرف والطرف الآخر كفار ورثوا الكفر عن آبائهم فإذا حدث نقاش أو حوار بين الداعية وبين بعض المدعوين فلا بأس أن يسمع الداعية إلى ما عند الطرف الآخر كاملاً ، وأن يدعه يفرغ ما في دلوه كله ، فذلك يعطيه فرصة لمعرفة صحته أو شبهته وسر إعراضه ، وبعد أن يعرف كل هذه الخلفيات يرد على الشبه والحجج بوصف الدواء من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وفي حوار موسى مع فرعون واستخدامه العصا بأمر ربه من خلال الآيات السابقة .

وغيرها كثير إلى آخر القصة التي نصر الله فيها موسى وأخاه هارون حيث آمن السحرة بموسى عليه السلام ما يوضح أهمية أسلوب الحوار بالنسبة للداعية باستخدام الوسائل المادية للمنكرين الجاحدين ، وهكذا فعل الرسول ﷺ عندما جاءه عتبة بن ربيعة يعرض عليه أموراً لعله يرجع عن دعوته لم يقاطعه النبي ﷺ وتركه حتى قال كل ما عنده ، ولما انتهى من كلامه قال له النبي ﷺ من أدب الداعية : أفرغت يا أبا الوليد قال نعم فقرأ النبي ﷺ عليه آيات من سورة فصلت

---

١) سورة طه : آية (٢٠)

٢) سورة الأعراف : آية (١١٧) .

٣) سورة طه : آية (٧٧) .

٤) سورة البقرة : آية (٦٠) .

: ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون** ﴾ [1] ، ثم مضى الرسول ﷺ فيها يقرأها عليه حتى انتهى إلى السجدة منها فسجد ثم قال عليه الصلاة والسلام في أدب الداعية كذلك قد سمعت مما سمعت يا أبا الوليد فأنت وذاك [2] .

---

١) سورة فصلت : آية (١-٢)

٢) السيرة النبوية جـ ١ ص٢٩٤

ثانياً : رفع الجبل فوق بني إسرائيل وصبره عليه السلام على قومه :-

قال الله تعالى : ﴿ **وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون . ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين** ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ **وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظله وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون**﴾ [2] .

استمر موسى عليه السلام في دعوة بني إسرائيل إلى الإصلاح ولكنه رأى منهم معارضة وقسوة . عندئذ تهددهم الله بالسحق بأن رفع جبل الطور فوقهم فارتاعوا وظنوا أنه واقع عليهم فتضرعوا إلى الله فأمرهم أن يأخذوا حينئذ ما آتاهم من الأحكام بقوة أي بدون تذمر وأن يدرسوا ما في الكتاب ولا يغفلوا عنه لعلهم بذلك يصبحون من المتقين ، فلما أزال الله عنهم هذه الغمة أعرضوا عن هدى الله ، ولولا فضل الله عليهم ورحمته لكانوا من الخاسرين [3] .

قال ابن عباس : لما جاءهم موسى بالألواح فيها التوراة أمرهم بقبولها والأخذ بها بقوة وعزم . فقالوا : انشرها علينا فإن كانت أوامرها ونواهيها سهلة قبلناها . فقال : بل اقبلوها بما فيها ، فراجعوه مراراً ، فأمر الله الملائكة فرفعوا الجبل على رءوسهم حتى صار كأنه ظلة - أي غمامة - على رءوسهم ، وقيل لهم إن لم تقبلوها بما فيها وإلا سقط الجبل عليكم فقبلوا ذلك وأمروا بالسجود فسجدوا ، فجعلوا ينظرون إلى الجبل بشق وجوههم ، فصارت سنة لليهود إلى اليوم ، يقولون : لاسجدة أعظم من سجدة رفعت عنا العذاب .

وقال سيد بن داود عن حجاج بن محمد ، عن أبي بكر بن عبد الله قال : فلما نشرها لم يبق على وجه الأرض يهودي صغير ولا كبير تقرأ عليه التوراة إلا اهتز ونفض لها رأسه [4] .

لكنهم بعد ذلك تولوا كما يقول عز وجل : ﴿ **ثم توليتم من بعد ذلك** ﴾ أي ثم بعد مشاهدة هذا الميثاق العظيم والأمر الجسيم نكثتم عهودكم ومواثيقكم ﴿ **فلولا فضل الله عليكم ورحمته**﴾ بأن تداركتكم بالإرسال إليكم وإنزال الكتب عليكم ﴿ **لكنتم من الخاسرين**﴾ .

فسيدنا موسى عليه السلام يواجه إنكاراً من نوع جديد ، يواجه إنكار قوم فرعون الذين عاشوا في ظل الإرهاب والوثنية الفرعونية وعاشوا حياة الذل والسخرة والمطاردة ، ففسدت نفوسهم وطبيعتهم وفطرتهم وانحرفت تصوراتهم للعقيدة الصحيحة فمواجهة سيدنا موسى عليه السلام لهذه

---

١) سورة البقرة الآيتان : (٦٣،٦٤)

٢) سورة الأعراف الآية : (١٧١)

٣) أنظر مع الأنبياء في القرآن الكريم ص ٢٤٨

٤) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ص ٤٨٢

النفوس التي طال عليها المد فهي تعيش تصورات خاطئة توضح لنا جهد صاحب الدعوة في مثل هـذه الحالات .

فصبر سيدنا موسى عليـه السـلام مـع قومـه كـان مضاعفـاً علـى الانحرافـات والانتكاسـات وخصوصاً عندما ترى المجتمع ينحرف عند أول بادرة تذكره بالماضي .

ولعل في بيان هذه الوسيلة زاداً لأصحاب الدعوة في كل جيل .

ثالثاً : قصة بقرة بني إسرائيل :-

قال الله تعالى : ﴿ **وإذ قال موسى لقومـه إن الله يـأمركم أن تذبحـوا بقـرة قـالوا أتتخذنـا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي قال إنه يقول إنهـا بقرة لافارضٌ ولا بكرٌ عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون . قالوا ادع لنا ربك يبـين لنـا مـا لونهـا قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين . قالوا ادع لنا ربك يبـين لنـا مـا هـي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون . قال إنه يقول إنها بقرة لاذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لاشية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها ومـا كـادوا يفعلـون . وإذ قتلتـم نفسـاً فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون . فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكـم آياته لعلكم تعقلون** ﴾ [1] ، وتتمثل هذه القصة فيما يلي :

وقعت جريمة قتل في بنى إسرائيل ، زمن موسى عليه السلام ، ولم يعرف القـاتل ، وتدافعـوا في القتل ، بحيث صار بعضهم يتهم الآخر بأنه هو القاتل . ورفعـوا الأمـر إلى موسـى عليـه السـلام ، ليحكم بينهم .

وأراد الله أن يكشف لهم القاتل بواسـطة معجـزة ماديـة محسوسـة فـأوحى إلى موسـى عليـه السلام أن يأمرهم بذبح بقرة ! أية بقـرة كـانت ، بـدون تحديـد لمواصفاتهـا . ولـو أخـذوا أيـة بقـرة وذبحوها لنفذوا الأمر وقاموا بالواجب ! .

ولكن طبيعة اليهود في الجدال والتلكؤ في التنفيذ تأبي ذلك : فسألوا موسى عليه السلام عـن عمر البقرة ، فقال إنها ليست صغيرة ولاكبيرة ، بل متوسطة العمر .

ثم سألوه عن لونها ، فقال صفراء فاقعة تسر الناظرين . ثم سألوه عـن عملهـا ، فقـال إنهـا معززة عند أهلها ، لاتعمل في الحرث ولا في السقي . وأخيراً ذبحوهـا ومـا كـادوا يفعلـون ! . ثـم أمرهم موسى عليه السلام أن يضربوا جسد القتيل الميت بجزء من البقـرة المذبوحـة ، ففعلـوا ، فأحيـا الله القتيل ، ودبت فيه الروح ، وأخبر عن قاتله ، وقال : قتلنى فلان . ثم مات . وسـط دهشـة بـني إسرائيل ، واستغرابهم مما يشاهدون .

---

١) سورة البقرة الآيات : (٦٧-٧٣) .

عن هذه القصة يقول سيد قطب في الظلال رحمه الله : (وأخيراً نجيء إلى جمال الأداء وتناسقه مع السياق . هذه قصة قصيرة نبدؤها ، فإذا نحن أمام مجهول لا نعرف ما وراءه . نحن لا نعرف في مبدأ عرض القصة لماذا يأمر الله بني إسرائيل أن يذبحوا بقرة ، كما أن بني إسرائيل إذ ذاك لم يعرفوا . وفي هذا اختبار لمدى الطاعة والاستجابة والتسليم .

ثم تابع الحوار في عرض القصة بين موسى وقومه ، فلا نرى الحوار ينقطع ، ليثبت ما دار بين موسى وربه ، على حين أنهم كانوا في كل مرة يطلبون منه أن يسأل ربه ، فكان يسأله ، ثم يعود إليهم بالجواب ، ولكن سياق القصة لا يقول : إنه سأل ربه ، ولا إن ربه أجابه ، إن هذا السكوت هو اللائق بعظمة الله ، التي لا يجوز أن تكون في طريق اللجاجة التي يزاولها بنو إسرائيل.![1] . ثم تنتهي إلى المباغته في الخاتمة - كما بوغت بها بنو إسرائيل - انتفاض الميت مبعوثاً حياً ، على ضربة من بعض جسده لبقرة بكماء مذبوحة ، ليس فيها حياة ، ولا مادة حياة !.

ومن ثم يلتقي جمال الأداء التعبيري بحكمة السياق الموضوعية في قصة قصيرة من القصص القرآني الجميل . ولعل الحكمة من تأخير بيان السبب هو أن يقف السامع على صورة من رذائل اليهود ، وسوء أخلاقهم ، وموقفهم من أنبيائهم وأوامر ربهم .

ويقول ابن جرير : إنهم لم يجدوا هذه البقرة بتلك الصفة إلا عند رجل منهم كان باراً بأبيه ، فطلبوها منه فأبي عليهم ، فأرغبوه في ثمنها حتى أعطوه ، فيما ذكر السدي ، بوزنها ذهباً فأبى عليهم حتى أعطوه بوزنها عشر مرات فباعها لهم .

فأمرهم نبي الله بذبحها ﴿ **فذبحوها وما كادوا يفعلون** ﴾ أي وهم يترددون في أمرها ، ثم أمرهم الله أن يضربوا ذلك القتيل ببعضها قيل بلحم فخذها ، وقيل بالعظم الذى يلى الغضروف وقيل بالبضعة التى بين الكتفين ، فلما ضربوه.ببعضها أحياه الله تعالى ، فقام وهو يشخب أوداجه ، فسأله نبي الله موسى : من قتلك ؟ قال : قتلنى ابن أخي . ثم عاد ميتاً كما كان [2] .

قال الله تعالى :﴿ **كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون**﴾ أي كما شاهدتم إحياء هذا القتيل عن أمر الله له ، كذلك أمره في سائر الموتى ، إذا شاء إحياءهم أحياهم في ساعة واحدة كما قال :﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة** ﴾ [3].

إن ذبح البقرة لايراد لذاته ، وإنما هو وسيلة لتحقيق هدف آخر . وهو إقامة الدليل العملي على قدرة الله على إحياء الموتى ، ليزداد المؤمنون إيماناً ، وينتقل الآخرون من موقع الشك إلى موقع الإيمان . كذلك يحيي الله الموتى . لقد شاهدتم أمام أعينكم معجزة ربانية باهرة : إنسان ميت،

---

١) في ظلال القرآن م١ ص : ٨٠ .

٢) تفسير الطبرى جـ ١ ص ٢٨٥ .

٣) سورة لقمان الآية : (٢٨) .

جسد لاروح فيه ولا حراك . وبقرة عجماء بكماء . ذبحتم أنتم البقرة ، وتحولت إلى جسد لاروح فيه ولا حراك . وأخذتم جزءاً ميتاً من أجزاء البقرة الميتة ، وضربتم به جسد الإنسان الميت . وفوجئتم بالمفاجأة المدهشة : دبت الحياة في الإنسان الميت - من تلك الضربة - وتحرك حركة الأحياء ، وتكلم كما يتكلم الأحياء . كذلك المشهد الذي شاهدتموه ، يحيي الله الموتى ، ويبعثهم يوم القيامة ، ويخرجون من قبورهم بكامل خصائص الحياة ومظاهرها وحقيقتها .

وتوظيف القرآن لقصة البقرة دليلاً على قدرة الله المطلقة ، وعلى إحياء الموتى يوم القيامة ، يطلعنا على طريقة القرآن في تقرير حقائق الإيمان وأسس التصور الإسلامي ، وعرض الأدلة عليها[1].

رابعاً : عقاب لبنى إسرائيل ثم عفو عنهم وتحري الأوقات المناسبة لإقامة الحجة :-

قال تعالى : ﴿ **واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا * فلما أخذتهم الرجفة قال : رب ، لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي * أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ؟ إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين * واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك * قال : عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شيء * فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون**﴾ [2].

قال تعالى : ﴿ **وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون * ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون** ﴾ [3].

ذكر السدى وابن عباس وغيرهما أن هؤلاء السبعين كانوا علماء بنى إسرائيل ، ومعهم موسى وهارون ويوشع وناذاب وأبيهو ، ذهبوا مع موسى عليه السلام ليعتذروا عن بنى إسرائيل في عبادة من عبد منهم العجل . وكانوا قد أمروا أن يتطيبوا ويتطهروا ويغتسلوا ، فلما ذهبوا معه واقتربوا من الجبل وعليه الغمام وعمود النور ساطع صعد موسى الجبل [4] .

وقال محمد بن إسحاق : اختار موسى من بنى إسرائيل سبعين رجلاً الخير فالخير ، وقال انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه بما صنعتم وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم، صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم .

فخرج بهم موسى عليه السلام إلى طور سيناء ، لميقات وقته له ربه ، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم ، فطلب منه السبعون أن يسمعوا كلام الله ، فقال : أفعل [5] .

---

١) مع قصص السابقين في القرآن د. صلاح الخالدى جـ١ ص ٢٤٥ .

٢) سورة الأعراف الآيتان : (١٥٥- ١٥٦) .

٣) سورة البقرة الآيتان : (٥٥ - ٥٦) .

٤) تفسير الطبرى جـ ٩ ص ٥٠ .

٥) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٢٢٦ .

فلما دنا موسى من الجبل ، وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى فدخل في الغمام ، وقال للقوم : أدنوا . وكان موسى إذا كلمه الله وقع على جبهته نور ساطع ولا يستطيع أحد من بنى آدم أن ينظر إليه ، فضرب دونه الحجاب ، ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجوداً ، فسمعوه وهو يكلم موسى ، يأمره وينهاه : إفعل ولا تفعل .

فلما فرغ الله من أمره وانكشف عن موسى الغمام أقبل إليهم فقالوا : ﴿ **ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة** ﴾ . فأخذتهم الرجفة ، وهى الصاعقة فأتلفت أرواحهم فماتوا جميعاً فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ، ويرغب إليه ويقول : ﴿ **رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا** ﴾ آي لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء الذين عبدوا العجل منا فإنا برآء مما عملوا[1].

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جريج : إنما أخذتهم الرجفة لأنهم لم ينهوا قومهم عن عبادة العجل . وقوله ﴿ **إن هي إلا فتنتك** ﴾ آي اختبارك وابتلاؤك وامتحانك . قاله ابن عباس وسعيد وبن جبير وأبو العالية والربيع بن أنس ، وغير واحد من علماء السلف والخلف ، يعنى أنت الذى قدرت هذا ، وخلقت ماكان من أمر العجل اختباراً تختبرهم به كما :﴿ **قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به** ﴾ [2] آي اختبرتم .

ولهذا قال :﴿ **تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء** ﴾ أي من شئت أضللته باختبارك إياه ، ومن شئت هديته ، لك الحكم والمشيئة ولا مانع ولا راد لما حكمت وقضيت.

قال تعالى : ﴿ **أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين . واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك** ﴾ أي : تبنا إليك ورجعنا وأنبنا ، قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبو العالية وإبراهيم التيمى والضحاك والسدى وقتادة وغير واحد . وهو كذلك في اللغة .

قال تعالى : ﴿ **قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شيء** ﴾ أي أنا أعذب من شئت بما أشاء من الأمور التى أخلقها وأقدرها .

﴿ **ورحمتى وسعت كل شيء** ﴾ كما ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (إن الله لما فرغ من خلق السماوات والأرض كتب كتاباً فهو موضوع عنده فوق العرش : إن رحمتي تغلب غضبى ﴿ **فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا**

---

١) تفسير الطبرى جـ٩/٥٢ ومع الأنبياء في القرآن الكريم ص ٢٤٧ .

٢) طه الآية : (٩٠) .

يؤمنون ﴾ أي فسأوجهها حتماً لمن يتصف بهذه الصفات : ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبي الأمي**﴾[1] الآية).

فالدعوة إلى الله تعالى فن تحتاج ممن يقوم بها أن يعرف نفسيات المدعوين والفرصة الملائمة لسوق غطته وتبليغ رسالته في الظروف والأوقات المناسبة .

وهذا لا يتحقق إلا بمعرفة ظروف الوقت والتبصر بأحوال الناس وبناء عليه يعرف متى وكيف يسوق نصيحته حيث تكون النفوس لها مستعدة ومتهيئة .

خامساً : العودة إلى الحياة الخانعة الذليلة :-

قال تعالى :﴿ **وإذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدني بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم**﴾ [2].

لقد كانوا بين الصحراء بجدبها وصخورها ، والسماء بشواظها ورجومها . فأما الحجر فقد أنبع الله لهم منه الماء ، وأما السماء فأنزل لهم منها المن والسلوى : عسلاً وطيراً .. ولكن البنية النفسية المفككة ، والجلبة الهابطة المتداعية ، ابت على القوم أن يرتفعوا إلى مستوى الغاية التى من أجلها أخرجوا من مصر ، ومن أجلها ضربوا في الصحراء .. لقد أخرجهم الله – على يد نبيهم موسى – من الذل والهوان ليورثهم الأرض المقدسة ، وليرفعهم من المهانة والضعة .. وللحرية ثمن ، وللعزة تكاليف ، وللأمانة الكبرى التي ناطهم بها الله فدية . ولكنهم لايريدون أن يؤدوا الثمن ، ولايريدون أن ينهضوا بالتكاليف ، ولا يريدون أن يدفعوا الفدية . حتى بأن يتركوا مالوف حياتهم الرتيبة الهينة . حتى بأن يغيروا مألوف طعامهم وشرابهم ، وأن يكيفوا أنفسهم بظروف حياتهم الجديدة ، وفي طريقهم إلى العزة والحرية والكرامة . إنهم يريدون الأطعمة المنوعة التي ألفوها في مصر . يريدون العدس والثوم والبصل والقثاء . وما إليها ! [3] .

قال الحسن البصري : (إنهم كانوا أهل كراث وأبصال وأعداس فنزعوا إلى عكرهم : أي أصلهم عكر السوء واشتاقت طباعهم إلى ما جرت عليه عادتهم فقالوا ﴿ **لن نصبر على طعام واحد**﴾ والمراد بالطعام الواحد هو المن والسلوى) [4] .

---

١) أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى ﴿ بل هو قرآن مجيد * فى لوح محفوظ﴾ ومسلم في صحيحه فى كتاب التوبة ، باب فى سعة رحمة الله تعالى ٤/٢١٠٧ رقم (٢٧٥١) وانظر قصص الأنبياء ص ٤٧٥ .

٢) سورة البقرة الآية : (٦١) .

٣) فى ظلال القرآن جـ ١ ص ٦٨ .

٤) فتح القدير جـ ١ ص ٩١ .

ولقد تلقى موسى - عليه السلام - طلبهم بالاستنكار : ﴿ **أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير** ﴾ ؟

قال ابن كثير : (فيه ترفيع لهم وتوبيخ على ماسألوه من هذه الأطعمة الدنيئة مع ماهم فيه من العيش الرغيد والطعام الهنيء الطيب النافع) [1] .

أتريدون الدنية وقد أراد الله لكم العلية ؟ ﴿ **اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم** ﴾ إما بمعنى أن ما يطلبونه لا يستحق الدعاء ، فهو موفور في أي مصر من الأمصار ، فاهبطوا أية مدينة فإنكم واجدوه فيها .. وإما بمعنى عودوا إلى مصر التي أخرجتم منها .. عودوا إلى حياتكم الدارجة المألوفة . إلى حياتكم الخانعة الذليلة .. حيث تجدون العدس والبصل والثوم والقثاء ! ودعوا الأمور الكبار التي ندبتم لها .. ويكون هذا من موسى - عليه السلام- تأنيباً لهم وتوبيخاً [2] .

وهكذا انتهز سيدنا موسى عليه السلام الفرصة لإيقاظ ضميرهم وتذكيرهم بما فعلوه مع أنبيائهم .

كذلك شأن الداعية ينتهز كل فرصة مواتية أو مناسبة حاضرة وسواء كان ذلك في عرض فكرة أو تصحيح فهم خاطيء .

سادساً : تيه بني إسرائيل في سيناء :-

قال تعالى :﴿ **وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وأتاكم مالم يؤت أحداً من العالمين * يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا يا موسى إن فيها قوم جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون * قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهم ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين * قالوا ياموسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون * قال رب إني لا أملك إلا نفسي و أخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين * قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين**﴾[3].

يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله عن تفسير هذه الآية :- وإننا لنلمح في كلمات موسى - عليه السلام - إشفاقه من تردد القوم ونكوصهم على الأعقاب . فلقد جربهم من قبل في " مواطن كثيرة " في خط سير الرحلة الطويل .. جربهم وقد أخرجهم من أرض مصر ، وحررهم من الذل والهوان ،

---

١) تفسير ابن كثير جـ١ ص ١٧٧ .

٢) في ظلال القرآن جـ١ ص ٦٨ .

٣) سورة المائدة الايات : ٢٠ -٢٦ .

باسم الله وبسلطان الله الذي فرق لهم البحر ، وأغرق لهم فرعون وجنده . فإذا هم يمرون على قوم يعكفون على أصنام لهم ، فيقولون ﴿ **يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة** ﴾ .. وما يكاد يغيب عنهم في ميقاته مع ربه حتى يتخذ السامري من الحلي التي سرقوها معهم من نساء المصريين عجلاً ذهباً له خوار ، ثم إذا هم عاكفون عليه يقولون إنه إله موسى الذي ذهب لميقاته ! .. وجربهم وقد فجر لهم من الصخر ينابيع في جوف الصحراء ، وأنزل عليهم المن والسلوى طعاماً سائغاً ، فإذا هم يشتهون ما اعتادوا من أطعمة مصر - أرض الذل بالنسبة لهم - فيطلبون بقلها وقثاءها وفومها وعدسها وبصلها ، ولا يصبرون عما ألفوا من طعام وحياة في سبيل العزة والخلاص ، والهدف الأسمى ، الذي يسوقهم موسى إليه وهم يتسكعون ! .. وجربهم في قصة البقرة التي أمروا بذبحها فتلكأوا وتسكعوا في الطاعة والتنفيذ .. ﴿ **فذبحوها وما كادوا يفعلون** ﴾ ! وجربهم وقد عاد من ميقات ربه ومعه الألواح وفيها ميثاق الله عليهم وعهده . فأبوا أن يعطوا الميثاق وأن يمضوا العهد مع ربهم - بعد كل هذه الآلاء وكل هذه المغفرة للخطايا - ولم يعطوا الميثاق حتى وجدوا الجبل منتوقاً فوق رؤوسهم ، " وظنوا أنه واقع بهم " ! ..

لقد جربهم في مواطن كثيرة طوال الطريق الطويل .. ثم ها هو ذا معهم على أبواب الأرض المقدسة . أرض الميعاد التي من أجلها خرجوا . الأرض التي وعدهم الله أن يكونوا فيها ملوكاً ، وأن يبعث من بينهم الأنبياء فيها ليظلوا في رعاية الله وقيادته ..

لقد جربهم فحق له أن يشفق ، وهو يدعوهم دعوته الأخيرة ، فيحشد فيها ألمع الذكريات ، وأكبر البشريات ، وأضخم المشجعات وأشد التحذيرات :

قال تعال : ﴿ **يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم . إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً ، وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين** ﴾ ..

نعمة الله . ووعده الواقع من أن يجعل فيهم أنبياء ويجعلهم ملوكاً . وإيتاءه لهم بهذا وذلك ما لم يؤت أحداً من العالمين حتى ذلك التاريخ . والأرض المقدسة التي هم مقدمون عليها مكتوبة لهم بوعد الله . فهي إذن يقين .. وقد رأوا من قبل كيف صدقهم الله وعده . وهذا وعده الذي هم عليه قادمون .. والارتداد على الأدبار هو الخسران المبين [1] .

---

١) في ظلال القرآن م٢ ص٨٦٩ .

لا أملك إلا نفسي وأخي :

بعد ما سمع موسى عليه السلام من قومه الجبناء التأكيد القاطع بعدم القتال ، وبعد ما أساءوا الأدب معه ومع الله ، توجه إلى ربه ، يشكو إليه قومه ، وعصيانهم له ، وأعلن أنه لا يملك إلا نفسه وأخاه . ﴿ **قال : رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي** ﴾ .

أما تلك الجموع من بني إسرائيل ، فإنه لا يملكها ، ولا يقدر على تكليفها ، لأنها تمردت عليه وعصت أوامره . لماذا تمردوا عليه وعصوا أوامره ؟ وما الذي طلبه منهم ؟ ما الذي قادهم إلى التمرد والعصيان ؟ لقد طلب منهم دخول الأرض المقدسة ، والجهاد والقتال ، وسلوك طريق العزة والنصر والتمكين . فهل هذا يمكن أن يوجد التمرد والعصيان ؟ إنه لا يفعل ذلك إلا الذليل الجبان !

متى نفض موسى عليه السلام يديه منهم ، وتبرأ منهم ؟ لقد كان ذلك بعد سنوات طويلة قضاها معهم في مصر وسيناء ، وبعد جهود مضنية بذلها في تربيتهم وتقويمهم وبعد خبرة طويلة بهم وبنفسياتهم . بعد ما تبرأ موسى – عليه السلام – منهم ، طلب من ربه أن يفرق بينه وبينهم : ﴿ **قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي . فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين** ﴾ . فما عادوا يستحقون صحبة موسى عليه السلام ، وما عادوا أهلاً لأن يتشرفوا بمعيته . لأنهم فاسقون عصاة ، أذلاء جبناء ، ومن كان كذلك لا يستحق أن يكون مع الرجال المجاهدين [1] .

إنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض :

عند ذلك حرم الله عز وجل الأرض المقدسة عليهم أربعين سنة وجعلهم يتيهون في الأرض كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **قال : فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض** ﴾ . بما أنهم جبنوا عن الجهاد والقتال ، فقد حرم الله عليهم دخول الأرض المقدسة ، وحرمهم من شرف تحريرها والإقامة فيها .

الأرض المقدسة التي كتبها الله لهم ، أصبحت محرمة عليهم ! لماذا ؟ لقد دلهم موسى عليه السلام على طريق تحرير الأرض المقدسة والتمكين فيها ، فرفضوا ذلك الطريق الوحيد إليها . لقد كان موسى عليه السلام يريد لهم النفع والخير ، ويريد لهم العزة والكرامة والنصر والتمكين ، كان يريد لهم أن يكونوا سادة أساتذة للآخرين . والطريق الوحيد لكل ذلك هو الجهاد والقتال . فلما رفضوه حرموا من كل ثماره الطيبة العظيمة .

يقول ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض** ﴾ الآية ؛ لما دعا عليهم موسى عليه السلام حين نكلوا عن الجهاد حكم الله بتحريم دخولها عليهم قدر مدة أربعين سنة فوقعوا في التيه يسيرون دائماً لا يهتدون للخروج منه وفيه كانت

---

١) في ظلال القرآن م٢ ص٨٦٩ .

أمور عجيبة وخوارق كثيرة من تظليلهم بالغمام وإنـزال المـن والسـلوى عليهـم ، ومـن إخـراج المـاء الجاري من صخرة صماء تحمل معهم على دابة ، فإذا ضربها موسى بعصاه انفجرت من ذلك الحجر اثنتا عشرة عيناً تجري لكل شعب عين ، وغير ذلك من المعجزات التي أيد الله بها موسى بن عمران . وهناك نزلت التوراة وشرعت لهم الأحكام ، وعملت قبة العهد ويقال لها قبة الزمان [1] .

حرم الله أولئك الجبناء اليهود من شرف الجهاد والتحريـر ، والتمكين في الأرض المقدسـة . وكتب عليهم " التيه " في أرض سيناء . وقدَّر مدة التيه بأربعين سنة .

فلماذا الأربعون سنة ؟

إن الأربعين سنة تشمل حياة جيلين ! ولعل الحكمة من هذا التحديد ، هـي أن ينتهـي ذلـك الجيل الجبان من بني إسرائيل ، الذي لم ينفع معه شئ من الحوافز والبواعث والمنشطات . إنه جيـل لا يتوقع منه جهاد ، لأنه لا همة ولا عزيمة .

فليُنتظر حتى يمـوت هـذا الجيـل ، ويـأتي بعـده جيـل جديـد عنـده القـدرة علـى القتـال والتحريـر . والأربعون سنة مدة كافية لانقراض هذا الجيل . ماذا يفعل هذا الجيل الجبان ، وهو ينتظر دنو أجله ؟ إنه التيه في الصحراء " أربعين سنة يتيهون في الأرض " .

وتاهوا في سيناء وعاشـوا في الصحـراء ، وقاسـوا مـرارة الحيـاة وشـظف العيـش . ويعجـب الإنسان مما وقع لذلك الجيل الجبان !

لقد فتح الله لهم طريق الرجولة والعزة فرفضوا السـير فيـه . ولقـد دعـاهم الله إلى التنعـم في الأرض المقدسة وخيراتها ، بشرط دفع الثمن وهـو الجهـاد . فنكصـوا ، فـأبدلهم الله بذلـك التيـه في الصحراء .

التيه في الصحراء بدل الأرض المقدسة ! كيف قبلوا هذا البدل ؟ وكيف استبدلوا الـذي هـو أدنى بالذي هو خير ؟ ما الذي دفعهم إلى هذه الصفقة الخاسرة ؟ إنه الجبن والذل والضعـف والوهـن . وإنه الحرص على الحياة . أليسـوا في الصحـراء أحيـاء ؟ ألم يحتفظـوا بـأرواحهم ودمـائهم ؟ وطالمـا ضمنوها فلماذا يعرضون حياتهم للخطر في الطريق إلى الأرض المقدسة ؟ فليـتركوا الأرض المقدسـة ، وليقبلوا بالصحراء التي تحقق لهم الحيـاة . وصـدق الله عنهـم : ﴿ **ولَتَجِدَنَّهُم أحـرص النّـاس علـى حياة**﴾[2] وهكذا فقد استخدم موسى عليه السلام المنهج الحسي في دعوة قومه لأن هذا المنهج يتـأثر به كثير من الناس ، خصوصاً الشعوب التي تنشأ وتعيش في ظـل الاسـتبداد والظلـم فإنهـا تعـاني مـن الذل والإهانة وتفقد شخصيتها وتهـون نفوسـها ، وإذا طـال عليهـا الأمـد صـار ذلـك مـن طبيعتهـا

---

١) تفسير ابن كثير ج٢ ص ٥٣٩ .

٢) سورة البقرة : آية ٩٦ . وأنظر مع السابقين في القرآن ج١ ص٢١٨ .

وسلوكها ، وكذلك كان الحال مع بني إسرائيل الذين أفسدوا الذل طبيعتهم فقد شربوا منه ألواناً وبكوا الخضوع والذل والمسكنة وانطبعوا على الجبن والسلبية ، ولذلك لما دعاهم موسى إلى الدخول إلى الأرض المقدسة خارت عزائمهم ورفضوا ما عرضه عليهم لفقدهم الإحساس بالعزة حتى لم يعدوا يفكرون في مجرد الدفاع عن أنفسهم .

المبحث الرابع :

استخدام عيسى عليه السلام للمنهج الحسي في الدعوة إلى الله .

ويشتمل على :

أولاً : التمـــهيـــــد .

ثانياً : منهج المسيح عيسى عليه السلام في الدعوة إلى الله.

المبحث الرابع : استخدام عيسى عليه السلام للمنهج الحسي في الدعوة إلى ا لله .

أولاً : التمهيد :

من هو عيسى ؟

هو المسيح عيسى بن مريم عبد ا لله ورسوله ، وهو كلمة ا لله ألقاها إلى مريم وروح منه.

وأمه مريم ابنة عمران التي ضربها ا لله مثلاً للمحصنات المؤمنات القانتات في قوله سبحانه : ﴿ **ومريم ابنت عمران الّتي أحصنت فرجها فنفخْنا فيه من روحنا وصدَّقت بكلمات ربِّها وكتبه وكانت من القانتين** ﴾ [1] .

وقوله عز وجل : ﴿ **وإذ قالت الملائكةُ يا مريمُ إنَّ ا لله اصطفاك وطهَّرك واصطفاك على نساء العالمين** ﴾ [2] .

و لم ينحدر عيسى من أصلاب الرجال كغيره من بني آدم ، بل خلقه ا لله عز وجل بدون أب قال تعالى : ﴿ **إن مثل عيسى عند ا لله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** ﴾ [3] .

* ميلاد عيسى عليه السلام :

يذكر المؤرخون [4] أن "عمران " جدّ "عيسى" عليه السلام كان رجلاً صالحاً وكانت له مكانة اجتماعية مرموقة في بني إسرائيل . وكانت امرأة "عمران" "حنّة " عاقراً لم ترزق بولد وشاءت أنها رأت في يوم من الأيام طائراً يطعم فراخه فتاقت نفسها للولد ، وسألت ا لله تعالى بقلب مخلص أن يرزقها الولد ، ثم نذرت وقالت : لله عليّ نذر وسيكون خالصاً لخدمة بيت المقدس .

ويذكر المؤرخون كذلك أنها حاضت من فورها .

ولما طهرت واقعها زوجها عمران فحملت .

---

١) سورة التحريم : الآية : (١٢) .

٢) سورة آل عمران : آية (٤٢) .

٣) سورة آل عمران : آية (٥٩)

٤) أنظر البداية والنهاية لابن كثير ج٢ ص٥٦ . وقصص الأنبياء لابن كثير. ص: ٦٨٢ تحقيق د. عبدالحي الفرماوي دار اليقين .

ولما أتمت شهور حملها ووضعت جاء المولود أنثى وهو "مريم" ولما كانت العادة قد جرت بأن الذي يحرر لخدمة بيت المقدس الغلمان فقط دون النساء، قالت متعذرة: "ربي إني وضعتها أنثى" والله تعالى عالم بما وضعت لأنه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

ثم إن "حنّة" سمت مولودتها (مريم) وسألت الله تعالى أن يحفظها وذريتها من الشيطان الرجيم، فاستجاب الله دعاء "حنّة" وحفظ (مريم)، وابنها (عيسى) من الشيطان الرجيم: قال الإمام (أحمد) حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (ما من مولود إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مسّ الشيطان إياه إلا مريم وابنها)، ثم يقول أبوهريرة: اقرأوا إن شئتم ﴿ **وإنّي أعيذها بكَ وذريّتها من الشيطان الرجيم** ﴾[1].

ذهبت "حنّة" ببنتها "مريم" إلى بيت المقدس، وأودعتها في رعاية سدنته وفاء لنذرها، فتنافس السدنة في كفالتها، وبعد إجراء القرعة بينهم أصبح الكافل لها "زكريا" عليه السلام، وهو زوج خالة "مريم" جعل "زكريا" عليه السلام محراباً خاصاً "لمريم" وجعل مفتاحه معه كي لا يدخل المحراب أحد غيره.

ثم أخذ في رعايتها رعاية تامة، ووجّهها إلى عبادة الله تعالى. فظل الأمر على ذلك حتى شاهد "زكريا" أمراً خارقاً للعادة فعجب له، وذلك أنه كان كلما دخل على مريم المحراب وجد عندها رزقاً لم يأتها هو به، فضلاً عن أن هذا الطعام لا وجود لأمثاله عند الناس في ذلك الوقت.

فسألها: من أين لك هذا الطعام يا مريم، فأجابته بقولها: ﴿ **هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب** ﴾ وقد صور القرآن هذه الأحداث بأبلغ عبارة فقال عز من قائل: ﴿ **إذ قالت امرأة عمران ربِّ إنّي نذرت لك ما في بطني محرَّراً فتقبَّل منّي إنّك أنت السميع العليم فلما وضعتها قالت ربِّ إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سمَّيتها مريم وإني أعيذها بك وذرِّيتها من الشيطان الرجيم** ﴾[2].

---

١) انظر: البداية والنهاية ج٢، ص٥٧.

٢) سورة آل عمران، الآيات (٣٥-٣٦).

﴿ **فتقبّلها ربُّها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلّما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب** ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ **ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون** ﴾ [2] .

ولما بلغت "مريم " مبلغ النساء - كانت في منزلة رفيعة من العبادة ودرجة عالية من التقرب إلى الله تعالى - بشرتها الملائكة باصطفاء الله لها ، يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ **وإذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين** ﴾ [3] .

كما بشرتها الملائكة بأن الله تعالى سيهب لها " ولداً " وسيكون على غير الطريقة المعتادة في التوالد ، وهذا الولد سيكون اسمه : " المسيح عيسى بن مريم " . وسيكون لهذا " الولد " الكثير من المميزات التي لم يمنحها الله تعالى لغيره .

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المميزات بقوله : ﴿ **إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين قالت ربِّ أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولاً إلى بني إسرائيل** ﴾ [4] .

سبق أن ذكرت أن " مريم " كانت وقفاً على خدمة بيت المقدس .

وفي أحد الأيام اتجهت شرقي المعبد وحدها لتعبد الله تعالى وبينما هي كذلك إذ أرسل الله تعالى إليها الروح الأمين " جبريل " عليه السلام ، فظهر لها في صورة آدمي كامل البنية لتأنس به ، ولا تنفر منه . فلما رأته " مريم " أخذها الرعب ، وظنته آدمياً يريد بها سوءاً فاستعاذت منه بالله تعالى وقالت له : إني أستعيذ بالله من شرك ، وألجأ إليه ليصون عفّتي وطهارتي ، وأسألك بالله تعالى أن تبتعد عنّي ولا تقترب منّي . فطمأنها " جبريل " عليه السلام وهدأ من روعها وقال لها : أنا

---

١) سورة آل عمران : الآية (٣٧) .

٢) سورة آل عمران الآية (٤٤) .

٣) سورة آل عمران : الآية (٤٢) .

٤) سورة آل عمران ، الآيات : (٤٥-٤٨) .

أرسلت بشراً كما تظنين ، إنما أنا ملك من الملائكة أرسلني الله إليك لأهب لك ولداً على غير مثال سبق ، تعجبت " مريم " مما قاله " جبريل " وقالت له : كيف يكون لي ولد ولم يمسسني زوج ، ولم أك بغيا ؟ فأجابها " جبريل " : الأمر كما قلت ، وقد قال ربك : إنَّ خلق غلام بلا أب هو هيِّنٌ عليَّ ، ليكون ذلك آيةً تدلُّ على عظيم قدرتي [1] .

وقد صور القرآن المشاهد التي أشرت إليها بأبلغ عبارة فقال عز من قائل : ﴿ **واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً * فاتَّخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها من روحنا فتمثَّل لها بشراً سوياً * قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً * قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً قالت أنَّى يكون لي غلامٌ ولم يمسسني بشر ولم أك بغيًّا * قال كذلك قال ربك هو عليَّ هينٌ ولنجعله آيةً للناس ورحمةً منا وكان أمراً مقضياً** ﴾ [2] .

بعد الحوار الذي جرى بين "جبريل " عليه لسلام و "مريم" عليها السلام أيقنت "مريم" أن قضاء الله تعالى نافذ لا محالة ، ولكن كيف سيتمُّ ذلك ، ومتى يكون ، لا تدري .

نفخ " جبريل " عليه السلام في جيب درعها بأمر الله تعالى فحملت على الفور بعيسى عليه السلام ، يشير إلى ذلك قول الله تعالى : ﴿ **والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آيةً للعالمين** ﴾ [3] .

وقوله تعالى : ﴿ ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدَّقت بكلمات ربِّها وكتبه وكانت من القانتين ﴾ [4] .

الحمل بعيسى عليه السلام وولادته :

حملت السيدة مريم في اللحظة التي نفخ فيها الملك جبريل ، ولا ريب أنها تخيلت ما سيقوله الناس عن عذراء تحمل وتلد من غير أن يكون لها زوج ، فأفزعتها هذه الأفكار وجعلتها قلقة مضطربة خائفة تحب العزلة وتميل إلى الانفراد ، حينئذ اعتزلت مكاناً بعيداً عن الناس تستتر فيه من أعينهم .

---

١) أنظر منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى ص ٨٤ وما بعدها بتصرف .

٢) سورة مريم ، الآيات : (١٦-٢١) .

٣) سورة الأنبياء : الآية (٩١) .

٤) سورة التحريم : الآية (١٢) .

ولما آن أوان الوضع اضطرها ألم الولادة للالتجاء إلى جذع نخلة لتستتر به وتعتمد عليه وتذكرت آنذاك أنها سترمي بوصمٍ شائن ، فتمنت حينئذ لو كانت لقيت منيتها قبل هذا أو كانت شيئاً لا يذكر لتفاهته ، وسرعان ما أدركها لطف الله وأحاطت بها عنايته فسمعت صوت جبريل يناديها بالقرب منها ، من مكان تحت المكان الذي كانت به ، مطمئناً إياها بأن الله قد كفل لها رزقها ، وما عليها إلاّ أن تهز جذع النخلة فيسقط عليها رطب طازج ، فتأكل هنيئاً ، وتشرب من الجدول الذي يجري تحتها ، وتطيب خاطراً ، وتهدأ بالاً ، وعلمها جبريل بأنها إذا قابلت من يلومها أو يسألها عن الذي تحمله ، ومن أين أتت به لا ترد جواباً بل تقول إشارة : إني نذرت للرحمن صوماً.

قال تعالى : ﴿ **فحملته فانتبذت به مكاناً قصيّا [1] * فأجاءها [2] المخاضُ [3] إلى جذعِ النّخلة قالت : ياليتني متُّ قبل هذا وكنت نسياً[4] منسّياً * فناداها من تحتها ألاّ تحزني قد جعل ربُّك تحتك سريًّا [5] * وهزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنّياً [6] * فكلي واشربي وقرّي عيناً فإما ترينّ من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسّياً** ﴾[7].

عيسى يتكلم في المهد

ولما ولدته مريم وخرجت به على القوم كان ذلك مفاجأة لهم سواء من يعرف نسكها وعبادتها ومن لا يعرف ، لأنها فاجأتهم بأمر غريب وهي المعروفة بينهم بأنها عذراء ليس لها زوج ، فكانت المفاجأة داعية للاتهام لأنه المفاجأة تذهب الروية وخصوصاً أن دليل الاتهام قائم وقرينته أمر مادي لا مجال للريب فيه ، وكل ما عملته السيدة مريم إزاء هذه العاصفة أنها اعتصمت بوصية جبريل ، فلزمت الصمت ، وأشارت إلى ابنها الممدد في المهد طالبة إليهم أن يكلموه ، فاشتد غضبهم لاعتقادهم أنها تهزأ بهم إذ لم يعهدوا طفلاً يتكلم في المهد ، ولكن عيسى عليه السلام أجابهم الجواب الشافي الدال على براءة أمه ، بأن انطقه الله فقال : إني عبد الله سيؤتيني الإنجيل ويختارني

---

١) قصيا : بعيدا .

٢) فأجاءها : اضطرها .

٣) المخاض : الطلق و شدة الولادة .

٤) نسياً : الشيء الحقير الذي شأنه أن ينسي ولا يتألم لفقده .

٥) سرياً : جدول ماء ، وقيل : المقصود به عيسى ، فالسري من الرجال العظيم الخصال .

٦) رطباً جنياً : البلح الذي لم يجف و لم ييبس ، هذا وقد ثبت علمياً أن البلح الرطب يحتوي على المواد الغذائية الرئيسة في صورة مركزة سهلة الهضم وأنه يناسب صحياً النفساء .

٧) سورة مريم : الآيات (٢٢-٢٦) .

نبياً ويجعلني مباركاً معلماً للخير ويأمرني بإقامة الصلاة وأداء الزكاة مدة حياتي ، كما يأمرني أن أكون بارّاً بوالدتي ولن يجعلني متجبراً في الناس ولا شقّياً بمعصيته ، والأمان من الله عليّ يوم ولادتي ويوم موتي ويوم بعثي من الأموات حياً ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ **فأتت به قومها تحمله قالوا : يا مريم لقد جئت شيئاً فريّاً** [1] **يا أخت هارون** [2] **ما كان أبوك امرأ سوءٍ وما كانت أمك بغياً . فأشارت إليه ، قالوا : كيف نكلم من كان في المهد صبياً * قال : إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً . والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً** ﴾ [3] .

نبوة عيسى :

بعث الله عيسى عليه السلام نبياً وهو في حوالي الثلاثين من عمره بعد أن تلقى من ربه الوحي وعلمه التوراة والإنجيل ، قال تعالى : ﴿ **ويعلّمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولاً إلى بني إسرائيل** ﴾ [4] . ﴿ **وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدّقاً لما بين يديه من التوراة وهدىً وموعظة للمتقين** ﴾ [5] .

فأخذ عليه السلام يبشر الناس برسالته ويدعوهم إلى اتباعه ويسعى في أن يرد اليهود عن زيغهم ، ويصدّهم عن ضلالهم ، ويبين لهم ما اختلفوا فيه من الحلال و الحرام ، ويحل لهم بعض الذي حرم عليهم ، قال تعالى : ﴿ **ولما جاء عيسى بالبّينات ، قال : قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون . إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراطٍ مستقيم** ﴾ [6] .

---

١) فرياً : شيئاً عظيماً .

٢) يا أخت هارون : اختلف العلماء في معنى هذه الأخوة ومن هو هارون فقيل : أنه أخو موسى ، والمراد : من كنا نظن أنها مثل هارون في العبادة تأتي بمثل هذا العمل ؟ وقد كانت مريم من ولد هارون أخي موسى فنسبت إليه بالأخوة لأنها من ولده كما يقال للتميمي : يا أخا تميم ، وللعربي يا أخا العرب ، وقيل : كان في ذلك الزمان في بني إسرائيل عابد منقطع إلى الله يسمى هارون فنسبوها إلى اخوته حيث كانت على طريقته في العبادة إذ كانت موقوفة على خدمة بيت الله .

٣) سورة مريم الآيات : (٢٧-٣٣)

٤) سورة آل عمران الآية : (٤٨) .

٥) سورة المائدة الآية : (٤٦).

٦) سورة الزخرف ، الآيتان : ٦٣ ، ٦٤ . أنظر : تاريخ الأنبياء للنجار ص ٢٧٨ ومنهج الأنبياء في الدعوة الله تعالى ص ٨٤ - ٨٦ . ومع الأنبياء في القرآن الكريم - طبارة ص ٣٢٠ - ٣٢١ .

وبعد هذا التمهيد عن حياة عيسى عليه السلام ونشأته نتناول بشيء من الإجمال بعض الآيات الحسية التي استخدمها عيسى عليه السلام من خلال منهجه في الدعوة إلى الله فنقول وبالله التوفيق :

ثانياً : منهج المسيح عيسى عليه السلام في الدعوة إلى الله :

يعتبر عيسى عليه السلام رابع أولى العزم من الرسل ، ودعوته امتداد لدعوة موسى عليه السلام ، والذين أرسل إليهم هم بنو إسرائيل كذلك ، وهي دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، عن طريق شريعة عبده ورسوله عيسى ابن مريم .

وكانت دعوة عيسى عليه السلام ، كدعوات موسى وإبراهيم ونوح ، وكل نبي سبقه حلقة من سلسلة النبوات التي ختمت بمحمد ﷺ وبرسالاته التي نسخت ما سبقها من الرسالات ، وأوجبت على الناس كل الناس أن يدخلوا في دين الإسلام خاتم الأديان وأتمها وأكملها . ولقد كان جهد عيسى عليه السلام مع قومه من يهود ، جهداً فائقاً وصبره عليهم وعلى عنادهم ، صبراً عظيماً ، لقد عانى منهم شيئاً كثيراً ، وقدم لهم من الآيات والمعجزات ، ما كان ينبغي عليهم أن يؤمنوا به ، ولكن من آمن به منهم قليل من كثير ، وتلك سنة أهل الإيمان دائماً ، هم قلة وسط كثرة ، ولكنها القلة الناجية ، القلة التي تربح حياة أبدية غير زائلة ، القلة التي تعرف بدقة معنى التضحية في سبيل الله بالمال والنفس والجهد والوقت ، وترى في ذلك ربحاً أعظم الربح ، وأنه لكذلك ، القلة المهتدية ، التي بها ينتشر الحق ، وتكون أحسن العقبى .

دعوة عيسى ابن مريم ، عليه السلام هي جولات مع الباطل وأهله والمكذبين وأنصارهم من شياطين الإنس ، دعوة قامت كغيرها من دعوات الأنبياء جميعاً على الدعوة إلى توحيد الله بالعبودية والربوبية وكانت هذه الدعوة ترتكز على منهج قويم مستقيم كان من أهمه اتباع عيسى عليه السلام المنهج الحسي في دعوة قومه ويتمثل هذا المنهج فيما يلي :

١- جاءهم عيسى عليه السلام بالبينات والمعجزات والحكمة :

دعا عيسى عليه السلام بني إسرائيل إلى عبادة الله وترك ما هم فيه من اختلاف وتفرق في الدين قال تعالى : ﴿ **ولما جاء عيسى بالبينات * قال : قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي**

تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون * إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم * فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم ﴾ [1] .

وخلاصة دعوة عيسى من هذه الآيات الكريمة تكمن فيما يلي :

١- أنه جاءهم بالحكمة وهي النبوة ، وهي إصابة الحق بالعلم والعقل ، وهي فعل ما ينبغي على وجهه وفي وقته .

٢- أنه جاءهم ليبين لهم بعض الذي يختلفون فيه ، وكانوا مختلفين على النحو الذي سنبينه بعد .

٣- أنه جاءهم يطالبهم بطاعته في عبادة الله وحده .

٤- أنه جاءهم يدلل على ذلك مستخدماً المنهج الحسي بالآيات والمعجزات التي كان منشأهم معها أن يومنوا ، ولكنهم لم يفعلوا إلا قليلاً منه .

ولنوضح القول في هذه المرتكزات الأربعة في دعوة عيسى عليه السلام قومه إلى توحيد الله تعالى فإن فيها فائدة كبرى للدعاة إلى الله .

أولاً : أما أنه جاءهم بالحكمة : فمعنى ذلك أنه جاءهم بنبوة من عند الله ورسالة وتكاليف ، وأنه بذلك قد ضمن لهم الخير لو اتبعوه ، مصداقاً لقول الله تعالى : ﴿ **ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً** ﴾ [2] ، والنبوة شاملة لإصابة الحق بالعلم والعقل ، وشاملة لفعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي ، أي جاءهم بخيري الدنيا والآخرة .

ثانياً : وأما أنه جاءهم ليبين لهم الذي اختلفوا فيه أو بعضه : فقد كانوا اختلفوا في الدين حتى تفرقوا شيعاً وأحزاباً فجاءهم عيسى عليه السلام ليبين لهم ويوضح ، ويزيل ما بينهم من خلاف ، فيردهم إلى عبادة الله وحده وترك كل ما خرجوا إليه من ضلال وباطل - وكان هذا من صلب رسالته - عليه السلام - ولكن من آمن بما جاء به في هذا المجال قليل ، وكذلك شأن المؤمنين بالرسل في كل زمان ومكان [3] .

---

١) سورة الزخرف : آية (٦٣-٦٥)

٢) سورة البقرة : آية (٢٦٩)

٣) انظر فقه الدعوة إلى الله ١/٤٥،٤٦

ثالثاً : وأما أنه جاءهم يطالبهم بأن يطيعوه في عبادة الله وحده : فقد أعلن لهم دستور التوحيد وهو : ﴿ **فاتقوا الله وأطيعون * إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم** ﴾ [1] .

وهذا الدستور التوحيدي قام على أسس هي :

أ - عبادة الله وحدة لا شريك له . ب - طاعة الله ورسوله .

ج- تقوى الله ، أي خوف عقابه . د - الإعتقاد بأن هذا التوحيد هو الصراط المستقيم.

وهذا الدستور ، يتضمن كل خير ، وينهى عن كل شر ، ولكنهم خالفوه ، بل حاربوه ، بل تآمروا على قتله ، فخيبهم الله ورفعه إليه .

رابعاً : وأما أنه دلل على كل ما جاء بالبينات والمعجزات [2] مستخدماً المنهج الحسي فإن ذلك ثابت وصحيح :

فقد أرسل الله عيسى عليه السلام في قوله يفاخرون بمهارتهم بالطب بحسب مستوى زمانهم ، فأجرى الله على يديه معجزات باهرات ، تشاكل نوع مهارة قومه بحسب الصورة ، ولكن بمستوى لايستطيع الطب بالغاً ما بلغ أن يصل إلى ما وصلت إليه .

وأما كون معجزات عيسى عليه السلام من هذا النوع فيذكر ابن كثير السبب في ذلك قائلاً : (كانت معجزة كل نبي في زمانه بما يناسب أهل ذلك الزمان ، فذكروا أن موسى عليه السلام كانت معجزته مما يناسب أهل زمانه وكانوا سحرة أذكياء ، فبعث بآيات بهرت الأبصار وخضعت لها الرقاب ، ولما كان السحرة خبيرين بفنون السحر وما ينتهي إليه وعاينوا ما عاينوا من الأمر الباهر الهائل الذي لا يمكن صدوره إلا عن من أيده الله وأجرى الخارق على يديه تصديقاً له ، أسلموا سراعاً و لم يتلعثموا .

وهكذا عيسى ابن مريم بعث في زمن الطبائعية الحكماء ، فأرسل بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون إليها ، وأني لحكيم إبراء الأكمه الذي هو أسوأ حالاً من الأعمى ، والأبرص والمجذوم ومن به مرض مزمن ، وكيف يتوصل أحد من الخلق إلى أن يقيم الميت من قبره ؟ هذا مما يعلم كل أحد أن الآيات الحسية والمعجزات لها أبلغ الأثر في إيمانهم وتصديقهم بنبوة عيسى عليه السلام [3] .

---

١) سورة المائدة : آية (١١٦-١١٧)

٢) ذكرناه معجزات عيسى عليه السلام بالفصل الأول عند اثبات النبوة ص ١٧٣

٣) البداية والنهاية ج ٢ ص٨٤ بتصرف ، وقصص الأنبياء ابن كثير ص ٧٣٠

وبالرغم من هذه المعجزات الدالة على صدق نبوته إلا أنه لم يؤمن به سوى نفر قليل وصفهم القرآن بالحواريين ، يشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ **فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين** ﴾ [1] .

وقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحوارين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين** ﴾ [2] .

ويعتبر الحواريون هم تلامذة المسيح وأنصاره ، الذين بعثهم في القرى ، ويدعون إلى الله كما علمهم المسيح عيسى عليه السلام .

وعلى الرغم من أنهم تلامذة المسيح وأقرب الناس إليه ، إلا أنهم أرادوا أن يختبروه ، بل يختبرون ربه ، إذ قالوا له : هل يجيبك ربك إذا طلبت منه أن ينزل علينا طعاماً من السماء ؟

فقال لهم : إن كنتم مؤمنين بالله فخافوه ، وأطيعوا أوامره ونواهيه ، ولا تطلبوا حججاً غير ما قدمت لكم ، قالوا : نريد أن نأكل من هذه المائدة ، لتطمئن قلوبنا ، ونعلم عن معاينة إنك صدقتنا فيما أخبرتنا به عن الله سبحانه ، ونشهد لك بالمعجزة عند من لم يشهدها .

فاستجاب لهم عيسى وطلب من الله أن ينزل عليهم مائدة من السماء ، يكون يوم نزولها عليهم عيداً للمؤمنين ، ومعجزة تؤيد الحق ، ورزقاً طيباً ، قال الله : سأنزل هذه المائدة من السماء فمن جحد بعد ذلك فإني أعاقبه عقاباً لا أعاقبه لأحد من العالمين ؟ لأنه كفر وجحد بعدما عاين وشاهد دليل الإيمان الحسي الذي اقترحه هو بنفسه .

وقد تحدث القرآن الكريم في وصف هذا المشهد فقال سبحانه فيه : ﴿ **إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء * قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين * قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين * قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا**

---

١) سورة آل عمران : آية (٥٢-٥٣)

٢) سورة الصف : آية (١٤)

وءاخرنا وأية منك * وارزقنا وأنت خير الرازقين * قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ﴾ [1] .

وخلاصة دعوة عيسى للحواريين من هذه الآيات تتمثل في الأبعاد الآتية [2] :

البعد الأول : تشكك أو تردد من حواريه وتلامذته ، يريدون أن يؤمنوا إيماناً محسوساً ، تراه أعينهم ، وتأكل من شواهده أفواههم ، مائدة تنزل من السماء .

البعد الثاني : تحذير من المسيح لتلاميده : اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ، ولا تطلبوا أكثر مما قدمت من آيات .

البعد الثالث : إصرار من الحواريين على إنزال المائدة ، حتى يأكلوا منها ، وتطمئن قلوبهم ، ويتأكدوا أن المسيح قد صدقهم فيما أخبرهم به عن ربهم ، وليكونوا شهداء على هذا الصدق عندما يرون المائدة ويأكلون منها .

البعد الرابع : أن استجاب لهم المسيح عليه السلام ، وطلب من الله أن ينزل عليهم مائدة تكون لهم عيداً ورزقاً .

البعد الخامس : أن الله أجاب طلب رسوله ، وأنزل المائدة ، ولكنه توعد من يكفر بعد أن شاهد بحواسه بأن الله سوف يعذبه العذاب الذي لا يعذبه لأحد من العالمين ، لأنه أهل لذلك العذاب ، بكفره بعد كل ذلك وفي هذه الآيات نرى أن عيسى عليه السلام استخدم المنهج الحسي في دعوة الحواريين وذلك بطلبه من الله تعالى أن ينزل.عليهم مائدة من السماء تكون لهم عيداً لأولهم وآخرهم : **﴿ قال عيسى ابن مريم : اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين ﴾**

وفي دعاء عيسى بن مريم يظهر بوضوح أدب العبد المجتبى مع إلهه ومعرفته بربه فهو يناديه : يا الله ، يا ربنا ، إنني أدعوك أن تنزل علينا مائدة من السماء ، تعمنا بالخير والفرحة كالعيد ، فتكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا ، وأن هذا من رزقك فارزقنا وأنت خير الرازقين .. فهو إذن يعرف أنه عبد ، وأن الله ربه ، وهذا الاعتراف يعرض على مشهد من العالمين ، في مواجهة قومه ، يوم المشهد العظيم.

---

١) سورة المائدة : آية (١١٢-١١٥)

٢) انظر فقه الدعوة إلى الله ج١ ص٤٩

واستجاب الله دعاء عبده الصالح عيسى بن مريم ، ولكن بالجد اللائق بجلاله سبحانه ، لقد طلبوا خارقة واستجاب الله ، على أن يعذب من يكفر منهم بعد هذه الخارقة عذاباً شديداً بالغاً في شدته لا يعذبه أحداً من العالمين .

﴿ **قال الله : إني منزلها عليكم ، فمن يكفر بعد منكم * فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين** ﴾ ، فهذا هو الجد اللائق بجلال الله ، حتى لا يصبح طلب الخوارق تسلية ولهواً ، وحتى لا يمضي الذي يكفرون بعد البرهان المفحم دون جزاء رادع !.

وقد مضت سنة الله من قبل بهلاك من يكذبون بالرسل بعد المعجزة ، فأما هنا فإن النص يحتمل أن يكون هذا العذاب في الدنيا ، أو أن يكون في الآخرة[1] .

---

١) أنظر في ظلال القرآن جـ ٢ ، ص٩٩٨، ١٠٠٠

٢- توحيد الله والتركيز على بشرية عيسى عليه السلام :

دعا عيسى عليه السلام إلى توحيد الله توحيدا مطلقا في الذات والصفات والأفعال وبين أن هذا التوحيد حقيقة توضحها خالقية الله لسائر الموجودات .

والله في دعوة المسيح ليس ذاتا مركبة وهو منزه عن مشابهة الحوادث والواجب على كل انسان دعاه المسيح أن يعتقد في كل كمال يليق بالله تعالى وينفي كل نقص .

والقرآن الكريم ينص على ذلك صراحة في قوله تعالى : ﴿ **وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم** ﴾ [١] ، فعيسى عليه السلام دعا قومه إلى توحيد الله تعالى كما يجب أن يكون التوحيد ونظرا لولادة عيسى عليه السلام غير العادية ، ونظرا لما نسبه النصارى إلى شخصه الكريم من زيادات فوق مقام النبوة .. فقد جاء القرآن الكريم يؤكد بشرية عيسى عليه السلام ويركز عليها ، ويذكرها في آيات حسية عدة ، ومن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿**يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق * إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله * وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه * فآمنوا بالله ورسله * ولا تقولوا ثلاثة * انتهوا خيرا لكم * إنما الله إله واحد * سبحانه أن يكون له ولد * له ما في السموات وما في الأرض * وكفى بالله وكيلا** ﴾ [٢] .

في هذه الآية ينادي الله تبارك وتعالى أهل الكتاب من النصارى ألا يتجاوزوا الحد في فهم الدين وعقائده وأن يلتزموا الفهم السليم والدين الصحيح ، فلا يخلطوا بين ما لله من تنزيه وألوهية ، وبين ما للمسيح من بشرية وعبودية ورسالة ، فالله إله واحد أحد ، والمسيح رسول بشر عبد ، هذا هو القول الحق في الله وفي المسيح .

وفي هذه الآية ينهي تعالى أهل الكتاب ومن شابههم عن الغلو والإطراء في الدين وهو مجاوزة الحد ، فالنصارى لعنهم الله غلوا وأطروا المسيح حتى جاوزوا الحد ...

---

١) سورة المائدة، الآية: (١١٦، ١١٧).

٢) سورة النساء : آية (١٧١) .

فكان الواجب عليهم أن يعتقدوا أنه عبد الله ورسوله ابن أمته العذراء البتول التي احصنت فرجها فكان خلق الله عيسى عليه السلام . والذي اتصل بها من الملك هي الروح المضافة إلى الله إضافة تشريف وتكريم ، وهي مخلوقة من مخلوقات الله تعالى كما يقال : بيت الله وناقة الله وعبد الله ، وكذا روح الله أضيف إليه تشريفا لها وتكريما . وسمي عيسى بها لأنه كان بها من غير أب وهي الكلمة أيضا التي عنها خلق وبسببها وجد كما قال تعالى : ﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ **وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون * بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون** ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ **وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون** ﴾ [3] .

فأخبر تعالى أن اليهود والنصارى عليهم لعائن الله ، كل من الفريقين ادعوا على الله شططا وزعموا أن له ولدا ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، وأخبر أنهم ليس لهم مستند فيما زعموه ولا فيما ائتفكوه ، إلا مجرد القول ومشابهة من سبقهم إلى هذه المقالة الضالة تشابهت قلوبهم [4] .

فيا أهل الكتاب لا تقولوا على الله إلا الحق : فلا تنسبوا إليه الصاحبة والولد : ﴿ **بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة** ﴾ [5] .

ولا تقولوا : الإله ثلاثة أقانيم [*] ، فالله واحد أحد : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة * وما من إله إلا إله واحد** ﴾ [6] قال تعالى : ﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم ، وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم** ﴾ [7] .

---

١) سورة آل عمران الآية : (٥٩) .

٢) سورة البقرة الآيتان : (١١٦-١١٧) .

٣) سورة التوبة الآية : (٣٠) .

٤) أنظر قصص الأنبياء - ابن كثير ص ٧٠٩ وتفسير ابن كثير ج٢ ص ٤٥٨ .

٥) سورة الأنعام الآية : (١٠١).

*) أقانيم : أصول واحدها أقنوم لسان العرب لابن منظور جـ ٤٩٦/١٢

٦) سورة المائدة : الآية (٧٣) .

٧) سورة المائدة : الآية (٧٢) .

وعيسى عليه السلام عبد فكيف يكون لعبد إلهاً ، بل شرفه في هذه العبودية لله : ﴿ **إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل** ﴾ [1] .

وعيسى عليه السلام رسول كسائر رسله ، وقد أعلن ذلك عيسى منذ ولادته : ﴿ **قال إني عبدا لله آتاني الكتاب وجعلني نبياً** ﴾ [2] .

فلا تفتروا على ا لله الكذب فتزعموا أن ا لله ثالث ثلاثة (الأب - الابن - الروح القدس) ثم تجدون الأدلة واضحة في إثبات التوحيد ، فتحارون في التوفيق ، وتدخلون في الغموض والمعميات ، عندما تقولون الثلاثة واحد والواحد ثلاثة ، فكيف يكون الأب ابناً ، وكيف يكون الابن أبا ، وكيف يكون الأب والابن والروح القدس ؟ تعالى ا لله عن ذلك علواً كبيراً [3] .

﴿ انتهوا خيراً لكم ﴾،وقولوا مع جماعة المؤمنين ؛ ﴿ **إنما ا لله إله واحد** ﴾ .. واحد أحد ، فرد صمد ، لم يلد ، و لم يولد ، و لم يكن له كفواً أحد .

وليس القرآن وحده هو الذي يشير إلى هذه الحقيقة ، بل إننا نجد بعض فقرات الإنجيل تؤكد دعوة عيسى عليه السلام إلى توحيد ا لله جاء في انجيل متى قول المسيح لتلاميذه (فصلوا أنتم هكذا أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك ليأت ملكوت لتكن مشيتك كما في السماء كذلك على الأرض لله الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين) [4] .

وجاء في انجيل يوحنا (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) [5] .

هذه هي الحقيقة الكبرى في التوحيد ، وليس هناك حقيقة أكبر منها . ﴿ **ذلك بأن ا لله هو الحق ، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل** ﴾ [6] ، وا لله منزه عن الوالد والولد : (سبحانه أن يكون له ولد ، له ما في السموات وما في الأرض : وكفى با لله وكيلا) : أي هو يملك كل المخلوقات فكيف يكون له منها شريك ، وكل الكائنات مخلوقة . فكيف يصبح المخلوق إلهاً خالقاً ؟

---

١) سورة الزخرف : الآية (٥٩) .

٢) سورة مريم : الآية : (٣٠) .

٣) أنظر تاريخ الدعوة ج ١ ص٣٥٣ .

٤) انجيل متى ٦-٩

٥) انجيل يوحنا ٣/٧

٦) سورة الحج : آية (٦٢) .

وكل المخلوقات يصير أمرها إليه ، فهو راعيها ، وهو ربها المنعم عليها ، وهو سيدها والآخذ بناصيتها " وكفى بالله وكيلا " . فكيف يتخذ منها الولد والصاحبة ، وهو غني عنها ، وهي المحتاجة إليه : ﴿ **لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ، ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا ، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ، ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا** ﴾ [1] .

٣- المجادلة بالمنهج الحسي للوصول إلى كلمة سواء :

قال الله تعالى في سورة المائدة : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شئ قدير** ﴾ [2] ، فأخبر تعالى عن كفرهم وجهلهم وبين أنه الخالق لكل شئ وأنه رب كل شئ ومليكه وإلهه .

وقال في أواخرها : ﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار * لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم * أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم * ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون** ﴾ [3] .

حكم تعالى بكفرهم شرعا وقدرا ، فأخبر أن هذا صدر منهم مع أن الرسول إليهم هو عيسى ابن مريم ، وقد بين لهم أنه عبد مربوب مخلوق مصور في الرحم داع إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وتوعدهم على خلاف ذلك بالنار وعدم الفوز بدار الآخرة والهوان والعار ، ولهذا قال : ﴿ **إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد** ﴾ .

---

١) سورة النساء : (١٧٢ ، ١٧٣) .

٢) سورة المائدة الآية : (١٧)

٣) سورة المائدة الآيات : (٧٢ - ٧٥)

وقال السدي وغيره : نزلت في جعلهم المسيح وأمه إلهين مع الله ؛ فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار . قال السدي : وهي كقوله تعالى في آخر السورة ﴿ **وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك** ﴾ الآية ؛ وهذا القول هو الأظهر - والله أعلم - قال الله تعالى ﴿ **وما من إله إلا إله واحد** ﴾ أي : ليس متعددا بل هو وحده لا شريك له ، إله جميع الكائنات وسائر الموجودات ، ثم قال تعالى متوعدا لهم ومتهددا ﴿ **وإن لم ينتهوا عما يقولون** ﴾ أي : من هذا الافتراء والكذب ﴿ **ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم** ﴾ أي : في الآخرة من الأغلال والنكال ؛ ثم قال ﴿ **أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم** ﴾وهذا من كرمه تعالى وجوده ولطفه ورحمته بخلقه مع هذا الذنب العظيم ، وهذا الافتراء والكذب والإفك ، يدعوهم إلى التوبة والمغفرة ، فكل من تاب إليه تاب عليه [1] .

ثم بين حال المسيح عليه السلام وأمه وأنه عبد رسول وأمه صديقة ، أي ليست بفاجرة كما يقول اليهود لعنهم الله ، وفيه دليل على أنها ليست بنبية كما زعمه طائفة من علمائنا [2] . وقوله : ﴿**كانا يأكلان الطعام** ﴾ كناية عن خروجه منهما كما يخرج من غيرهما ، أي ومن كان بهذه المثابة كيف يكون إلها ، تعالى الله عن قولهم وجهلهم علوا كبيرا .

وقال السدي وغيره ، المراد بقوله : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة** ﴾ زعمهم في عيسى وأمه أنهما الإلهان مع الله ، يعني كما بين تعالى كفرهم في ذلك بقوله في آخر هذه السورة الكريمة : ﴿ **وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب * ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد * إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ [3] .

يخبر تعالى أنه يسأل عيسى ابن مريم عليه السلام يوم القيامة على سبيل الإكرام له والتقريع والتوبيخ لعابديه ممن كذب عليه وافترى وزعم أنه ابن الله ، أو أنه الله أو أنه شريكه ، تعالى الله عما يقولون ، فيسأله وهو يعلم أنه لم يقع منه ما يسأله عنه ولكن لتوبيخ من كذب عليه فيقول له :

---

١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦١٦ .

٢) مثل ابن حزم .

٣) سورة المائدة الآيات : (١١٦ - ١١٨)

﴿**أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك** ﴾ أي تعاليت أن يكون معك شريك ﴿ ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ﴾ أي ليس هذا يستحقه أحد سواك ﴿ **إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب** ﴾ وهذا تأدب عظيم في الخطاب والجواب ﴿ **ما قلت لهم إلا ما أمرتني به** ﴾ أي ما قلت غير ما أمرتني به حين أرسلتني إليهم وأنزلت علي الكتاب الذي كان يتلى عليهم . ثم فسر ما قاله لهم بقوله : ﴿ وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني ﴾ أي رفعتني إليك حين أرادوا قتلي وصلبي فرحمتني وخلصتني منهم وألقيت شبهي على أحدهم حتى انتقموا منه فلما كان ذلك ﴿ **كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد** ﴾

ثم قال على وجه التفويض إلى الرب عز وجل والتبري من أهل النصرانية : ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك** ﴾ أي وهم يستحقون ذلك ﴿ **وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ وهذا التفويض والإسناد إلى المشيئة بالشرط لا يقتضي وقوع ذلك ، ولهذا قال : ﴿ **فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ ولم يقل الغفور الرحيم [1] .

وقد ذكر ابن كثير في التفسير ما رواه الإمام الأحمد عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قام بهذه الآية الكريمة ليلة حتى أصبح : ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم**﴾ وقال :(إني سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فأعطانيها وهي نائلة إن شاء الله تعالى من لا يشرك بالله شيئا) [2] .

وقال تعالى : ﴿ **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين * لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين * بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون * وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفترون** ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ **لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار * خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار** ﴾ [4] .

---

١) انظر قصص الأنبياء ص٧١٣

٢) أخرجه أحمد في مسنده ٥ / ١٤٩ وأنظر ابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ٦٨٨ .

٣) سورة الأنبياء الآيات : (١٦ - ٢٠)

٤) سورة الزمر الآيتان : (٤ - ٥) .

وقال تعالى : ﴿ **لو أراد الله أن يتّخذ ولداً لاصطفى ممّا يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار * خلق السموات والأرض بالحقّ يكوّر اللّيل على النّهار ويكوّر النّهار على اللّيل وسخّر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار** ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ **قل إن كان للرّحمن ولدٌ فأنا أوّل العابدين * سبحان ربّ السموات والأرض ربّ العرش عما يصفون** ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ **وقل الحمد للّه الذّي لم يتّخذ ولداً ولم يكن لّه شريكٌ في الملك ولم يكن له وليٌّ من الذلّ وكبّره تكبيراً** ﴾ [3] . وقال تعالى : ﴿ **قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحدٌ** ﴾ [4] .

فالمجادلة بالآيات الحسية وسيلة من وسائل الدعوة التي استخدمها الرسل ولذلك أعطى الله رسله البينات ومنحهم القدرة على المخاصمة لكي يردوا جدل المعارض ويقنعوا السائل ويأخذوا بيد الجميع عن طريق المناقشة الحرية العاقلة فمنهج المجادلة يبصر بالدعوة ويبين أساسياتها ويثبت الرسالة .

يقول الدكتور أحمد علوش : والجدل أسلوب حكيم يناسب كافة الطوائف الإنسانية لأنه يسوق حجج اقناعية في بعض الأحيان لتكون موعظة حسنة تثير الإنفعال وتهيج النفس وتدفع إلى الإيمان بما تدعو إليه ، وفي هذه الحالة يتلاءم الجدل مع العامة والجمهور الغالب من الناس حيث يسلم بأفكارهم وينتقل من فكرة معارضة إلى سواها حتى يصل إلى التصديق وفي أحيان أخرى تكون حجة الجدل قطعية يقينية كقوله تعالى : ﴿ **لو كان فيهما ءالهة إلا الله لفسدتا** ﴾ [5] ، وهكذا فإن الجدل مع كونه جدلاً حسناً يتضمن الحكمة والموعظة الحسنة ويؤدي دوره بتأثير رائع معجز وفنية عجيبة في إبلاغ الدعوة [6] .

وفي نهاية هذه الآيات نقف معها أمام ثلاث حقائق كبيرة ، يحسن الإلمام بها في إجمال كما بينها سيد قطب فيقول :

---

١) سورة الزمر الآيتان : (٤ - ٥) .

٢) سورة الزخرف الآيتان : (٨١- ٨٢) .

٣) سورة الإسراء الآية : (١١١) .

٤) سورة الإخلاص الآيات : (١ - ٤) .

٥) سورة الأنبياء : آية (٢٢)

٦) انظر الدعوة الإسلامية ص٤٠٢

الحقيقة الأولى : هي حقيقة هذا الجهد الكبير ، الذي يبذله المنهج الإسلامي ، لتصحيح التصور الاعتقادي ، وإقامته على قاعدة التوحيد المطلقة ، وتنقيته من شوائب الوثنية والشرك التي أفسدت عقائد أهل الكتاب ، وتعريف الناس بحقيقة الألوهية ، وإفراد الله - سبحانه - بخصائصها ، وتجريد البشر وسائر الخلائق من هذه الخصائص .

وهذا الاهتمام البالغ بتصحيح التصور الاعتقادي ، وإقامته على قاعدة التوحيد الكامل الحاسم ، يدل على أهمية هذا التصحيح ، وأهمية التصور الاعتقادي في بناء الحياة الإنسانية وفي صلاحها ، كما يدل على إعتبار الإسلام للعقيدة بوصفها القاعدة والمحور لكل نشاط إنساني ، ولكل ارتباط إنساني كذلك .

والحقيقة الثانية : هي تصريح القرآن الكريم بكفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم ، أو قالوا : إن الله ثالث ثلاثة : فلم يعد لمسلم - بعد قول الله سبحانه - قول . ولم يعد يحق لمسلم أن يعتبر أن هؤلاء على دين الله والله سبحانه يقول : إنهم كفروا بسبب هذه المقولات .

وإذا كان الإسلام - كما قلنا - لا يكره أحداً على ترك ما هو عليه مما يعتقده لاعتناق الإسلام ، فهو في الوقت ذاته لا يسمي ما عليه غير المسلمين ديناً يرضاه الله بل يصرح هنا بأنه كفر ولن يكون الكفر ديناً يرضاه الله .

والحقيقة الثالثة : المترتبة على هاتين الحقيقتين ، أنه لا يمكن قيام ولاء وتناصر بين أحد من أهل الكتاب هؤلاء وبين المسلم الذي يدين بوحدانية الله كما جاء بها الإسلام ، ويعتقد بأن الإسلام في صورته التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم هو وحده " الدين " عند الله .

ومن ثم يصبح الكلام عن التناصر بين أهل " الأديان " أمام الإلحاد كلاماً لا مفهوم له في اعتبار الإسلام ! فمتى اختلفت المعتقدات على هذا النحو الفاصل ، لم يعد هناك مجال للالتقاء على ما سواها فكل شئ في الحياة يقوم أولاً على أساس العقيدة .. في اعتبار الإسلام[1] ، وهكذا فإن عيسى عليه السلام قد استخدم المنهج الحسي في دعوته لقومه لعلهم أن يثوبوا لرشدهم ويعتنقوا ما جاء به عليه السلام من عند ربه إلا أنهم رغم ذلك لم يستفيدوا من هذا المنهج ولم يدخلوا في دين الله عز وجل بل عاندوا واستمروا على كفرهم .

---

١) في ظلال القرآن ج٢ ص ٩٤٦ ، ٩٤٧ .

المبحث الخامس: استخدام محمد ﷺ للمنهج الحسي في الدعوة إلى الله.

ويشتمل على:

أولاً: التمهيد

ثانياً: استخدام محمد ﷺ للمنهج الحسي في الدعوة إلى الله.

المبحث الخامس : استخدام محمد صلى الله عليه وسلم للمنهج الحسي في الدعوة إلى الله .

أولاً : التمهيد :

أراني وأنا قادم على هذا المبحث مقبلاً على عمل من أشق الأعمال ، إذ أن غايتي من هذا المبحث أن أصور للقارئ كيف كانت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى ، وقد كان لهذه الدعوة عدوّان لدودان : عدوّ بمكة ، وهم مشركو العرب وصناديد قريش ، وعدوّ بالمدينة ، وهم اليهود ، وكيف انتصر محمد ﷺ عليهما جميعاً ، ومكن الله لدينه في الأرض بفضل اعتصامه بالحق ، وصبره على الأذى ، وتأديب الله تعالى له .

نعم هي مهمة شاقة أن يتناول مثلي الدعوة الإسلامية فيحيط بأطرافها ، ويجليها للناس نقية خالصه ، ولكن الذي هوّن عليّ المهمة أنني لم أرد أن أعرض للدعوة من الناحية التي عرض لها علماء السير ، وإنما أريد أن أعرض لها من طريق القرآن نفسه ، وأكتفي في بيان منهجه في الدعوة إلى الله كما عرضت لدعوة من سبقه من منهج أولى العزم من الرسل من هذا الطريق .

محمد رسول الله ﷺ هو خاتم رسل الله جميعاً ، ختم الله به النبوة والرسالة كما ختم بالقرآن العظيم الكتب السماوية ، فكان ختام مسك ، إذ هو آخر المرسلين وجوداً ، وأولهم رتبة ومنزلة ، فهو سيّد ولد آدم وفخرهم في الدنيا والآخرة ، ﴿ **ما كان محمدٌ أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيءٍ عليماً** ﴾ [1] .

وقال رسول الله ﷺ : (إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه ، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة ، وجعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً ، فأنا خيركم بيتاً ، وخيركم نفساً) [2] .

وقال ﷺ : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وما من نبيٍّ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي) [3] .

نسبه الشريف :

هو محمد بن (عبد الله) بن (عبد المطّلب) بن (هاشم) بن (عبد مناف) ابن (قصيّ) بن (كلاب) بن (مرّة) بن (كعب) بن (لؤيّ) بن (غالب) بن (فهر) بن

---

١) سورة الأحزاب آية (٤٠)

٢) رواه الترمذي كتاب المناقب باب فضل النبي ﷺ جـ٥ ص٥٨٤ رقم (٣٦٠٧) وقال الترمذي حديث حسن - الطبعة دار الحديث بالقاهرة .

٣) رواه مسلم - كتاب الفضائل باب فضل نسب النبي ﷺ جـ ٤ ص١٧٨٢ رقم (٢٢٧٨) دار إحياء التراث العربي .

(مالك) بن (النضر) بن (كنانة) بن (خزيمة) بن (مدركة) بن (إلياس) بن (مضر) بن (نزار) بن (معدّ) بن (عدنان) إلى أن ينتهي إلى (إسماعيل) بن إبراهيم عليهم السلام [1] .

وكل أجداده ﷺ هم من السادة الأشراف ، ونسبه ﷺ من أشرف الأنساب ، فما بعث الله نبياً إلا في أشرف نسب ، وفي صحيح البخاري [2] لمّا سأل (هرقل) ملك الروم أبا سفيان عن رسول الله ﷺ قال : كيف نسبه فيكم ؟ قال هو فينا ذو نسب فأجابه هرقل بقوله : " كذلك الرسل تبعث في أنساب قومها " يعني في أكرم قومها حسباً ، وأشرفها قبيلة . وقد كانت ولادته ﷺ ولادة الطهر والشرف ، لم يصبه شئ من عهر الجاهلية ، وكان بنكاح صحيح يشبه نكاح الإسلام ، يشهد لذلك قول النبي ﷺ : (إني خرجت من نكاح ، ولم أخرج من سفاح) [3] .

ورسول الله ﷺ هو من أولاد (إسماعيل) عليه السلام وليس من أولاد (اسحق) وأنبياء بني إسرائيل كلهم من نسل يعقوب بن اسحق بن إبراهيم ، وأمّا رسول الله ﷺ فقد كان من ذرية إسماعيل ففي حديث مسلم (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم)[4] . وفي بعض الروايات ، فأنا خيار من خيار من خيار .

ولادته ﷺ :

ولد صلوات الله و سلامه عليه يوم الاثنين ، الثاني عشر ١٢ من ربيع الأول عام الفيل ، وذلك حوالي سنة (٥٧٠) ميلادية أعني من ميلاد السيد المسيح عليه لسلام ، قال (ابن كثير) : وهذا ما لا خلاف فيه أنه ولد يوم الاثنين [5] وقد روى ابن عباس قال : (ولد رسول الله

---

١) أنظر النبوة والأنبياء – الصابوني ص ٢١٢ . وسيرة ابن هشام ج١ ص ٢٣ . والسيرة النبوية لابن كثير ج١ ص ٧٣ .

٢) صحيح البخاري كتاب بدء الوحي رقم ٦ حـ ١ ص٦ رقم (٧) – الكتب العلمية سنة ١٤١٢ هـ .

٣) الحديث رواه الطبراني في الأوسط عن علي ﷺ وهو حديث حسن ، أنظر : كشف الخفاء ومزيل الإلباس كما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للشيخ اسماعيل بن محمد للعجلوني ٣٧٦/١ رقم (١٢٠٦) دار الكتب العلمية بيروت ط ٣ سنة ١٩٨٨م .

٤) أخرجه مسلم كتاب الفضائل – باب فضل نسب النبي ﷺ حـ٤ ص١٧٨٢ رقم (٢٢٧٦) .

٥) البداية والنهاية ج٢ ص ٢٦٠ .

ﷺ يوم الاثنين ، واستنبئ يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وتوفي الاثنين) [1] .

وأمّا كونه ولد عام الفيل فذلك مقطوع فيه ، ولكن اختلفوا في اليوم والشهر ، والجمهور على أنه في الثاني عشر من ربيع الأول كما نصّ عليه ابن إسحاق في السيرة ، وروي عن ابن عباس أنه قال : " ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين ، الثاني عشر من شهر ربيع الأول ،وفيه بعث ، وفيه عرج به إلى السماء ، وفيه هاجر ، وفيه مات " قال في البداية والنهاية : وهذا هو المشهور عند الجمهور [2] .

وأبوه هو (عبد الله بن عبدالمطلب ....) إلى آخر النسب الشريف كما مرّ سابقاً . واسم أمه (آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة ...) وهكذا حتى آخر سلسلة نسب الرسول صلوات الله عليه فتجتمع هي وزوجها في الجد السادس (كلاب) .

وهو ابن الذبيحين : يذكر المؤرخون وأهل السيرة أن رسول الله هو المسّمى (ابن الذبيحين) وقد ذكرنا أنه ﷺ من ولد إسماعيل بن إبراهيم ، وإسماعيل هو الذي أُمر إبراهيم عليه السلام بذبحه في المنام فإسماعيل هو (الذبيح الأول) وأما (الذبيح الثاني) فهو والد الرسول (عبد الله) الذي أراد عبد المطلب ذبحه نظير النذر الذي نذره حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه ليذبحنَّ أحدهم لله عند الكعبة .

حياة الرسول ﷺ في كلمات [3] :

حياة الرسول الأعظم ﷺ تحتاج إلى مجلدات ضخمة وإلى كتابة موسعة عن نشأته ودعوته ورسالته ، ولذلك فإننا سنذكر بعض النقاط وهي :

١- نشأ الرسول ﷺ على اليتم والاغتراب وخشونة العيش وآلام الحياة فقد توفي أبوه (عبد الله) قبل ولادته وهو جنين في بطن أمه فجاء يتيماً محروماً من عطف الأب وحنانه .

٢- ولما بلغ من العمر أربع سنوات رجعته (حليمة السعدية) مرضعته إلى أمه في مكة فبقي عندها مع جده (عبد المطلب) في كلاءة الله ورعايته وحفظه ، ينبته الله نباتاً حسناً ، لما يريد به من كرامته وتوفيقه .

---

١) وثبت في صحيح مسلم وغيره أنه عليه الصلاة والسلام سأل عن صوم يوم الأثنين والخميس فقال عن الأثنين ذاك يوم فيه ولدت وفيه أنزل عليّ حـ ١ ص٨١٩ كتاب الصيام - باب ٦٣ رقم (١١٦٢) .

٢) البداية والنهاية ص ٢٦٠ ج٢ .

٣) أنظر النبوة والأنبياء ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ومع الأنبياء في القرآن الكريم ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

٣- ولما بلغ من العمر ست سنين أخذته أمه (آمنة) إلى المدينة المنورة لزيارة بني النجار أخوال أبيه ، فماتت وهي راجعة إلى مكة في (الأبواء) بين مكة والمدينة فأصبح رسول الله ﷺ يتيم الأبوين .

٤- بقي رسول الله ﷺ في كفالة جدّه عبد المطلب بعد وفاة أمه ، وكان جدّه يحبّه ويكرمه ، ويجلسه على فراشه الذي يفرش له في ظلّ الكعبة ، وكان أولاده لا يجلسون على الفراش إجلالاً لأبيهم ، فإذا جاء رسول الله وهو غلام جفرٌ وأراد الجلوس منعه أعمامه فكان أبو طالب يقول لهم : دعوا ابني فوالله إنّ له لشأناً . ثمّ يجلسه معه على فراشه ، ويمسح ظهره بيده ويلاطفه ، وهذا من عناية الله تعالى به وجميل إحسانه إليه ﴿ **ألم يجدك يتيماً فآوى ؟** ﴾ [1] .

٥- بعد سنتين من كفالة جده عبد المطلب توفي جدّه فكفله عمّه (أبو طالب) وكان الرسول ﷺ ابن ثمان سنين ، وقد أوصى جده قبل وفاته به أبا طالب فكان أبو طالب يكرمه ويعطف عليه لأنه ابن أخيه (عبد الله) وتنفيذاً لوصية أبيه . وهكذا توالت النكبات على رسول الله ﷺ لكن الله عز وجل كان بجواره دائماً يحفظه ويرعاه ويؤدبه ويغرس فيه الخلق العظيم كما قال ﷺ : (أدبني ربي فأحسن تأديبي)[2].

٦- تزوج ﷺ بخديجة لما بلغ من العمر ٢٥ سنة ، وأوحى الله تعالى إليه لما بلغ ٤٠ أربعين سنة وذلك حوالي سنة ٦١٠ من ميلاد المسيح عليه السلام وأمره بتبليغ ما أنزل إليه بعد ٣ سنوات من نبوته ، فقام يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولبث يدعو إلى الله في مكة وما حولها مستخدماً اسلوب الدعوة السرية والعلنية .

٧- لما رأى رسول الله ﷺ تمادي قريش في غيها وتكبرها وإصرارها على تعذيب من آمن برسول الله ﷺ من الفقراء والضعفاء ، وإهانتهم وما هو فيه من العافية بمكانة من الله عز وجل ، ثم من عمه أبي طالب ، وأنه غير قادر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه .

٨- هاجر الرسول إلى المدينة وجعلها مركز دعوته ، وعاصمة دولته الدينية - دولة الإسلام - وكان ذلك بأمرٍ من الله تعالى وتوجيه منه ، فهاجر ومعه (أبو بكر الصديق) لا فراراً من زحف ، ولاخوفاً من قتل ، وإنما بتخطيط وتدبير من العلي القدير ، وبذلك بدأت نواة (الدولة الإسلامية)

---

١) سورة الضحى : آية (٦)

٢) الحديث رواه العسكري عن علي ﷺ - وسنده ضعيف جداً وإن اقتصر ابن حجر على الحكم عليه بالغرابة في بعض فتاويه ولكن معناه صحيح ، انظر : كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس - للعجلوني ١/ ٧٠ رقم (١٦٤)

وقام بنيان الجماعة المحمدية التي فتحت – فيما بعد – مشارق الأرض ومغاربها ، ونشرت الإسلام في ربوع العالم ، وأصبحت كلمة الله هي العليا .

٩– ولما أكمل الله للناس دينهم ، وأتمّ عليهم نعمته ، وأدّى رسوله محمد ﷺ الأمانة ، وبلغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وفتح عليه بالنصر المبين ، اصطفاه الله تعالى إليه ، و اختاره لجواره ، فقبض روحه ، وكان ذلك في يوم الاثنين من ربيع الأول لسنة ١١ من الهجرة النبوية .

وبعد هذا التمهيد الموجز عن حياته صلى الله عليه وسلم لا بد لنا أن نبين أن الرسول الكريم ﷺ دعا قومه إلى دين الله عز وجل بوسائل عدة كان من أهمها المنهج الحسي :

ثانيا : استخدام محمد ﷺ للمنهج الحسي في الدعوة إلى الله :

وهي دعوة رسول الله، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وخامس أولى العزم من الرسل في الترتيب التاريخي، ولكنه أولهم وإمامهم في الدعوة إلى الله.

ولقد كان من فضل الله على البشرية، أن يحفظ لها سيرة محمد ﷺ مفصلة تفصيلا شديدا، دون سيرة أي رسول آخر من رسله في هذا التفصيل، لسابق علمه، بأنه الرسول الخاتم، وأن دينه الدين الكامل التام.

وإن دعوة محمد ﷺ رائد أولى العزم من الرسل فيما بذل في سبيل الله، لهي الدعوة التي تقدم للدعاة إلى الله في كل زمان ومكان، أبرز معالم الدعوة إلى الله، وأهم ما يجب أن يتخلق به الدعاه إلى الله، بل أولى ما ينبغي أن يتسلح به الدعاة إلى الله من خلق وعلم وعمل لتكون لديهم البصيرة وهم يدعون إلى الله.

إن دعوة محمد ﷺ - وقد صدق لما بين يديه من الكتب - لهي الدعوة الجامعة لأركان الدعوة إلى الله وشروطها وأهدافها ووسائلها وأسبابها ونتائجها، وهي الدعوة التي توجه الدعاة وتعلمهم كيف يستكملون أهلية الدعوة إلى الله، بل هي الدعوة التي ترسم صورة دقيقة الأبعاد لطبائع المدعوين، وتحدد ما يلائم هذه الطبائع من وسائل وأساليب ومناهج.وقد استخدم الرسول الكريم ﷺ المنهج الحسي في دعوته لقومه فذكر بعض آيات الله الكونية ودعاهم إلى النظر والتأمل فيها.

ومنهجه صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله تعالى يتضمن ما يلي:

أولا: طلب الماديات والخوارق:

قال تعالى : ﴿ **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا.أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا** ﴾[1].

بهذه المجموعة من الخوارق اشترط المشركون على رسول الله ﷺ أن يأتي بها حتى يؤمنوا، وكان الرد من رسول الله ﷺ تحديدا للطبيعة البشرية ووظيفة الرسول ﷺ وفي مغالاة المشركين في طلب الخوارق ما يدل على اهتزازهم من الداخل وخوفهم من ذلك الإنذار الشديد الذي وعدهم به القرآن في كثير من المواضع، وطلب الخوارق من الرسول ﷺ من سمات المعارضين للرسالات فقدموا

---

(١) سورة الإسراء آية : ٩٠-٩٣.

له مطالب لأجل أن يؤمنوا قالوا يا محمد إن كنت غير قابل منا شيئاً مما عرضناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلداً ولا أقل ماءاً ، ولا أشد عيشاً منا، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخ صدق ، فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل ؟ فإن صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله ، وأنه بعثك رسولاً كما تقول. فقال لهم ﷺ(ما بهذا بعثت إليكم). فقالوا :إذا لم تفعل هذا لنا فسل ربك أن يبعث معك ملكاً يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وسله فليجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة ، يغنيك بها عما نراك تبتغي ، فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم ، وتلتمس المعاش كما نلتمس ، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولاً. فقال لهم رسول الله ﷺ : ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذي يسأل ربه هذا . قالوا : فأسقط كسفاً كما زعمت إن ربك إن شاء فعل فإننا لا نؤمن لك إلا أن تفعل فقال رسول الله ﷺ : ذلك إلى أن شاء أن يفعله بكم فعل . قالوا : يا محمد أفما علم ربك أنا سنجلس معك ،ونسألك عما سألناك عنه، ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدم إليك فيعلمك ما تراجعنا به، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إن لم نقبل منك ما جئتنا به، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً ، فقد أعذرنا إليك يا محمد وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا. قال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله. وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً . وقال عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة : يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أموراً فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل لهم العذاب فلم تفعل ، فوالله لا أومن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً، ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها، ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك كما تقول، وأيم الله لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك. وهذا الذي يقول ما ظننت أني أصدقك ابن عمته عاتكة[1] .

منتهى العناد والإصرار على المعارضة حتى لو نفذ ما طلب، وصدق الله إذ يقول:﴿ **وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إن الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون** [2]﴾.

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٢٩٥/١ والبداية والنهاية ٦١/٣

(٢) سورة الأنعام آية: ١٠٩

وقال تعالى: ﴿**ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون. لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون** [1]﴾والقرآن الكريم حين يعرض مطالب المشركين على رسول الله ﷺ يعطي لنا منهجاً متكاملاً للمناظرة بطرفيها وطرق الإقناع المقامة على الدليل الواضح الملموس الذي لا يقول العقل السليم فيه إلا آمنت بالله ، ولا ينكره إلا معاند جاحد ، ومع آيات القرآن نشاهد هذا الحوار وبعض الأسئلة التي وجهت إلى رسول الله ﷺ ، وإذا كان المشركون طلبوا من رسول الله ﷺ هذه المطالب فقد حكى القرآن الكريم ما طلبه بنو إسرائيل من موسى طلبات كثيرة ، أعظمها كما حكى القرآن في قوله تعالى: ﴿**وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة**[2]﴾. وقال تعالى:﴿ **لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً. أو يلقي إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها** [3] ﴾. بهذا يطلب المشركون ويلحون في الطلب تعجيزاً في ظنهم لرسول الله ﷺ ، والدعوة الإسلامية تتعامل مع الواقع والداعية الأول لا يخضع لخيالات المشركين من أجل ذلك حددت الدعوة وظيفة الرسل ومنهم محمد ﷺ في قوله تعالى :

﴿ **وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين . فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون. قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحي إليّ قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون**[4]﴾ .

بيان واضح لا لبس فيه ولا غموض يعرضه الله على البشر ، ويعلمهم وظيفة الرسل وثمن الاستجابة وعدمها ، ورسول الله ﷺ منهم ولم يدعي لنفسه خوارق وإنما هو منفذ لأمر الله ، يقول الأستاذ/ سيد قطب في ظلال هذه الآيات: (هذه الموجة في مواجهة المشركين بحقيقة الرسالة ووظيفة الرسول بمناسبة طلبهم للخوارق وتصورات الجاهلية والبشرية بصفة عامة عن الرسالات والرسل بعدما عبثت بهذه التصورات جاهليات العرب وغيرهم من الأمم حولهم ، فابتعدت بها حقيقة الرسالة وحقيقة النبوة وحقيقة الرسول ودخلت بها في خرافات وأساطير وأوهام وأضاليل ، حتى اختلطت النبوة بالسحر والكهانة واختلط الوحي بالجن والجنون ، وأصبح يطلب من النبي أن يتنبأ بالغيب ، وأن يأتي بالخوارق ، وأن يصنع ما عهد الناس أن يصنعه صاحب الجن والسحر ، ثم جاءت العقيدة الإسلامية لتقذف بالحق على الباطل فتدمغه فإذا هو زاهق، ولترد إلى التصور الإيماني وضوحه

---

(١) سورة الحجر ، آية : ١٥.

(٢) البقرة آية: ٥٥

(٣) الفرقان، آية: ٧-٨

(٤) سورة الأنعام: ٤٨-٥٠

وبساطته وصدقه وواقعيته، ولتخلص صورة النبوة وصورة النبي من تلك الخرافات والأساطير والأوهام والأضاليل التي شاعت في الجاهليات كلها ، وكان أقربها إلى مشركي العرب جاهليات أهل الكتاب من اليهود والنصارى على اختلاف الملل والنحل منهم ، وكلها تشترك في تشويه صورة النبي والنبوة أقبح تشويه ، وبعد بيان حقيقة الرسالة وحقيقة الرسول وتقديمها للناس مبرأة من كل ما علق بصورة النبوة وصورة النبي من أوهام وأضاليل ، يقدم القرآن عقيدته مجردة من كل إغراء خارجي عن طبيعتها ، ومن كل زينة زائدة عن حقيقتها ، فالرسول الذي يقدمها للناس بشر لا يملك خزائن الله ، ولا يعلم الغيب ولا يقول لهم أني ملك ،وهو لا يتلقى إلا من ربه ، ولا يتبع إلا ما يوحي إليه منه)[1].

كان رسول الله ﷺ يتعجب من كفر قومه به وبما أنزل عليه من القرآن الكريم مع وضوح برهانه وظهور إعجازه ويحزن لذلك ويضيق صدره من هؤلاء المشركين ما يعانيه الرسول ﷺ بقوله ﴿ **فلعلك تارك بعض ما يوحي إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل** ﴾[2] .

والله سبحانه بين لرسوله أسباب الكفر وهو من طباع البشر وأخلاقهم ، واختلاف استعدادهم ليعلم أن الحجة مهما كانت ناهضة ، والشبهة مهما تكن داحضة فإن ذلك لا يستلزم الإيمان بما قامت عليه الحجة إلا في حق من كان مستعدا لها ، وزالت موانع الكبر والعناد أو التقليد . إن الله خلقهم ويعلم طبائعهم ، وأن الجحود تأصل فيهم فأصبح هو الذي يحركهم ، ويعبث بنفوسهم المريضة الحاقدة من خلال العناد وطلب المعجزات المادية والخوارق لتعجيز الرسول ﷺ. روي ابن جرير الطبري عن محمد بن كعب القرظي قال : (كلم رسول الله ﷺ قريش فقالوا : يا محمد تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى ، وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة، فأتنا بشيء من الآيات حتى نصدقك . فقال النبي ﷺ : أي شيء تحسبون أن آتيكم به ؟ قالوا : تجعل لنا الصفا ذهبا . فقال لهم : فإن فعلت تصدقوني؟ قالوا : نعم والله ، لئن فعلت لنتبعك أجمعون . فقام رسول الله يدعو ، فجاءه جبريل فقال : لك ما شئت ، إن شئت أصبح ذهبا ، ولئن أرسل آية فلم يصدقوا عند ذلك لنعذبنهم ، وإن شئت لأتركهم

---

(١) الظلال ٢/١٠٩٤

(٢) سورة هود الآية : ١٢

جاءهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾ [1] [2] .

ولو كانت الآية هي المدخل إلى إيمانهم فبين أيديهم الآية يسمعونها صباحا ومساءا ، ولكن لم يؤمنوا لأنهم مكذبون معاندون ، والآيات تخاطب داخلهم وأعماقهم وتفضح المستتر في هذه الأعماق ، ومع هذا يتمادون في العناد ، وشاءت إرادة الله أن يكون القرآن معجزة الإسلام الخالدة أمام الأجيال المتعاقبة ، فإذا أنكر أهل الأديان معجزات أنبيائهم والمعجزات عامة ، كان القرآن معجزة ماثلة أمام الجميع تتحداهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لقد سمع المشركون القرآن ولكنهم لم يؤمنوا وهذا تحقيق لصدق القرآن الكريم، يقول الحق: **﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات ألا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا ﴾** [3] .

ثانيا: سؤالهم عن الساعة:

قال تعالى : **﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾** [4] .

وقال تعالى:**﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها. فيم أنت من ذكراها. إلى ربك منتهاها﴾**[5].

وهم حين يسألون عن الساعة يشككون في وقوعها ويستبعدون حدوثها ويكذبون بوجودها، وذلك لفرط إنكارهم، فرد عليهم الله سبحانه :**﴿ قل إنما علمها عند ربي ﴾** والحصر هنا يفيد أنه لا يعلمها أحد من المخلوقين، وجعلها من الغيوب التي لا يعلمها إلا الله، وفي هذه دلالة على أن الرسالة هي من عند الله، والرسول الحق هو الذي يعرف حدوده، والرسول الصادق الذي يبلغ أمر ربه وفق ما يريد الله.

ورغم هذا الموقف الصادق من رسول الله ﷺ بإعلانه عدم معرفة الساعة، وعدم معرفة وقتها، ويبين لهم أن علمها عند الله، رغم هذا عاندوا وحكى القرآن عن طلبات لهم كثيرة ربطوا إيمانهم بتنفيذ هذه الطلبات.

---

(١) سورة الأنعام الآية : ١٠٩

(٢) جامع البيان ج٧ ص ٣١٢.

(٣) سورة الإسراء آية : ٥٩.

(٤) سورة الأعراف آية : ١٨٧

(٥) سورة النازعات الآيات : ٤٢-٤٤

ثالثا: انشقاق القمر:

قال تعالى: ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر. وإن يرو آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر** ﴾ [1]

.روى الإمام مسلم عن ابن مسعود قال : (بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذا انفلق القمر فلقتين فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه) [2].

والجبل هو حراء ، قيل كان نصفه يرى على قعيقعان ونصفه على أبي قبيس، فبعد انشقاق القمر وهي معجزة حسية رآها المكيون لكنهم لم يؤمنوا واستبدلوا الإيمان بالجحود ، فقالوا عن هذه المعجزة سحر مستمر. وأشرت سابقا إلى أن معجزة الإسلام هي القرآن الكريم ، ويوم أنكرت المعجزات وقالوا عنها أساطير الأولين يمليها بعض الناس ليعيشوا من ورائها على حساب الناس، بل أنكروا الديانات ومعجزاتها، وقد سبق أن حدد الله هوية المشركين ، وذكر أنهم لن يؤمنوا ولو جاءتهم الآيات، ورسول الله ﷺ يبلغ أمر ربه للمؤمنين ونذيرا لغيرهم ، فلما فشلوا في الآيات وعلموا أن الطريق مغلق ورسول الله ﷺ رد عليهم بالقول الفصل " ما أنا بفاعل" أعلن المشركون الحرب على رسول الله ﷺ والإسلام ، وتفننوا في هذه الحرب ، وحال المشركون بين كثير من الناس والإسلام ، وحاولوا إقناع الآخرين بعدم السماع لرسول الله ﷺ ، ولكن الله أبى إلا أن يظهر الحق ، قال ابن إسحاق : (وكان رسول الله ﷺ ، على ما يرى من قومه يبذل لهم النصيحة، ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه، وجعلت قريش، حين منعه الله منهم، يحذرونه الناس ومن قدم عليهم من العرب وكان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث: أنه قدم مكة ورسول الله بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا، فقالوا له: يا طفيل إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد حل بنا، فلا تكلمنه ولا تسمعن منه شيئا، قال : فو الله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئا ولا أكلمه ، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفا [3] خوفا من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن اسمعه، قال فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، قال فقمت منه قريبا ، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، قال فسمعت كلاما حسنا، قال فقلت في نفسي واثكل أمي، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح ، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؟ فإن

---

(١) سورة القمر الآيات: ١-٢

(٢) صحيح مسلم ج٢ ص ٥٢١.

(٣) كرسفا : أي قطنا .

كان الذي يأتي به حسنا قبلت ، وإن كان قبيحا تركته، قال : فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه ، فقلت : يا محمد إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا للذي قالوا، فو الله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك ، فسمعته قولا حسنا ، فأعرض على أمرك، قال : فعرض على رسول الله ﷺ الإسلام وتلا على القرآن، فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ولا أمرا أعدل منه، قال فأسلمت وشهدت شهادة الحق)[1] .

وهكذا فكلما أغلق المشركون بابا على الدعوة فتحه الله على المسلمين بابا آخر، فلقد أسلم الطفيل رضي الله عنه وحار المشركون في أمر رسول الله ﷺ ، وبذلوا في حرب الدعاية ضد الإسلام ورسوله كل جهد وكيد للتأثير على نفوس الناس عامة وعلى المسلمين خاصة ،حتى يشككوهم في دينهم فإذا ما تشككوا انصرفوا عن الإسلام وتركوا محمدا، والذين يفكرون في الإسلام يتوقف عن التفكير فيه، فنشروا الإشاعات للتشكيك في شخص الرسول والقرآن وفي كل ما دعا إليه الإسلام واتخذوا من أجل ذلك وسائل مختلفة.

(١) السيرة النبوية ١/٣٨٢

رابعا: قولهم عنه أنه شاعر:

قال تعالى : ﴿ **ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون** ﴾[1] . فرد عليهم بقوله: ﴿ **بل جاء بالحق وصدق المرسلين** ﴾[2] . وقال تعالى: ﴿ **بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون** ﴾[3].

كل هذه الأقوال المختلفة التي حكاها الله عنهم صدرت من طائفة لا يثبتون على قول ، فتارة يقولون ساحر ، وتارة يقولون مجنون ، وتارة يقولون شاعر ، وتارة يجمعون بين السحر والجنون ، أو الشعر والجنون، لأن الباطل لا يثبت على قول واحد ، وهذه دلالة الاضطراب والانهزام الداخلي عند المشركين أنهم جربوا كل شيء وتهاوت تجاربهم أمام الحق.

يقول الأستاذ/ سيد قطب -رحمه الله-: (لقد حاروا كيف يصفون هذا القرآن وكيف يتقونه فقالوا إنه سحر ، وقالوا إنه أحلام مختلطة يراها محمد ويرويها ، وقالوا إنه شعر ، وقالوا إنه افتراه وزعم أنه وحي من عند الله، و لم يثبتوا على صفة له ولا على رأي يرونه فيه ، لأنهم إنما يتحملون ويحاولون أن يعللوا أثره المزلزل في نفوسهم بشتى التعللات فلا يستطيعون ، فينتقلون من ادعاء إلى ادعاء ، ومن تعليل إلى تعليل حائرين غير مستقرين ، ثم يخلصون من الحرج بأن يطلبوا بدل القرآن خارقة من الخوارق التي جاء بها الأولون)[4] .

وهكذا لأن الباطل دائما يتمحل ليثبت أمام الحق وهو يعي أنه مهزوم ، وهذه الأقوال إما صدرت عن جماعة أو جماعات ، والله سبحانه وتعالى رد عليهم في مواضع كثيرة ليذكرهم بمكنون نفوسهم التي تؤمن داخليا أن محمد ﷺ غير ذلك ، ولكن العناد والحسد والحقد الذي أعمى بصائرهم ،وأغلق منافذ المعرفة التي أودعها الله تعالى عقولهم ، فعاشوا في ظلمات أنفسهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل قال تعالى : ﴿ **وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون، تنزيل من رب العالمين، ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين** ﴾[5] .

قال ابن إسحاق (ثم إن قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله ﷺ ومن أسلم معه منهم ، فأغروا برسول الله ﷺ سفهاءهم فكذبوه ، ورموه بالشعر والسحر والكهانة

---

(١) سورة الصافات الآية : ٣٦

(٢) سورة الصافات الآية : ٣٧

(٣) سورة الأنبياء الآية: ٥

(٤) في ظلال القرآن: ٢٣٨٦/٤

(٥) سورة الحاقة الآية: ٤١-٤٦

والجنون، ورسول الله ﷺ مظهر لأمر الله لا يستخفي به ، مبادلهم بما يكرهون من عيب دينهم ، واعتزال أوثانهم وفراقه إياهم على كفرهم) [1].

ويقول سيد قطب : (كذلك الأمر في الكهانة وما يصدر عنها، فلم يعرف التاريخ من قبل أو بعد كاهنا أنشأ منهجا متكاملا ثابتا كالمنهج الذي جاء به القرآن، وكل ما نقل عن الكهانة أسجاع لفظية أو حكمة مفردة، أو إشارة ملغزة .

وهناك لفتات ليس من طبيعة البشر أن يلتفتوها، فلم يسبق لبشر و لم يلحق كذلك أن أراد التعبير عن العلم الشامل الدقيق اللطيف، فاتجه إلى مثل هذه الصورة التي جاءت في القرآن مستخدما المنهج الحسي كما في قوله تعالى : ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين**﴾ [2] .

وفي قوله تعالى: ﴿ **يعلم مايلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وهو معكم أينما كنتم، والله بما تعلمون بصير** ﴾ [3] . وفي قوله تعالى : ﴿ **وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه. وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب. إن ذلك على الله يسير** ﴾[4].

لم يسبق لبشر و لم يلحق أن التفت مثل هذه اللفته إلى القدرة التي تمسك هذا الكون وتدبره: ﴿ **إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا. ولئن زالتا إن أمسكها من أحد من بعده....** ﴾ [5].

أو هذه اللفتة إلى انبثاقات الحياة في الكون من يد القدرة المبدعة وما يحيط بالحياة من موافقات كونية مدبرة مقدرة: ﴿ **إن الله فالق الحب والنوى، يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي. ذلكم الله فأنى تؤفكون. فالق الإصباح، وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا، ذلك تقدير العزيز العليم. وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون. وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع، قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون. وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيئ، فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا**

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٨٩/١

(٢) سورة الأنعام: آية ٥٩

(٣) سورة الحديد آية : ٤

(٤) سورة فاطر آية : ١١

(٥) سورة فاطر آية : ٤١

متراكبا، ومن النخل طلعها قنوان دانية، وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه. أنظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴾[1].

وهذه اللفتات الكونية كثيرة في القرآن كثرة ملحوظة، ولا نظير لها فيما تتجه إليه خواطر البشر للتعبير عن مثل المعاني التي يعبر عنها القرآن.. وهذه وحدها كافية لمعرفة مصدر هذه الكتاب بغض النظر عن كل دلالة أخرى من صلب الكتاب أو من الملابسات المصاحبة له على السواء [2] .

وفي نهاية هذه الآيات يجئ ذلك التهديد الرهيب على المشركين، لمن يفتري على الله في شأن العقيدة وهي الجد الذي لا هوادة فيه، يجيء لتقرير الاحتمال الواحد الذي لا احتمال غيره، وهو صدق الرسول ﷺ وأمانته فيما أبلغه إليهم أو يبلغه بشهادة أن الله يأخذه أخذا شديدا، كما هو الشأن لو انحرف أقل انحراف عن أمانة التبليغ: ﴿ **ولو تقول علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين. فما منكم من أحد عنه حاجزين** ﴾ .

ويقول الأستاذ سيد قطب -رحمه الله-: (ومفاد هذا القول من الناحية التقريرية أن محمد ﷺ صادق فيما أبلغهم، وأنه لو تقول بعض الأقاويل التي لم يوحي بها إليه، لأخذه الله فقتله على هذه النحو الذي وصفته الآيات، ولما لم يقع هذا فهو لا بد صادق.

هذه هي القضية من الناحية التقريرية... ولكن المشهد المتحرك الذي ورد فيه هذا التقرير شيء آخر ، يلقي ظلالا بعيدة وراء المعنى التقريري، ظلالا فيها رهبة وفيها هول، كما أن فيها حركة وفيها حياة. ووراءها إيحاءات وإيماءات وإيقاعات!

فيها حركة الأخذ باليمين وقطع الوتين، وهي حركة عنيفة هائلة مروعة حية في الوقت ذاته، ووراءها الإيحاء بقدرة الله العظيمة وعجز المخلوق البشري أمامها وضعفه، وضعف البشر أجمعين .. كما أن وراءها الإيماء إلى جدية هذا الأمر التي لا تحتمل تسامحا ولا مجاملة لأحد كائنا من كان ، ولو كان محمد الكريم عند الله الأثير الحبيب ، ووراءها بعد هذا كله إيقاع الرهبة والهول والخشوع![3].

---

(١) سورة الأنعام أية: ٩٥-٩٩

(٢) في ظلال القرآن ج٦ ص ٣٦٨٧، ٣٦٨٩

(٣) في ظلال القرآن ج٦ ص ٣٦٨٧، ٣٦٨٩ بتصرف .

خامسا: الآيات الحسية المبثوثة في الكون:

وقد ورد هذا النوع في كثير من الآيات القرآنية، التي ربط الله فيها بين الدعوة إلى وحدانيته، وبين الآيات المبثوثة في الكون، وجعلها دليلا كافيا على الصانع الحكيم المتفرد بالوحدانية، وعلى رحمته سبحانه بعباده، فمن رحمته أن أودع في هذا الكون كثيرا من المنافع العظيمة والمصالح التي تعود على الإنسان بالخير في هذه الحياة، وإن كانت هذه الآيات عامة لجميع الأمم والشعوب إلا أنها يدخل فيها أمة محمد ﷺ ولهذا كان الخطاب لهم في الآيات يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم* إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون*** ﴾ [1].

فالآية الأولى قررت الوحدانية ثم وصفت الله سبحانه بكونه الرحمن الرحيم ، أي أنه مولى جميع النعم التي هي رحمة منه أصولها وفروعها، ولا يتصف شئ بهذه الصفة سواه سبحانه، فإن كل ما سواه إما نعمة وإما منعم عليه، ثم أردفت برهان ذلك بذكر بعض آيات الله الكونية، مع الإشارة إلى أنها آيات لقوم يعقلون.

ويقول سبحانه: ﴿ **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب* الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** ﴾ [2].

ويقول عز وجل: ﴿ **وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون** ﴾ [3].

ويقول سبحانه: ﴿ **أو لم ينظروا في ملكوات السموات والأرض وما خلق الله من شيء وإن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون** ﴾.

---

(١) سورة البقرة : (١٦٣-١٩٤) ، وانظر النص الأول من المطلب الأول في البحث الأول من الفصل الأول من هذه الرسالة ص

(٢) سورة آل عمران : (١٩٠-١٩١)

(٣) سورة الأعراف : (١٨٥)

فالله سبحانه وتعالى ينكر في هذه الآية الكريمة على الذين يعيشون في حيرة، وغفلة عن الهدى، دون أن يعلموا عقولهم وحواسهم لتبين الهدى، والاستبصار، والوصول إلى معرفة البارئ المصور، حين يدركون عظمة ما خلق وصور، فتدلهم الصنعة على الصانع جل وعلا.

﴿ **الذي أحسن كل شيء خلقه** ﴾ [1] .

ويقول سبحانه: ﴿ **هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون* إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله السموات والأرض لآيات لقوم يتقون** ﴾ [2].

وقوله عز وجل: ﴿ **قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون* فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون* كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون* قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأن تؤفكون** ﴾ [3].

يأمر الله سبحانه نبيه ﷺ أن يتوجه إلى الذين أشركوا بالله سبحانه فيسألهم عن الذي يملك الأمور العظيمة ، من الرزق الذي يأتيهم من السماء والأرض ، من إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض بالنبات.

وهذا السمع والبصر وما فيهما من أعاجيب الخلق ودقة الصنع فمن يملكه؟ من الذي خلقه وأبدعه على النمط العجيب، والتركيب البديع؟ ومن الذي يحفظه من الآفات؟ من الذي يفعل ذلك دون مشارك؟ ومن الذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي؟ من الذي خلق الموت والحياة؟

ولا مفر لهم من الإجابة بأن الذي يملك ذلك كله هو الله سبحانه، وهذا غاية في الضلال أن يعرفوا ذلك ثم يشركوا مع الله غيره.، فقل لهم: أتعلمون ذلك لا تقون أنفسكم عذاب الله سبحانه بشرككم ما لا يضر ولا ينفع؟ [4].

وفي سورة القصص يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون* قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار**

---

(١) سورة الأعراف: ٥٧

(٢) سورة السجدة: آية (٧)

(٣) سورة يونس الآيتان: (٥، ٦)

(٤) أنظر معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم ج١ ص ٢٦٧

سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون* ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ [1] .

ففي هذه الآيات الكريمة يبين الله سبحانه وتعالى أنه جعل العقل مناط التكليف، ومنح الإنسان السمع والبصر ليتوصل بهما عن طريق النظر الصحيح إلى معرفة الأمور على حقائقها. وأجلها معرفة الله سبحانه عن طريق التأمل في آياته المسموعة منها والمنظورة، والتي أقامها دلائل على وحدانيته، ولهذا ختم الله سبحانه ها هنا الآيتين الأوليين من هذه الآيات الثلاث بقوله : ﴿ **أفلا تسمعون** ﴾ ، ﴿ **أفلا تبصرون** ﴾ .

وفوق كون هذه آيات دلائل على وحدانية الله سبحانه، هي كذلك نعم ورحمة من الله، ولذلك قال سبحانه ممتنا : ﴿ **ومن رحمته** ﴾ أي أن تقلب الليل والنهار وكون كل منهما يخلف الآخر على الدوام، نعمة من الله سبحانه وأن هذه النعم وغيرها من النعم الكثيرة تجعل الإنسان على حال يرجى منه الشكر، ولذلك قال: ﴿ **ولعلكم تشكرون** ﴾

وفي موضع آخر يلفت الأنظار إلى بعض نعمة التي بها قوام الإنسان واستمرارية حياته، وعليها يدور معاشه في هذه الحياة، وأن الإنسان عاجز غاية العجز عن جلب أدنى منفعة منها، وأنه لا يملك في شأنها من الأسباب وهي من أجل النعم التي تستوجب الشكر لله العلي القدير وذلك في مثل قول الله تعالى: ﴿ **أفرأيتم ما تحرثون . ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون . إنا لمغرمون . بل نحن محرومون . أفرءيتم الماء الذي تشربون . ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون . أفرأيتم النار التي تورون . ءأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون . نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين . فسبح باسم ربك العظيم** ﴾ [2].

ففي هذه الآيات البينات لا يخاطب القرآن عقل الإنسان فحسب بالدليل العقلي المجرد، لكنه يخاطب الكينونة الإنسانية كلها يخاطب كل القوى الواعية المدركة في الإنسان.. وهو لا يقنع العقل فحسب، لكنه يملأ الحس والشعور والضمير والوجدان والقلب.

يقدم الدليل تلو الدليل- للإنسان في أسلوب حي جذاب.. يستخدم الإثارة الوجدانية تارة، وتحريك العاطفة حينا آخر، وهز مشاعر الرجاء والخوف، ويوجه النظر، ويحث الفكر، ويستجيش الإنسان على التدبر والتعقل والتبصر في الحس والمشاهد من آيات الله الكونية.

---

(١) سورة القصص الآيات : (٧١-٧٣)

(٢) سورة الواقعة الآيات: (٦٣-٧٤)

هذا الأسلوب المنطقي يتصف بالحيوية، لما فيه من الأسئلة الموجهة إلى المخاطب، وإلإجابة عنها، إلى أن يصل إلى النتيجة المطلوبة التي بدأ بها لإيراد الدليل عليها، مع تعدد الأمثلة المأخوذة من حياة الإنسان وما يحيط به.

وهكذا فإن الأسلوب المنطقي الذي نراه جافا مجردا عند المتكلمين والفلاسفة لا نجده في القرآن الكريم، إذ يمتزج في القرآن الكريم الأسلوب المنطقي بالأسلوب العاطفي الحي، دون أن يدخل الضيم على قوة أدلته وصحة براهينه.

فالقرآن يخاطب الإنسان ويثيره عن طريق منافعه ومصالحه وحاجاته وملذاته، وعن طريق قضاياه ومشكلاته، ليحرك تطلعه وقلقة إلى معرفة الحقيقة ذات الصلة بحياته الحاضرة ومصيره البعيد، ويجعله بذلك متهيئا للتفكير في آيات الله ومستعدا لقبول نتائج المنطق المنسجم مع منفعته [1] .

(١) أنظر القرآن والكون ص ٣٧

سادسا: قضية البعث واستخدام الآيات الحسية في مواجهة المعاندين:

إذا كانت النبوة عارضها المشركون فإن قضية البعث من الموضوعات الهامة التي عارضها المشركون، وقد عرض الرسول ص قضية البعث في مواضع هامة مختلفة من الآيات الحسية في القرآن الكريم لمعارضات المشركين لهذا الموضوع وإبطال دعواهم وإثبات البعث، ويقول الحق جل شأنه، مخبرا عن ذلك الجحود العنيد والإنكار الشديد، ونسبتهم إلى قائله الجنون، أو الكذب والافتراء على الله: ﴿**وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد. أفترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد. أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب**﴾ (١).

فقد عجب كفار قريش من هذا الحديث الذي لم تستوعبه عقولهم، فظنوا أن هذا الإيجاد عبث لأن الحديث عن بعث هذه الأجسام لمجازاتها على أعمالها في حياتها الدنيا حديث خرافة، أو حديث كذب وافتراء على الله، أو مس من جنون أصاب قائله، فأجرى على لسانه هذا الحديث العجيب الغريب، ولذا فقد انطلقوا يخاطب بعضهم بعضا، بهذا القول الذي حكاه الله عنهم قائلين (هل ندلكم على رجل ينبئكم) أي يحدثكم أو يخبركم بما تتعجبون منه لغرابته، وهو إنكم إذا مزقتم كل ممزق، فتفرقت أجسامكم، اختلطت بأجزاء الأرض، فأصبحتم ترابا، إنكم بعد ذلك كله (**لفي خلق جديد**) أي ستخلقون خلقا جديدا فتعودون كما كنتم. ثم بعد ذلك التعجب والاستغراب إن هذا الحديث الصادر من هذا الرجل، ما هو إلا إفتراء على الله وكذب عليه، (**افترى على الله كذبا**) أو أن قائله مسلوب العقل فجنونه يوهمه ذلك الأمر ويلقيه على لسانه (**أم به جنة**) وقد بين الله سبحانه وتعالى، أن الأمر راجع إليهم هم، فعدم إيمانهم بالآخرة المترتب على عدم الإيمان بقدرة الله،هو اختلال في العقل، وغاية الضلال عن الفهم والإدراك، لقدرة الخالق وجلال حكمته.

لا سيما وأدلة القدرة على ذلك مشهودة ومعاينة، ثم ذكرهم بتلك الأدلة فقال: ﴿ **أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء إن في ذلك لآية** ﴾ الآية، أي دلالة واضحة على قدرة الله، فكيف يستبعد عليه إعادة تلك الأجسام الضعيفة بعد تفرقها، وهو القادر على خلق هذه الآيات العظيمة، من السماء والأرض، ذلك هو دليل البعث، لأنه يدل على كمال القدرة، ومن المقدور عليه إعادة خلق الإنسان وإيجاده مرة

---

(١) سورة سبأ آية : ٧-٩.

أخرى، وقد قرن هذا الدليل بالتهديد حيث قال : ﴿ **إن نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء** ﴾ ثم بين تعالى أن المنتفع بتلك الآيات كل من يرجع إلى ربه ويتوب عليه لا من يتمادى في عناده وتعصبه، فقال تعالى: ﴿ **إن في ذلك لآية لكل عبد منيب** ﴾ [1].

ويقول الله تعالى حاكيا عن المشركين استبعادهم وقوع البعث بعد الموت وعدم إمكانه وتعجبهم من شأن القائل به.

﴿ **ق . والقرءان المجيد** ﴾

﴿ **بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب** ﴾

﴿ **أءذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد** ﴾ [2].

يقسم تبارك وتعالى بالقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي هو تنزيل من حكيم حميد، وجواب القسم هو مضمون الكلام الآتي بعد القسم، وهو إثبات المعاد وتقريره [3] ، ثم يحكي تعجب المشركين من أن يأتيهم منذر منهم، أي بشر من جنسهم، و لم يكن من جنس آخر كالملائكة مثلا؟.

ثم يتبع بعد ذلك بما هو أعجب عندهم من دعوة النبوة، وهو إخبار الرسول لهم، بأن بعد هذه الحياة الدنيا، حياة أخرى، وهي بعثهم من قبورهم أحياء، مرة ثانية، للحساب والجزاء على الأعمال الكائنة منهم في تلك الحياة الماضية، إذ كيف يمكن وقوع ذلك الحساب بعد ما تمزقت الأجسام وتفرقت بحيث أصبحت ترابا، إن القول برجعة تلك الأجسام مرة أخرى مستبعد، ومستحيل في اعتقادهم، ﴿ **أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد** ﴾ . ولكن هذه الاستحالة وذلك الاستبعاد الذي يعبرون عنه بالنسبة لمن؟؟.

هل يكون بالنسبة للقدرة الإلهية التي إذ أرادت الشيء قالت له كن فيكون في نفس اللحظة من غير توقف على شئ آخر أصلا؟؟

أو يكون بالنسبة لقدرهم العاجزة؟؟

---

(١) انظر منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان- مرجع سابق ص ٢٩١-٢٩٢.

(٢) ق- : آية ١-٣

(٣) ابن كثير، التفسير ج٤ ص ٢٢١.

الواقع أنهم يعبرون بعد ذلك عن أنفسهم، ويستبعدون البعث ووقوعه ظنا منهم أن قدرة الله تشبه قدرتهم، فقاسوا قدرة الله على قدراتهم وقياس الغائب على الشاهد باطل في نظر العقلاء، ولذلك صور الله عز وجل هذا الظن الخاطئ في قوله تعالى:

﴿ **وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحي العظام وهي رميم** ﴾ [1].

ولذا فقد استعظمت عقولهم هذا الأمر وجعلته في حكم المستحيل، وإلا فلو نظروا بغير هذه النظرة القاصرة، وتأملوا في أنفسهم في مبدأ خلقهم، وفيما بين أيديهم من الآيات الدالة على القدرة الإلهية، التي لا يعجزها شيء متى ما أرادته لما صدر منهم هذا القول المنكر، وبعد ذكره تعالى للشبهة التي يتكئون عليها يبدأ في الرد عليهم فيقول:

﴿ **قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ** ﴾ .

﴿ **بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريح** ﴾

﴿ **أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج** ﴾ .

﴿ **والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج** ﴾

﴿ **تبصرة وذكرى لكل عبد منيب** ﴾ .

﴿ **ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد** ﴾

﴿ **والنخل باسقات لها طلع نضيد** ﴾

فنراه تبارك وتعالى يحشد في هذه الآيات عددا من الأدلة، المعنوية منها والحسية، التي تخاطب العقل وتستثير الوجدان والذي يعنينا منها هو الأدلة الحسية المشاهدة.

الأدلة الحسية:

وهي الأدلة الحسية المشاهدة، الدالة على كمال قدرته سبحانه وتعالى: فقال تعالى منكرا عليهم عدم اعتبارهم بهذه الأدلة المشهودة على القدرة الإلهية ﴿ **أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج** ﴾ فهذه السماء التي يدرجون تحتها أفلا ينظرون إلى إبداعها وحسنها، وإحكام بناءها ، وما زينت به من كواكب ثابتة وسيارة، ألم يأخذوا منها دليلا على القدرة المبدعة التي لا يعجزها شيء ، وهذه الأرض التي يسعون عليها، أفلا ينظرون إليها، كيف مدت لهم وأرسيت بالجبال لئلا تضطرب بهم، وما أنبتنا فيها من الأنواع المختلفة الطعوم والأشكال رزقا للعباد قال تعالى:﴿ **والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج**

---

(١) يس: آية ٧٨.

بهيج ﴾ ثم بين تعالى أن هذه الآيات الكونية جميعها أوجدها تبارك وتعالى ﴿ **تبصرة وذكـرى** ﴾ أي تبصيرا وتذكيرا(**لكل عبد منيب**) راجع إلى ربه متفكر في بدائع صنعه.

ثم تابع الأدلة الحسية على البعث ، وضرب لهم مثلا بإحياء الأرض بعد موتها فقال:﴿ **ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب حصيد. والنخل باسقات لها طلع نضيد. رزقا للعبـاد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج** ﴾ .

فهذا مثل ضربه الله لمنكري البعث بما يشاهدونه من حال الأرض قبل نزول المطر عليـها وهـي جدباء مقفرة، فحين ينـزل عليها الماء تهتز وتربوا فتنبت من كل زوج بهيج أي حسن المنظر، وذلـك بعد ما كانت يابسة لا نبات فيها فأصبحت تهتز خضراء [1].

فهذا مثال للبعث والإحياء بعد الموت والهلاك، ولذلك يقول جل شأنه (كذلك الخـروج) أي مثل ذلك الإخراج للنبات من الأرض، يحي الله الموتى ويخرجهم من قبورهم أحياء للحساب والثـواب والعقاب.

فهذا المشاهد بالإحساس من أثار قدرته أعظم مما أنكره الجاحدون للبعـث كخلـق السـماء والأرض قال تعالى: ﴿ **أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر علـى أن يحي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير** ﴾ [2].

وإحياء الأرض بعد موتها كما قال تعالى: ﴿ **ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فـإذا أنزلنـا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير** ﴾ [3].

وكما رأينا في هذا العرض لبراهين القرآن الكريم على إثبات البعث، تلك البراهين التي لا تـدع مجالا للشك عند العقل الفطري السليم في إمكان وقوعه وعدم استبعاده، ومـع هـذا فالمشـركون عارضوا قضية البعث وأنكروا وقوعه، وهذه المعارضة هروبا من الجزاء المحتوم الذي ينتظرهـم نظـير كفرهم وشركهم لأن الآيات القرآنية لا حقت المعارضين بالجزاء ووصفت بعض جوانـب العـذاب لهؤلاء المعارضين، وهم في قرارة أنفسهم يؤمنون بصدق محمد ﷺ وصدق ما يقول لكنهم يجحـدون وينكرون هذا الحق فأنكروا البعث ووقوعه هروبا من الجزاء وهذا وهم لا يقوم على حقيقة، وكذلـك

---

(١) ابن كثير ، التفسير ج ٤ ص ٢٢٢

(٢) سورة الأحقاف الآية : ٢-٣٣.

(٣) سورة فصلت الآية : ٣٩.

لا يقيمون على عدم صحة البعث دليلا ثابتا قال تعالى: ﴿ **ذلك ظن الذين كفروا** ﴾ [1]. وقال تعالى: ﴿ **وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا** ﴾ [2].

يقول الدكتور صلاح عبدالعليم :(عرض القرآن الشبه التي تشبث به منكر البعث والحياة الأخرى بما يستند إليه من شبه واهية إن هو إلا مجرد ظن لا يغني عن الحق شيئا، والشأن في العقائد أن تقوم على الحجة والبرهان الموصل إلى اليقين ولذلك وصف القرآن إنكارهم للبعث للظن والزعم والحسبان والتخلص (**ذلك ظن الذين كفروا**) وقال تعالى: ﴿ **زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا** ﴾ [3].

وقال تعالى: ﴿ **أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه** ﴾ [4].وقال تعالى: ﴿ **قتل الخراصون. الذين هم في غمرة ساهون. يسألون أيان يوم الدين** ﴾ [5].

وهذا الإطار الذي وضع فيه القرآن شبه منكري البعث وهو الظن الذي يحد كل الشبه التي أثيرت وتثار على لسان الماديين أو غيرهم في كل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة) [4] ويبدأ المعارضون بعرض الدعوى التي تقلق مضاجعهم كما ذكر القرآن في قوله : ﴿ **أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا** ﴾ [6]. وهذا لفت للأنظار لترى، والعقول لتتدبر في الكون كله والقدرة المكونة والنظام الدقيق الذي يسير عليه، وعرض القرآن لهذه الدعوى كما أشرت أن آيات القرآن المنذرة للمشركين والمحددة لمصيرهم بعد الموت دفعت بهؤلاء المعارضين إلى إنكار البعث.

إن إيجاد المعدوم أصعب بكثير من جمع الموجود والقادر على الخلق والإيجاد قادر على البعث والحساب، ذكر الإمام الألوسي (إن الآية السابقة نزلت في العاص بن وائل، وعن ابن عباس نزلت في الوليد بين المغيرة وقيل أن أبي بن خلف أخذ عظما باليا فجعل يفتته بيديه ويدريه في الريح ويقول زعم فلان أن نبعث بعد أن نموت ونكون مثل الشيء لا يكون أبدا فأل في " الإنسان" على ما قيل للعهد والمراد به أحد أشخاص وقيل المراد بالإنسان جماعة معنيون وهم الكفرة المنكرون للبعث) [7].
وقد أجاب القرآن على أبي بن خلف الذي قال : ﴿ **من يحي العظام وهي رميم** ﴾ [8]. في قوله :

---

(١) سورة ص الآية ٢٧.

(٢) سورة الجن الآية ٧

(٣) سورة التغابن آية : ٧.

(٤) القيامة ٣

(٥) الذاريات١٠.

[4] دراسات في الفكر العقدي ، ص (٢٠٨) – مطبعة الحضارة الغربية – الفجالة ، ١٩٧٥ م .

(٦) سورة مريم ، آية : ٦٧.

(٧) روح المعاني ج ١٦ ص ١١٧.

(٨) يس ٧٨-٧٩

﴿ **أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين، وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحي العظام وهي رميم . قل يحيها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم** ﴾ [1]. ويقول الحق تبارك وتعالى :﴿ **وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون. أو آباؤنا الأولين**﴾ [2]. زاد هنا ﴿ **آباؤنا الأولون**﴾ والمشركون يحاولون التشكيك في كل شيء أين الآباء وأين الأجداد هل يظن أنهم يرجعون، ولماذا يرجع أحد منهم ويسخرون من ذلك أمام الناس ويصف القرآن هذا المشهد في قوله: ﴿ **بل عجبت ويسخرون، وإذا ذكروا لا يذكرون، وإذا رأوا آية يستسخرون وقالوا إن هذا إلا سحر مبين، أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون، أو آباؤنا الأولون** ﴾ [3] ويجيب الله عز وجل بقوله مباشرة: ﴿ **قل نعم وأنتم داخرون** ﴾ [4] يقول الفخر الرازي: (إن السبب الذي يحملهم على الاستهزاء بالقول بالبعث وعلى عدم الالتفات إلى الدلائل الدالة على صحة القول وعلى الاستهزاء بالمعجزات، وهو قولهم إن الذي مات وتفرقت أجزاؤه في جملة العالم فما فيه من الأرضية أختلط بتراب الأرض ، وما فيه من المائية والهوائية اختلط ببخارات العالم فهذا الإنسان كيف يعقل عوده بعينه حيا فاهما وقد أجاب الحق بقوله ﴿ **قل نعم وأنتم داخرون** ﴾ جواب مختصر اعتماد على الآيات السابقة.

وذكر الآباء يعني من ما سبق من الآباء والأجداد وإشارة إلى أنهم أعظم لأنهم أسبق ورد عليهم الحق في سورة الواقعة ردا بليغا في قوله ﴿ **قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم**﴾ [5] وأشارت آية الإسراء إلى مزيد من التفصيل في دعوى عدم البعث التي عرضها المشركون كما ذكر الحق في قوله: ﴿ **وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا** ﴾ [6] بعد قوله ﴿ **إن تتبعون إلا رجلا مسحورا** ﴾ [7] ،فالمشركون وصفوا رسول الله ﷺ بكونه مسحورا فاسد العقل – وحاشاه ﷺ – ومن الأدلة على هذا الفساد قوله إن إنسان بعدما يتحول إلى عظام ورفات يعود حيا عاقلا .ويرد عليهم الحق بقوله: ﴿ **قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في**

---

(١) سورة يس، الآية: ٧٧-٧٩.

(٢) الواقعة ٤٨.

(٣) الصافات ١٢-١٧

(٤) الصافات ١٨

(٥) الواقع؟ ٤٩-٥٠

(٦) الإسراء ٤٩

(٧) الإسراء ٤٧.

صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا ﴾ [1].

فمهما تحول إنسان وحللت أجزاؤه واختلطت بغيرها فأصبحت حجارة أو حديدا أو غير ذلك فإن الذي فطر الإنسان وغيره أول مرة قادر على إعادته وأن الذي أخرجه من العدم لا يعجز عن إعادته مرة ثانية والبرهان واضح ولكن المكذبين بآيات الله يجحدون ﴿ **فسينغضون إليك رؤوسهم** ﴾ [2]، يهزون رؤوسهم تكذيبا واستبعادا لهذا بل وأقسموا على أن ذلك لا يحدث كما ذكر الحق عنه : ﴿ **وأقسموا بالله جهد إيمانهم لا يبعث الله من يموت** ﴾ [3]. وكما ذكرت هم يحاولون تكذيب الرسول ص وبطلان دعوته التي تلاحق المنكرين بالعذاب الأخروي، والهزيمة في الدنيا، وبعد مراحل خلق الإنسان طورا بعد طور وهذا من عظيم قدرة المولى عز وجل قال تعالى : ﴿ **ثم إنكم بعد ذلك لميتون. ثم إنكم يوم القيامة تبعثون** ﴾ [4]. فالقادر على توليد النطفة من الأطعمة التي يأكلها الإنسان وتحويلها إلى علقة ثم إلى مضغة ثم إلى عظام ويكسو العظام باللحم ثم التحويل إلى خلق آخر بمواصفات تختلف قادر على نزع الحياة التي أعطاها وقادر على إعادتها مرة أخرى متى شاء فهو أهون عليه، ومن العجيب أنهم ينشرون دعواهم على سبيل السخرية والاتهام والتندر لينالوا من الداعية ومن الدعوة، والله سبحانه وتعالى يقول لرسوله ﷺ ﴿ **وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد** ﴾[5].

إن قضية التحويل إلى تراب وعناصر مخالفة من خلق العناصر كلها ومن أول سورة الرعد إلى هذه الآية المشار إليها سابقا تبرز دلالة قدرة القادر وعظمة الخالق في خلق السموات والأرض وما فيهما من آيات واضحة وبراهين ساطعة يتحدث القرآن عن التعجب من المنكرين للبعث ولعل الدليل المتكامل للبعث المستشهد فيه بمملكة النبات وخلق الإنسان قوله تعالى ﴿ **يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإن خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا**

---

(١) الإسراء ٥١-٥٢

(٢) الإسراء ٥١

(٣) النحل آية ٣٨.

(٤) المؤمنون آية ١٦.

(٥) الرعد آية ٥.

أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج. ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير. وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ﴾ [1].

بهذا عرضت سورة الحج البعث بدليل حسي وبرهان عملي نظري.

وبعد رد القرآن على معارضة المشركين في البعث وإقامة الأدلة على ذلك ينبؤهم القرآن بمصيرهم وحسابهم في قوله تعالى: **﴿ يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد ﴾** [2].

ويؤكد الله عز وجل لهؤلاء المشركين أن البعث واقع، وأنهم يكذبون على أنفسهم، وقد عالج الرسولﷺ بالآيات الحسية من القرآن المكي هذه القضية من جميع جوانبها ليغلق الأبواب على هؤلاء المعارضين المنكرين الجاحدين.

---

(١) الحج آية ٥-٧.

(٢) المجادلة آية ٦.

سابعاً : الأيات الحسية في أسلوب الترغيب والترهيب (*) :

من الأساليب التي وردت في القرآن الكريم في مجال الدعوة إلى الله ، أسلوب (الترغيب والترهيب) ، وهو إسلوب له تأثيره ووقعه في نفوس كثير من البشر ، ولذلك استخدم الرسول ﷺ هذا الأسلوب في صور متعددة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

أولاً : في الترغيب : أ- الترغيب بالوعد بالاستخلاف في الأرض والتمكين :

جاء هذا في دعوة خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام ، قال الله تعالى : **﴿ وعد الله الّذين ءَامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ... ﴾** (١) .

ب – الترغيب بالوعد بالنصر ، والتأييد ، والعزة ، والعلو ، والكفاية والدفع .

جاء الوعد بكل هذا في القرآن الكريم ، قال تباركت أسماؤه - في الوعد بالنصر -: **﴿ وكان حقّاً علينا نصر المؤمنين ﴾** (٢) ، **﴿ إنّا لننصر رسلنا والّذين ءَامنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾** (٣) . قال تعالى : **﴿ ولينصرنّ اللّه من ينصره إنّ الله لقويٌّ عزيزٌ ﴾**(٤) ، وهذه الآيات ينطبق معناها على المؤمنين في كل عصر .

* وفي الوعد بالتأييد ، قال تعالى : **يأيها الذين ءَامنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فأمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفةٌ فأيدنا الذين ءَامنوا على عدّوهم فأصبحوا ظاهرين ﴾** (٥) .

فكون الآية جاء في مستهلها الأمر للمؤمنين بأن يكونوا أنصار الله ، كالحواريين الذين استجابوا لعيسى عليه السلام فجاءهم التأييد من الله تعالى ، كل هذا يعني الوعد الضمني من الله سبحانه للمؤمنين بالتأييد إذا ما كانوا أنصار الله ، كما أيد الحواريين .

---

*) انظر الفصل الثاني ، المبحث الثالث من هذه الرسالة ص ٣٤٨

١) سورة النور :آية (٥٥) .

٢) سورة الروم : آية (٤٧) .

٣) سورة غافر : آية (٥١)

٤) سورة الحج : آية (٤٠) .

٥) سورة الصف : آية (١٤) .

* وفي الوعد بالعزة ، قال تعالى : ﴿ **و لله العزة ولرسوله وللمؤمنين ...** ﴾ [1] . وقال عزوجل : ﴿ **من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً** ﴾ [2] .

* وفي الوعد بالعلو ، قال تعالى : ﴿ **وأنتم الأعلون إن كنتم مُّؤمنين** ﴾ [3] .

* وفي الوعد بالكفاية والحسب ، قال تعالى : ﴿**يأيها النبي حسبك ا لله ومن اتّبعك من المؤمنين** ﴾ [4] . أي كافيك وكافي من اتبعك من المؤمنين .

* وفي الوعد بالدفع ، قال تعالى : ﴿ **إنَّ ا لله يدافع عن الذين ءَامنوا ...** ﴾ [5].

جـ – الترغيب في التوبة : ومن أعظم ما جاء في هذا الباب – أعني باب الترغيب – ما جاء من فتح باب الرجاء أمام العبد ، وبيان أن ا لله سبحانه يقبل توبة العبد إذا أناب إلى ربه مهما عظمت ذنوبه ، وهذا من أجل ما يحمل العبد المسيء على الرجوع إلى ربه ، والإقلاع عما هو عليه من الكفران والجحود ، بحيث لا يدركه يأس ولا قنوط من رحمة ا لله سبحانه ، قال ا لله تعالى – مخاطباً عبده ورسوله محمداً صلى ا لله عليه وآله وسلم : ﴿ **قل يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة ا لله إنَّ ا لله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ [6] .

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية ما لفظه : (هذه الآية الكريمة دعوةٌ لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة ، وإخبارٌ بأن ا لله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها ، وإن كانت مهما كانت ، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر) . ثم ذكر ابن كثير : أنه لا يصح حمل هذه الآية على أن ا لله سبحانه يغفر الذنوب من غير توبة لسببين :

الأول : أن ا لله سبحانه لا يغفر الشرك لمن لم يتب منه .

الثاني : أن سبب النزول يبين أن المقصود هنا غفران الذنوب مع التوبة ، فقد جاء في الصحيح عن ابن عباس رضي ا لله عنهما : ((أن أناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا ، وزنوا وأكثروا ، فأتوا محمداً ﷺ ، فقالوا ، إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن ، لو تخبرنا أنَّ لما عملنا

---

١) سورة المنافقون :آية (٨) .

٢) سورة فاطر :آية (١٠) .

٣) سورة آل عمران :آية (١٣٩) .

٤) سورة الأنفال : آية (٦٤) .

٥) سورة الحج : آية (٣٨) .

٦) سورة الزمر الآية : آية (٥٣) .

كفارة ، فنزل : ﴿ والّذين لا يدعون مع الله إلهاً ءَاخَر ولا يقتلون النّفس الّتي حـرّم الله إلا بـالحقّ ولا يزنون ﴾ [1] .

ونـزل : ﴿ قـل يـا عبـاديَ الّذيـن أسـرفوا علـى أنفسـهم لا تقنطـوا مـن رّحمـةِ اللّه ﴾ [2] ، ومن الآيات الواردة في هذا المعنى - أعـني الدعـوة إلى الإنابـة ، إلى الله سبحانه وبيـان سعة رحمة الله وقبوله توبة عبده ، والنهي عن القنوط من رحمتـه ، قـول الله تعـالى : ﴿ ومـن يعمـل سوءاً أو يظلم نفسه ثمّ يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ﴾ [3] .

ثانياً في الترهيب .

أ) - الترهيب بتوجيه الوعيد إلى المعرضين عن دين الله تعالى بالعذاب العاجل في الدنيا إذ ظلوا على إصرارهم في الإعراض والتكذيب والاستكبار عن قبـول الحق بعـد وضوحـه ، ولـزوم الحجة.

ومما جاء في دعوة خاتم الرسل ﷺ قوله تعالى : ﴿ قل أرءَيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به أنظر كيف نصرف الآيـات ثـم هـم يصدفـون * قـل أرءيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتةً أو جهرةً هل يهلك إلا القوم الظّالمون* ﴾ [4] .

وقوله تعالى : ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أومن تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعضٍ أنظر كيف نصرّفُ الآيات لعلّهم يفقهون ﴾ [5] . قـال تعالى : ﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقةً مثل صاعقة عادٍ وثمود ﴾ [6] .

ب) : الترهيب بذكر مصير الأمم التي كذبت رسلها ووقفت في وجه الدعوة ، ومـا نالها من عذاب الاستئصال العاجل :

جاء في القصص القرآني ، من أساليب دعوة الرسل وغيرهم ، إنذار أقوامهم أن يصيبهم مثل ما أصاب من قبلهم ، من الأخذ ، وإنزال العذاب الـذي يستأصلهم بسبب إعراضهـم وتكذيبهـم ،

---

١) المراد بهذه الآية قوله تعالى : ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً ﴾ . والآيات من سورة الفرقان : ٦٨ - ٧٠ - كما جاء في رواية الطبراني أنظر المعجم الكبير للطبراني ١٩٧/١١ وراجع فتح الباري ٥٥٠/٨ وهو عند النسائي : كتاب تحريم الدم ٨٦/٧ .

٢) البخاري : كتاب التفسير ١٥٧/٦ ومسلم : كتاب الإيمان : ١١٣/١ والنسائي : كتاب تحريم الدم ٧ /٨٦ وأنظر تفسير ابن كثير : ٥٨/٤ .

٣) سورة النساء : آية (١١٠)

٤) سورة الأنعام الآيتان : (٤٦ - ٤٧) .

٥) سورة الأنعام : آية (٦٥)

٦) سورة فصلت : الآية (١٣) .

وهو نوع من الترهيب الذي له وقع في النفوس ، ذلك أن العبرة ما تزال قائمة عند كل أمة خلفت أمة هلكت بعذاب الله العاجل ، وفيه بيان لسنة الله سبحانه التي لا تختلف مع أمة وقفت من دعوات الرسل موقف الإعراض والاستكبار والجحود ، فهو وعيدٍ أيضاً بعذاب الله ، وإن لم يصرح به [1] .

وتأمل ما جاء في دعوة خاتم الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام في هذا الشأن فأكثر من أن يتسع له المقام ، غير أننا نكتفي بذكر ما نراه كافياً لأداء الغرض المقصود في هذا المقام ، فقد ذكر الله سبحانه المشركين في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما نال المكذبين للرسل من قبلهم ، فقال سبحانه – في شأن قوم نوح وما أصابهم من العذاب العاجل –: ﴿ **فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عمين** ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ **حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن ءَامن وما ءَامن معه إلا قليلٌ** ﴾ ، ﴿ **وقيل يا أرض ابلعي ماءكِ ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي ، وقيل بعداً للقوم الظّالمين*** ﴾ [3] .

ولّما كان هلاك قوم نوح آية بينة ، وحجة واضحة ، فقد جعلها الله سبحانه آية للناس لما فيها من العظة والعبرة ، لعظم شأنها وخطرها ، فقال سبحانه : ﴿ **وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس ءَايةً وأعتدنا للظالمين عذاباً أليماً** ﴾ [4] .

جـ) الترهيب بالوعيد بالعذاب الآجل في الآخرة .

وما جاء في دعوة خاتم الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وهو كثير الورود في القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى : ﴿ **واتقوا يوماً لا تجزي نفسٌ عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعةٌ ولا يؤخذ منها عدلٌ ولا هم ينصرون** ﴾ [5] .

---

١) أنظر معالم الدعوة في القصص القرآن الكريم ص ٥٢٤ .

٢) سورة الأعراف :آية (٦٤) .

٣) سورة هود :آية (٤٠ – ٤٤) .

٤) سورة الفرقان : آية (٣٧) .

٥) سورة البقرة : الآية (٤٨) .

وقوله تعالى : ﴿ **وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون** ﴾ [1] .
وقوله سبحانه : ﴿ **وأنذرهم يوم الأزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع** ﴾ [2] . وقوله سبحانه : ﴿ **استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله مالكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير** ﴾ [3] .

(د) :- الترهيب بوصف حال الكفار وما أعد الله لهم من عذاب في الآخرة : -

لا شك أن وصف حال الكفار ، وهم يتلقون أنواعا من العذاب الأليم ، الذي تعرضه الآيات القرآنية ، مما يثير الخوف والفزع في النفس ، ويحملها على أن تلوذ بربها فتخلص له العبودية لتنجو من أليم عذابه ما لم يكتب عليها الشقاء .

وقد جاء هذا النوع من الترهيب في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، في دعوة خاتم الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ **فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون * وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين * هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون * احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون * من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم * وقفوهم إنهم مسئولون * مالكم لا تناصرون * بل هم اليوم مستسلمون * وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون * قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين * قالوا بل لم تكونوا مؤمنين * وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين * فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون * فأغويناكم إنا كنا غاوين * فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون * إنا كذلك نفعل بالمجرمين * إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون** *﴾ [4] .

وقوله تعالى : ﴿ **ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون * حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون * وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون * وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعلمون * وذلكم**

---

١) سورة مريم : الآية (٣٩) .

٢) سورة غافر : الآية (١٨) .

٣) سورة الشورى : الآية (٤٧) .

٤) سورة الصافات : الآيات (١٩ - ٣٥) .

ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين * فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين * ﴾ [1] .

وقوله تعالى : **﴿ إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون * لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون * وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين * ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون*﴾**[2].

وقوله تعالى : **﴿ إن شجرت الزقزم * طعام الأثيم * كالمهل يغلي في البطون * كغلي الحميم * خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم * ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم * ذق إنك أنت العزيز الكريم * إن هذا ما كنتم به تمترون* ﴾** [3] .

رابعا : مجادلة الكفار للرسول ﷺ :

قال تعالى : **﴿ وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه ، قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾** [4] . لا يعلمون قدرة الله البالغة ولايعلمون ما يترتب على الاستجابة لمقترحهم ، ولا يعلمون سنة الله في أمثالهم [5] ، وهنا يأتي الأمر للرسول ﷺ بإعلامهم بأن الله سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء وذلك في نطاق الأسلوب التقريري : **﴿ قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾** " ففي هذه الطريقة من الجواب إثبات للرد بالدليل ، وبهذا يظهر موقع الاستدراك في قوله : **﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾** فإنه راجع إلى المدلول الالتزامي أي ولكن أكثر المعاندين لا يعلمون أن ذلك لو شاء الله لفعله ويحسبون أن عدم الإجابة إلى مقترحهم يدل على عدم صدق الرسول عليه الصلاة والسلام وذلك من ظلمة عقولهم فلقد جاءهم من الآيات ما فيه مزدجر " [6] .

فالقرآن هو المعجزة الخالدة تضمن من الآيات ما يحصل به المقصود من إقامة الحجة وهو أكثر دلالة على الرسالة وصدق الرسول ﷺ من أي آية مادية أخرى " فالقرآن في جملته آية علمية وفي تفصيله آيات كثيرة عقلية وكونية وهي دائمة لا تزول كما زالت الآيات الكونية .. وهي أدل على

---

١) سورة الصافات : الآيات (١٩ - ٣٥) .

٢) سورة الزخرف : آية (٧٤ - ٧٧) .

٣) سورة الدخان : آية (٤٣ - ٥٠) .

٤) سورة الأنعام : الآية (٣٧) .

٥) للعلماء في توجيه قوله تعالى : ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ أقوال لا تخرج في مجملها عن هذه ويمكن الرجوع إليها في زاد المسير في علم التفسير ، المجلد الثالث ص٣٤ ، والجامع لأحكام القرآن ، ج٣ ص٢٤١٦ ، وروح المعاني ج٣ ص١٤٢ .

٦) الشيخ ابن عاشور - التحرير والتنوير - ج٧ ص٢١٠ .

الرسالة من الآيات الكونية لأن موضوع الرسالة علمي فهو علم موحى بـه غـير مكسـوب يقصـد بـه هداية الخلق إلى الحق " [1] .

وإخبار الله سبحانه وتعـالى عـن قدرتـه في معـرض رفـض مقـترح أولئـك المعـاندين الـذي لا ينشدون الحق لأنهم يعترفون به في قرارة أنفسهم : ﴿ **فإنهم لا يكذبونك ولكـن الظـالمين بآيـات الله يجحدون** ﴾ [2] . تفضل من الله سـبحانه وتعـالى وإرشـاد إلى الأسـلوب الأمثـل والموقـف الأرشـد في مقابلة باطلهم أينمـا كـانوا وحيثمـا وجـدوا وهـو الرفـض القـاطع لإقتراحـات المقـترحين ممـن يقـوم بإخبارهم وإعلامهم عن دين الله .

يقـول سيد قطـب [3] في تقريـر هـذه الحقيقـة في سـياق تفسـير النـص القرآنـي الكريـم (إن التوجيـه القرآنـي في هـذه الموجـة الـتي نحـن بصددهـا وفي غيرهـا كذلـك يشمـل هـذا كله . إنه يريد أن يستعلي صاحب الدعوة بدينه فلا يستجيب لاقتراحات المقترحين ولا يحـاول تزيـين هذا الدين بغير اسمه وعنوانه ولا مخاطبة الناس به بغير منهجه ووسيلته إن الله غني عن العالمين ومـن لم يستجب لدينه عبودية له وانسلاخا من العبودية لسواه فلا حاجة لهذا الدين به ، كما أنه لا حاجـة لله سبحانه بأحد من الطائعين أو العصاة ثم أنه إذا كان لهذا الدين أصالته من ناحية مقوماتـه وخصائصـه التي يريد الله أن تسود البشرية ، فإن له كذلـك أصالتـه في منهجـه في العمـل وفي أسـلوبه في خطـاب الفطرة البشرية) .

فاقتراحات المبطلين لا تقف عند حد ولا تهدف إلى حق فصرف النظر عنها أولى والإعـراض عنها أقوم وأعدل ، ولكن الإعراض الذي نستخلصه من الآية الكريمة ليس الإعراض السلبي العاجز إنما هو الإعراض الإيجابي القادر المصحوب ببيان القدرة على المضي في الطريق إلى نهايته لكن العدول عنه كان بمقتضى الحكمة والمصلحة فالغاية هي بيان الحق للناس وإظـهاره رغبـة في هدايتـهم أمـا الانتفـاع بالبيان والإعـلام فـأمر لا يدخـل في وظيفـة المعلـم [4] ، إنمـا هـو مرهـون بمشيئـة الله تعـالى ، فـالهدى والضلال بيده سبحانه ، يقول جل جلاله إخبارا لخلقه بهذه الحقيقة : ﴿ **من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم** ﴾ [5] . (فإنه سبحانه وتعالى إذا أراد إضلال إنسـان لفسـاد قصـده تركـه

---

١) محمد رشيد رضا – المنار – ج٧ ص٣٨٨ .

٢) سورة الأنعام . جزء من الآية : (٣٣) .

٣) في ظلال القرآن ، ج٣ ص٢٠٤ .

٤) أنظر وظيفة الإخبار في سورة الأنعام د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي ص١٥٠ بتصرف دار عالم الكتب – الرياض الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٠ م .

٥) سورة الأنعام :آية (٣٩) .

وشأنه وإذا أراد هدايته لسلامة مقصده يسر له السير في طريق الإيمان الواضح المستقيم)[1] ، كل ذلك بمقتضى حكمته وعدله (وليس هذا إلا ضلالا بالأمر بالضلال فإن الله لا يأمر بالفحشاء ولا بتلقينه والحث عليه وتسهيله فإن ذلك من فعل الشيطان) [2] ، إنما ذلك راجع إلى مشيئة الله المطلقة فإنه من يرد الله سبحانه أن يخلق فيه الضلال عن الحق يخلقه فيه حسب اختياره الناشئ عن استعداده ([3]) ، ومن يرد أن يخلق فيه الهدى يخلقه فيه حسب اختياره الناشئ عن استعداده كذلك فهو سبحانه " المتفرد بالهداية والإضلال بحسب ما اقتضاه فضله وحكمته " [4] .

ولا حجة للذين عطلوا أجهزة الاستقبال التي خلقها الله لهم للانتفاع بها من سبل الهداية العامة التي سوى فيها سبحانه وتعالى بين الخلق جميعا و تلك هي هداية الإرشاد الممثلة لوظيفة الرسول ﷺ : ﴿ * **وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم * صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ، ألا إلى الله تصير الأمور*** ﴾ [5] .

أما هداية التوفيق كما يشير إليه صدر الآية الكريمة وقوله تعالى : ﴿ * **إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ، وهو أعلم بالمهتدين *** ﴾ [6] . فهي من الله سبحانه وتعالى ولا تعارض ، فسبل الهداية مبسوطة للجميع والناس جميعا قد زودوا بأجهزة استقبال تستجيب لهذه الهداية ما لم يعطلها أصحابها والتوفيق فضل الله يؤتيه من يشاء [7] . وهذه الحقيقة مهمة في حياة الدعاة إلى الله وذلك مما يعينهم على المضي في الطريق الطويل الموصل إلى رضوان الله متى خلصت النية وصحت الوسيلة .

---

١) المنتخب في تفسير القرآن ص ١٧٨ .

٢) الشيخ ابن عاشور - التحرير والتنوير - ج٧ ص ٢٢٠ ، مرجع سابق .

٣) الألوسي - روح المعاني - ج٣ ، ص١٤٨ . مرجع سابق .

٤) الشيخ السعدي - تفسير كلام المنان - ج٢ ص٣٩٧ ، مرجع سابق .

٥) سورة الشورى : الآيتان (٥٢-٥٣) .

٦) سورة القصص : الآية (٥٦) .

٧) أنظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، ج١ ص٣٨ . مرجع سابق .

الخـاتمـة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والشكر له سبحانه و تعالى على توفيقه لي بـأن ذلل لي جميع العقبات ، و منَّ عليّ بنعم كثيرة ، فأسأله سبحانه أن يوفقني إلى شكرها والعمل بمقتضاها ﴿ **رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صـالح ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين** ﴾[1]

فقد تقدم بعون الله وتوفيقه و بعد الحديث عن الدعوة ومناهجها وأساليبها فـي هـذه الرسالة المتواضعة ، ضمن معطيات الدعوة إلى الله عزوجل بالمنهج الحسي فـي القـرآن الكريم .. وأسأل الله العلي القدير أن يتجاوز عن التقصير، ويغفر الزلل ، ويهدى للتي هـي أقوم ، وينفع بهذا الجهد الكليل ، وله سبحانه الثناء الحسن ، وإليه يرجع الأمر كله .

وفي الحقيقة لقد عشت مع هذا البحث زهاء ثلاث سنوات وأكثر ، وكـانت معايشـة متصلة بذلت فيها غاية جهدى على قدر طاقتي وحولي ، وقد قضيت نصف هذه المدة تقريبـا بين القراءة والبحث وتجميع المادة العلمية ، و تقليب الأفكار وطرح المعاني ، وجمـع كـل شاردة وضم كل واردة حتى اكتمل بناء الموضوع ، وكان مرجعي الدائم ، كتاب الله عزوجل، أقلب صفحاته وأجمع مع كل آية نظائرها وأشباهها ، حتى تتضح الصورة ، وأعيش مع روح النص ، ولا أنكر أننى استفدت الكثيرمن المعارف المتصلة بـالموضوع و المفيـدة عمومـاً للداعية من كتب التفسيروكتب السنة و مما كتبه العلماء المتخصصـون فـي مجـال العلـوم الطبيعية وعلم الهيئة كما أننى لا أنكر أنني قد تأثرت ببعض الأساليب لدى بعض المفكريـن أمثال الأستاذ الأديب/ سيد قطب –رحمه الله–، في كتابه "في ظلال القرآن" وقد ظهر تـأثرى بأسلوبه في كثير من مواضع البحث ،لكننىٰ كنت مع سائر الأفكـار ، أقـف منـها موقـف المستكشف البصير ، حتى لا ألغى ذاتيتى في البحث،وما وافقت عليه من أفكار غيرى ، فقـد رأيت فيه الصواب فأيدته ودعمته إحقاقاً للحق ، وكان أسلوبي في الكتابة أسلوب المسترسـل مع الأفكار وقد ظهر ذلك أيضاً في كثير من مواضع الرسالة . ولا أدعى أنني قد وصلت إلى الكمال في هذه الدراسة ، سواء ما كان منها في الأفكار، أم في العرض والأسلوب، أم التقييم ، لكنه على كل حال هو جهد قد بذلته راجياً منه رسم منهج للدعوة على وجه الخصوص وهـو منهج قرآني له أهميته في هذا العصر وكل العصور ،لأنه أساس بناء العقائد ، كما أنه طريـق أي طريق لمواجهة المفتونين بالعقل ونتائج العلوم .

---

[1] سورة النمل ، آية : ١٩ .

وكنت حريصا في كل مناسبة أن أحفز المسلمين إلى دراسة الكون و الكشف عن نواميسه وقوانينه ، حتى يمكنهم عمارة الحياة والتمكين لأنفسهم في الأرض ، ومنتهى أملي في هذه الدراسة أن ينفع الله بها ، وأن لا تكون مجرد حبر على ورق ، وغاية قولي أن العجز والتقصير من شيمتي كإنسان ، لكنني في كل ما طرحت من أفكار وما سطرت من كلمات كنت الخير أبغي، و إلى الحق أهدف فإن كنت قد وفقت فلله الحمد وحده، ومنه الفضل وحده ، وإن كانت الأخرى ، فإنه سبحانه فوق كل ذى علم عليم .

وبين يدى الختام ألخص نتائج البحث وأتقدم ببعض التوصيات .

أما نتائج البحث فهي كالآتي :

١- يأتي في مقدمة نتائج دراسة المنهج الحسي في القرآن الكريم ظهور أهمية هذا المنهج في إقناع غير العرب والإنسانية كلها بالقرآن الكريم، وإثبات أنه من عند الله تعالى ، فالدعوة بالمنهج الحسي في القرآن الكريم فتح جديد في هذا المجال لأنه لما كان القرآن الكريم مخاطباً الإنسانية كلها، والأعاجم منهم أكثر من العرب ، فلا بد لها من منهج آخر يضاف إلى المناهج الدعوية الموجودة يكون فيه من وسائل الإقناع للناس على اختلاف أجناسهم ولغاتهم ما يقره كل ذي عقل مجرد من الهوى والتعصب ، وفي ذلك دليل على أن القرآن الكريم من عند الله تعالى، وهو كلامه جل شأنه.

٢- ومن نتائج هذه الدراسة صدق الرسالة المحمدية، لما تضمنته هذه الرسالة من دلائل الصدق الشاهدة على مر الزمن دونما تغيير أو تبديل أن ما جاء به الرسول الكريم ﷺ هو من عند الله عزوجل ،لاشتماله على أمور فوق طاقة البشر ، فمهما بلغ الإنسان من الذكاء الحاد إلا أنه لا يستطيع أن يصل إلى ما في القرآن الكريم من أمور تدل دلالة قاطعة على أنه من عند الله عز وجل ،وليس من عند البشر ولا من عند غيرهم.

٣- القرآن الكريم يتخذ من النظر في الآيات الكونية منهجاً وطريقاً لعرض قضايا الإيمان والتدليل عليها والدعوة إليها .والمتأمل في الآيات الكونية التي أوردها الله في القرآن الكريم يجد أن الله تعالى يقيم الحجة بها على توحيده ونفى الشريك عنه .

فكلما كان فهمنا وإحاطتنا بجوانب هذه الآيات الكونية أشمل وأعمق وأوسع -وهذا لا يكون إلا من خلال استخدام المنهج الحسي – كلما كانت الحجة على التوحيد في نفوسنا أعمق وأمكن .

٤- إثبات البعث من خلال المنهج الحسي ويتمثل ذلك في استجاشة الإنسان وحثه على النظر، والتفكر والتدبر والتأمل في الآفاق والأنفس وما بـها من عظمة وسعة ودقة وتوازن وانسجام، حتى يمتلئ حس الإنسان وعقله وقلبه بالاقتناع بأن الذي خلق هذه الآيات قادر علـى بعـث الأموات وإحيائهم .

٥- إن القرآن الكريم يدفع المؤمنين به في رفق وحكمة بالغة إلى تلمس آثار الله في الخلـق والوقوف على دلائل الإعجـاز فـي مظـاهر الكـون حيـث يقـول سـبحانه وتعـالى : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ [1] . ومن يمعن النظر في هذه الآية يجد أن الله تعالى قد قصر الخشية في العلماء ، وأنه أراد بـهم العالمين بأسرار الوجود والخلق .

٦- ضرورة لفت نظر المدعو إلى قدرة الله سبحانه وتعالى في بعض المخلوقات مثل خلـق الإنسان وخاصة الجنين ، وخلق الحيوان ، وخلق النبات ، وبعض مظاهر الكون لما في ذلـك من أثر إيجابي في نفسية المدعو .

٧- إن أساليب الدعوة اليوم تطورت تطورا هائلا عما مضى من عصور سابقة ، وفي كـل يوم نرى جديدا ، وإن الجاذبية والجمال والإبداع في المنهج الحسي واستخدامه فـي عـرض الدعوة لا بد أن يكون مرتكزا على جانبين هما الشكل و المضمون .

الشكل الذي ترتاح له النفوس ، وتهفوا إليه الأفئدة ، وتعشقه الآذان ، وتستمتع به العيون .

والمضمون الذي يحمل هموم الناس، ويستشعر أعباءهم ، ويوقظهم من سباتهم ، ويعيد الثقـة إلى نفوسهم بمركزهم ، ومبدئهم وغايتهم ، ورسالتهم في الحياة .

٨ – وضح أن القرآن المكي وهو نحو ثلثي القرآن العظيم أرسى قواعد الدين وأسس الأخلاق ومجامع الفضائل، وتضمن مناهج دعوة المشركين و منكري الألوهية و البعث والطاعنين في الرسالات ، كما تضمن القرآن المدني الشرائع المفصلة وبسط المناهج لدعوة المنافقين وأهـل الكتاب .

٩- ووضح من هذا البحث تصنيف المدعويـن وأحوالـهم وعـرض لأسـباب صدودهـم واستكبارهم وبيان لأنواع كيدهم للحق وسبل معالجتهم وكيفية استخدام المنهج الحسـي فـي دعوتهم .

---

[1] سورة فاطر ، آية : ٢٨ .

١٠- كما وضح من هذا البحث التطبيقات العملية للمنهج الحسي في استخدام الأنبياء له وهي حافلة بالدروس القيمة المعطاءة للدعوة والدعاة والمدعوين ، وترسم في مجموعها أسس الحضارة الإسلامية وتحوى ملامح التخطيط الدعوى وتقرر الموازين والمعايير الصحيحة للحق والخير وتوضح سمات العمل الجماعي والتدرج في استخدام المنهج الحسي في الدعوة إلى الله تعالى .

١١ – عرضنا في البحث مجالات النظر في الكون والنفس و الحياة من خلال الآيات الكونية والإنسانية ، وضوابط استخدام الداعية للمنهج الحسي ، فبسطت وجوه الدلالات في خلق السموات والأرض ، وإرساء الجبال وإجراء الأنهار ، وإنزال المطر و إخراج النبات وتسخير الليل والنهار وإرسال الرياح ، وإزجاء السحاب وبث الأرزاق ، كما لفت الأنظار إلى دقائق المخلوقات كالنمل والهدهد والنحل وغرائب سلوكها وعجيب منطقها وبينت من خلال هذه المجالات أنه ميدان رحيب للاستدلال على الألوهية وعلى البعث والنشور .

١٢- ظهر لنا من خلال هذا البحث كما بينت الآيات الكريمة و الأحاديث الشريفة أن الدين الإسلامي على وجه الخصوص قد حض على العلم واعتبره طريقاً إلى معرفة الله تعالى ، فالقرآن الكريم والسنة الشريفة حليفان للعلم وداعيان إليه وباعثان عليه ، بجميع أنواعه وفروعه بشرط أن يكون هذا العلم نافعاً للإنسان خادماً له ومفيداً لحياته مضفياً السعادة عليه، وأبرع بيان على ذلك وأوضح دليل هو افتتاحه وابتداؤه بالأمر بالقراءة وذكر الله الذي علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم .

وبعدها نزل قول الله تعالى ﴿ **ن والقلم وما يسطرون** ﴾ [1] فأقسم الله بحرف من حروف الهجاء وأقسم معه بالقلم وهو وسيلة الكتابة ، وهذا هو أول قسم يرد في القرآن الكريم ، وإن دل على شيء فإنما يدل على المكانة الرفيعة للعلم ووسيلته ، لأنه وسيلة معرفة الله سبحانه وتعالى في المقام الأول.

كما أشاد به وبالعلماء في آيات كثيرة وميزهم على غيرهم ممن لايعلمون ولم يسو بينهم في حكمه عليهم أبداً ، كذلك الأمر في السنة الشريفة فقد اهتمت بالعلم و حثت عليه ودعت إليه ومما لا شك فيه أن العلم من الوسائل المهمة في نشر الدعوة .

---

[1] سورة القلم ، آية : ١، ٢ .

١٣- كما ظهر لنا من خلال هذا البحث أيضاً أن المنهج الحسي يحظى بالمرتبة الأولى في مجال الدعوة إلى الله بين مناهج الدعوة الأخرى، وإن تقدمه على المناهج الأخرى ليس فيه نزاع لشموله واستمراره ، و تأثيره السريع على الناس، والدليل على ذلك أن كثيراً من العلماء عندما وقفوا على سر الله المبثوث في ملكوته أدى ذلك بهم إلى الاعتراف بصدق الرسالة المحمدية ، كما أن الكثير منهم انقاد إلى رحاب الإيمان بالله تعالى والخضوع لجلاله والدفاع عن العقيدة التي حضت على البحث والتأمل وأيقظت الفكر من سباته العميق .

وأما التوصيات والاقتراحات فتتمثل فيما يلي :

١- لا بد من الاهتمام بالعلوم الكونية المستمدة من القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة في المناهج الدراسية، سواء في المدارس أو المعاهد أو الجامعات ، بل ووضع مقرر مستقل بها ، لأن هذه العلوم من العلوم الأساسية في الدين الإسلامي بل وفي الدعوة إلى الله عزوجل .

٢- على المسلمين اليوم أن لاينشغلوا عن القرآن الكريم بغيره من كلام البشر ، وأرجو أن تنفر طائفة منهم لتلقى صنوف العلوم الحديثة مع تمكنهم من علوم القرآن واللغة العربية حتى يظهروا للإنسانية كنوز كتاب دينهم بأسلوب علمي حديث ،وليتهم ينتهون إلى هذا فيتداركون ما فاتهم ويعدون للدعوة إلى الله عدتها، بعد أن أصبحت الإنسانية في حاجة إلى دين الفطرة، لا خلاص لها إلا به، ولا أمل لها إلا فيما يعطيه إياها من هداية تحقق لها ميلادها من جديد .

٣- ربط العلوم الكونية المختلفة وكذلك العلوم الإنسانية المدنية بالأصل الإيماني كما درج عليه سلف الأمة الصالح فكانوا روادا في كل فن وعلم وتخصص .

٤- ضرورة الكشف عن الإعجاز العلمي للقرآن الكريم كخطوة على طريق تجديد إيمان المسلمين بالقرآن الكريم وحمايتهم من أخطار الغزو الفكري ، وما أشد حاجة المسلمين اليوم إلى ذلك بعد أن أصبح أمرهم عجبا كله، وتكاثرت عليهم الشبهات وخضعوا لغير تعاليم القرآن الكريم في الاجتماعيات والطبيعيات كأنهم يؤمنون بالقرآن في العبادات وحسب ، أما ما وراء ذلك فلا حول لهم ولا طول ، مع أن القرآن الكريم يشتمل على كل ما فيه صلاح للبشرية و يحوي مبادئ جميع العلوم المعروفة لديهم والغائبة عنهم .

٥- ينبغي على المسلمين أن يشمروا عن سواعدهم ويجدوا للكشف عن نواحي الإعجاز المتعلقة بنفس الإنسان والكون والتي يشير إليها القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** ﴾ [١] . ويدرسوها ويظهروها للناس ،

---

[١] سورة فصلت ، آية : ٥٣ .

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث .
- فهرس الأعلام .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

ولن يستطيعوا ذلك حتى يطلبوا العلوم للاستعانة بها على تفهم ما اتصل بكل منها من آيات القرآن الكريم ، واستظهار أسرار هذه الآيات التي اتصلت بتلك العلوم جميعها . ولا يتم ذلك إلا بتعاون المخلصين من العلماء وتضافرهم في كل ميدان من ميادين العلم ، المطلعين على القرآن الكريم العارفين بعلومه والمتشربين لروحه وهدايته .

ولا أقل علينا من أن نخطو – أو نحاول – الخطوة الأولى على الطريق ، ومهما تكن الخطوة أو المحاولة من التواضع أو الفجاجة فهي بداية على الطريق ، تعتصم بحسن النية وصدق التوجه، ودون ذلك الجمود والتوقف .

٦ تفيرشلا تنسلاو هيركلا نآرقلل ريسفتلا جارخإ يلع اولمعي نأ عاملعلا ىلع بجي – على ضوء الآيات الكونية والحقائق العلمية بعيداً عن النظريات أو الفرضيات ، حتى يعلم الناس من مسلمين وغير مسلمين حقيقة الدين الذي يريد الله له الظهور على كل الأديان خدمة للإنسانية في الحياتين الأولى والآخرة وأداء للواجب الديني ، ولله الحمد فإن علماء الشريعة والتفسير هم أقدر على القيام بالواجب وحمل الأمانة .

٧ وه اذهو ، للها ىلإ توعدلا يف جردتلا لامعتسا تروروض ىلإ ةيعادلا هيبنتلا يغبنيو – منهج الأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام ، وعليه أن يبدأ مع المدعو إلى الإسلام حديثاً بالرفق ، وأن يدعو إلى الأصول أولاً ، وأن ترتب له الأولويات الأهم فالمهم .

٨- إن على الداعية إلى دين الله أن يتخذ أفضل الأساليب التي تناسب المدعو ، وأن يجتهد في الدعوة والرعاية والنماء والتربية، وأن لا يتشدد في ضرورة استجابة المدعو للحق، فإن استجابة جميع المدعوين لم يتحقق للأنبياء عليهم الصلاة و السلام وهم المعصومون ، والمبلغون عن الله تعالى ، وعلى الداعية أن لا يضجر في عدم الاستجابة له في أول وهلة أو في المرة الثانية ، بل عليه أن يدعو ، وأن يكرر الدعوة ، وأن يختار لها الأساليب المعينة لقبولها، وأن يبتعد عن الأسباب المانعة لقبول دعوته ما أمكن، ويفوض أمره إلى الله تعالى.

واختم كما بدأت بحمد الله تعالى .

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وأسأله تعالى أن يجعل هذا العمل المتواضع خالصاً لوجه الكريم وأن ينفع به كل قارئ وسامع ، وأن يتقبله مني بالقبول الحسن وأن يضاعف لي ثوابه وأن يتولى عني جزاء كل من أعان على إخراجه بما يجزى به عباده الصالحين إنه سميع مجيب .

فهرس الآيات

طرف الآية	الصفحة
الفاتحة :	
اهدنا الصراط المستقيم ...	٤٧٨
البقرة :	
الذين يؤمنون بالغيب ...	١٩٥
ومن الناس من يقول آمنا بالله ...	٥٥٠
مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ...	٢٦٩
أو كصيب من السماء ...	٣١٩
يأيها الناس اعبدوا ربكم ...	٤٠
وإن كنتم في ريب ...	١٦٣
فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ...	١٨٧
فاتقوا النار التي وقودها ...	٣٥١
كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً ...	١٣٦
هو الذين خلق لكم مافي الأرض جميعاً ...	٥١٢
قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ...	٣٤٣
وعلم آدم الأسماء كلها ...	٣٤٣
يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا ...	٥٣٠
أتأمرون الناس بالبر ...	٢٨٤
واستعينوا بالصبر والصلاة ...	٢٥٩
يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني ...	٥٣٠
واتقوا يوماً لاتجزي نفس عن نفس شيئاً ولايقبل منها شفاعة ولايؤخذ منها عدل ...	٧٥٣
وإذ نجيناكم من آل فرعون ...	٦٧٣
وإذ قال موسى لقومه ...	٥٤٥
ثم بعثناكم من بعد موتكم ...	١٩٨
وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك ...	٢١٢
وإذ استسقى موسى لقومه ...	١٦٢
وإذ قلتم ياموسى لن نصبر ...	٦٩٥
ضربت عليهم الذلة ...	٥٤٢
إن الذين آمنوا والذين هادوا ...	٥١٩

طرف الآية	الصفحة
ولقد علمتم الذين اعتدوا ...	٥٣١
وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم ...	٦٩١
إن الله يأمركم أن تذبحوا ...	٥٤٠
وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها ...	٢١٢
ثم قست قلوبكم ...	٥٤٣
والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لذي أصحاب الجنة هم فيها خالدون ...	٣٥٤
وقالوا قلوبنا غلف ...	٥٤٤
ولن يتمنوه أبداً ...	٥٤٤
ولتجدنهم أحرص الناس ...	٥٤٣
يختص برحمته من يشاء ...	١٥٦
ما يود الذين كفروا ...	٥١٨
وقالوا لن يدخل الجنة ...	٥١٩
لهم في الدنيا خزي ولهم ...	٣٦٦
وقالوا اتخذ الله ولدا ...	٧١٤
بديع السموات والأرض ...	٥٠
ربنا وابعث فيهم ...	١٩
ومن يرغب عن ملة إبراهيم ...	٣٥٣
وماجعلنا القبلة التي كنت عليها ...	٤٨٤
خالدين فيها لايخفف عنهم العذاب ...	٢٣٦
وإلهكم إله واحد ...	٤٣
إن في خلق السماوات والأرض ...	٥٠٠
يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ...	٢٦٢
ومثل الذين كفروا كمثل الذي ...	٤٧٣
ليس البر أن تولوا وجوهكم ...	٣٥٥
والصابرين في البأساء والضراء وحينالبأس ...	٢٥٩
ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ...	١٩
أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ...	٢٦٥
يسألونك عن الأهلة ...	٣٥
وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون ...	٢٥٣
ومن الناس من يعجبك قوله ...	٥٥١

طرف الآية	الصفحة
كان الناس أمة واحدة ...	١٥١
أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ...	٣١١
يسألونك عن الخمر والميسر ...	٤٢٠
نساؤكم حرث لكم ...	٢٦٥
كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون ...	٧
ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم ...	٢١٢
والكافرون هم الظالمون ...	٤٨٠
ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه ...	١٣٥
أو كالذي مر على قرية ...	٢١٢
وإذ قال إبراهيم رب أرني ...	١٦٩
رب أرني كيف تحيي الموتى	٣م
قال أولم تؤمن قال بلى ...	٤٨٤
مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ...	٢٦٩
يا أيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم ...	٢٩٥
كمثل صفوان عليه تراب ...	٣٠٨
ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله ...	٢٦٩
واتقوا الله ويعلمكم الله ...	٢٧١
وقالوا سمعنا وأطعنا ...	٢٤١
آل عمران :	
هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ...	٩٨
ومايذكر إلاّ أولوا الألباب ...	١٢٨
زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ...	١٠٤
للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار ...	٢٣٦
الذين يقولون ربنا إننا آمنا ...	٣٥٦
شهد الله أنه لا إله إلاّ هو ...	٤٤
قل اللهم مالك الملك ...	٧٤
إن الله اصطفى آدم ...	١٥٦
إذ قالت امرأة عمران ...	٧٠٢
فتقبلها ربها بقبول حسن ...	٧٠٣
وإذ قالت الملائكة يامريم ...	٧٠١

طرف الآية	الصفحة
إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك ...	٧٠٣
ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ...	٧٠٣
ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين ...	١٧٣
وأحيى الموتى بإذن الله ...	٤٩٩
ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم ...	١٦٢
فلما أحس عيسى ...	٧١٠
إن مثل عيسى عند الله ...	٧٠١
قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة ...	٣٠٢
يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق ...	٥٣٩
ولكن كونوا ربانيين ...	١٣
وله أسلم من في السموات والأرض ...	٢٣٩
ومن يبتغ غير الإسلام دينا ...	١٠٤
كل الطعام كان حلا لبني إسراءيل ...	٥٢٠
قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله ...	٥٢٦
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ...	٤٨٩
والذين إذا فعلوا فاحشة ...	٤٨١
وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ...	٧٥١
حتى إذا فشلتم ...	٢٨٧
ولو كنت فظاً غليظ القلب ...	٦٤٣
لقد سمع الله قول الذين قالوا ...	٥٣٩
ولله ملك السموات والأرض ...	٥٣
إن في خلق السماوات والأرض ...	٣٢٩
ويتفكرون في خلق السماوات ...	٤٨٤
ربنا إنك من تدخل النار ...	٣٢٩
النساء :	
وليخش الذين لو تركوا ...	٣٦٧
ومن يعص الله ورسوله ...	٢٧١
إنما التوبة على الله ...	٤٨٨
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ...	٤٣
والذين ينفقون أموالهم ...	٢٩٥

طرف الآية	الصفحة
فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ...	٦٠٧
يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة ...	٤٢١
ولو أنهم قالوا : سمعنا وأطعنا ...	٢٤٢
يا أيها الذين أوتوا الكتاب ...	٥٣٢
إن الله لايغفر أن يشرك ...	٥٠٤
أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله ...	٦٤١
ألم تر إلى الذين يزعمون ...	٥٥١
أولئك الذين يعلم الله ...	٥٥٣
فأعرض عنهم وعظهم ...	٥
وما أرسلنا من رسول إلاّ ليطاع ...	٥٧١
إن كيد الشيطان كان ضعيفا ...	٢٩١
قل متاع الدنيا قليل ...	٣٤٩
ويقولون طاعة ...	٢٤٠
ومن أصدق من الله حديثاً ...	٢٩
ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ...	٥٤٦
ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين من الهدى ...	٣٦٦
يا أيها الذين آمنوا آمِنوا ...	٤٨٩
إن المنافقين يخادعون الله ...	٥٧١
وإذا قاموا إلى الصلاة ...	٢٩٥
مايفعل الله بعذابكم ...	٤
يسألك أهل الكتاب أن تنزل ...	٥٤٦
ورسلاً قد قصصناهم عليك ...	٥٦٥
رسلاً مبشرين و منذرين ...	١٥١
يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ...	٥٣٧
ولاتقولوا ثلاثة انتهوا ...	٥٣٦
لن يستنكف المسيح ...	٧١٦
المائدة :	
وأن تستقسموا بالأزلام ...	٣٧٩
يسألونك ماذا أحل لهم ...	٢٦٣
فبما نقضهم ميثاقهم ...	٢٧٤

طرف الآية	الصفحة
يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً ...	٥٢٧
يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة ...	٥٢٧
لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ...	٥٣٦
وقالت اليهود والنصارى ...	٥١٨
وإذ قال موسى لقومه يا قوم ...	٦٩٦
ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ...	١٦١
ومن لم يحكم بما أنزل الله ...	٤٨١
وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ...	٧٠٦
وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا ...	٣٣
لكل جعلنا منكم شرعة ...	م٨
فإن تولوا فاعلم إنما يريد الله ...	٢٧٤
قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة ...	٥٤٦
وجعل منهم القردة والخنازير ...	٣٦٦
وقالت اليهود يد الله ...	٥١٨
ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا ...	٥٣١
ولو أنهم أقاموا التوراة ...	٣٥٤
ما المسيح ابن مريم إلاّ رسول ...	٥٢٤
انظر كيف نبين لهم الآيات ...	م٢
لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ...	٥٣٦
لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ...	٥٣٨
لتجدن أشد الناس عدروة ...	٥٤٨
وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً ...	٢٦٣
يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر ...	٤٢١
وإذ تخلق من الطين ...	١٧٣
وإذ تخرج الموتى ...	٤٩٩
إذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ...	٧١١
وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس ...	٧١٧
الأنعام :	
وقالوا لولا أنزل عليه ملك ...	٣٣٥
ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ...	٣٣٥

طرف الآية	الصفحة
قل أغير الله أتخذ وليا ...	٢٨٠
فاطر السموات والأرض ...	٦٩
قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ...	١٩٥
فإنهم لايكذبونك ...	٧٥٦
وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه ...	٧٥٥
ومامن دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه ...	١٢١
من يشأ الله يضلله ...	٧٥٦
فلما نسوا ما ذكروا به ...	٢٧٥
قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم ...	٥١١
انظر كيف نصرف الآيات ...	٥٨٥
قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله ...	٦١
ومانرسل المرسلين ...	٧٢٩
وإذا جاءك الذين يؤمنون ...	٤٨٨
إن الحكم إلاّ مفاتح يقص الحق ...	٣٢٥
وعنده مفاتح الغيب ...	٢٦
وهو الذي يتوفاكم بالليل ...	٢٢٦
قل هو القادر على أن يبعث عليكم ...	٧٥٢
لكل نبأ مستقر ...	٦٠٤
وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر ...	٦٣٩
وكذلك نري إبراهيم ...	٦٦٥
قال ياقوم إني برئ مما تشركون ...	٦٥٢
وحاجه قومه ...	٦٥٣
أتحاجوني في الله وقد هدان ...	٦٦٦
وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم ...	١٥٦
أولئك الذين هدى الله ...	٣٢٦
إن الله فالق الحب والنوى ...	١٣٨
فالق الإصباح ...	٢٤٤
وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها ...	٦٥
قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ...	٣٤١
قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ...	٣٤١

طرف الآية	الصفحة
وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ...	١١٦
إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ...	٣٤٢
بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ...	١٣١
بديع السموات والأرض ...	١٣٢
ذالكم الله ربكم لا إله إلاّ هو خالق ...	٥٣٢
لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ...	٢٤١
وكذلك نصرف الآيات وليقولوا ...	٥٨٥
وأقسموا بالله جهد أيمانهم ...	٧٢٨
الله أعلم حيث يجعل رسالته ...	١٥٧
يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم ...	٣٢٦
وعلى الذين هادوا حرمنا ...	٥١٩
أن تقولوا إنما أنزل الكتاب ...	٥١٨
وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ...	٢٨١
الأعراف :	
ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم معايش ...	١٠٧
يابني ءادم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري ...	٢٥٢
يابني آدم لايفتنكم الشيطان ...	٣٢٨
وادعوه مخلصين له الدين ...	٢١٦
قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ...	١٠٤
يابني ءادم خذوا زينتكم عند كل مسجد ...	١٠٤
وإن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ...	٥٠٣
يابني آدم إما يأتينكم ...	٣٢٦
ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ...	٢٠٩
إن حرمهما على الكافرين ...	٢٠٩
إن ربكم الله الذي خلق ...	٧٦
والشمس والقمر والنجوم ...	٤٤٨
وهو الذي يرسل الرياح بشرابين يدي رحمته ...	٦٧
والبلد الطيب يخرج نباته ...	٦٣٢
لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ...	٦١٧
إنا لنراك في ضلال مبين ...	٦٢٠

طرف الآية	الصفحة
قال ياقوم ليس بي ضلالة ...	٦٢٠
أوعجبتم إن جاءكم ذكر من ربكم ...	٣٤٤
فكذبوه فأنجيناه ...	٧٣٨
وإلى عاد أخاهم هودا ...	٣٣٥
أجئتنا لنعبد الله وحده ...	٤٣٢
قد جاءتكم بينة من ربكم ...	١٦٦
قد وقع عليكم من ربكم ...	٤٣٢
فأنجيناه والذين معه ...	٤٣٣
واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عَادٍ ...	٢٦٤
أتعلمون أن صالحا مرسلا ...	٤٣٩
إنا بالذي آمنتم به ...	٤٣٩
فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ...	١٦٧
فتولى عنهم وقال ياقوم ...	٣٤٦
فانظر كيف كان عاقبة المجرمين ...	٣٢٩
وانظر كيف كان عاقبة المفسدين ...	٣٢٩
قال الملأ الذين استكبروا من قومه ...	٣٣٧
الذين كذبوا شعيبا كأن لم ...	٤٤٤
وما أرسلنا في قرية من نذير ...	١٥٣
ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا ...	٢٥١
ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا ...	٢٥١
أو أمن أهل القرى ...	٢٤٨
ثم بعثنا من بعدهم موسى ...	١٩٨
قال إن كنت جئت بآية ...	١٦١
وأوحينا إلى موسى أن الق عصاك ...	٦٨٨
ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ...	١٧٢
وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون ...	٢٦١
سبحانك تبت إليك ...	٢٨١
قال ياموسى إني اصطفيتك ...	٦٧٩
إني اصطفيتك على الناس ...	١٥٧
وجاوزنا ببني إسرائيل ...	٦٨٥

طرف الآية	الصفحة
والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة ...	٢٣٧
واختار موسى قومه ...	٦٩٣
إنا هدنا إليك ...	٥١٩
يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ...	٢٦٣
وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية ...	٥٣١
واسألهم عن القرية ...	٥٣٥
فلما عتوا عما نهوا عنه ...	٣٦٦
فخلف من بعدهم خلف ورثوا ...	٣٦٥
وإذ نتقنا الجبل ...	٦٩٠
واتل عليهم نبأ الذي ...	٣٧٠
إن هم إلاّ كالأنعام بل هم ...	٤٧٤
أيشركون مالا يخلق ...	٢٨١
فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ...	٣٢٦
لهم قلوب لايفقهون بها ...	١٢٠
أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض ...	٢م-٧
يسألونك عن الساعة ...	٣٧١
وإما ينزغنك من الشيطان ...	٢٩١
إن الذين اتقوا إذا مسهم ...	٤٨٩
واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ...	٢٤٤
الأنفال :	
إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله ...	٤٨٢
إذ تستغيثون ربكم ...	١٨٤
إن شر الدواب عند الله الصم ...	٧
وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم ...	٢٨٩
إذ يقول المنافقون والذين في ...	٥٥٢
وأعدوا لهم ما استطعتم ...	٥٤١
يا أيها النبي حسبك الله ...	٧٥١
التوبة :	
فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ...	٥٠٦
وأذان من الله ورسوله إلى الناس ...	٥٠٧

طرف الآية	الصفحة
فإذا انسلخ الأشهر الحرم ...	٥٠٨
وإن أحد من المشركين ...	٥٩٦
وأنزل جنوداً لم تروها ...	١٨٥
وقالت اليهود عزير ابن الله ...	٥٠٦
يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار ...	٥٣٨
فأنزل الله سكينته عليه وأيده	١٨٤
إنما يستأذنك ...	٥٦١
ولو أرادوا الخروج ...	٥٦١
لو خرجوا فيكم ...	٥٦٠
قل لن يصيبنا إلاّ ماكتب الله لنا ...	٣٥٠
فليضحكوا قليلاً ...	٥٧٥
فإن رجعك الله ...	٥٦٠
ولاتصل على أحد منهم ...	٥٦٦
ويحلفون بالله إنهم ...	٥٧١
ومنهم الذين يؤذون النبي ...	٥٥٠
يحذر المنافقون أن تنزل ...	٥٧٤
ولئن سألتهم إنما كنا نخوض ونلعب ...	٥٥٠
والمنافقون والمنافقات بعضهم ...	٥٥٠
يا أيها النبي جاهد ...	٥٦٤
يحلفون بالله ما قالوا ...	٥٥١
فأعقبهم نفاقا ...	٥٧٦
الذين يلمزون المطوعين ...	٥٧٥
ولاتعجبك أموالهم ...	٥٦٦
وإذا أنزلت سورة أن آمنوا ...	٥٦٢
خلطوا عملا صالحاً ...	٤٨٤
والذين اتخذوا مسجدا ضراراً ...	٥٥٢
يونس :	
هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا ...	٤٥
إن في اختلاف الليل والنهار ...	٥٦
إن الذين لايرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا ...	٢٣٧

طرف الآية	الصفحة
وإذا مس الإنسان الضرُّ دعانا لجنبه ...	٦٢
حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة ...	٥١
إنما مثل الحياة الدنيا ...	٢٩٢
للذين أحسنوا الحسنى ...	٣٥٨
قل من يرزقكم من السماء والأرض ...	٧١
كذلك حقت كلمة ...	٤٨٠
قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ...	٥٠٩
وماكان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ...	٣٣
أم يقولون افتراه ...	١٨٦
ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا ...	١٩٥
ويستنبئونك أحق هو ...	٣٨٤
قل إي وربي إنه وربى انه لحق ...	٣٨٠
هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ...	٩١
إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ...	٣٤٢
ربنا اطمس على أموالهم ...	٦٢٩
آلآن وقد عصيت قبل ...	٢٧١
ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ...	٥٢٨
قل انظروا ماذا في السموات والأرض ...	٤ أ
هـود :	
ومامن دابة في الأرض إلاّ على الله رزقها ...	٧٠
ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه ...	٦٢
فلعلك تارك بعض ...	٧٣٠
فائتوا بعشر سور مثله مفتريات ...	١٨٦
من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ...	٢٩٢
ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ...	٦١٧
ألاّ تعبدوا إلاّ الله ...	٦٢٥
الله أعلم بما في أنفسهم إني ...	٣٣٥
وأوحي إلى نوح أنه ...	٦٢٣
وهي تجري بهم في موج ...	٦٣٥
وقيل يا أرض ابلعي مَاءَك ...	٦٣٧

طرف الآية	الصفحة
تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ...	٣٢٨
وإلى عاد أخاهم هودا ...	١٥٦
وياقوم استغفروا ربكم ...	٤٣٢
قالوا ياهود ماجئتنا ببينة ...	١٦١
وإلى ثمود أخاهم صالحا ...	١٥٦
هو أنشأكم من الأرض ...	٤٣٦
وياقوم هذه ناقة الله لكم آية ...	١٦٧
وإلى مدين أخاهم شعيبا ...	١٥٦
أرأيتم إن كنت على بينة ...	٤٣٧
وما أريد أن أخالفكم ...	٢١
وما ظلمناهم ولكن ظلموا ...	٤٧٣
ولايزالون مختلفين إلاّ من رحم ربك ...	٣٣٦
وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ...	٢٤٥
وكلا نقص عليك من أنباء ...	٣٢٣
يوسف :	
الر تلك آيات الكتاب ...	٣٤٠
وكذلك يجتبيك ربك ...	١٥٦
ومايؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون ...	٥٠٥
لقد كان في قصصهم عبرة ...	٣٢٣
الرعد :	
الله الذي رفع السموات بغير عمد ...	٧٨
يغشى الليل النهار ...	٧٧
إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ...	٣٤٢
وإن تعجب فعجب قولهم ...	٢٠٦
ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ...	١٩٠
وكل شيء عنده بمقدار ...	١٣٢
هو الذي يريكم البرق ...	٤١٦
إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ...	٢٦١
ولله يسجد من في السماوات ...	١٧
أنزل من السماء ماء ...	٣١٠

طرف الآية	الصفحة
ومما يوقدون عليه في النار ...	٢٦٧
قل إن الله يضل من يشاء ...	١٩٠
الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ...	٧١
الذين آمنوا وتطمئن ...	١٩٠
ولو أن قرآنا سيرت به الجبال ...	١٩٠
ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك ...	١٦١
مثل الجنة التي ...	٣٠٨
إبراهيم :	
ولقد أرسلنا موسى بآياتنا ...	١٥٢
وإذ قال موسى لقومه اذكروا ...	٦٨٥
لئن شكرتم لأزيدنكم ...	١٠٦
فاطر السموات والأرض ...	٤٠
مثل الذين كفروا بربهم ...	٣١٤
وقال الشيطان لما قضي الأمر ...	٢٩٠
ألم تر كيف ضرب الله ...	٣٠٩
الله الذي خلق السموات والأرض ...	١٠٥
وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها ...	٤٠٢
وضربنا لكم الأمثال ...	٣٠٤
يوم تبدل الأرض غير الأرض ...	٤٠٥
الحجر :	
إنا نحن نزلنا ...	١٨٨
ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ...	١٠٩
ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها ...	١٠٩
وأرسلنا الرياح لواقح ...	٥١
ولقد خلقنا الإنسان من صلصال ...	٣٤٢
إذ قال ربك للملائكة إني خالق ...	٣٤٢
إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلاّ ...	٢٩٠
لكل باب منهم جزء مقسوم ...	٣٧٩
نبِّئْ عبادي إني أنا الغفور الرحيم ...	٦
ونبئهم عن ضيف إبراهيم ...	١٥٣

طرف الآية	الصفحة
لعمرك إنهم لفي سكرتهم ...	٣٨٣
إن في ذلك لآيات للمؤمنين ...	٤٨٣
ينحتون من الجبال بيوتا ...	٤٣٦
وإن الساعة لآتية ...	٢٣٤
كما أنزلنا على المقتسمين ...	٣٧٩
فوربك لنسألنهم ...	٣٨٧
فاصدع بما تؤمر ...	٥٩١
النحل :	
ينزل الملائكة بالروح من أمره ...	١٠٢
خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون ...	١٠٣
خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين ...	٢٣
والأنعام خلقها لكم فيها دفء ...	٢٦٦
وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه ...	١٠٢
والخيل والبغال والحمير لتركبوها ...	٦٤
هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ...	٤٥
وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طريا ...	٦٤
وألقى في الأرض رواس أن تميد بكم ...	٦٥
فمن يخلق كمن لا يخلق ...	٣٧٥
والذين تدعون من دون الله ...	١٤٥
للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ...	٣٥٤
أولم يروا إلى ماخلق الله من شيء ...	٢٤٨
وقال الله لاتتخذوا ...	٤٣
ومابكم من نعمة فمن الله ...	٧٠
ولله المثل الأعلى ...	٣٠٨
وإن لكم في الأنعام لعبرة ...	٤١٣
ومن ثمرات النخيل والأعناب ...	٤١٣
وأوحى ربك إلى النحل ...	٤١٣
والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ...	٢٦٥
والله أخرجكم من بطون أمهاتكم ...	٤٦
ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ...	١٢٠

طرف الآية	الصفحة
والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ...	١٢٢
ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها ...	١٠٣
والله جعل لكم مما خلق ...	٤١٤
وأنزلنا إليك الكتاب تبيانا لكل شيء ...	٢٩
من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ...	٢٦٨
فإذا قرأت القرآن ...	٢٩٠
والذين هم به مشركون ...	٥٠٣
وضرب الله مثلاً قرية ...	٢٧٦
إن إبراهيم كان أمة ...	٦٤١
ادع إلى سبيل ربك بالحكمة ...	٢٧
ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ...	٢٥٩
الإسراء :	
سبحان الذي أسرى ...	١٨٠
وجعل الليل والنهار آيتين ...	١٠٨
وكل إنسان ألزمناه ...	٣٧١
وكم أهلكنا من القرون ...	٢٧٥
من كان يريد العاجلة عجلنا له ...	٢٩٣
وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ...	١٢
ولاتقف ماليس لك به علم ...	٢م
إن السمع والبصر والفؤاد ...	١٢٠
ولا تمش في الأرض مرحا ...	٢٩٧
أفأصفاكم ربكم بالبنين ...	١٣٢
ولقد صرفنا في هذا القرآن ...	٥٨٦
تسبح له السموات السبع والأرض ...	٢٤٩
وإذا قرأت القرآن جعلنا ...	٥٩٥
وإذا ذكرت ربك في القرآن ...	٥٨٦
إن تتبعون إلاّ رجلا ...	٧٤٦
وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا ...	٢٠٢
قل كونوا حجارة أو حديدا ...	٧٤٦
فسيقولون من يعيدنا ...	٢٠١

طرف الآية	الصفحة
فسينغضون إليك رؤوسهم ...	٧٤٧
يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده ...	٢٢١
ومامنعنا أن نرسل ...	٧٣١
وآتينا ثمود الناقة مبصرة ...	١٦٦
إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى ...	٢٩٠
ربكم الذي يزجي لكم الفلك ...	٢٥٤
وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون ...	٦٢
ولقد كرمنا بني ءادم ...	١٩٩
أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل ...	٢٤٤
وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونئا بجانبه ...	٦٣
قل لئن اجتمعت الإنس والجن ...	١٨٦
ولقد صرفنا للناس ...	٥٨٥
وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ...	٤٠
قل لو كان في الأرض ملائكة ...	٣٣٦
ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا ...	٢٢٠
ولقد آتينا موسى تسع آيات ...	١٧٠
قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء ...	١٧٢
إن الذين أوتوا العلم ...	٥٨٣
وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ...	١٣٢
الكهف :	
وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ...	١٣١
فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة...	٢٦٣
فمن شاء فليؤمن ...	٤٧٩
واضرب لهم مثلا رجلين ...	٣٤٧
أكفرت بالذي خلقك من تراب ...	٢١٦
المال والبنون زينة ...	٢٦٤
ما أشهدتهم خلق السموات ...	٧٧
ولقد صرفنا في هذا القرآن ...	٣١٣
فوجدوا فيها جدارا ...	٤٥٣
وأما الجدار فكان لغلامين ...	٣٦٨

طرف الآية	الصفحة
فمن كان يرجو لقاء ربه ...	٢٩٦
مريم :	
واذكر في الكتاب مريم ...	٧٠٤
فحملته فانتبذت به ...	٧٠٥
فأتت به قومها ...	٧٠٦
قال إني عبدالله آتاني الكتاب ...	١٧٣
وأنذرهم يوم الحسرة ...	٧٥٤
إذ قال يا أبت لم تعبد ...	٦٥٣
قال أراغب أنت عن آلهتي ...	٣٣٢
قال سلام عليك ...	٣٣٣
إنه كان مخلصا ...	١٥٥
ووهبنا له من رحمتنا ...	١٥٣
إنه كان صادق الوعد ...	١٥٥
أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين ..	١٥٦
إذا تتلى عليهم ءايات الرحمن ...	٢٥٨
ويقول الإنسان آئذا مامت ...	٢٠١
أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ...	٢١٦
فوربك لنحشرنهم ...	٣٨٧
وإن منكم إلا واردها ...	٣٦٥
واتخذوا من دون الله آلهة...	٤٧٣
وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد ... إلاّ آت الرحمن عبداً ...	١٣١
تكاد السموات يتفطرن منه ...	١٢٦
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل ...	٣٥٠
وكم أهلكنا قبلهم من قرن ...	٦١٦
طـه :	
طه ما أنزلنا عليك القرآن ...	٦٠٧
يا موسى إني أنا ربك ...	٦٧٩
وتلك بيمينك ياموسى قال ...	١٧١
واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء ...	١٧١
ولقد منا عليك مرة أخرى ...	٦٧٥

طرف الآية	الصفحة
اذهب إلى فرعون ...	١٥٣
إنا قد أوحي إلينا أن العذاب ...	٦٨٦
ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ...	٧٢
قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ...	١٣٨
قال فما بال القرون ...	٦٨٢
قال علمها عند ربي ...	٦٨٢
الذي جعل لكم الأرض ...	٦٨٢
موعدكم يوم الزينة ...	٦٨٦
وأن يحشر الناس ضحى ...	٣٩٤
قالوا ياموسى إما أن تلقى وإما ...	١٧١
وألق مافي يمينك تلقف ماصنعوا ...	٣٣٦
فألقي السحرة سجدا ...	١٧١
ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم ...	٦٨٨
وكذلك ألقى السامري ...	٥٤٠
أفلا يرون ألا يرجع إليهم ...	٣٣٣
كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق ...	٣٢٥
ويسألونك عن الجبال ...	٤٦٩
وعنت الوجوه للحي القيوم ...	٥٩٦
وعصى آدم ...	٢٧١
فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي ...	٢٦٢
ومن ءاناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ...	٢٤٥
ومن أعرض عن ذكري فإن له ...	٢٧٣
ولاتمدن عينيك إلى مامتعنا ...	٢٩٤
الأنبياء :	
بل قالوا أضغاث أحلام ...	٧٣٤
وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما ...	٧١٨
لو كان فيهما آلهة إلاّ الله ...	١٤٦
أم اتخذوا من دونه ءالهة ...	٥٠٩
وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحي إليه ...	٤٣
أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض ...	١٣٤

طرف الآية	الصفحة
وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ...	٥١
وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون ...	٩٢
أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا ...	٣٣٣
ولقد آتينا إبراهيم رشده ...	٦٥٤
إذ قال لأبيه وقومه ...	٦٤٩
وهم عن آياتها معرضون ...	٤٠٥
كل في فلك يسبحون ...	٤٠٥
بل ربكم رب السماوات والأرض ...	٦٦٧
وتالله لأكيدن أصنامكم ...	١٦٨
فجعلهم جذاذا ...	٣٣٠
قالوا أأنت فعلت هذا ...	٦٦٠
بل فعله كبيرهم ...	٦٥٨
قال أتعبدون من دون الله ...	٦٥٣
قالوا حرقوه وانصروا ءالهتكم ...	١٦٢
قلنا يانار كوني برداً ...	١٦٩
وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن ...	١٢٤
ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره ...	١٧٦
ومن الشياطين من يغوصون له ...	١٧٧
وإسماعيل وإدريس وذا الكفل ...	١٥٦
وذا النون إذ ذهب مغاضبا ...	٢٦١
والتي أحصنت فرجها ...	٧٠٤
إنكم وماتعبدون من دون ...	٤٧٦
كما بدأنا أول خلق نعيده ...	٢١٦
الحج :	
يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث ...	٢٠٢
وترى الأرض هامدة ...	٢٢٣
ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى ...	٢٣٥
إن الذين آمنوا والذين هادوا ...	٤٧٩
ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض ...	١٢٣
فالذين كفروا قطعت لهم ...	٣٥١

طرف الآية	الصفحة
وطهر بيتي للطائفين والقائمين ...	٥٣٧
حنفاء لله غير مشركين به ...	٣٦٩
إن الله يدافع عن الذين آمنوا ...	٧٥١
ولينصرن الله من ينصره ...	٢٧٧
وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ...	١٥٣
ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه ...	٢٢١
وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ...	٦٩
يا أيها الناس ضرب ...	٣٠٩
إن الذين تدعون من دون الله ...	١٤٥
الله يصطفي من الملئكة رسلا ...	١٥٧
المؤمنون :	
قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم ...	٢٥٧
ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ...	٩٤ (٢١٤)
ثم إنكم بعد ذلك لميتون ...	٩٩
ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق ...	١٠٠
فأنشأنا لكم به جنات ...	٦٣٣
وشجرة تخرج من طور سيناء ...	٤٦٩
ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال ...	٦١٨
ثم أنشأنا من بعدهم ...	٦١٦
إن هي إلاّ حياتنا الدين نموت ونحيا ...	١٤٢
ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون ...	١٥٤
وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار...	٥٥
بل قالوا مثل ماقال الأولون ...	١٩٧
قل لمن الأرض ومن فيها ...	٣٠٢
ما اتخذ الله من ولد ...	١٣٢
أفحسبتم انما خلقناكم عبثا ...	١٩٧
ومن يدع مع الله إلهاً آخر ...	٤٤
النور :	
الله نور السماوات والأرض ...	٣٢٠
في بيوت أذن الله أن ترفع ...	١٤

طرف الآية	الصفحة
والذين كفروا أعمالهم كسراب ...	٣١٥
ألم تر أن الله يسبح له من في السموات ...	١٢١
ولله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير ...	١٣١
ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ...	٥٣
يقلب الله الليل والنهار ...	٨٣
والله خلق كل دابة من ماء ...	٨٥
لقد أنزلنا ءايات مبينات والله يهدي ...	٨٥
وعد الله الذين آمنوا منكم ...	٣٥٤
الفرقان :	
الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ...	١٣١
وخلق كل شيء فقدره تقديراً ...	١٤٠
واتخذوا من دونه آلهة لايخلقون شيئا ...	١٣٠
لولا أنزل إليه ملك ...	٧٢٩
بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا ...	٢٣٦
إذا رأتهم من مكان بعيد ...	٢٣٦
وقدمنا إلى ماعملوا من عمل ...	٢٩٦
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ...	٣٣٧
وقوم نوح لما كذبوا الرسل ...	٧٥٣
وقرونا بين ذلك ...	٦١٦
أم تحسب أن أكثرهم يسمعون ...	٧
ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ...	٤٥٨
تبارك الذي جعل في السماء بروجا ...	٧٩
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة ...	٨٦
وإذا مروا باللغو مروا كراما ...	٤٣٠
الشعراء :	
إن نشأ ننزل عليهم من السماء ..	١٨٥
وإذ نادى ربك موسى ...	٦٨٠
فأتيا فرعون فقولا ...	٦٨٣
ألم نر بك فينا وليدا ...	١٢
قال فرعون ومارب العالمين قال رب السموات ...	١٣٥

طرف الآية	الصفحة
فألقى عصاه فإذا هي ...	٦٨٤
قال للملأ حوله ...	٦٨٤
فأوحينا إلى موسى أن اضرب ...	٤٩٩
واتل عليهم نبأ إبراهيم ...	٦٣٩
قال هل يسمعونكم ...	٦٥٩
أفرأيتم ماكنتم تعبدون ...	٦٥٢
الذي خلقني فهو يهدين ...	٣٣٤
ألا تتقون إني لكم رسول أمين ...	١٥٨
فاتقوا الله وأطيعون ...	٦٢٦
أتبنون بكل ريع ...	٣٤٤
أتتركون في ماههنا آمنين ...	٣٤٥
قال هذه ناقة لها شرب ...	١٦٧
ولاتمسوها بسوء فيأخذكم ...	١٦٧
إنما أنت من المسحرين ...	١٦١
النمل :	
وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء ...	١٧٠
فلما جاءتهم ءاياتنا مبصرة ...	١٧٢
وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا ...	١٩١
ولقد آتينا داوود وسليمان علما ...	١٧٤
وحشر لسليمان جنوده ...	١٧٨
قال رب أوزعني أن أشكر ...	٤٥٠
أحطت بما لم تحط به ...	٣٤
سننظر أصدقت ...	٣٣
اذهب بكتابي هذا ...	٤٥٠
ولقد أرسلنا إلى ثمود ...	١٦٦
قالوا تقاسموا بالله ...	٣٧٩
ومكروا مكرا ومكرنا مكراً ...	٣٤٦
قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ...	١٣٥
أم من خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء ...	٤٦
وأنزل لكم من السماء ماء ...	٣٩٩

طرف الآية	الصفحة
أم من خلق السموات والأرض ...	٥٧
أم من جعل الأرض قرارا ...	٤٦
أم يهديكم في ظلمات البر والبحر ...	٤٦
أم من يجيب المضطر إذا دعاه ...	٤٦
وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا ...	١٩٧
أم من يبدء الخلق ثم يعيده ...	٤٦
قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ...	٢٣
قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب ...	٢٦
إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل ...	٣٢٦
ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه ...	٢٢٦
صنع الله الذي أتقن كل شيء ...	١٤٠
وقل الحمد لله سيريكم ...	٦٠٤
القصص :	
إن فرعون علا في الأرض ...	٦٧٣
وأوحينا إلى أم موسى ...	٦٧٥
فأصبح في المدينة خائفاً ...	٦٧٦
أتريد أن تقتلني ...	٦٧٦
ولما توجه تلقاء مدين ...	٦٧٧
قالت إحداهما ...	٦٧٨
يا أبت استأجره ...	٦٧٨
اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء ...	١٦١
وما أوتيتم من شيء فمتاع ...	٢٩٤
وهو الله لا إله إلاّ هو له الحمد في الأولى ...	٤٥
قل أرأيتم إن جعل الله عليكم ...	٧٣٨
تلك الدار الآخرة ...	٢٩٧
العنكبوت :	
ومن الناس من يقول آمنا بالله ...	٥٥٦
وإبراهيم إذ قال لقومه ...	٣٣٤
قل سيروا في الأرض فانظروا ...	٢ م
أولم يروا كيف يبدؤا الله ...	٢١٧

طرف الآية	الصفحة
فما كان جواب قومه إلاّ أن قالوا ...	١٦٩
فآمن له لوط وقال إني ...	٣٣٧
فكلاً أخذنا بذنبه ...	٢٧٥
مثل الذين اتخذوا من دون ...	٤٧٣
كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ...	٣٠٨
وتلك الأمثال نضربها للناس ...	٣٠٥
إن الصلاة تنهى عن الفحشاء ...	١٨
ولاتجادلوا أهل الكتاب ...	٩
وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه ...	٤٠-٤١
وكأي من دابة لاتحمل رزقها ...	٧١
ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ...	٤٠
الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ...	٧١
وإن الدار الآخرة لهي الحيوان ...	١٩٥
الروم :	
يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ...	١٥٠
أولم يتفكروا في أنفسهم ماخلق ...	٤١
فسبحان الله حين تمسون ...	٢٤٥
يخرج الحي من الميت ويخرج ...	٢٢٢
ومن ءاياته أن خلقكم من تراب ...	٤٦
ومن ءاياته أن خلق لكم من أنفسكم ...	٤٦
ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم ...	٤٦
ومن ءاياته منامكم بالليل والنهار ...	٤٦
ومن ءاياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ...	٢٢١
وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ...	٢٠١
فطرة الله التي فطر الناس ...	١٣
أولم يروا أن الله يبسط الرزق ...	٧١
الله الذي خلقكم ثم رزقكم ...	٧٠
ومن ءاياته أن يرسل الرياح مبشرات ...	٦٧
وكان حقا علينا نصر المؤمنين ...	٧٥٠
الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً ...	٦٧

طرف الآية	الصفحة
فانظر إلى آثار رحمة الله ...	٢ م
إن ذلك لمحي الموتى ...	٤٠٧
ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ...	١٩٥
ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن ...	٣٠٥
لقمان :	
هذا خلق الله فأروني ...	٤١-٤٢
وإذ قال لقمان لابنه ...	٥٠٣
إن الشرك لظلم عظيم ...	١٠٥
ولاتصعر خدك للناس ...	٢٩٧
ألم تروا أن الله سخر لكم مافي السموات ...	١٠٨
ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمدلله بل أكثرهم ...	١٤٢
وما خلقكم ولا بعثكم إلاّ كنفس واحدة ...	٢١٢
ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمت الله ...	٢٥٨
إن الله عنده علم الساعة ...	٢٦
الجسده :	
الذي أحسن كل شيء ...	٤٠٢
وبدأ خلق الإنسان من طين ...	٦٩
فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ...	٢٥٣
أفمن كان مؤمناً ...	٤٨٠
الأحزاب :	
وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم ...	٥٤٩
أشحة عليكم فإذا جاء الخوف ...	٥٧٣
لقد كان لكم في رسول الله ...	٢٠
ماكان محمد أبا أحد ...	٧٢٢
لئن ينته المنافقون والذين ...	٥٦٣
إنا عرضنا الأمانة ...	١٢٦
سبأ :	
وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة ...	١٤٣
قل بلى وربى لتأتينكم ...	٣٨٠
قل ادع الذين زعمتم من دون الله ما يملكون ...	١٣٢

طرف الآية	الصفحة
وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم ...	٢٠٢
ولقد آتينا داود منا فضلا ...	١٧٥
ياجبال أوبى معه ...	١٢٤
ولسليمان الريح غدوها شهر ...	١٧٦
وأرسلنا له عين القطر ...	١٧٩
ومن الجن من يعمل بين يديه ...	١٧٨
لقد كان لسباء في مسكنهم ءاية ...	٢٦٠
كلوا من رزق ربكم واشكروا ...	٢٦٣
قل إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء ...	٧١
قل إنما أعظكم بواحدة ...	٧
يأيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم ...	٧١
الله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا ...	٢٢٢
من كان يريد العزة ...	٧٥١
إليه يصعد الكلم الطيب ...	٣٦٣
وماتحمل من أنثى ولاتضع ...	٧٣٥
يولج الليل في النهار ...	٧٥
ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون ...	١٣١
ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ...	٤٢
إنما يخشى الله من عباده العلماء ...	٤٢
ثم أورثنا الكتاب الذين ...	٤٨٠
ذلك هو الفضل الكبير جنات ...	٤٩٢
وقالوا الحمد لله الذي ...	٤٩٢
لايمسنا فيها نصب ...	٤٩٢
قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون ...	١٣٠
إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ...	٢٢١
يـــس :	
إن كانت إلاّ صيحة واحدة تأخذهم ...	٢٢١
أوليس الذي خلق ...	٢١٨
قال من يحيي العظام وهي رميم ...	٢٢٥
الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ...	٢٣٠

طرف الآية	الصفحة
أوليس الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم ...	٢٣٠
أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر ...	٢٣٥
قال من يحي العظام وهي رميم ...	٢٣٤
يس والقرآن الحكيم ...	٣٨٥
ومالي لا أعبد الذي فطرني ...	٣٣٤
سبحان الذي خلق الأزواج كلها ...	٨٠
وآية لهم الأرض الميتة ...	٤٦٢
قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ...	١٩٨
هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون ...	١٩٨
أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت ...	٤٦٢
وذللناها لهم فمنها ركوبهم ...	١٠٧
واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ...	٤٧٣
أولم ير الإنسان ...	٢٠٧
وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه ...	٢٠١
من يحيى العظام وهي ...	٧٤٥
إنما أمره إذ أراد شيئاً ...	٢٠٨
الصافات :	
والصافات صفا فالزاجرات ...	٣٨٤
إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ...	٤٩
فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا ...	٢٠٣
بل عجبت ويسخرون ...	٧٤٦
وقالوا إن هذا إلاّ سحر مبين ...	٢٠٦
قل نعم وأنتم داخرون ...	٧٤٦
فإنما هي زجرة واحدة ...	٧٥٤
ويقولون أننا لتاركوا ...	٧٣٤
بل جاء بالحق ...	٧٣٤
فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ...	٢١٠
أئذا متنا وكنا تراباً وعظاما ...	٢٢٥
إنا لمدينون ...	٢٢٥
فراغ إلى آلهتهم ...	٦٥٥

طرف الآية	الصفحة
فراغ عليهم ضرباً ...	٦٦٠
قال أتعبدون ما تنحتون ...	٦٤٩
قالوا ابنو له بنيانا ...	١٦٩
وإن يونس لمن المرسلين ...	٢٦٢
ص :	
وما خلقنا السموات والأرض ومابينهما باطلا ...	٢٣٥
إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق ...	٢٤٤
إنا سخرنا الجبال معه ...	١٢٤
والطير محشورة كل له آواب ...	١٧٥
ذلك ظن الذين كفروا ...	٧٥٤
رب اغفر لي وهب لي ملكا لاينبغي ...	١٧٦
قال رب اغفر لي وهب ...	٤٤٧
فسخرنا له الريح تجري ...	١٧٧
والشياطين كل بناء وغواص ...	١٧٧
هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ...	١٧٦
وإنهم عندنا من المصطفين الأخيار ...	١٥٧
ولتعلمن نبأه بعد حين ...	٦٠٤
الزمر :	
الله نزل أحسن الحديث ...	٢٥٨
والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم ...	١٤٢
لو أراد الله أن يتخذ ولدا ...	٧١٨
خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل ...	٨٠
يكور الليل على النهار ...	٤٠٥
خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ...	٩٨
وإذ مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه ...	٩٣
ألم تر أن الله أنزل من السماء ...	٤٠٨
الله نزل أحسن الحديث ...	٥٨٢
قل إن الخاسرين الذين ...	٣٦٥
ضرب الله مثلاً رجلاً فيه ...	٣١٢
الله يتوفى الأنفس حين موتها ...	٨٩

طرف الآية	الصفحة
قل لله الشفاعة جميعاً ...	٥١٣
قل يا عبادي الذين أسرفوا ...	٤٨٩
ويوم القيامة ترى الذين ...	٣٧٣
ونفخ في الصور فصعق من في السموات ...	١٩٨
وسيق الذين كفروا إلى جهنم ...	٣٧٢
خالدين فيها فبئس مثوى ...	٣٧٢
غافر :	
الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ...	٢٦٤
لخلق السماوات والأرض ...	٢١٩
وسبح بحمد ربك بالعشى والإبكار ...	٢٤٥
حم ، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ...	٥٩٨
لمن الملك اليوم ...	١١٠
وأنذرهم يوم الآزفة ...	٧٥٤
يعلم خائنة الأعين ...	٤٤٨
وياقوم مالي أدعوكم إلى ...	٣٣٤
إنا لننصر رسلنا ...	٢٧٨
الله الذي جعل لكم الليل ...	٢٨٢
ذلكم الله ربكم لا إله إلاّ هو خالق كل شيء ...	١٣٢
ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ...	١٢٢
فصلت :	
قالتا أتينا طائعين ...	٢٤٠
إئتيا طوعا أو كرها ...	٢٣٩
ومن ءاياته أنك ترى الأرض خاشعة ...	٢٢
حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم ...	٦٠٠
ذلك تقدير العزيز العليم فإن أعرضوا ...	٨١
من أشد منا قوة ...	٣٤٤
فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات ...	٦٧
وقال الذين كفروا لاتسمعوا ...	٣٧٦
ومن أحسن قولا ممن دعا ...	٣٠١
ومن آياته الليل والنهار ...	٢٨٣

طرف الآية	الصفحة
ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة ...	٢٠١
لايسأم الإنسان من دعاء الخير ...	٦٢
سنريهم آياتنا في الآفاق ...	٧
الشورى :	
ومن ءاياته الجوار في البحر كالأعلام ...	٢٥٨
ليس كمثله شيء ...	٤٣
ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد ...	٢٠٦
ولو بسط الله الرزق لعباده ...	٧١
ولكن ينزل بقدر مايشاء ...	١١٠
وما أصابكم من مصيبة ...	٢٧٣
استجيبوا لربكم من قبل ...	٧٥٤
وكذلك أوحينا إليك روحا ...	٧٥٧
الزخرف :	
والذي خلق الأزواج كلها وجعل ...	٢٦٥
أهم يقسمون رحمة ربك ...	٢٣٤
ومايأتيهم من نبي إلا كانوا ...	١٥٣
واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا ...	٤٤
فلما آسفونا انتقمنا ...	٣٦٦
ولما ضرب ابن مريم مثلا ...	٣١٣
هو إلاّ عبد أنعمنا ...	٧١٥
ولما جاء عيسى بالبينات ...	٧٠٦
ياعبادي لاخوف عليكم اليوم ...	٣٥٤
إن المجرمين في عذاب جهنم ...	٧٥٥
قل إن كان للرحمن ولد ...	٧١٩
ولئن سألتهم من خلقهم ...	١٤٣
الدخان :	
فأسر بعبادي ليلاً إنكم ...	٣٣٨
كم تركوا من جنات وعيون ...	٢٧٧
ولقد نجينا بني إسرائيل ...	٦٨٥
إن هي إلاّ موتتنا الأولى ...	١٤٢

طرف الآية	الصفحة
إن شجرة الزقوم طعام ...	٧٥٥
الجاثية :	
إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين ...	٤٠
وسخر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعاً منه ...	١٠٦
وقالوا ماهي إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا ...	٢٠٠
قل الله يحييكم ثم يميتكم ...	٦٩
الأحقاف :	
أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ...	٢٢١
ماخلقنا السماوات والأرض ومابينهما إلاّ بالحق ...	١٤٥
قل أرأيتم ماتدعون من دون ...	٣٣٤
أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ...	٢٠١
محمد :	
طاعة وقول معروف ...	٢٤٠
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ...	٣٠٩
إن تنصروا الله ينصركم ...	٢٧٨
.. يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ...	١٣٠
ومنهم من يستمع إليك حتى إذا أخرجوا ...	٥٦٩
فإذا أنزلنا سورة محكمة ...	٥٦٢
أفلا يتدبرون القرآن ...	٤٩٠
إن الذين ارتدوا على أدبارهم ...	٢٩١
فلعرفتهم بسيماهم ...	٥٦١
الفتح :	
وتعزروه وتوقروه ...	٢٤٤
سيقول لك المخلفون من الأعراب ...	٥٥٥
هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ...	٥٥٦
محمد رسول الله ...	١٥٦
مثلهم في التوراه ...	٣٠٨
الحجرات :	
يأيها الذين ءامنوا إن جاءكم فاسق ...	٣٤
ولايغتب بعضكم بعضا ...	٣٦٩

طرف الآية	الصفحة
إنما المؤمنون الذين آمنوا ...	٤٨٥
قَ :	
وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ...	٢٤٥
ذلك رجع بعيد ...	٢٢٥
قد علمنا ماتنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ ...	٢٣٤
ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ...	٢٣٦
قَ والقرآن المجيد ...	٢٠٣
أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم ...	٤١
والأرض مددناها وألقينا فيها ...	١٤٥
تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ...	١٤٨
لهم مايشاءون فيها ولدينا مزيد ...	٣٥٨
إنا نحن نحيي ونميت وإلينا ...	٣٥٠
الذاريات :	
والذاريات ذروا ...	٣٨٧
كانوا قليلا من الليل مايهجعون ...	٢٤٥
فأرسلنا عليهم الريح العقيم ...	٥٢
فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ...	١٦٨
قتل الخراصون الذين هم ...	٧٤٥
وفي الأرض آيات للموقنين ...	٣م
وفي أنفسكم أفلا تبصرون ...	٤٩٦
وفي السماء رزقكم ...	٣٥٠
ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين ...	٢٤٨
الطور :	
والطور وكتاب مسطور ...	٣٨٧
أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ...	٦٨
ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم ...	٢٤٥
النجم :	
والنجم إذا هوى ...	٣٨٤
فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ...	٢٩٢
وإبراهيم الذي وفى ...	٦٤١

طرف الآية	الصفحة
وأن عليه النشأة الأخرى ...	٢١٦
هذا نذير من النذر الأولى ...	٦٠٩
القمر :	
اقتربت الساعة ...	١٨١
كذبت قبلهم قوم نوح ...	٦٣٦
ونبئهم أن الماء قسمة ...	٣٧٩
إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة ...	٣٣٥
إنا كل شيء خلقناه بقدر ...	١٣٢
الرحمن :	
وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ...	٦٤
كل من عليها فان ...	١١٠
الواقعة :	
إذا وقعت الواقعة ...	٣٧١
فأصحاب الميمنة ما أصحاب ...	٣٥٩
والسابقون السابقون أولئك ...	٣٥٩
على سرر موضونة ...	٣٤٩
يطوف عليهم ولدان مخلدون ...	٣٦١
بأكواب وأباريق وكأس ...	٣٦٠
وفاكهة مما يتخيرون ...	٣٦٠
وحور عين كأمثال اللؤلؤ ...	٣٦٠
جزاء بما كانوا يعملون ...	٣٥٠
وأصحاب الشمال ما أصحاب ...	٣٧١
وظل من يحموم ...	٤٥٣
وكانوا يقولون أئذا متنا ...	٧٤٦
قل إن الأولين والآخرين ...	٧٤٦
ثم إنكم أيها الضالون ...	٣٧٢
نحن خلقناكم ...	٤٩٦
أفرأيتم ماتمنون ...	٤٩٦
أفرأيتم ما تحرثون ...	٥٠٠
أفرأيتم النار التي تورون ...	٢٣١

طرف الآية	الصفحة
فلا أقسم بمواقع النجوم ...	٣٧٦
الحديد :	
يعلم مايلج في الأرض ...	٧٣٥
له ملك السماوات والأرض وإلى الله ...	٧٦
يوم ترى المؤمنين ...	٥٧٨
ألم يأن للذين آمنوا ...	٢٥٦
اعلموا أنما الحياة الدنيا ...	٣٦٦
لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ...	١٥٩
المجادلة :	
يوم يبعثهم الله جميعا فينبؤهم ...	٧٤٨
يرفع الله الذين آمنوا منكم ...	٧
الحشر :	
فاعتبروا يا أولى الأبصار ...	٣٢٧
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر ...	٢٧٣
لو أنزلنا هذا القرآن ...	١٢٥
الممتحنة :	
قد كانت لكم أسوة ...	٦٥٠
الصف :	
ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ...	٢٨٤
يا أيها الذين آمنوا كونوا ...	٧١٠
الجمعه :	
مثل الذين حملوا التوراة ...	٥٣٢
كمثل الحمار يحمل ...	٣٠٨
بئس مثل القوم الذين كذبوا ...	٢٨٤
قل يا أيها الذين هادوا ...	٥٤٤
المنافقون :	
اتخذوا أيمانهم جُنّة ...	٥٥١
وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ...	٣٢١
هم الذين يقولون لاتنفقوا ...	٥٥٠
يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ...	٥٥٣

طرف الآية	الصفحة
ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها ...	٣٥٠
التغابن :	
هو الذي خلقكم فمنكم ...	٤٧٩
زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بل وربى ...	٢٠٦
قل بلى وربى لتبعثن ...	٣٨٠
فآمنوا بالله ورسوله ...	٣٥٤
وأطيعوا الرسول ...	٢٤٠
الطلاق :	
ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ...	٢٧١
التحريم :	
قالت من أنباك هذا ...	١٥٣
ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم ...	١٣
يأيها النبي جاهد الكفار ...	٥٥٨
ضرب الله مثلاً للذين ءامنوا امرأة فرعون ...	٦٧٤
ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها ...	٧٠١
الملك :	
وأسروا قولكم ...	٤٤٨
هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا ...	١٠٧
أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ...	١٢١
قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار ...	١١٨
القلم :	
ن والقلم ...	٣٨٥
وإنك لعل خلق عظيم ...	٩
سنستدرجهم من حيث ...	٤١٨
الحاقة :	
وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر ...	٥١
سخرها سبع ليال وثمانية أيام حسوما ...	٢٥٩
وماهو بقول شاعر ...	٧٣٤
نوح :	
قال ياقوم إني لكم نذير ...	٦١٨

طرف الآية	الصفحة
قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا ...	١٥٨
فقلت استغفروا ربكم ...	٣٥٣
مالكم لاترجون لله وقارا ...	١٣٦
ألم تروا كيف خلق ...	٦٣١
لا تذرن آلهتكم ...	٦١٨
وقال نوح رب لا تذر ...	٦٢٣
إنك إن تذرهم ...	٦٢٩
الجن :	
قل أوحي إلي ...	٥٨٤
وأنه تعلى جد ربنا ...	١٣١
وأنهم ظنوا كما ظننتم ...	٧٤٥
وإنا منا الصالحون ومنا دون ذلك ...	١٩٥
وإنا منا المسلمون ومنا القاسطون ...	١٩٥
وأن لو استقاموا على ...	٢٦٣
عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ...	٢٦
المزمل :	
إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا ...	١٥٧
إن ناشئة الليل هي أشد وطئا ...	٢٤٥
واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا ...	٢٤٩
فعصى فرعون الرسول ...	٤٨٠
المدثر :	
إنه فكر وقدر ...	٥٩٩
كلا والقمر ...	٣٨٨
والليل إذا أدبر والصبح إذا ...	٣٨١
كل نفس بما كسبت رهينة ...	٢١٠
كأنهم حمر مستنفرة ...	٤٥٧
القيامة :	
لا أقسم بيوم القيامة ...	٣٨٦
أيحسب الإنسان أن لن نجمع ...	٧٤٥
بلى قادرين على أن نسوى بنانه ...	٢٣٥

طرف الآية	الصفحة
أيحسب الإنسان أن يترك سدى ...	١٩٦
الإنسان :	
فجعلناه سميعاً بصيرا ...	١١٨
نحن خلقناهم وشددنا أسرهم ..	٩٧
المرسلات :	
ألم نخلقكم من ماء مهين ...	١٢٠
وجعلنا فيها رواسي شامخات ...	٤٦٨
إنها ترمي بشرر ...	٤٥٦
النبأ :	
عم يتساءلون ...	١٥٣
وجعلنا نومكم سباتا ...	٢٢٦
وأنزلنا من المعصرات ...	٥١
حَبا ونباتا وجنات ...	٤٦٢
النازعات :	
فإنما هي زجرة واحدة ...	٢٢١
أنتم أشد خلقا أم السماء ...	٢٢١
فأما من طغى ...	٢٩٢
يسألونك عن الساعة ...	٧٣١
عبس :	
بأيدي سفره	٣٨٨
قتل الإنسان ما أكفره ...	٢٠٨
فلينظر الإنسان إلى طعامه ...	م٢
حبا وعنبا وقضبا ...	٤٦٢
يوم يفر المرء من أخيه ...	٣٥١
التكوير :	
والصبح إذا تنفس ...	٢٤٤
والصبح إذا تنفس ...	٤٥٣
الانفطار :	
يوم لاتملك نفس لنفس ...	٣٥١
يأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم ...	١٣٦

طرف الآية	الصفحة
المطففين :	
كلا بل ران على قلوبهم ...	٣٦٧
إن الذين أجرموا ...	٣٣٨
البروج :	
والسماء ذات البروج ...	٣٨٦
قتل أصحاب الأخدود ...	٣٣٨
الطارق :	
فلينظر الإنسان مما خلق ...	٢م
الانشقاق :	
فلا أقسم بالشفق والليل وماوسق ...	٢٤٥
الأعلى :	
سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى ...	١٣٤
الذي خلق فسوى ...	١٣٢
بل تؤثرون الحياة ...	٤٨٦
الغاشية :	
أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ...	٢م
الفجر :	
والفجر وليال عشر ...	٣٨١
والليل إذا يسر ...	٤٥٣
وثمود الذين جابوا ...	٤٣٧
الشمس :	
والشمس وضحاها والقمر ...	٣٨١
والسماء ومابناها ...	٣٨٤
ونفس وماسواها ...	٤٨٧
إذا انبعث أشقاها ...	١٦٨
الليل :	
والليل إذا يغشى والنهار ...	٣٨١
فأما من أعطى ...	٣٩٤
الضحى :	
والضحى والليل إذا سجى ...	٢٤٥

طرف الآية	الصفحة
ألم يجدك يتيما فآوى ...	٧٢٥
الشرح :	
فإذا فرغت فانصب ...	٣٥٣
التين :	
والتين والزيتون وطور ...	٣٨٢
لقد خلقنا الإنسان في أحسن ...	٣٤٢
العاديات :	
والعاديات ضبحا ...	٣٨٦
القارعة :	
وتكون الجبال كالعهن ...	٤٥٧
مريم :	
والعصر إن الإنسان لفي خسر ...	٢٤٥
الهمزة :	
نار الله الموقدة ...	٣٥١
الفيل :	
وأرسل عليهم طيرا ...	٤٥٦
قريش :	
فليعبدوا رب هذا البيت ...	٣٥٥
الماعون :	
فويل للمصلين الذين هم عن ...	٢٩٥
الإخلاص :	
قل هو الله أحد ...	٧١٩
لم يلد ولم يولد ...	١٣١
الناس :	
قل أعوذ برب الناس ...	٢٩٠

فهرس الأحاديث

م	طرف الحديث	الصفحة
١	أتي رسول الله ﷺ بإناء وهو بالزوراء ...	١٨٢
٢	أحب البلاد إلى الله مساجدها	١٣
٣	أدبني ربي	٧٢٥
٤	إذا أحب الله عبد نادى	٣٥٥
٥	أربع إذا كن فيك فلا عليك	٣٥٦
٦	أرحنا بها يا بلال	١٨
٧	أسالك بكل اسم هو لك	٤٩٠
٨	أصبحنا وأصبح الملك لله	٢٤٥
٩	اقرأ علي قال : اقرأ عليك وعليك ...	٦٠٧
١٠	أقرب مايكون العبد من ربه ...	١٨
١١	ألا رجل يحملني إلى قومه ...	٥٨٩
١٢	أما مررت بوادي قومك جدبا	٢٢٣
١٣	أمرنا رسول الله ﷺ ...	٤٩٣
١٤	أنا أغنى الشركاء عن الشرك ...	٢٩٧
١٥	أنا سيد ولد آدم يوم القيامة	٧٢٢
١٦	انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه	١٦٨
١٧	أنزل الله القرآن على رسوله	٣٤٠
١٨	انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ ...	١٨٢
١٩	إن أحدكم يجمع خلقه ...	٩٦
٢٠	إن أخوف ما أخاف عليكم ...	٢٩٦
٢١	إن الإسلام ...	
٢٢	إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ ...	١٨٢
٢٣	إن الدنيا حلوة خضرة	٢٩٣
٢٤	إن الإسلام يجب ماقبله	٥٩٥

م	طرف الحديث	الصفحة
٢٥	إن الشمس والقمر آيتان	٤٤٩
٢٦	إن العبد ليحرم الرزق بالذنب ...	٢٧٢
٢٧	إن عفريتاً من الجن يفتك ...	١٧٧
٢٨	إنك تأتي قوماً أهل كتاب	٤٩٣
٢٩	إن الله اصطفى من ولد إبراهيم ...	٧٢٣
٣٠	إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا ...	٢٩٩
٣١	إن الله جميل يحب الجمال	٢٦٣
٣٢	إن الله خلق آدم من قبضة	٩٥
٣٣	إن الله خلق الخلق	٧٢٢
٣٤	إن الله ﷻ لم يهلك قوماً ...	٥٤٧
٣٥	إن الله لايهلك أمة محمد بسنة ...	٢٧٦
٣٦	إن الله لما فرغ من خلق ...	٦٩٤
٣٧	إن الله ورسوله حرما بيع الخمر ...	٥٣٦
٣٨	إن لكل أمة فتنة	٢٩٤
٣٩	إن مما أخاف عليكم ...	٢٩٣
٤٠	إن من خياركم أحسنكم أخلاقا	١١
٤١	إن من الشجر شجرة ...	٣٦٣
٤٢	أن ناسا من أهل الشرك	٧٥١
٤٣	إني خرجت من نكاح	٧٢٣
٤٤	إني سألت الشفاعة لأمتي ...	٧١٨
٤٥	بروا آباءكم تبركم أبناؤكم ...	٣٦٧
٤٦	بل نرفق به	٥٨١
٤٧	بينما نحن مع رسول الله ﷺ انشق القمر ...	٧٣٢
٤٨	تسألني يا ابن أم عبد ...	٢٤١
٤٩	تسبيح الطعام بين يديه	١٨٣
٥٠	تسليم الشجر والحجر عليه ...	١٨٣
٥١	تعرض الفتن	٣٦٧
٥٢	تعرفوا على الله في الرخاء يعرفكم ...	١٠٦
٥٣	جاء جبريل إلى النبي بعد ...	١٨٥
٥٤	حدثوا الناس بما يعرفون	٣٠١

م	طرف الحديث	الصفحة
٥٥	حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ...	٦٥٦
٥٦	حصنوا أموالكم بالزكاة	١٨١
٥٧	الحكمة ضالة المؤمن	١٦
٥٨	الحمد لله الذي رزقني من الرياش	٢٦٤
٥٩	حنين الجذع إليه ﷺ ...	١٨٣
٦٠	خير القرون قرني ...	٦١٦
٦١	الخيل معقود في نواصيها الخير	١٠٣
٦٢	الدنيا متاع وخير متاعها ...	٢٦٤
٦٣	الدين النصيحة	٦٢٢
٦٤	رأيت ليلة أسري بي رجالا ...	٢٨٦
٦٥	رده ﷺ عين قتادة ...	١٨٣
٦٦	الريح من روح الله ...	٤٧١
٦٧	سئل عن أكثر مايدخل الناس ...	٩
٦٨	السمع والطاعة على المرء ...	٢٤١
٦٩	شح مطاع وهوى متبع	٢٣٩
٧٠	الشرك أخفى في أمتي	٥٠٣
٧١	طاعة السحاب له عليه السلام	١٨٤
٧٢	الطيرة شرك	٥٠٣
٧٣	عجبا لأمر المؤمن ...	٢٦٠
٧٤	على المسلم السمع والطاعة ...	٢٤٢
٧٥	فإن هم أطاعوا الله يذلل	٢٣٩
٧٦	فهل أنتم تاركو لي صاحبي	٥٩٤
٧٧	فوالله أخشى عليكم الفقر	٢٩٣
٧٨	فيأتون نوحا	٦١٧
٧٩	في أحد قاتل جبريل وميكائيل ...	١٨٤
٨٠	قصة استماع جبير بن مطعم للطور	٥٩٦
٨١	قصة قراءة النبي ﷺ القرآن على عتبة	٦٠
٨٢	قط قط ...	٥٠٥
٨٣	كاد قلبي أن يطير	٦٨
٨٤	كان آخر قول إبرهيم حين ألقى في النار ...	٦٥٦

م	طرف الحديث	الصفحة
٨٥	كان خلقه القرآن	١١
٨٦	كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول :	٢٨٨
٨٧	كان رسول الله يكلمنا ونكلمه ...	١٨
٨٨	كذبني ابن ءادم ولم يكن له ذلك	١٢٦
٨٩	كيف نسبه فيكم	٧٢٣
٩٠	لا إله إلاّ الله العظيم الحليم ...	٦١
٩١	لا ، إن الله لم يلعن قوما	٥٤٧
٩٢	لابأس بالغنى لمن اتقى ...	٢٦٧
٩٣	لاعيش إلاّ عيش الآخرة ...	٢٩٣
٩٤	لايبقين في جزيرة العرب دينان	٥٢٥
٩٥	لايدخل الجنة من كان في قلبه ...	١٠٤
٩٦	اللهم اغفر لي ذنبي ...	٢٦٤
٩٧	اللهم أنت حسنت خلقي	١١
٩٨	اللهم إني أسألك خيرها	٦٦
٩٩	اللهم حوالينا ولا علينا	٤٩٩
١٠٠	اللهم فالق الإصباح ...	١١٢
١٠١	لعن الله اليهود	٥٣٦
١٠٢	لقد رأيتني وقريش تسألني عن مسراي	١٨١
١٠٣	لقد سمعت صوت رسول الله ضعيفا ...	١٨٣
١٠٤	لما كذبتني قريش قمت في الحجر.	١٨١
١٠٥	لم تظهر الفاحشة في قوم ...	٢٧٧
١٠٦	لو دخلوها أو دخلوا فيها	٢٤٠
١٠٧	ليكونن من أمتي أقوام ...	٢٧٤
١٠٨	ما أنت بمحدث قوما حديثا ...	٤٩٣
١٠٩	ما بهذا بعثت إليكم ...	٧٢٨
١١٠	مادعوت أحداً إلى الإسلام إلاّ كانت ...	٥٩٤
١١١	ما لا عين رأيت ...	٣٦١
١١٢	ما من الأنبياء نبي إلاّ أعطي من الآيات ...	١٦٤
١١٣	مامن شيء أثقل في ميزان العبد ...	٩
١١٤	مامن مولود إلاّ ويولد على الفطرة ...	١٣

م	طرف الحديث	الصفحة
١١٥	ما نحل والد ولداً أفضل ...	١٥
١١٦	من أصبح منكم آمنا في سربه ...	٢٦٨
١١٧	من أطاعني فقد أطاع الله ...	٢٤٠
١١٨	من حج فلم يرفث ...	١٩
١١٩	من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك ...	٣٧٥
١٢٠	من دعى إلى هدى ...	٣٠١
١٢١	من سعادة المرء المسكن الواسع ...	٢٦٤
١٢٢	من كانت الآخرة همه ...	٢٦٧
١٢٣	من كانت الدنيا همه فرق ...	٢٧٩
١٢٤	ناركم هذه التي توقدون ...	٢٣١
١٢٥	نحن أحق بالشك من إبراهيم ...	٢٥٠
١٢٦	نصرت بالصبا وأهلكت عاد ...	١٨٤
١٢٧	هذا جبريل جاء يعلم الناس ...	١ م
١٢٨	وأما من قال مطرنا بنوء كذا ...	٣٨١
١٢٩	ورجل قلبه معلق ...	١٤
١٣٠	والصبر ضياء ...	٢٦٠
١٣١	والصيام جنة ...	١٩
١٣٢	والله ما الدنيا في الآخرة ...	٩٤
١٣٣	ولكن ياحنظلة .. ساعة وساعة ...	٢٦٦
١٣٤	ولد يوم الاثنين ...	٧٢٣
١٣٥	ولو أنكم توكلون على الله حق توكله ...	١٤٠
١٣٦	ومن يتصبر يصبره الله ...	٢٦٠
١٣٧	ويل لمن قرأها ولم يتفكر ...	٤٩
١٣٨	يؤتى بالرجل يوم القيامة ...	٢٨٦
١٣٩	يأتي الشيطان أحدكم ...	٢٤
١٤٠	يا أبا ذر هل تدري أين تذهب هذه ؟	٤٤٨
١٤١	يا أيها الناس اتقوا الله وإن أمر ...	٢٤١
١٤٢	يا أيها الناس إنكم تسألون عني ...	٦٢٣
١٤٣	ياعائشة لولا قومك ...	٤٩٢
١٤٤	يايهودي من كل يخلق ، من نطفة ...	٩٦

م	طرف الحديث	الصفحة
١٤٥	يجاء بالرجل فتندلق ...	١٩
١٤٦	يصعق الناس حين يصعقون ...	١٩٨
١٤٧	اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع ...	٣٧٧

فهرس الأعلام

صفحة

الآلوسي : ٥٣

هو محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي شهاب الدين أبو الثناء ، مفسر محدث أديب من المجددين من أهل بغداد ، كان سلفي الاعتقاد ، تولى الإفتاء ببلده . من مؤلفاته : روح المعاني في التفسير ، ودقائق التفسير ، ولد سنة ١٢١٧هـ وتوفى سنة ١٨٠٢هـ . الأعلام ١٧٦/٧ .

إبراهيم التيمي : ٦٩٤

إبراهيم بن محمد بن طلحة التيمي أبو إسحاق المدني ، من ثقات التابعين ، مات ١١٠هـ ، التقريب ٤١/١ .

أبي بن خلف : ٧٤٥

بن وهب بن حذافة بن جمح ، وقد كان يلقى رسول الله ﷺ في مكة فيقول : يامحمد إن عندي العنوذ (وهي فرس له) أعلفه كل يوم فرقا من ذره أقتلك عليه ، فيقول له : بل أنا أقتلك إن شاء الله ، فقتله يوم أحد فمات بسرف. انظر سيرة ابن هشام ٨٤/٣ .

أبي بن كعب : ٥٣٧

هو أبي بن كعب بن قيس الأنصاري الخزرجي أبو المنذر سيد القراء ، من فضلاء الصحابة ، اختلف في سنة موته اختلافاً كثيراً ؛ قيل : تسعة عشر ، وقيل غير ذلك . التقريب ٤٨/١ .

ابن الأثير : ٨ م

هو المبارك بن محمد بن محمد بن محمد الشيباني الجزري أبو السعادات ، أبو السعادة ، ولد سنة ٥٤٤هـ ، ونشأ في جزيرة ابن عمر ، وانتقل إلى الموصل ، وهو أخو ابن الأثير المؤرخ ، وابن الأثير الكاتب ، توفي سنة ٦٠٦هـ بالموصل . من مؤلفاته : النهاية في غريب الحديث ، راجع الأعلام ٢٧٢/٥ .

أحمد شوقي : ١٣٣

أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي أشهر شعراء العصر الأخير ، ولد سنة ١٢٨٥هـ ، ذهب إلى فرنسا سنة ١٨٩١م ، عاش مترفاً في نعمة واسعة ، توفي سنة ١٣٥١هـ . راجع الأعلام ١٣٦/١.

أخت عمر بن الخطاب : ٦٠٧

هي : فاطمة بنت الخطاب بن نفيل القرشية ، صحابية من السابقات إلى الإسلام ، أسلمت قبل أخيها عمر ، كنيتها أم جميل ، وقيل إن اسمها أميمة وهي زوجة سعيد بن زيد . انظر الإصابة ٣٨١/٤ .

الأخنس ابن شريق : ٥٨٩

هو : الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة ، اسمه أبي وإنما لقب الأخنس ؛ لأنه رجع ببني زهرة من بدر ، شهد حنين ومات في خلافة عمر ، اختلف في صحبته ، راجع الإصابة ٢٦/١ ، ط : دار الفكر العربي .

الأزهر : ٥٢٣

هو أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري اللغوي المتوفى سنة ٣٧٠هـ ، صاحب تهذيب اللغة ، راجع ترجمته في مقدمة تحقيق يعقوب عبد النبي في تهذيب اللغة . وانظر الأعلام ٣١١/٥ .

أبو إسحاق إبراهيم السّري : ٥٢٢

لعله : إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع الأنصاري أبو إسحاق المدني ، ضعيف من السابعة . التقريب ٣٢/١ .

ابن إسحاق : ٥٣٤

هو : محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني ، من أقدم مؤرخي العرب من أهل المدينة ، زار الاسكندرية سنة ١١٩هـ وسكن بغداد فمات فيها ودفن بمقبرة الخيزران سنة ١٥١هـ . الأعلام ٢٨/٦ .

أسعد بن زرارة : ٦٠٨

هو أسعد بن سهل بن حنيف أبو أمامة معدود في الصحابة ، له رؤية لم يسمع من النبي ﷺ . مات سنة مائة وله اثنتان وتسعون ، التقريب ٦٤/١ .

أسيد بن حضير : ٦٠٨

بن سماك بن عتبك الأشهلي الأنصاري ، أبو يحيى ، صحابي جليل . مات سنة ٢٠ أو ٢١ . التقريب ٧٨/١ .

الأصمعي : ٦١٠

هو عبدالملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي ، أحد أئمة العلم باللغة والشعر ، له تصانيف كثيرة ، منها « الابل » و « خلق الإنسان » ، كان يقول : أحفظ عشرة آلاف أرجوزة . ولد بالبصرة سنة ١٢٢هـ ، وبها توفي سنة ٢١٦هـ ، الأعلام ، ١٦٢/٤ .

البغوي : ١٧٠

الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي ، أبو محمد الشافعي . روى عن : شيخة القاضي حسين بن محمد المروزي ، وعبدالواحد بن أحمد المليحي ، ومحمد ابن محمد الشيزري ، وغيرهم . روى عنه : محمد بن أسعد العطاري ، وفضل الله ابن محمد النوقاني ، وغيرهم . قال الذهبي عنه في سير أعلام النبلاء : الشيخ ، الإمام ، العلامة ، القدوة ، الحافظ ، شيخ الإسلام ، محي السنة ، المفسر ، صاحب التصانيف كـ : شرح السنة ، و معالم التنزيل ، و المصابيح ، و كتاب التهذيب في المذهب ، والجمع بين الصحيحين ، و الأربعين حديثاً ، واشياء . تفقه على شيخ الشافعية القاضي حسين بن محمد المرورذي . ومات سنة ست عشرة وخمسمائة ، ودفن بجنب شيخه القاضي حسين ، وعاش بضعاً وسبعين سنة . مصادر الترجمة : وفيات الأعيان ١٣٦/٢ ، سير أعلام النبلاء ٤٣٩/١٩ .

أبو بكر بن عبدالله : ٦٩٠

لعله أبو بكر بن عبدالله بن محمد بن أبي سبرة العامري المدني ، قيل اسمه عبدالله وقيل محمد ، رموه بالوضع وقال مصعب الزبيري : كان عالماً ، وهو من السابعة . مات اثنتين وستين ومائة . انظر التقريب ٣٩٧/٢.

تميم بن أوس الداري : ٦٢٢

هو أبو رقية تميم الدارى ، صحابي مشهور ، سكن بيت المقدس بعد قتل عثمان ، قيل مات سنة ٤٠ ، انظر التقريب ١/١١٣ .

ابن جريج : ٢٥٢

هو عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج الأموي مولاهم ، أبو الوليد وأبو خالد المكي ، أصله رومي. روى عن أبيه عبدالعزيز بن جريج ، وحكيمة بنت رقيقة ، وعطاء بن أبي رباح ، وغيرهم . روى عنه : ابناه عبدالعزيز ومحمد ابنا عبدالملك بن عبدالعزيز ، وعبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي ، والليث بن سعد .. وغيرهم . قال الذهبي عنه في تذكرة الحفاظ : الإمام ، الحافظ ، فقيه الحرم ... المكي الفقيه ، صاحب التصانيف ، أحد الأعلام ... كان ابن جريج ثبتاً ، لكنه يدلس ... وقال يحيى القطان: لم يكن ابن جريج عندي بدون مالك في نافع. (اهـ) . مصادر الترجمة : تذكرة الحفاظ ١/١٦٩ ، تهذيب التهذيب ٣/٥٠١ ، التقريب ص٣٦٣ .

ابن جرير الطبري : ١٧٦

هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ، الإمام ، العلم ، المجتهد ، عالم العصر ، أبو جعفر الطبري . ولد سنة أربع وعشرين ومائتين . قال الذهبي : كان ثقةً ، صادقاً ، حافظاً ، رأساً في التفسير ، إماماً في الفقه والإجماع والاختلاف ، علامةً في التاريخ وأيام الناس ، عارفاً بالقراءات وباللغة ، وغير ذلك . مات سنة عشر وثلاثمائة . مصادر الترجمة : سير أعلام النبلاء ١٤/٢٦٧ ، ميزان الاعتدال ٣/٤٩٨ .

سليمان الجمل : ٦٢١

هو : سليمان بن عمر بن منصور العجيلي المعروف بالجمل من أهل منية عجيل ، انتقل إلى القاهرة ، له مؤلفات منها : حاشية على تفسير الجلالين . توفى سنة ١٢٠٤هـ . راجع الأعلام ٣/١٣١ .

جنادة بن أبي أمية : ٢٤١

مختلف في صحبته ، قال العجلي : تابعي ثقة . التقريب ١/١٣٤ .

ابن الجوزي : ٤٧١

الشيخ الإمام ، العلامة ، الحافظ المفسر ، شيخ الإسلام ، مفخر العراق ، جمال الدين ، أبو الفرج ، عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيدالله القرشي ، التيمي ، البكري ، الحنبلي ، الواعظ ، البغدادي . صاحب التصانيف . ولد سنة تسع أو عشرة وخمسمائة . روى عن : علي بن عبدالواحد الدينوري ، وأحمد بن أحمد المتوكلي .. وغيرهم . روى عنه : ولده يوسف بن عبدالرحمن ، والشيخ موفق الدين ابن قدامة المقدسي ، وغيرهم . توفي أبوه وله ثلاثة أعوام ، فربته عمته ، وحملته إلى ابن ناصر ، فأسمعه الكثير ، وأحب الوعظ ولهج به ، فوعظ الناس وهو صبي ، ثم مازال نافق السوق ، معظماً ، متغالياً فيه ، مزدحماً عليه ، مضروباً برونق وعظه المثل ، كما له في ازدياد واشتهار إلى أن مات رحمه الله سنة سبع وتسعين وخمسمائة . مصادر الترجمة : وفيات الأعيان ٣/١٤٠ ، سير أعلام النبلاء ٢١/٣٦٥ .

ابن أبي حاتم : ٥٣٤

محمد بن ادريس بن المنذر بن داوود بن مهران التميمي الحنظلي أبو محمد عالم بالرجال ، مات سنة ٣٢٧هـ. انظر المعجم ٥/١٧ ، تذكرة الحفاظ ٣/٢١ .

الحاكم : ٣٤٠

أبو عبدالله الحاكم : محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم ، أبو عبدالله البيع ، الضبي ، الطهماني ، النيسابوري ، الشافعي ، صاحب التصانيف . كان من بحور العلم على تشيع قليل فيه . توفي سنة خمس وأربعمائة . (اهـ) . مصادر الترجمة : سير أعلام النبلاء ١٧/١٦٢ ، تذكرة الحفاظ ٣/١٠٣٩ .

حجاج بن محمد : ٦٩٠

المصيصى الأعور أبو محمد ، نزل بغداد ثم المصيصة ، ثقة ثبت لكنه اختلط في آخر عمره حين قدم بغداد قبل موته ، مات ببغداد ٢٠٦، التقريب ١/١٥٤ .

ابن حجر : ١٦٨

هو أبو الفضل أحمد بن علي الحافظ شهاب الدين المصري الشافعي ، ولد بمصر ونشأ بها ، وسمع الكثير بها ، ثم رحل إلى الحجاز ، وإلى اليمن ، فبرع في الفقه والعربية وصار حافظ الإسلام إليه المنتهى في معرفة الرجال والحديث ، له تصانيف كثيرة أشهرها فتح الباري شرح صحيح البخاري . توفى سنة : ٨٥٢هـ ، انظر : شذرات الذهب ٧/٢٧٠ ، والأعلام ١/١٧٨ .

ابن حجر الهيثمي ٥٣

هو : أحمد بن محمد بن علي الهيثمي شهاب الدين أبو العباس ، ولد سنة ٩٠٨هـ بمصر ، تلقى العلم بمصر في الأزهر ، له تصانيف كثيرة ، منها الفتاوى الهيثمية ، وشرح مشكاة المصابيح للتبريزي. مات بمكة سنة ٩٧٤هـ. راجع الأعلام ٢٣٤/١ .

حذيفة بن اليمان : ٢٥٧

حذيفة بن اليمان – حسيل – بن جابر العبسي ، أسلم هو وأبوه وشهد أحداً ، وقتل أبوه بها ، وهو صاحب سر النبي ﷺ ، استعمله عمر بن الخطاب على المدائن ، ومناقبه كثيرة مشهورة . مات سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان بن عفان بأربعين يوماً . مصادر الترجمة : الكاشف ٣١٥/١ ، تهذيب التهذيب ٤٥٤/١ ، التقريب ص١٥٤، الإصابة في تمييز الصحابة ٣١٧/١ .

ابن حزم : ١٥٩

الإمام الأوحد ، البحر ، ذو الفنون والمعارف ، أبو محمد: علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم بن غالب بن صالح ، الفارسي الأصل ، ثم الأندلسي ، القرطبي ، اليزيدي ، مولى الأمير يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي . ولد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة بقرطبة . روى عن : يحيى بن مسعود بن وجه الجنة ، ويونس بن عبدالله بن مغيث القاضي ، ومحمد بن سعيد بن نبات ، وغيرهم . روى عنه : ابنه أبو رافع ، الفضل بن علي ، وأبو عبدالله الحميدي ، وأبو الحسن شريح بن محمد ، وغيرهم . قيل : إنه تفقه أولاً للشافعي ، ثم أداه اجتهاده إلى القول بنفي القياس كله ، جليه وخفيه ، والأخذ بظاهر النص ، وعموم الكتاب والحديث ، والقول بالبراءة الأصلية واستصحاب الحال ، وصنف في ذلك كتباً كثيرة ، وناظر عليه ، وبلغت تواليفه أربعمائة مجلد ، منها الإيصال إلى فهم كتاب الخصال ، والمجلى ، والمحلى في شرح المجلى بالحجج والآثار ، والفصل في الملل والنحل ، وغيرها . توفي سنة تسع وخمسين وأربعمائة . مصادر الترجمة : وفيات الأعيان ٣٢٥/٣ ، سير أعلام النبلاء ١٨٤/١٨ .

الحسن البصري : ٢١

الحسن البصري – هو الحسن بن أبي الحسن – يسار – البصري ، أبو سعيد ، مولى الأنصار. روى عن : ثوبان مولى النبي ﷺ ، وعمار بن ياسر ، وأبي هريرة عبدالرحمن بن صخر .. وغيرهم . روى عنه : حميد بن أبي حميد الطويل، ويزيد بن أبي مريم ، وأيوب السختياني ، وغيرهم . قال الذهبي عنه في تذكرة الحفاظ : الإمام، شيخ الإسلام ... قال ابن سعد: كان جامعاً، عالماً، رفيعاً، ثقة، حجة،

مأموناً، عابداً، ناسكاً، كثير العلم، فصيحاً، جميلاً، وسيماً... إلى أن قال: وما أرسله فليس بحجة. قلت: وهو مدلس، فلا يحتج بقوله "عن" فيمن لم يدركه ، وقد يدلس عمن لقيه، ويسقط من بينه وبينه، والله أعلم، ولكنه حافظ، علامة، من بحور العلم، فقيه النفس، كبير الشأن، عديم النظير، بليغ الموعظة، رأس في أنواع الخير. (اهـ). أخرج له الجماعة ، وتوفي سنة عشر ومائة . مصادر الترجمة : تهذيب الكمال ٩٥/٦، تذكرة الحفاظ ٧١/١، تهذيب التهذيب ٤٨١/١.

حصين : ٥٣٨

ابن جندب بن الحارث الجنبي أبو ظبيان الكوفي ، ثقة من الثانية ، مات سنة ٩٠ وقيل غير ذلك التقريب ١٨٢/١ .

أم الحصين : ٢٤١

أم الحصين الأحمسية . روت عن النبي ﷺ . روى عنها : ابن ابنها يحيى بن الحصين الأحمسي ، والعيزار بن حريث . شهدت خطبة الوداع ، وروتها عن النبي ﷺ .. وغير ذلك . أخرج لها الجماعة إلاّ البخاري . مصادر الترجمة :.تهذيب التهذيب ٦٢٣/٦ ، التقريب ص٧٥٦ ، الإصابة في تمييز الصحابة ٤٤٢/٤ .

خالد بن الوليد : ٥٩٤

هو أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله المخومي ، من كبار الصحابة ، وكان إسلامه بين الحديبية والفتح . مات سنة : إحدى أو اثنتين وعشرين . انظر التقريب ٢١٩/١ .

الخطابي : ٥٩٠

هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي أبو سليمان فقيه محدث من بلاد كابل ، له : معالم السنن ، وبيان إعجاز القرآن ، وغريب الحديث .. وغيرها . توفي ٣٨٨هـ . الأعلام ٢٧٣/٢ .

أبو داود الطيالسي : ٥١٩

سليمان بن داود بن الجارود ، ثقة حافظ ، غلط في أحاديث من التاسعة ، مات سنة ٢٠٤ التقريب ٣٢٣/١ .

دراز : ٣١

هو : محمد بن عبدالله دراز ، هو فقيه متأدب مصري أزهري ، كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر ، له كتب منها ((الدين)) دراسة تمهيدية لتاريخ الإسلام ، الأعلام ٢٤٦/٦.

أبو الدرداء : ٩

عويمر بن زيد الأنصاري ، مختلف في اسم أبيه ، وإنما ماهو مشهور بكنيته صحابي جليل ، أول مشاهده أحد وكان عابداً ، مات في آخر خلافة عثمان ، وقيل عاش بعد ذلك ، التقريب ٢/٩١ .

ابن دريد : ٥٢٢

هو محمد بن الحسن بن دريد الأزدي أبو بكر من أئمة اللغة والأدب ، كانوا يقولون ابن دريد أشعر العلماء واعلم الشعراء ، مات ٣٢١هـ ، انظر الأعلام ٦/٨٠.

ابن الدغنة : ٥٨٨

ضبطه القسطلاني بفتح الدال وكسر الغين المعجمة وفتح النون المخففة ، أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة وهو سيد الأحابيش . انظر سيرة ابن هشام ٢/٣٧٢-٣٧٤.

ابن أبي الدنيا : ٤٩

عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا القرشي الأموي ، مولاهم البغدادي ، أبو بكر ، ولد سنة ٢٠٨هـ ، حافظ للحديث ، مكثر من التصنيف ، أدب الخليفة المعتضد في حداثته ، مات سنة ٢٨١هـ ، الأعلام ٤/١١٨ .

أبو ذر ﷺ : ٤٤٨

جندب بن جنادة على الأصح الغفاري ، واختلف في أبيه ، تقدم إسلامه وتأخرت هجرته فلم يشهد بدراً . مات سنة ٣٢ في خلافة عثمان ، التقريب ٢/٤٢٠ .

الرَّازِي : ٨٩

فخرالدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، القرشي ، البكري ، الطبرستاني ، الأصولي ، المفسر . ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة . قال الذهبي في سير أعلام النبلاء : اشتغل على أبيه ضياء الدين – خطيب الري – وانتشرت تواليفه في البلاد شرقاً وغرباً ، وكان يتوقد ذكاءاً . مات بهراة يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة ، وله بضع وستون سنة .انظر : وفيات الأعيان ٤/٢٤٨ ، سير أعلام النبلاء ٢١/٥٠٠ .

الراغب : ٢٣٩

هو حسين بن محمد بن المفضل بن القاسم الأصفهاني أو الأصبهاني ، المعروف بالراغب ، أديب من الحكماء العلماء ، سكن بغداد وتوفى سنة ٥٠٢هـ ، راجع الأعلام ٢٥٥/٢ .

الربيع بن أنس : ٥٤٦

الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني ، المروزي ، البصري . روى عن : أنس ابن مالك ، و أبي العالي الرياحي رفيع بن مهران فأكثر عنه ، والحسن البصري .. وغيرهم . روى عنه : أبو جعفر الرازي ، عيسى بن عبدالله بن ماهان ، وسليمان بن مهران الأعمش ، وسليمان بن طرخان التيمي .. وغيرهم . قال أبو حاتم الرازي ، وأحمد بن عبدالله العجلي : صدوق . زاد أبو حاتم : وهو أحب إليّ في أبي العالية من أبي خلدة . وقال أبو عبدالرحمن النسائي : ليس به بأس . وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : الناس يتقون من حديثه ماكان من رواية أبي جعفر عنه ؛ لن في أحاديثه عنه اضطراباً كثيراً . أخرج له أصحاب السنن ، وتوفي سنة تسع وثلاثين ومئة . مصادر الترجمة : تهذيب الكمال ٦٠/٩ ، الكاشف ٣٩١/١ ، تهذيب التهذيب ١٤٢/٢ .

أبو رزين : ٢٢٣

هو : لقيط بن عامر بن صبرة بن عبدالله بن المنتفق ، أبو رزين – بفتح الراء وكسر الزاي – العَقيلي – بفتح العين – . روى عن : النبي ﷺ . روى عنه : ابنه – عاصم بن لقيط ، ووكيع بن عدس – بضم العين المهملة والدال ، وقد تفتح الدال– وعبدالله بن حاجب بن عامر ، وغيرهم. قال ابن عبدالبر: وقد قيل: إن لقيط بن عامر ، غير لقيط بن صبرة ، وليس بشيء ، وكذا قال عبدالغني بن سعيد : أخرج له البخاري في الأدب المفرد ، وأصحاب السنن . مصادر الترجمة : الكاشف ١٥١/٢ ، تهذيب التهذيب ٦٠٦/٤ ، التقريب ص٤٦٤ .

الزجاج : ٥١٩

أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل المشهور بالزجاج النحوي ، كان من أهل الفضل والدين ، مات سنة ٣١١هـ . انظر ضياء السالك ، ١١٦/١ .

الزركشي : ٣٠٧

هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد شمس الدين الطائي المصري الحنبلي ، المولود حوالي سنة ٧٢٢ ، والمتوفى سنة ٧٧٢هـ ، النجوم الزاهرة ١١٧/١١ ، وشذرات الذهب ٢٢٤/٦ .

الزمخشري : ٨٧

الزمخشري : العلامة ، كبير المعتزلة ، أبو القاسم : محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ، الخوارزمي ، النحوي ، صاحب الكشاف والمفصل . ولد في زمخشر - قرية من عمل خوارزم - في رجب سنة سبع وستين وأربعمائة . وكان رأساً في البلاغة ، والعربية ، والمعاني ، والبيان ، وله نظم جيد ، وكان داعيةً إلى الاعتزال . مات ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة . مصادر الترجمة : وفيات الأعيان ١٦٨/٥ ، سير أعلام النبلاء ١٥١/٢٠ .

الزهري : ٥٤٥

هو أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري القرشي ، أعلام الفقهاء المحدثين التابعيين بالمدينة رأى عشرة من الصحابة منهم أنس بن مالك ﷺ ، كتب عمر بن عبدالعزيز إلى الآفاق : عليكم بابن شهاب فانكم لاتجدون أحداً أعلم منه بالسنة ، توفى سنة ١٢٤هـ أو ١٢٥ . انظر : تهذيب التهذيب ٤٤٥/٩ ، وشجرة النور ص٤٦ .

زيد بن أرقم : ٥٨١

هو أبو عمر زيد بن أرقم بن زيد الأنصاري الخزرجي ، شهد الخندق ، ومابعدها من المشاهد واستصغر يوم أحد وشهد مع النبي ﷺ سبعة عشرة غزوة . توفي بالكوفة سنة ٦٦هـ . انظر الاستيعاب ٥٥٦/١ ، والإصابة ٥٦٠/١ .

زيد بن أسلم : ٦٦٨

العدوي العمري مولاهم أبو أسامة أو أبو عبدالله من أهل المدينة . كان مع عمر ابن عبدالعزيز أيام خلافته . واستقدمه الوليد بن يزيد في جماعة من وهاء المدينة إلى دمشق وهو شقة كثر الحديث . مات سنة ١٣٦هـ . راجع الأعلام ، ٥٦/٣-٥٧.

ابن زيد : ٢٤٦

هو محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ بضم القاف والفاء بينهما نون ساكنة ، التميمي المدني ثقة من الخامسة ، أخرج له مسلم والأربعة ، التقريب ١٦٢/٢ .

زيد بن وهب : ٥٣٨

زيد بن وهب الجهني أبو سليمان الكوفي مخضرم ثقة جليل ، لم يصب من قال في حديثه خلل ، مات بعد الثمانين ، وقيل سنة ست وتسعين . راجع التقريب ٢٢٧/١ .

السدي : ٢٥٢

هو إسماعيل بن عبدالرحمن السدي ، تابعي حجازي الأصل ، سكن الكوفة ، قال فيه ابن تغري بردي : " صاحب التفسير والمغازي والسير ، وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس . انظر : الأعلام ٣١٦/١ ط: دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٩٧م .

سعد بن معاذ : ٦٠٨

هو : سعد بن معاذ بن النعمان الأوسي ، صحابي ، كنيته أبو عمرو ، كانت له سيادة الأوس ، رماه حباف بن العرقه بسهم يوم الخندق فمات من أثر جرحه ودفن بالبقيع وعمره سبع وثلاثون سنة ، وكانت وفاته في السنة الخامسة . الإصابة ، سيرة ابن كثير ، الأعلام ٨٨/٣ .

ابن سعد : ٣٦٣

هو : محمد بن سعد بن منيع الهاشمي مولاهم ، البصري ، نزيل بغداد ، كاتب الواقدي . قال الذهبي : صاحب الطبقات ، حافظ ، صدوق (اهـ) . وقال الحافظ ابن حجر في التقريب : صدوق فاضل (اهـ) . أخرج له أبو داود ، ومات سنة ثلاثين ومائتين وهو ابن اثنتين وستين . مصادر الترجمة : الكاشف ١٧٤/٢ ، التقريب ص٤٨٠ .

سعيد بن جبير : ٥١٩

هو سعيد بن جبير الأسدي ، مولاهم الكوفي المقرئ المفسر الفقيه المحدث ، كان من علماء التابعين ، روى أنه قرأ القرآن في ركعة في البيت الحرام ، قتله الحجاج سنة ٩٥هـ . تهذيب التهذيب ١١/٤ ، وشذرات الذهب ١٠٨/١-١٠٩.

أبو سعيد الخدري : ٢٧٣

هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري . روى عن : النبي ﷺ ، وأبيه مالك بن سنان ، و أخيه لأمه قتادة بن النعمان ، وغيرهم . روى عنه ابنه عبدالرحمن بن سعد بن مالك ، وزوجته زينب بنت كعب بن عجرة ، وعبدالله بن عباس ، وغيرهم . استصغر بأحد ، ثم شهد مابعدها ،

وروى الكثير من الأحاديث . أخرج له الجماعة ، وتوفى سنة ثلاث ، أو أربع ، أو خمس وستين ، وقيل : سنة أربع وسبعين ، بالمدينة المنورة . مصادر الترجمة : الكاشف ٤٣٠/١ ، تهذيب التهذيب ٢٨٢/٢ ، الإصابة في تمييز الصحابة ٣٢/٢ .

سعيد بن زيد : ٦٠٧

ابن عمرو بن نفيل العدوي القرشي أبو الأعور ، صحابي ، وهو أحد العشرة ، ولد قبل الهجرة بـ ٢٢ سنة ، شهد اليرموك ، وحصار دمشق ، توفي بالمدينة سنة ٥١هـ ، راجع الأعلام ٩٤/٣ .

سعيد بن المسيب : ٧٠٢

هو إمام التابعين سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي القرشي المدني ، أحد فقهاء المدينة السبعة . توفى سنة ٩٤هـ . راجع : تقريب التهذيب ٣٠٥/١ ، وشذرات الذهب ١٠٢ .

أبو السعود : ٨١

هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي القسطنطيني الرومي الحنفي ، مفتي الدولة العثمانية المولود سنة ٨٩٣هـ والمتوفى ٩٨٢ ، انظر : العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم ٢٨٢/٢ ، والفوائد البهية في تراجم الحنفية ص٨٢ ، والتفسير والمفسرون ٣٤٥/١ .

سفيان بن عيينة : ٥٤٥

هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي محدث الحرم المكي من الموالي ، ولد بالكوفة وسكن مكة وتوفي بها ، كان ثقة حافظاً واسع العلم كبير القدر ن قال الشافعي : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز ، من كتبه : الجامع في الحديث ، وله كتاب في التفسير . توفى ١٩٨هـ ، شذرات الذهب ٣٥٤/١ ، والأعلام ١٠٥/٣ .

أبو سفيان : ٥٨٩

هو : صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي ، أسلم ليلة الفتح وشهد حنيناً والطائف مع رسول الله ﷺ ، استعمله النبي ﷺ على نجران ، وقد ذهبت عيناه في الجهاد إحداهما يوم الطائف ، والثانية يوم اليرموك . توفي بالمدينة سنة ٣١ وقيل ٣٢هـ وقيل ٣٣ . انظر ترجمته في أسد الغابة ١٢/٣-١٣ ، والإصابة ١٧٨/٢ .

ابن السكيت : ٢٣٩

هو : شيخ العربية ، أبو يوسف ، يعقوب بن إسحاق بن السكيت ، البغدادي ، النحوي ، المؤدب ، مؤلف كتاب " إصلاح المنطق " ، ديِّن ، خيِّر ، حجة في العربية . أخذ عن : أبي عمرو الشيباني ، وطائفة . روى عنه : أبو عركمة الضبي ، وأحمد بن فرح المفسر ، وجماعة . قال ابن خلكان : وعرف بذلك أي – بابن السكيت – لأنه كان كثير السكوت ، طويل الصمت . قال الذهبي : وكان أبوه مؤدباً ، فتعلم يعقوب ، وبرع في النحو واللغة ، وأدب أولاد الأمير محمد بن عبدالله بن طاهر ، ثم ارتفع محله ، وأدب ولد المتوكل . مات سنة أربع وأربعين ومائتين . وفيات الأعيان ٣٩٥/٦ ، سير أعلام النبلاء ١٦/١٢ .

أبو سلمة : ٢٤٠

هو : أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف بن عبد عوف الزهري ، المدني . روى عن : أبيه عبدالرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وعبادة بن الصامت ، وغيرهم . روى عنه : ابنه عمر بن أبي سلمة ، وعروة بن الزبير ، ومحمد بن شهاب الزهري وغيرهم . قال الذهبي عنه في تذكرة الحفاظ : المدني ، الحافظ ... وكان من كبار أئمة التابعين ، غزير العلم ، ثقةً ، عالماً . قال الزهري : أربعة وجدتهم بحوراً : عروة بن الزبير ، وابن المسيب ، وأبو سلمة ، وعبيدالله بن عبدالله . (اهـ) قال الحافظ ابن حجر في التقريب : ثقة ، مكثر . (اهـ) . مات سنة أربع وتسعين أو أربع ومائة ، وكان مولده سنة بضع وعشرين ، أخرج له الجماعة . مصادر الترجمة : الكاشف ٤٣١/٢ ، تهذيب التهذيب ٣٦٩/٦ ، التقريب ص٦٤٥ .

سليمان بن أرقم : ٢٥٢

سليمان بن أرقم ، أبو معاذ البصري ، مولى الأنصار . روى عن : يحيى بن أبي كثير ، ومحمد بن شهاب الزهري ، والحسن البصري ، وغيرهم . روى عنه : شيخة محمد بن شهاب الزهري ، وسفيان بن سعيد الثوري ، وأبو داود الطيالسي وغيرهم . قال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين : ليس بشيء . وقال عمرو بن علي الفلاس : ليس بثقة ، روى أحاديث منكرة . وقال أبو حاتم الرازي ، وأبو عيسى الترمذي ، وأبو أحمد الحاكم ، والدار قطني : متروك الحديث . وقال محمد بن إسماعيل البخاري : تركوه . وقال أبو زرعة الرازي : ضعيف الحديث ذاهب الحديث . وقال مسلم بن الحجاج : منكر الحديث . وقال أبو عبدالرحمن النسائي : لايكتب حديثه . وقال ابن عدي : عامة مايرويه لايتابع عليه ، وقال ابن حبان : كان ممن يقلب الأخبار ، ويروي عن الثقات الموضوعات . قال الحافظ الذهبي في الكاشف : متروك . (اهـ) . أخر له أصحاب السنن إلاّ ابن ماجة ، قال الحافظ ابن حجر في التقريب : من السابعة . انظر : تهذيب الكمال ٣٥١/١١ ، ميزان الاعتدال ٤٥٦/٢ ، و تهذيب التهذيب ٣٨٩/٢ والكشاف ٤٥٦/١ .

سهيل : ٥٢٢

هو سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشي ، خطيب قريش . أبو زيد ، تولى أمر الصلح بالحديبية عن قريش ، ثم أسلم وقال : والله لا أدع موقفاً وقفته مع المشركين إلاّ وقفته مع المسلمين ، ولانفقة أنفقتها مع المشركين إلاّ أنفقت مع المسلمين مثلها لعل أمري أن يتلو بعضه بعضاً . توفي سنة ١٨هـ . انظر الإصابة ٢/٩٤ .

سيبويه : ٥٢١

هو أبو بشرعمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء إمام النحاة ، ولد في احدى قرى شيراز سنة ١٤٨ توفي بالأهواز وقيل بشيراز سنة ١٤٨هـ ، راجع الاعلام ٥/٨١ .

ابن سيدة : ٥١٩

هو علي بن إسماعيل المعروف بابن سيدة أبو الحسن إمام في اللغة وآدابها ولد في شرق الأندلس ، كان ضريراً ، وصنف كتباً منها في اللغة: المخصص ، والمحكم والمحيط الأعظم وغيرها. توفي ٤٥٨هـ ، الأعلام ٤/٢٦٣ .

سيد قطب : ٣٧٠

سيد بن قطب بن إبراهيم ، مفكر إسلامي ولد بقرية موشا بأسيوط سنة ١٣٢٤هـ ، تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة ، أعدم سنة ١٣٨٧هـ . راجع الأعلام ٣/١٤٧ .

ابن سيرين : ٢٤١

محمد بن سيرين الأنصاري ، مولاهم أبو بكر بن أبي عمرة البصري ، إمام وقته . قال الذهبي عنه في التذكرة : الإمام الرباني ... وكان فقيهاً ، إماماً ، غزير العلم ، ثقةً ، ثبتاً ، علامة في التعبير ، رأساً في الورع (اهـ) . قال الحافظ ابن حجر في التقريب : ثقة ، ثبت ، عابد ، كبير القدر ، كان لايرى الرواية بالمعنى (اهـ) . أخرج له الجماعة ، ومات سنة عشر ومائة . مصادر الترجمة : تهذيب الكمال ٢٥/٣٤٤ ، تذكرة الحفاظ ١/٧٧ ، تهذيب التهذيب ٥/١٣٩ ، التقريب ص٤٨٣ .

السيوطي : ١٦١

هو عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين السيوطي ، شافعي مجتهد ، ذكر العلماء أن مؤلفاته بلغت ستمائة ، منها: الدر المنثور في التفسير ، والأشباه والنظائر في القواعد الفقهية ، توفي سنة ٩١١هـ ، راجع: شذرات الذهب ٥١/٨ ، والأعلام ٣٠١/٣ .

شاش بن قيس : ٥٣٤

هو أحد بني قينقاع ، كان شديد الطغى والحسن على المسلمين ، حاول الإيقاع بين الخزرج والأوس ، ومن الذين ذهبوا إلى رسول الله ﷺ ليحكم فهم بما أحبوا لقاء الإيمان به ، فنزل في ذلك قوله تعالى : (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ... إلى قوله : يوقنون) سيرة ابن هشام ، ٥١٤/٤ ، ٥٥٥ .

الشعبي : ١٧٠

عامر بن شراحيل بن عبد ، وقيل : عامر بن شراحيل الشعبي ، الحميدي ، أبو عمرو الكوفي ، من شعبة الهمداني . روى عن : علي بن أبي طالب ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وغيرهم . روى عنه : عمرو بن عبدالله ، أبو إسحق السبيعي ، وسعيد بن عمرو بن أشوع ، وإسماعيل بن أبي خالد ، وغيرهم. قال الذهبي عنه في تذكرة الحفاظ : علامة التابعين ... كان إماماً ، حافظاً ، فقيهاً ، متفنناً ، ثبتاً ، متقناً ، وكان يقول: ماكتبت سوداء في بيضاء ... قال أحمد العجلي: مرسل الشعبي صحيح ، لايكاد يرسل إلاّ صحيحاً. (اهـ) بتصرف . قال الحافظ ابن حجر في التقريب : ثقة ، مشهور ، فقيه ، فاضل ، أخرج له الجماعة. مات بعد المائة ، وله نحو من ثمانين . مصادر الترجمة: تذكرة الحفاظ ٧٩/١ ، تهذيب التهذيب ٤٦/٣ ، التقريب ص٢٨٧ .

شهر بن حوشب : ٥١٩

شهر بن حوشب الأشعري ، فقيه قارئ من رجال الحديث ، سكن العراق ، وكان يتزين بزي الجند ، ولد سنة ٢٠هـ ، وكان ظريفاً ، توفي سنة ١٠٠هـ. راجع الأعلام ١٧٨/٣ .

الشهرستاني : ٥٢١

محمد بن عبدالكريم بن أحمد أبو الفتح من فلاسفة الإسلام ، ولد سنة ٤٧٩ ، كان عالماً بعلم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة ، انتقل إلى بغداد سنة ٥١٠هـ فأقام ثلاث سنين وعاد إلى بلده وتوفي بها سنة ٥٤٨هـ . راجع الأعلام ٢١٥/٦ .

الشوكاني : ١٠٣

هو محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني الصنعاني اليمني فقيه محدث أصولي نظار ، عرف بالإمام المجتهد ، له في الأصول : إرشاد الفحول ، وفي التفسير : فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية ، من علم التفسير .. وغيرها كثير . انظر : الفتح المبين في طبقات الأصوليين للمراغي ١٤٤/٣ ، وانظر ترجمته في الأعلام ٢٩٨/٦ .

أبو الشيخ : ٥٣٤

هو عبدالله بن محمد بن جعفر بن حبان الأصبهاني ، ولد سنة ٢٧٤هـ ، من حفاظ الحديث العلماء برجاله ، نسبته إلى جده حبان ، له تآليف عديدة ، منها : طبقات المحدثين بأصبهان ، والواردين عليها ، وكتاب العظمة ، توفي سنة ٣٦٩هـ ، راجع الأعلام ١٢٠/٤ .

صاحب البحر المحيط : ٦٢٢

هو علي بن محمد بن العباس التوحيدي ، أبو حيان التوحدي فيلسوف متصوف معتزلي ، نعته ياقوت: بشيخ الصوفية وفيلسوف الأدباء ، وقال ابن الجوزي: كان زنديقاً ، من كتبه: المقاسات ، والإرشادات الإلهية وغيرها . توفي نحو ٤٠٠هـ ، الأعلام ٣٢٦/٤ .

أبو صالح : ٥٨٨

لعله : عبدالله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني أبو صالح المصري كاتب الليث ، صدوق ، كثير الغلط ، ثبت في كتابه ، وكانت فيه غفلة ، من العاشرة ، مات سنة ٢٢٢هـ ، التقريب ٣٢٤/١ .

الضحاك : ١١١

الضحاك بن مزاحم البلخي الخرساني أبو القاسم مفسر كان يؤدب الأطفال ويقال كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي ، قال الذهبي : كان يطوف عليهم على حمار ، له كتاب في التفسير ، توفي بخراسان سنة ١٠٥هـ ، راجع الأعلام ٢١٥/٣ .

طه حسين : ٤٦٤

طه حسين بن علي بن سلامة ، دكتور في الآداب ، ولد سنة ١٣٠٧هـ ، سافر إلى باريس وتخرج من جامعة السربون ، شغل عدة مناصب ، توفي سنة ١٣٩٣هـ ، راجع الأعلام ٢٣١/٣ .

طاووس : ٤٨١

هو عبدالرحمن طاووس بن كيسان الماني الحميري ، روى عن كثير من الصحابة ، منهم : العبادلة ، الأربعة ، وأبو هريرة ، وعائشة ، وزيد بن ثابت ... وغيرهم . كان من عباد التابعين ، قال ابن عباس عنه : إني لأظن طاووساً من أهل الجنة ، روى عنه ابنه عبدالله ، ووهب بن منبه ، والزهري ، وعمرو بن شعيب .. وغيرهم . توفي سنة ١٠٦هـ وقيل غير ذلك . تهذيب التهذيب ٥/٨-١٠ ، شذرات الذهب ١/٧١ .

الطفيل بن عمر الدوسي : ٧٣٢

الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص الدوسي الأزدي ، صحابي من الأشراف في الجاهلية والإسلام ، كان شاعراً مطاعاً في قومه ، استشهد في اليمامة سنة ١١هـ ، راجع الأعلام ٣/٢٢٧ .

الطنطاوي جوهري : ٢٢٨

هو الطنطاوي بن جوهري المصري ، فاضل له اشتغال بالتفسير والعلوم الحديثة ، ولد سنة ١٢٨٧هـ في قرية عوض الله حجازي بالشرقية وتعلم في الأزهر مدة ، صنف كتباً أشهرها : الجواهر في تفسير القرآن في ٢٦ جزءاً ، توفي بالقاهرة سنة ١٣٥٨هـ . راجع الأعلام ٣/٢٣٠ .

أبو الطيب القنوجي : ٣٠٧

هو محمد بن خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي ، أبو الطيب من رجال النهضة الإسلامية المجدين ، ولد سنة ١٢٤٨هـ في قنوج بالهند للنيف وستون مصنفاً بالعربية والفارسية والهندية ، مات سنة ١٣٠٧هـ . الأعلام ٦/١٦٧ - ١٦٨ صاحب فتح البيان ، ص٣٠٧ .

الطيبي : ٨٨

هو الحسين بن محمد بن عبدالله شرف الدين الطيبي من علماء الحديث والتفسير والبيان ، كانت له ثروة طائلة من الإرث والتجارة فأنفقها في وجوه الخير ، توفي سنة ٧٤٣هـ . راجع الأعلام ٢/٢٥٦ .

عاصم بن عدي : ٥٧٤

ابن العجلان الأنصاري ، صحابي شهد أحداً ، مات في خلافة معاوية وقد جاوز المائة ، وفي الصحيح حكاية ابن عباس عنه قصة الملاعنة . الأعلام ٣/٢٤٨ .

أبو العالية : ٦٩٤

هو أبو العالية البرّاء بالتشديد ، البصري ، اسمه زياد وقيل كلثوم وقيل غير ذلك . ثقة من الرابعة ، مات في شوال سنة ١٩٠هـ ، أخرج له الشيخان . انظر التقريب ٤٤٣/٢ .

أبو عامر الراهب : ٥٥٢

هو عبد عمرو بن صيفي بن النعمان أحد بني ضبيعة بن زيد وهو أبو حنظلة الغسيل يوم أحد ، وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وسماه رسول الله ﷺ . مات في الشام طريداً غريباً ، الفاسق ، انظر سيرة ابن هشام ، المجلد الأول ص٥٨٤ ، مكتبة الرياض الحديثة .

العباس : ٥٩٤

هو العباس بن عبدالمطلب بن هاشم عم النبي ﷺ ، مشهور ، مات سنة ٣٢هـ أو بعدها وهو ابن ثمان وثمانين . انظر التقريب ٣٩٨/١ .

أبو العباس : ٥٢٣

لعله أبو العباس القِلوري العصفري البصري ، اسمه أحمد وقيل محمد بن عمرو بن العباس بن عبيدة وقيل عبيد ، ثقة من الحادية عشرة ، مات سنة ٣٦٣هـ ، أخرج له أبو داود . انظر : التقريب ٤٤٤/٢ .

عبد بن حميد : ٥٩٨

بن نصر الكسي أبو محمد ، من حفاظ الحديث ، قيل اسمه عبدالحميد ، وخفف نسبته إلى كيس من بلاد السند ، توفي سنة ٢٤٩هـ ، راجع الأعلام ٢٦٩/٣ .

عبدالرحمن السلمي : ٤٢٠

عبدالرحمن بن الحباب السلمي ، بضم المهملة وموحدتين الأولى خفيفة وقيل الأسلمي والد عبدالله ، ثقة من الثالثة ، راجع التقريب ٤٧٦/١ .

عبدالرزاق :

عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري ، مولاهم ، أبو بكر الصنعاني . روى عن أبيه همام بن نافع ، وعمه وهب بن نافع ، ومعمر بن راشد .. وغيرهم . روى عنه : سفيان بن عيينة ، ومعتمر بن

سليمان ، ووكيع بن الجراح .. وغيرهم . وقال الحافظ . وقال الحافظ بن حجر في هدي الساري : أحد الحفاظ الأثبات ... وثقه الأئمة كلهم إلاّ العباس بن عبدالعظيم العنبري وحده ، فتكلم بكلام أفرط فيه ، ولم يوافقه عليه أحد ، أخرج له الجماعة ، مات سنة : إحدى عشرة ومائتين ، وله خمس وثمانون سنة ، تهذيب التهذيب : ٤٤٤/٣ ، والتقريب ص ٣٥٤ ، وهدى الساري ص ٤٤٠ .

عبدالله بن أبي ابن سلول : ٥٥٣

عبدالله بن أبي بن مالك الخزرجي أبو الحباب المشهور بابن سلول وسلول جدته لأبيه رأس المنافقين في الإسلام ، ولما مات تقدم النبي ﷺ فصلى عليه ولم يكن ذلك من رأي عمر ، فنزلت (ولاتصل على أحد منهم مات أبداً) مات سنة ٩هـ الأعلام ٦٤/٤ .

عبدالله بن سلام : ٥٢٩

بن الحارث الإسرائيلي أبو يوسف ، صحابي ، قيل انه من نسل يوسف بن يعقوب ، أسلم عند قدوم النبي ﷺ إلى المدينة ، أقام بالمدينة إلى أن مات سنة ٤٣هـ ، راجع الأعلام ٩٠/٤ .

عبدالله بن عمرو : ٣٥٦

هو أبو محمد عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي ، من أفاضل الصحابة وأحد الأربعة الذين اشتهروا بالعبادلة ، وقد توفي سنة ٦٥هـ وقيل غير ذلك ، انظر: الاستيعاب ٣٤٦/٢ ، والإصابة ٣١٥/٢ .

عبدالله بن مسعود : ٩٦

عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شخص بن مخزوم ، أبو عبدالرحمن الهذلي. روى عن: النبي ﷺ ، وسعد بن معاذ ، وعمر بن الخطاب.. وغيرهم. روى عنه: ابناه عبدالرحمن وأبو عبيدة ابنا عبدالله بن مسعود ، وأنس بن مالك ، وأبو سعيد الدري ، سعد بن مالك ، وغيرهم . أسلم بمكة قديماً وهاجر الهجرتين ، وشهد بدراً والمشاهد كلها ، وكان صاحب نعل النبي ﷺ . قال له النبي ﷺ : إنك غلام مُعَلَّم. وآخى بينه وبين سعد بن معاذ ، وقال عن نفسه: أخذت من في الرسول ﷺ سبعين سورة . مناقبه كثيرة جمة . أخرج له الجماعة ، وتوفي سنة اثنتين وثلاثين ، أو في التي بعدها بالمدينة المنورة . مصادر الترجمة : الكاشف ٥٩٧/١ ، تهذيب التهذيب ٢٦٧/٣ .

عتبة : ٣٤١

هو أبو الوليد عتبة بن ربيعة بن حبيب بن عبدشمس من عبد مناف من قادة قريش. قتل يوم بدر مشركاً ، ودفن في القليب وهو من الثلاثة الذين بارزوا وأنزل الله فيهم : (هذان خصمان اختصموا) ، انظر ابن كثير ج٣ ، ص

عثمان بن طلحة : ٥٩٤

هو عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عثمان بن عبدالدار العبدري الحَجَبي ، صحابي شهير ، مات سنة ٤٢هـ وقيل استشهد بأجنادين ، وأبطله ذلك العسكري ، التقريب ٢/١٠ .

عروة بن الزبير : ٢٥٢

عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى الأسدي ، أبو عبدالله المدني . روى عن : أبيه الزبير بن العوام ، وأخيه عبدالله بن الزبير ، وأمه : أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وغيرهم . روى عنه أولاده: عبدالله ، وعثمان ، وهشام ، ومحمد ، ويحيى أبناء عروة بن الزبير ، وعمر بن عبيدالله بن عرة ، وغيرهم . قال الذهبي عنه في تذكرة الحفاظ : الإمام عالم المدينة .. وكان عالماً بالسيرة ، حافظاً ، ثبتاً (اهـ) . قال الحافظ ابن حجر في التقريب: ثقة ، فقيه ، مشهور (اهـ) . أخرج له الجماعة ، ومات سنة أربع وتسعين على الصحيح . مصادر الترجمة : تذكرة الحفاظ ٦٢/١ ، تهذيب التهذيب ١١٧/٤ ، التقريب ص٣٨٩ .

عزالدين عبدالسلام : ٣١٤

عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي الدمشقي ، الملقب بسلطان العلماء ، فقيه شافعي ، بلغ مرتبة الاجتهاد ، توفي بالقاهرة ، وزار بغداد سنة ٥٥٩هـ ، راجع الأعلام ٢١/٤ .

ابن عساكر : ٦٣٨

هو القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله أبو محمد ابن عساكر محدث من أهل دمشق ، زار مصر وأخذ عن أهلها ، وهو ابن صاحب التاريخ الكبير ، له كتب منها : فضل المدينة ، وفضل زيارة الخليل ، وغيرها . ولد سنة ٥٢٧ ، توفي ٦٠٠هـ ، الأعلام ١٧٨/٥ .

عطاء : ٣١٦

هو أبو محمد عطاء بن أبي رباح القرشي مولاهم المكي. روى عن عدد كثير من الصحابة منهم ابن عباس ، وعبدالله بن عمرو ، وكان ثقة فقيهاً عالماً كثير الحديث ، انتهت إليه الفتوى بمكة ، توفى سنة : ١١٤هـ ، وقد روى عنه ابنه يعقوب ومجاهد والزهري وغيرهم . انظر : تهذيب التهذيب ١٩٩/٧ ، وشذرات الذهب ١٤٧/١ .

عطية العوفي : ٩٦

عطية بن سعد بن جنادة العوفي ، الجدلي ، القيسي ، الكوفي ، أبو الحسن . روى عن : أبي سعيد الخدري سعد بن مالك ، وأبي هريرة عبدالرحمن بن صخر ، وعبدالله بن عباس ، وغيرهم . روى عنه : ابناه الحسن وعمر ابنا عطية بن سعد ، وسليمان بن مهران الأعمش ، والحجاج بن أرطاة ، وغيرهم . قال البخاري: قال لي علي عن يحيى : عطية وأبو هارون وبشر بن حرب عندي سواء ، وكان هشيم يتكلم فيه . وقال أحمد بن حنبل : ضعيف الحديث . وقال يحيى بن معين : صالح . وقال أبو زرعة الرازي : لين . وقال أبو حاتم : ضعيف ، يكتب حديثه ، وأبو نضرة أحب إلي منه . وقال أبو عبدالرحمن النسائي : ضعيف . وقال أبو داود السجستاني : ليس بالذي يعتمد عليه . قال الحافظ ابن حجر : صدوق يخطئ كثيراً ، وكان شيعياً مدلساً ، أخرج له البخاري في الأدب المفرد ، وأصحاب السنن سوى النسائي ، توفي سنة : إحدى عشرة ومائة . انظر ميزان الاعتدال ٧٩/٣ ، وتهذيب التهذيب ١٤٣/٤ .

ابن عطية : ٦٢٢

عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن المعارسي الغرناطي ، عارف بالأحكام والحديث ، له شعر ، وله قضاء المرية ، له كتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، توفى سنة ٥٤٢هـ ، راجع الأعلام ٢٨٢/٣ .

العقاد : ٣٣٦

عباس بن محمود بن إبراهيم إمام في الأدب ، مصري ، أصله من دمياط ، ولد في أسوان سنة ١٣٠٦هـ ، كان من أعضاء المجامع العربية الثلاثة : دمشق ، القاهرة ، بغداد ، توفي سنة ١٣٨٣هـ ، راجع الأعلام ٢٦٦/٣ .

عكرمة : ٩٤

عكرمة البربري : أبو عبدالله المدني ، مولى ابن عباس ، أصله من البربر . روى عن : مولاه عبدالله بن عباس ، والحسن بن علي بن أبي طالب ، و أبي هريرة عبدالرحمن بن صخر ، وعبدالله بن عمر ، وغيرهم . روى عنه : إبراهيم بن يزيد النخعي ، وأبو الشعشاء جابر بن زيد ، وعامر بن شراحيل الشعبي ، و أبو إسحق السبيعي عمرو بن عبدالله ، وغيرهم . قال الحافظ الذهبي عنه في سير أعلام النبلاء : العلامة ، الحافظ ، المفسر .. قيل : كان لحصين بن أبي الحر العنبري ، فوهبه لابن عباس ، قال أبو بكر المروذي ، قلت لأحمد: يحتج بحديث عكرمة؟ قال: نعم ، يحتج به .. وعن يحيى بن معين قال : إذا رأيت إنساناً يقع في عكرمة ، وفي حماد بن سلمه ، فاتهمه على الإسلام... وقال أحمد العجلي: مكي ، تابعي ، ثقة ، بريء مما يرميه به الناس من الحرورية . يعني من رأيهم . وقال البخاري : ليس أحد من أصحابنا إلاّ وهو يحتج بعكرمة . وقال النسائي : ثقة (اهـ) . قال الحافظ بن حجر في التقريب : ثقة ، ثبت ، عالم بالتفسير ، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ، ولاتثبت عنه بدعة (اهـ) . أخرج له الجماعة ، وتوفي سنة أربع ومائة ، وقيل بعد ذلك . مصادر الترجمة : تهذيب الكمال ٢٠/٢٦٤ ، سير أعلام النبلاء ٥/١٢ ، تهذيب التهذيب ٤/١٩٧ ، التقريب ص٣٩٧ .

عكرمة ابن أبي جهل : ٢٥٥

هو عكرمة بن أبي جهل بن هشام المخزومي ، صحابي أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه ، واستشهد بالشام في خلافة أبي بكر على الصحيح ، أخرج له الترمذي ، التقريب ١/٢٨ .

علي بن أبي طلحة : ٤٨٢

هو علي بن أبي طلحة سالم مولى ابن عباس ، سكن حمص ، أرسل عنا بن عباس ولم يره من السادسة ، صدوق قد يخطئ ، مات سنة ١٤٣هـ ، التقريب ١/٣٨ .

عمرو بن العاص : ٥٩٤

هو أبو عبدالله عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي ، أسلم قبل الفتح وهاجر سنة سبع وكان النبي ﷺ يدنيه ويوليه الولايات ، وكان من مشاهير العقلاء الدهاة ، وهو الذي افتتح مصر في أيام عمر . وتوفي في مصر والياً عليها لمعاوية – رضي الله عنهما – سنة ٤٣هـ على الصحيح . راجع ترجمته في الاستيعاب ٢/٥٠٨ ، والإصابة ٣/٢ .

عمرو بن عثمان : ٢٦٠

هو : عمرو بن عثمان بن كرب أبو عبدالله المكي ، صوفي ، عالم بالأصول ، من أهل مكة ، له مؤلفات في التصوف ، وأجوبة لطيفة في العبارات والإشارات . مات ببغداد سنة ٢٩٧هـ قال أبو نعيم : معدود في الأولياء ، أحكم الأصول وأخلص في الوصول ، الأعلام ٨١/٥ .

عياض : ٢٩٩

عياض بن عمار التميمي المجاشعي ، صحابي سكن البصرة ، وعاش إلى حدود الخميس ، راجع التقريب ٩٤/٢ .

الغزالي : ٦٠١

هو الإمام الأصولي الفقيه المتكلم أبو حامد حجة الإسلام زين الدين محمد بن محمد بن محمد الطوسي الشافعي المولود بطوس سنة ٤٥٠هـ وتوفي بها سنة ٥٠٥هـ . انظر : طبقات السبكي ١١٠/٤ ، وطبقات بن قاضي شهبة ٢٩٣/١ ، والبداية والنهاية ١٨٥/١٢ ، والعبر ١٠/٤ .

الفراء : ٣١٧

هو يحيى بن زياد الديلمي النحوي القارئ ، مات سنة ٢٠٧هـ . انظر غاية النهاية ٣٧١/٢ ، والأعلام ١٧٨/٧ .

أبو القاسم القشيري : ٣٨٢

هو عبدالكريم بن هواز بن عبدالملك بن طلحة النيسابوري القشيري أبو القاسم زين الإسلام ، ولد سنة ٣٧٦هـ ، كانت إقامته بنيسابور ، وتوفي بها سنة ٤٦٥هـ . من كتبه : " الرسالة القشيرية " ، الأعلام ٥٧/٤ .

قتادة : ١١١

قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزير بن عمرو بن ربيعة ، أبو الخطاب السدوسي . روى عن : أنس بن مالك ، وعبدالله بن سرجس ، وعامر بن واثلة ، أبي الطفيل الليثي ، وغيرهم . روى عنه : أيوب ابن أبي تميمة السختياني ، وسليمان بن طرخان التيمي ، وجرير بن حازم ، وغيرهم . قال الذهبي عنه في سير أعلام النبلاء : حافظ العصر ، قدة المفسري ، والمحدثين ... البصري ، الضرير ، الأكمة ... وكان من أوعية العلم ، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ ... روى عنه أئمة الإسلام : أيوب

السختياني ... وهو حجة بالإجماع إذا بيّن السماع ، فإنه مدلس معروف بذلك ، وكان يرى القدر ... ومع هذا فما توقف أحد في صدقه وعدالته وحفظه... قال محمد بن سيرين : قتادة أحفظ الناس ، أو من أحفظ الناس ... وقال أحمد: كان قتادة أحفظ أهل البصرة ، لايسمع شيئاً إلاّ حفظه ، قرئت عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها (أهـ) . قال الحافظ ابن حجر في التقريب: ثقة ، ثبت ، يقال: ولد أكمه ، وهو رأس الطبقة الرابعة (اهـ) . أخرج له الجماعة ، ومات سنة بضع عشرة ومائة . مصادر الترجمة : سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ ، تهذيب التهذيب ٥٤٠/٤ ، التقريب ، ص٤٥٣ ، طبقات الدلسين ، ص١٤٦ و ١٨٦ .

قتيبة بن سعيد : ٥٣٨

هو قتيبة بن سعيد بن طريف الثقفي أبو رجاء البغلاني يقال اسمه يحيى وقيل على ثقة ثبت من العاشرة ، مات سنة ٢٤١هـ عن تسعين سنة ، التقريب ١٢٣/٢ .

كعب بن الأشرف : ٥٧٠

يهودي شاعر ، رثى كفار قريش الذين قتلوا يوم بدر وتشبب بنساء المسلمين فانتدب له محمد بن مسلمة وثلة آخرون لقتله ، قتل في السنة الثانية ، انظر سيرة ابن شهام ٥٥/٣ .

ابن قتيبة : ٨٩

ابن قتيبة : العلامة الكبير ، ذو الفنون ، أبو محمد: عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، وقيل: المروزي ، الكاتب ، صاحب التصانيف . روى عن: إسحق بن راهويه ، وأبي حاتم السجستاني ، وغيرهم . روى عنه: ابنه القاضي أحمد بن عبدالله ، وعبيدالله بن أحمد بن بكر ، وغيرهم. قال الخطيب البغدادي: كان ثقةً ، ديناً ، فاضلاً . صنف تصانيف جمة ، منها « غريب القرآن » ، و « غريب الحديث » ، و « مشكل القرآن » ، و « مشكل الحديث » ، و « أدب الكاتب » ، و « عيون الأخبار » . قال الذهبي : والرجل ليس بصاحب حديث ، وإنما هو من كبار العلماء المشهورين ، عنده فنون جمة ، وعلوم مهمة . (اهـ) . مات سنة ست وسبعين ومائتين . مصادر الترجمة : سير أعلام النبلاء ٢٩٦/١٣ ، تذكرة الحفاظ ٦٣٣/٢ .

القرطبي : ٢٠

هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي المالكي ، له تصانيف كثيرة أشهرها : الجامع لأحكام القرآن ، وشرح أسماء الله الحسنى ، وكتاب التذكار في فضل الأذكار . توفي سنة ٦٧١هـ . انظر : الديباج المهذب ٣١٧ ، وشذرات الذهب ٣٣٥/٥ .

قيصر الروم : ٥٥٢

هو هرقل ملك الروم في الشام . وقد كتب إليه النبي ﷺ كتاباً ، وقد قابله أبو سفيان وسأله عن النبي ﷺ في قصته المعروفة في صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، فتح الباري ١/٤٥ .

ابن ماجه : ٢٦٦

ابن ماجه : محمد بن يزيد الربيع مولاهم ، الحافظ ، الكبير ، الحجة ، المفسر ، أبو عبدالله بن ماجه القزويني ، وحافظ قزوين في عصره . قال الحافظ ابن حجر في التقريب : أحد الأئمة ، حافظ ، صنف السنن والتفسير والتاريخ . (اهـ) مات سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، وله أربع وستون سنة . مصادر الترجمة : تذكرة الحفاظ ٢/٦٣٦ ، تهذيب التهذيب ٥/٣٣٩ ، التقريب ص٥١٤ .

الماوردي : ٦٢

هو أبو الحسن علي بن محمد بن جنيب البصري الشافعي الملقب : أقضى القضاة ، المولود سنة ٣٦٤هـ المتوفى سنة ٤٥٠هـ . راجع ترجمته في : طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/٩٩ ، وتاريخ بغداد ١٢/١٠٢ .

المبرد : ٤٦

أبو العباس محمد بن يزيد بن عبدالأكبر الثمالي الأزدي ، إمام العربية ببغداد ، ولد سنة ٢١٠هـ ومات سنة ٢٨٦هـ ، من كتبه : الكامل ، وطبقات النحاة ، انظر الأعلام ٨/١٥ ، لسان الميزان ٥/٤٣٠ .

المثنى : ٢٥٢

لعله : المثنى بن معاذ العنبري ، ثقة من صغار العاشرة ، مات سنة : ثمان وعشرين ومائتين وله إحدى وستون . انظر التقريب ٢/٢٢٨

مجاهد : ١٧٠

مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المخزومي ، المقرئ ، مولى السائب بن أبي السائب . قال الذهبي عنه في تذكرة الحفاظ : الإمام ... المقرئ ، المفسر ، الحافظ ... قال مجاهد : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات (اهـ) . وتوفي سنة إحدى – أو ثنتين أو ثلاث أو ربع – ومائة . مصادر الترجمة : تذكرة الحفاظ ١/٩٢ ، تهذيب التهذيب ٥/٣٧٣ ، التقريب ص٥٢٠ .

محمد الأمين الشنقيطي : ١٢٥

هو العلامة : محمد الأمين بن محمد المختار اليعقوبي الجكني الشنقيطي ثم المدني ، المتوفى سنة ١٣٩٣هـ بمكة المكرمة . راجع ترجمته في نهاية الجزء التاسع من أضواء البيان .

محمد بخيت المطيعي : ٩٢

هو محمد بخيت بن حسين المطيعي الحنفي مفتي الديار المصرية ، ولد بالمطيعة في صعيد مصر سنة ١٢٧١هـ وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٥٤هـ . راجع الأعلام ٢٧٤/٦ ، ومعجم للمؤلفين ١٥٩/٣ .

محمد رشيد رضا : ٢٢٥

هو العلامة محمد رشيد بن علي رضا بن محمد البغدادي الأصل القلموني المولد والنشئة نسبة إلى القلمون من أعمال طرابلس الشام المصري القرار كان شافعياً ، ثم وصل إلى درجة الاختيار والترجيح متأثراً بابن قيمية وابن القيم ، وقد لازم الشيخ محمد عبده ، وأنشأ معه مجلة المنار ، وكان مولده سنة ١٢٨٢هـ وتوفي سنة ١٣٥٤هـ في حادث سير في القاهرة ، انظر : الأعلام ٣٦١/٦ ، ومعجم المؤلفين ٢٩٣/٣ .

محمد رفعت : ٦١١

هو محمد بن محمود رفعت أشهر القراء في العصر الأخير ، ولد سنة ١٣٠٠هـ ، وكف بصره في السادسة من عمره ، امتاز بإبداع في الترتيل وإتقان للتجويد ، توفي سنة ١٣٦٩هـ بالقاهرة . انظر : الأعلام ٩١/٧ .

محمد عبده : ٣٠٧

محمد عبده بن حسن خيرالله من آل التركماني مفتي الديار المصرية ، من كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام ، ولد سنة ١٢٦٦هـ ونشأ في محلة نصر بالجيزة ، نفى إلى بلاد الشام ، أصدر مع أستاذه جمال الدين الأفغاني في باريس جريدة العروة الوثقى ، مات سنة ١٣٢٣هـ ، الأعلام ٢٥٢/٦ .

محمد بن كعب القرظي : ٧٣٠

هو أبو حمزة محمد بن كعب بن سليم القرظي المدني التابعي ، ولد سنة ٤٠هـ ، وتوفي سنة ١٢٠هـ. راجع ترجمته في : تقريب التهذيب ٢٠٣/٢ .

ابن مردويه : ٤٩

هو : أبو بكر : أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك بن موسى بن جعفر الأصبهاني ، صاحب " التفسير الكبير" و "التاريخ" وغير ذلك . ولد سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة . روى عن : ميمون بن إسحق، وإسماعيل بن علي الخطبي، وأحمد بن عيسى الخفاف.. وغيرهم . روى عنه : عبدالوهاب وعبدالرحمن ابنا الحافظ بن مندة ، وأحمد بن عبدالرحمن الذكواني ... وغيرهم. قال الذهبي عنه : الحافظ المجود العلامة ، محدث أصبهان .. كان من فرسان الحديث فهماً ، يقظاً ، متقناً ، كثير الحديث جداً ، ومن نظر في تواليفه عرف محله من الحفظ . قال عنه أيضاً : ومن تصانيفه كتاب " المستخرج على صحيح البخاري " ، يعلو في كثير من أحاديث البخاري ، حتى كأنه لقي البخاري ... مات سنة عشر وأربعمائة ، عن سبع وثمانين سنة . مصادر الترجمة : سير أعلام النبلاء ٣٠٨/١٧ ، تذكرة الحفاظ ١٠٥٠/٣.

مصعب بن سعد : ٣٤٠

هو أبو زرارة مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري القرشي المدني التابعي الثقة ، المتوفى سنة ١٠٣هـ ، راجع تقريب التهذيب ٢٥١/٢ .

مصعب بن عمير : ٦٠٨

مصعب بن عمير من بني عبدالدار وأمه خناس بنت مالك ، كان سفير الإسلام في المدينة قبل قدوم المهاجرين إليها وهو حامل لواء المسلمين يوم أحد واستشهد في نفس المعركة قتله ابن قمنة الليثي ، سيرة ابن هشام ٢٢٢/٣ ومابعدها .

معاذ بن جبل : ٤٩٣

هو معاذ بن جبل ، كنيته أبو عبدالرحمن الأنصاري ، صحابي جليل ، شهد بيعة العقبة ، ثم بدراً ومابعدها مع رسول الله ﷺ كان أعلم أصحاب رسول الله ﷺ بالحلال والحرام . وقال ﷺ : خذوا القرآن من أربعة : من ابن مسعود ، وأبي ابن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبي حذيفة . توفي سنة ١٨هـ . انظر : أسد الغابة ٣٧٦/٤ ، والإصابة ٤٣٦/٣ .

معبد الجهني : ٢٥٢

صحابي ، أحد من حمل ألوية جهينة يوم الفتح ، وله رواية عن أبي بكر وغيره ، مات سنة ٧٢هـ . انظر : تقريب التهذيب ٢٦٠/٢ .

معمر : ٧٠٢

هو معمر بن راشد الأزدي البصري ، روى عن ثابت البنان وقتادة والزهـري وغيرهم . كـان فقيهاً حافظاً متقناً ورعاً ، رحل إلى اليمن وبها سكن ، روى أنه لما دخل صنعـاء كرهـوا أن يخرج مـن بين أظهرهم فقال لهم رجل : قيدوه فزوجوه . توفي سـنة ١٥٣هـ وقيـل غير ذلـك . تـهذيب التـهذيب ٢٤٣/١٠ ، وشذرات الذهب ٢٣٥/١ .

ابن المنذر : ٥٥٢

هو أبو بكر محمد بن إبراهيم بـن المنـذر النيسـابوري ، شـيخ الحـرم المكي في عصـره ومفتيـه ، كـان مجتهداً لايقلد أحداً ، له مؤلفات كثيرة منـها : الإجمـاع واختـلاف العلمـاء ، و الإشـراف في مسـائل الخلاف .. وغيرها .

ابن المنير : ٤٦٧

هو عبدالله أبو عبدالرحمن المروزي الزاهد ، ثقة ، عـابد من الحادية عشرة ، مـات سنة ٢٤١هـ ، التقريب ٤٥٤/١

أبو موسى الأشعري : ٩٥

عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار عامر بـن الأشعر ، أبـو موسـى الأشـعري . روى عـن : النـبي ﷺ ، وأبي بكر الصديق ، وعمـر بن الخطـاب ، وعلـي بـن أبـي طـالب .. وغـيرهم . روى عنـه أولاده إبراهيم ، وأبو بكر ، وأبـو بـردة ، وموسـى بنـو عبـدالله بـن قيـس .. وغـيرهم . اسـتعمله رسول الله ﷺ علـى بعـض اليمـن كزبيـد وعـدن وغيرهمـا ، واسـتعمله عمـر بـن الخطـاب علـى البصرة ، واستعمله عثمان بن عفان على الكوفة ، وهو فقههم وعلمهم ، ثم كـان أحـد الحكمـين بصفين ، ثم اعتزل الفريقين ، قال عنه ﷺ : لقد أوتي هذا مزماراً مـن مزامـير آل داود ، فضـائله كثيرة . أخرج له الجماعـة ، ومـات سنة سـت وسـبعين . مصـادر الترجمـة : الكاشـف ٥٨٦/١ ، تهذيب التهذيب ٢٣٤/٣ ، التقريب ص٣١٨ ، الإصابة في تمييز الصحابة ٣٥٩/٢ .

النسفي : ٥١

هو عبدالله بن أحمد بن محمود أبو البركات ، حافظ الدين ، والنسفي ، نسبة إلى نسف من بلاد السعد فيما وراء النهر ، حنفي فقيه أصولي بارع في الحديث ، له مؤلفات كثيرة منها : المنارات في الأصول ، وكنز الدقائق في الفقه ، توفي سنة ٧٠١هـ ، وقيل: ٧١٠هـ ، راجع ترجمته في : الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص١٠١ ، ١٠٢ ، والجواهر المضيئة ٢٩٤/٢ .

النيسابوري (الواحدي) ٣٤

علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متويه أبو الحسن الواحدي ، مفسر عالم بالأدب ، نعته الذهبي بإمام علماء التأويل ، مولده بنيسابور وأصله من ساوة . من كتبه البسيط والوسيط والوجيز كلها في التفسير ، توفي بنيسابور سنة ٤٦٨هـ ، راجع الأعلام ٢٥٥/٤ .

ابن هشام : ٦٠٧

أبو محمد عبدالملك بن هشام الحميري ، وقيل غير ذلك ، نشأ بالبصرة ، ثم نزل مصر ، قيل توفي سنة ٢١٨ وقيل سنة ٢١٣هـ . مقدمة سيرة ابن هشام ١٧/١

أبو وائل : ٥٤٥

هو عبدالله بن تجيره بن ريسان ، أبو وائل القاص الصنعاني ، وثقه ابن معين واضطرب فيه بين معين . انظر : تقريب التهذيب ٤٠٣/١ .

ورقة بن نوفل : ٣٣٨

ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى كان نصرانياً قد يتبع الكتب وعلم من علم الناس وأم ورقة هند بنت أبي كبير بنعبد بن قصي ولاعقب لورقة هذا ، وهو أحد من آمن بالنبي ﷺ قبل البعث ومات قبل البعثة ، سيرة ابن هشام ١٩١/١ ، الروض الانف ، السهيلي .

الوليد بن المغيرة : ٥٩٨

ابن عبدالله بن عمر بن مخزوم أبو الوليد ، وفيه نزل قوله تعالى : (ذرني ومن خلقت وحيداً سأصليه سقر) مات بسبب سهم قد أصابه قبل سنين وكان موته قبل الهجرة ، ابن هشام ٤١٠/١ .

يحيى بن سعيد : ١١٢

يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري ، البخاري ، أبو سعيد المدني ، القاضي . قال الذهبي عنه في التذكرة : الحافظ ، شيخ الإسلام ، قاضي المدينة ، ثم قاضي القضاة للمنصور ، قال ابن سعد : كان ثقةً ، كثير الحديث ، حجةً ، ثبتاً . مصادر الترجمة : تهذيب الكمال ٣٤٦/٣١ ، تذكرة الحفاظ ١٣٧/١ ، تهذيب التهذيب ١٤١/٦ ، التقريب ص٥٩١ .

يزيد بن الأصم ٥٩٨

اسمه عمرو بن معاوية البكائي أبو عوف ، كوفي نزل الرقة وهو ابن أخت ميمونة أم المؤمنين ، وهو ثقة من الثالثة ، مات سنة ١٠٣هـ ، تقريب التهذيب ٣٦٢/٢.

يونس : ٥٨٨

أبو موسى يونس بن عبدالأعلى المقرئ ، أخذ القراءة عن ورش وغيره ، مات سنة ٢٦٤ . انظر معرفة القراء ١٨٩/١ ، تهذيب الأسماء والصفات ١٦٨/٢ ، ميزان الاعتدال ٤٨١/٤ .

فهرس المراجع

١ – آفاق الهداية

عبدالعزيز الخلف .

٢ – آيات القسم في القرآن الكريم .

رسالة ماجستير بكلية أصول الدين بالأزهر ، أحمد مسلم ، ١٩٦٨م – غير منشورة .

٣ – آيتا الليل والنهار .

٤ – إبراهيم – عليه السلام – ودعوته في القرآن الكريم – أحمد الأميري – دار المنار ، ١٤٠٦هـ .

٥ – الإتقان في علوم القرآن – السيوطي .

طبع ونشر الحلبي بمصر ، ١٩٥١ – الطبعة الثالثة .

٦ – أحكام أهل الذمة .

٧ – أحكام القرآن لأليكيا الهراسي ، دار الكتب مصر .

٨ – الأخلاق الإسلامية وأسسها .

عبدالرحمن حبنكة الميداني – دار القلم – دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٢م .

٩ – الأدب المفرد – البخاري .

ترتيب وتقديم كمال يوسف الحوت – عالم الكتب – الطبعة الثانية ، ١٩٨٥م .

١٠ – الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة .

عبدالرحمن بن محمد الدوسري ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ – مكتبة دار الأرقم ، الكويت .

١١ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم – أبو السعود محمد بن العمادي – طبعة بيروت .

١٢ – أساس البلاغة – الزمخشري .

طبعة الشعب .

١٣ – الأساس في التفسير

سعيد حوى – دار السلام للطباعة ، الطبعة الأولى – ١٩٨٥م ، القاهرة .

١٤ – أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي – عبدالله محمد آل موسى – عالم الكتاب – الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

١٥ – استخراج الجدال من القرآن الكريم .

ناصح الدين المعروف بابن الحنبلي ، تحقيق زاهر الألمعي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠م.

١٦ – الأسفار المقدسة

د. على عبدالواحد وافي ، مطبعة دار العالم العربي ، ١٩٧١م .

١٧ – أسس الدعوة .

محمد الوكيل – دار المجتمع للنشر – الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٦هـ .

١٨ - الإسلام دين العقل والفطرة .
د . مصطفى صميده - لم يطبع .
١٩ - الإسلام في عصر العلم .
محمد أحمد الغمراوي وأحمد عبدالسلام الكرواتي - دار الكتب الحديثة - مطبعة السعادة ، ١٩٧٣م.
٢٠ - الإسلام وعالمنا المعاصر .
صابر طعيمة .
٢١ - الإسلام يتحدى .
وحيد الدين خان ، دار البحوث العلمية ، تعريب ظفر الإسلام خان ، مراجعة وتحقيق د.عبدالصبور شاهين .
٢٢ - الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر .
خالد عبدالكريم الخياط - دار المجتمع للنشر والتوزيع .
الطبعة الأولى ، ١٩٩١م .
٢٣ - أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجا .
د . عبدالغني محمد سعد بركة ، مكتبة وهبة - الطبعة الأولى ، ١٩٨٣م .
٢٤ - أسلوب السخرية في القرآن الكريم .
د . عبدالحليم حفنى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م .
٢٥ - الإشارات العلمية في القرآن الكريم .
مدحت حافظ إبراهيم .
٢٦ - الأشباه والنظائر في القرآن الكريم .
مقاتل بن سليمان البلخى .
٢٧ - أصول البحث العلمي ومناهجه .
د . أحمد بدر .
٢٨ - أصول الدعوة .
د . عبدالكريم زيدان ، دار عمر بن الخطاب ، الطبعة الثالثة ١٩٧٦ ، الإسكندرية .
٢٩ - أصول الدين .
عبدالقادر البغدادي ، الطبعة الأولى ١٣٤٦هـ .
٣٠ - الأصول الفنية للأدب .
عبدالحميد حسن ، الطبعة الثانية .
٣١ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن .
محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطي - عالم الكتب - بيروت .
٣٢ - إعجاز القرآن للباقلاني .

٣٣ - إعجاز القرآن
لمصطفى صادق الرافعي - دار الكتاب العربي ، ١٩٩٠م - بيروت .
٣٤ - إعلام الموقعين - ابن القيم .
٣٥ - إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان .
ابن القيم - دار الحرم - بيروت .
٣٦ - أمثال القرآن الكريم - محمد بن أبي بكر الجوزية .
تحقيق د . ناصر بن سعد الرشيد - دار مكة للطباعة والنشر - الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ .
٣٧ - الأمثال القرآنية وأثرها في الدعوة إلى الله .
سلطان بن علي شاهين - كلية الدعوة المدينة المنورة ، سنة ١٤١٣هـ . بحث مكمل لنيل درجة الماجستير
٣٨ - الأمثال - لأبي عبيد القاسم بن سلام .
تحقيق د . عبدالمجيد طاش ، طبعة الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، دار المأمون - دمشق .
٣٩ - الأنساب بين العلم والدين .
شوقي خليل ، طبعة ١٣٩٧هـ ، دمشق .
٤٠ - الإنسان بين المادية والإسلام .
محمد قطب ، الطبعة السادسة ، دار الشروق ، ١٩٨٠م .
٤١ - الإنصاف للإمام أحمد بن منير الإسكندر (حاشية الكشاف للزمخشري) .
المكتبة التجارية الكبرى ، الطبعة الثانية .
٤٢ - أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير .
أبو بكر الجزائري ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
٤٣ - الإيمان - ابن تيمية .
تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة أنس بن مالك ، ١٤٠٠هـ .
٤٤ - الإيمان .
عبدالمجيد الزنداني مع مجموعة من العلماء ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .
٤٥ - الإيمان - مفهومه وأبعاده .
بدرية العزار ، مكتبة المنار الإسلامية - الطبعة الثانية ، ١٩٩٢م .
٤٦ - البحث العلمي - التصميم والمنهج والإجراءات .
د . محمد الغريب عبدالكريم .
٤٧ - البداية والنهاية - ابن كثير .
الطبعة الأولى ١٩٦٦ - الرياض ، مكتبة النصر .
٤٨ - البرهان في علوم القرآن .
دار الفكر - الطبعة الثالثة - ١٩٨٠ - الزركشي .

٤٩ - البراهين العقلية على وجود الله والرد على الملحدين والطبيعيين والمنكرين .
عبدالمنعم الحفني ، طبعة سنة ١٩٩٠م .
٥٠ - بصائر ذوي التمييز - الفيروزآبادي .
٥١ - بنو إسرائيل في القرآن والسنة ، السيد رزق الطويل .
٥٢ - تاج العروس من جواهر القاموس .
٥٣ - تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن والسنة .
محمد الطيب النجار ، دار الاعتصام .
٥٤ - تاريخ الخلفاء - الإمام الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي .
تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد .
٥٥ - تاريخ الدعوة .
د . جمعه الخولي ، دار الطباعة المحمدية ، ١٤٠٤هـ .
٥٦ - التبيان في أقسام القرآن ، ابن القيم .
مطبعة حجازي ، ١٣٥٢هـ .
٥٧ - التدرج بين التشريع والدعوة .
يوسف محيي الدين أبو هلاله ، دار العاصمة - الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .
٥٨ - التدرج في الأساليب الدعوية وأثره في الدعوة إلى الله تعالى .
بحث مكمل لنيل درجة الماجستير سنة ١٤١٣هـ غير منشور ، عبدالله عباد الجهني .
٥٩ - تذكرة الدعاة .
البهى الخولي ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، الطبعة السابعة ، ١٩٨٤م .
٦٠ - التربية بالآيات .
عبدالرحمن النحلاوي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩م .
٦١ - تربية النفس الإنسانية في ظل القرآن الكريم .
د . أحمد المقري ، دار حافظ للنشر ، ١٩٨٩م ، ١٤٠٩هـ .
٦٢ - التربية في السنة النبوية .
أبو لبابة حسين ، دار اللواء ، الرياض .
٦٣ - الترغيب والترهيب .
المنذري ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٤م .
٦٤ - التسهيل لعلوم التنزيل .
محمد بن أحمد بن جزئ الكلبي ، الطبعة الأولى ، ١٣٥٥هـ .
٦٥ - التصوير الفني في القرآن .
سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة الثانية عشرة ، سنة ١٩٩٢م .

٦٦ - التعريفات .
الشريف علي بن الجرجاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٣م .
٦٧ - تفسير ابن العربي .
٦٨ - تفسير البحر المحيط .
أبو حيان الأندلسي .
٦٩ - تفسير البغوي بهامش الخازن .
٧٠ - تفسير التحرير والتنوير .
محمد الطاهر عاشور .
٧١ - تفسير الجلالين .
دار القلم ، بيروت ، جلال الدين المحلى ، جلال الدين السيوطي .
٧٢ - تفسير السعدي .
٧٣ - تفسير سورة الضحى .
الشيخ الشعراوي ، المنتخب من تفسير القرآن الكريم ، دار العودة - بيروت ، ١٩٨٩م .
٧٤ - تفسير الفاتحة للشيخ محمد عبده .
كتاب التحرير ، ١٣٨٢هـ ، القاهرة .
٧٥ - تفسير القرآن الحكيم .
محمد رشيد رضا ، مطبعة المنار ، ١٣٤٦هـ .
٧٦ - تفسير القرآن العظيم .
عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، دار الأندلس .
الطبعة الثالثة ، ١٩٨١م .
٧٧ - التفسير القرآني للقرآن .
عبدالكريم الخطيب ، ط دار الفكر ، مصر .
٧٨ - تفسير القيم للإمام ابن القيم .
جمعه محمد أويس الندوي ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٤ - ١٩٤٨ .
٧٩ - تفسير محمد عبده .
جزء عم ، مطابع الشعب .
٨٠ - تفسير المراغي .
٨١ - تفسير النيسابوري على حاشية الطبري .
٨٢ - التفسير الواضح .
٨٣ - توفيق الرحمن للتوفيق بين ماقاله علماء الهيئة وبين ماجاء في الأحاديث الصحيحة وآيات القرآن .
للشيخ محمد بخيت المطيعي مطبعة دار السعادة بجوار محافظة مصر ، الطبعة الأولى .

٨٤ - الجامع لأحكام القرآن .
محمد بن أحمد القرطبي ، طبعة الثقافة ، ١٩٦٤ ، القاهرة .
٨٥ - الجامع لأدلة الإيمان بالله .
علي الهزاع ، مطبعة الفيصل .
٨٦ - جامع الأصول في أحاديث الرسول ، ابن الأثير .
٨٧ - جامع البيان .
ابن جرير الطبري ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٣هـ .
٨٨ - الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي .
دار الكتب العلمية ، ابن القيم .
٨٩ - الجواهر في تفسير القرآن الكريم .
طنطاوي جوهري ، ١٣٥٠هـ ، مصر .
٩٠ - حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح .
ابن القيم
٩١ - حاشية الصاوي على الجلالين .
٩٢ - الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى .
سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، مطبعة سفير ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٢م .
٩٣ - دائرة معارف القرن العشرين .
محمد فريد وجدي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧١م ، ١٣٧٣هـ .
٩٤ - دراسات قرآنية .
محمد قطب ، دار الشروق ، الطبعة السادسة ، ١٩٩١م .
٩٥ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور .
القاهرة ، السيوطي .
٩٦ - درء تعارض العقل والنقل .
ابن تيمية ، تحقيق د . محمد رشاد سالم رمضان ، طباعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩م .
٩٧ - الدعوة الإسلامية ، منهجها ومعالمها .
د . أحمد عمر هاشم .
٩٨ - الدعوة إلى سبيل الله ، أصولها وميادينها .
د . عبدالخالق إبراهيم ، مطبعة الأمانة ، ١٤٠٧هـ .
٩٩ - الدعوة إلى الله ، الرسالة ، الوسيلة ، الهدف .
توفيق الواعي ، مكتبة الفلاح ، الكويت .

١٠٠ - الدعوة إلى الله .

د . عبدالرب نواب الدين آل نواب ، دار القلم ، دمشق ، دار الشامية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م .

١٠١ - دعوة الرسل .

الشيخ محمدالعدوى .

١٠٢ - دعوة شعيب .

حسين عبدالقادر يوسف مصطفى ، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير ، غير منشور .

١٠٣ - الدعوة إلى الله .

دراسة مستوحاة من سورة النمل ، د . عبد الرب نواب .

١٠٤ - الدعوة قواعد وأصول .

جمعة أمين ، الاسكندرية ، دار الدعوة ، ١٤٠٩هـ .

١٠٥ - دعوة هود عليه السلام .

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير ، ١٤٠٣هـ ، غير منشور ، عبدالقادر الجيلاني .

١٠٦ - الدعوة الإسلامية ، أصولها ووسائلها .

أحمد أحمد علوش . دار الكتاب المصري - الطبعة الثانية سنة ١٩٨٧ .

١٠٧ - الدين .

محمد بن عبدالله دراز ، مطبعة السعادة ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٩م .

١٠٨ - ديوان الشافعي ، شرح نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٠٩ - رسالة التوحيد .

محمد عبده ، مطبعة المنار ، القاهرة ، الناشر مكتبة القاهرة .

١١٠ - الرسول العربي المربي ، عبدالحميد الهاشمي ، دار الثقافة للجميع ، ١٩٨١م .

١١١ - الرسل والرسالات د . عمر الأشقر .

١١٢ - رسالة العلم والإيمان .

د . محمد جمال الدين الفندي ، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .

١١٣ - روح المعاني .

محمد بن عبدالله شهاب الدين الألوس ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٥م .

١١٤ - الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة .

عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ١٤٠٥هـ .

١١٥ - زاد الداعية إلى الله .

محمد بن صالح العثيمين ، مطابع المدينة ، الرياض .

١١٦ - زاد المسير .
ابن الجوزي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤م .
١١٧ - زاد المعاد ، ابن قيم الجوزية .
مؤسسة الرسالة ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط ، الطبعة الرابعة عشرة ، ١٩٨٦م .
١١٨ - زبدة التفسير من فتح القدير .
محمد سليمان عبدالله الأشقر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٨م .
١١٩ - الزهد .
أحمد بن حنبل .
١٢٠ - سر تأخر العرب والمسلمين .
١٢١ - السلوك الاجتماعي ف الإسلام .
حسن أيوب ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٦هـ .
١٢٢ - سنن أبي داوود .
لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
١٢٣ - سنن ابن ماجه .
الحافظ ابن عبدالله محمد القزويني ابن ماجه ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .
١٢٤ - سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى .
ط ثانية ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة .
١٢٥ - السنن الصغرى للبيهقي .
١٢٦ - سنن الله في المجتمع من خلال القرآن .
محمد صادق عرجون ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة .
١٢٧ - سورة (ق) وقضية الإيمان بالبعث .
الشيخ سعيد بن مسفر ، دار جرش ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م ، خميس مشيط ، السعودية .
١٢٨ - شرح أصول الإيمان .
محمد بن صالح العثيمين ، دار الوطن للنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ ، الرياض .
١٢٩ - شرح رسالة الطحاوي العقيدة الإسلامية .
المكتب الإسلامي ، ابن أبي العز الحنفي ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩١هـ ، بيروت .
١٣٠ - شرح الاعتقاد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسى .
بقلم محمد بن صالح العثيمين ، دار ابن القيم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ .
١٣١ - شرح النووي على صحيح مسلم ، الطبعة المصرية .
١٣٢ - شمس العرب تسطع على الغرب .
ترجمة فاروق بيضوي دسوقي ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩ ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت .

١٣٣ - ديوان الشوقيات - أحمد شوقي .
طبعة شركة فن الطباعة ، ١٩٨٤م .
١٣٤ - صحاح الجوهري .
١٣٥ - صحيح البخاري .
محمد بن إسماعيل البخاري ، طبعة دار السلام ، الرياض ١٩٩٧م .
١٣٦ - صحيح ابن خزيمة .
١٣٧ - صحيح مسلم .
للإمام مسلم بن الحجاج القشيري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.
١٣٨ - الصمت لابن أبي الدنيا .
١٣٩ - الصورة الفنية في المثل القرآني .
محمد حسين علي الصغير ، دار الهدى ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م .
١٤٠ - الطاعة والمعصية وأثرهما في المجتمع .
دار المسلم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ ، محمد بن صالح العثيمين .
١٤١ - طريق الدعوة الإسلامية .
جاسم مهلهل الياسين ، دار الدعوة ، الكويت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٦م .
١٤٢ - الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم .
نذير حمدان ، دار المنار ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١م .
١٤٣ - العالم الصغير - الذرات والجزئيات .
ترجمة مركز الأهرام للترجمة والنشر .
١٤٤ - العبادة في الإسلام .
يوسف القرضاوي ، الرسالة .
١٤٥ - العبودية ، ابن تيمية .
المكتب الإسلامي .
١٤٦ - عبودية الكائنات لرب العالمين .
فريد إسماعيل التوني ، مكتبة الضياء ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م .
١٤٧ - العقيدة الإسلامية وأسسها .
عبدالرحمن حبنكة (دار القلم) دمشق ، الطبعة السابعة ، ١٩٩٤م .
١٤٨ - العقيدة في الله .
د . عمر الأشقر ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
١٤٩ - عقيدة المسلمين .
صالح إبراهيم البليهي ، مكتبة ابن تيمية ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ .

١٥٠ - علاقة المسلمين بغيرهم كما جاءت في سورة التوبة .
بحث ماجستير للطالب / عبدالله محمد الزعبي ، غير منشور ، المدينة المنورة ، كلية الدعـوة والإعـلام ، ١٤٠٣هـ .
١٥١ - غزوة أحد .
محمد أحمد باشميل ، دار الفكر ، الطبعة الأخيرة ، ١٩٨٣م .
١٥٢ - فتح الباري في مقاصد القرآن .
لأبي الطيب صديق بن حسن القنوجي ، المطبعة الكبرى الأمريكية ، الطبعة الأولى ، القاهرة .
١٥٣ - فتح الباري .
شرح البخاري ، ابن حجر العسقلاني .
١٥٤ - فتح المجيد - شرح كتاب التوحيد - عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب .
تحقيق : عبدالقادر الأرنؤوط ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ .
١٥٥ - فتح القدير .
محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار المعرفة ، بيروت .
١٥٦ - الفتاوى الحديثة لابن حجر .
الهيثمي المكي .
١٥٧ - فجر المسيحية .
حبيب سعيد ، دار الجيل للطباعة .
١٥٨ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .
ابن تيمية .
١٥٩ - فقه السيرة .
محمد الغزالي ، دار إحياء التراث العربي ، ١٩٧٦م .
١٦٠ - الفصل في الملل والأهواء والنحل . ابن حزم .
مطبعة محمد علي صبيح ، مصر ، ١٩٦٤م .
١٦١ - ففروا إلى الله .
المكتبة التجارية ، دار مصر للطباعة ، أبو ذر القلموني .
١٦٢ - الفكر المعاصر .
عدد اكتوبر ١٩٧٠م .
١٦٣ - فلسفة تقويم الإنسان وخلافته .
مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٩٨١م - ١٤٠١هـ .
١٦٤ - في الأدب الجاهلي .
د . طه حسين ، مطبعة دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢م .

١٦٥ - في ظلال القرآن .
سيد قطب ، دار العلم للطباعة والنشر ، جدة ، الطبعة الثانية عشرة ، ١٩٨٦م .
١٦٦ - فقه السيرة ، د . محمد سعيد رمضان البوطي ، ١٩٧٧م .
١٦٧ - الفلسفة القرآنية .
عباس محمود العقاد ، طبع ونشر دار الهلال ، القاهرة .
١٦٨ - الفوائد . ابن القيم .
دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣م .
١٦٩ - القاموس المحيط .
الفيروزآبادي ، طبعة بيروت ، مؤسسة الرسالة .
١٧٠ - القرآن والعلم الحديث .
د . منصور حسب النبي . طبعة ١٩٩١م .
١٧١ - قصص الأنبياء .
عبدالوهاب النجار .
١٧٢ - قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن .
الشيخ نديم الجسر ، طرابلس ، لبنان :
١٧٣ - قصص الأنبياء . إسماعيل بن كثير .
تحقيق عبدالحي الفرماوي ، دار اليقين ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م ، المنصورة .
١٧٤ - قصص الأنبياء . ابن إسحاق .
أحمد بن محمد بن إسحاق الثعلبي ، المطبعة البهية المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٥١م .
١٧٥ - قواعد الأحكام .
ابن عبدالسلام .
١٧٦ - كبرى اليقينيات الكونية .
د . محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة التاسعة ، ١٤١١هـ .
١٧٧ - كتاب المعرفة .
شركة انماء للنشر والتسويق . توزيع الشركة الشرقية للمطبوعات ، انتاج ١٩١٩م .
١٧٨ - كتاب التوحيد .
عبدالمجيد الزنداني .
١٧٩ - الكتاب المقدس .
أبو الحسن إسحاق الصورى ، دار الأنصار ، القاهرة ، ١٩٧٨م .
١٨٠ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام الزمخشري .
تحقيق محمد مرسي عامر ، دار المصحف ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٧م .

١٨١ - كواشف زيوف المذاهب المعاصرة .
عبدالرحمن الميداني ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ، دار القلم ، دمشق .
١٨٢ - كيف يدعو الداعية .
عبدالله ناصر علوان .
١٨٣ - لباب التأويل .
١٨٤ - لسان العرب . ابن منظور .
دار صادر ، بيروت .
١٨٥ - الله جل جلاله .
سعيد حوى ، دار السلام ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٠م .
١٨٦ - الله والكون .
د . محمد جمال الدين الفندي ، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر .
١٨٧ - اللؤلؤ والمرجان .
١٨٨ - لوامع الأنوار البهية السفاريني .
طبع على نفقة حكومة قطر .
١٨٩ - مباحث في إعجاز القرآن .
أحمد جمال العمري .
١٩٠ - مباحث في إعجاز القرآن .
د . مصطفى مسلم ، دار المنارة للنشر والتوزيع ، جدة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٨م .
١٩١ - مباحث في علوم القرآن .
مناع القطان ، مؤسسة الرسالة ، ط السادسة ، ١٩٨٠م .
١٩٢ - مجلة النور الكويتية .
العدد ١٣٣ ، موضوع الاقتصاد الإسلامي ، اقتصاد إنساني ، د . يوسف القرضاوي .
١٩٣ - مجلة هذه سبيلي .
موضوع الإسلام والعلم التجريبي ، محمد عبدالله الشرقاوي .
١٩٤ - مجموع الفتاوى ، ابن تيمية .
١٩٥ - المجموع المغيث للأصفهاني .
تحقيق الغرباوي .
١٩٦ - محاسن التأويل .
القاسمي .
١٩٧ - محاضرات لمادة مناهج الدعوة .
د . محمد العدوي - لم تطبع - ملقاة على طلاب الدراسات العليا بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة ، عام ١٤٠٥هـ .

١٩٨ - مختار الصحاح .
محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت .
١٩٩ - مدارج السالكين - ابن القيم .
تحقيق /حمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٢م .
٢٠٠ - المدخل إلى التفسير الموضوعي .
عبدالستار فتح الله سعيد ، دار الطباعة والنشر الإسلامية بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م .
٢٠١ - مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم .
عماد الدين خليل .
٢٠٢ - مدخل إلى علم الدعوة .
البيانوني ، مؤسسة الرسالة ، ط الثانية ، ١٩٩٣م .
٢٠٣ - مرشد الدعاة .
محمد نمر الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١م .
٢٠٤ - المستدرك للحاكم .
٢٠٥ - مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر .
علي بن مرشود ، مكتبة لينا للنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ .
٢٠٦ - مسند أحمد بن منيع .
٢٠٧ - مسند الإمام أحمد .
المطبعة الميمنية بمصر ، ١٣١٣هـ .
٢٠٨ - مشاهد القيامة في القرآن .
سيد قطب ، دار الشروق .
٢٠٩ - مشكاة المصابيح للبغوي .
تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني .
٢١٠ - مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه .
٢١١ - المصباح المنير ، المكتبة العصرية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م .
٢١٢ - (تفسير النسفي) معالم التنزيل .
أبو البركات عبدالله بن أحمد النسفي ، دار إحياء الكتب العربية .
٢١٣ - معالم الدعوة في القصص القرآني .
عبدالوهاب الديلمي ، دار المجتمع .
٢١٤ - معالم الشريعة الإسلامية .
صبحي الصالح .
٢١٥ - معركة الوجود بين القرآن والتلمود .
عبدالشافي سعيد .

٢١٦ - معالم في التربية .
د . عجيل النشمي .
٢١٧ - معاني مفردات القرآن .
محمد سند الطوخي .
٢١٨ - معجزة القرآن .
الشعراوي ، مكتبة دار التراث الإسلامي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٨م .
٢١٩ - معاني القرآن .
إبراهيم بن السرى بن سهل ، المطابع الأميرية ، ١٩٧٤م .
٢٢٠ - معجم اللغة العربية .
طبعة طهران .
٢٢١ - المعجم الوسيط .
٢٢٢ - معاني القرآن - للفراء أبي زكريا بن زياد .
تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠م.
٢٢٣ - مع الأنبياء في القرآن الكريم .
عفيف عبدالفتاح طبارة .
٢٢٤ - مع الله - الشيخ محمد الغزالي .
دار الكتب الحديثة بمصر ، الطبعة الثالثة ، تاريخ ١٣٨٥هـ ، ١٩٦٥م .
٢٢٥ - مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للإمام فخر الدين الرازي .
مكتبة : التزام عبدالرحمن محمد ، الطبعة الأولى : دار الكتب العلمية ، طهران ، الطبعة الثانية .
٢٢٦ - المفردات في ترغيب القرآن .
الراغب الأصفهاني .
٢٢٧ - مقدمة ابن خلدون .
٢٢٨ - مقدمة في أصول التفسير .
محمد بن صالح العثيمين .
٢٢٩ - مقدمة في منهج الإبداع .
زهير منصور ، دار السلاسل ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م .
٢٣٠ - الملل والنحل للشهرستاني .
٢٣١ - من إشارات العلوم في القرآن .
عبدالعزيز سيد الأهل . طبع دار النهضة بلبنان ، ١٩٧٢م .
٢٣٢ - مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني .
٢٣٣ - المنتخب .

٢٣٤ - من نباء المرسلين - هود ويوسف .
د . حسين موسى عبدالطاهر ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة ، الدوحة .
٢٣٥ - مناهج البحث العلمي .
عبدالرحمن بدوي .
٢٣٦ - مناهج الجدل في القرآن الكريم .
د . زاهر عوض الألمعي .
٢٣٧ - مناهج الدعوة وأساليبها .
د . علي جريشة ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م .
٢٣٨ - المناوي .
شرح فيض القدير .
٢٣٩ - منهج ابن القيم في التفسير .
د . محمد أحمد السنباطي ، مطبوعات مجمع البحوث .
٢٤٠ - منهج الدعوة الإسلامية في مواجهة المعارضين على ضوء القرآن الكريم .
رسالة دكتوراه ، د . طلعت علي محسن ، الأزهر .
٢٤١ - منهج الفن الإسلامي .
محمد قطب ، دار الشروق ، الطبعة الثامنة ، ١٩٩٣م .
٢٤٢ - منهج القرآن الكريم في تربية المجتمع .
عبدالفتاح عاشور .
٢٤٣ - منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان .
د . علي بن محمد ناصر الفقيهي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٤م .
٢٤٤ - المهذب في إحياء علوم الدين .
صالح أحمد الشامي ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣م .
٢٤٥ - الموسوعة .
إشراف الأستاذ نقولا ناهض ، الناشر سراو كيم حنيفي ، التوزيع الشركة الشرقية للمطبوعات .
٢٤٦ - موطأ الإمام مالك .
٢٤٧ - النبوات .
ابن تيمية ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ .
٢٤٨ - النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير .
تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ومحمود ومحمد الطناحي ، بدون تاريخ ، المكتبة العلمية ، بيروت .
٢٤٩ - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى - ابن القيم .
مطبوعات الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة .

٢٥٠ - هداية القرآن في الآفاق والنفس وإعجازه العلمي - دعوة ضرورية ومنهج واجب .
محمد إبراهيم شريف .
٢٥١ - هداية المرشد إلى طريق الوعظ والخطابة للشيخ علي محفوظ .
الطبعة التاسعة ، ١٩٣٣هـ ، دار الاعتصام .
٢٥٢ - هذه سلبيلي .
العدد الخامس ، ١٤٠٢هـ ، محمد عبدالله الشرقاوي ، موضوع الإسلام والعلم التجريبي .
٢٥٣ - واقعية المنهج القرآني .
د . توفيق محمد سبع ، (ب . ط) .
٢٥٤ - اليهود في القرآن .
محمد عزه دروزه .
٢٥٥ - اليهودية .
د . أحمد شلبي ، النهضة المصرية ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٨م .

فهرس الموضوعات

الموضوع ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ الصفحة

المقدمة .... ١ مقدمة
أهمية الموضوع .... ٢ =
سبب اختياري لهذا الموضوع .... ٤ =
منهج البحث .... ٥ =
بيان غايتي من البحث .... ٦ =
التعريف بمفردات البحث .... ٧ =
المشكلة البحثية .... ١١ =
خطة الباحث .... ١٢ =

شكر وتقدير .... ١٤ =

الفصل التمهيدي .... ١ – ٣٧
المبحث الأول : مناهج الدعوة في القرآن الكريم ١
أولاً : المنهج العاطفي ٣
ثانياً : المنهج العقلي « الفكري العلمي » ٦
ثالثاً : المنهج الخلقي ٩
رابعاً : المنهج الحسي « التجريبي » ٢٢
المبحث الثاني : ضوابط استخدام الداعية للمنهج الحسي ٢٣
١ – قصر النظر في المنهج الحسي على المدركات ٢٤
٢ – ربط النظر في المنهج الحسي بالإيمان والأخلاق ٢٧
٣ – تقديم معطيات القرآن الكريم لصدقها المطلق ٢٩
٤ – الخوف على القرآن الكريم أن تفهم آياته على غير وجهها الصحيح ٣٠
٥ – عدم صرف عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي إلاّ إذا فاقت القرائن ٣٢
٦ – الجمع بين المعاني لألفاظ القرآن التي تحتمل أكثر من معنى ٣٢
٧ – الحذر والحيطة والدقة في المطابقة والاستنباط ٣٣
٨ – التثبت من الأخبار والأنباء ٣٣
٩ – التوسط والاعتدال عند تفسير الآية تفسيراً علمياً ٣٤

الفصل الأول : موضوعات الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في القرآن الكريم .... ٣٨ – ٣٠٠
المبحث الأول : إثبات وحدانية الله عز وجل .... ٣٩ – ١٥٠
– أركان الوحدانية ٤٣
– مفهوم الوحدانية ٤٣
المطلب الأول : الدعوة إلى إثبات الوحدانية من خلال الآيات الحسية في
القرآن الكريم ٤٨
● النص الأول : وإلهكم إله واحد ٤٩
● النص الثاني : أمن خلق السموات والأرض ٥٧
● النص الثالث : اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ٧٤
● النص الرابع : وهو الله لا إله إلاّ هو له الحمد في الأولى ٨٦
● النص الخامس : ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ٩٤
● النص السادس : ولقد جعلنا فوقكم سبع طرائق ١٠٠
● النص السابع : الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل ١٠٥
● النص الثامن : إن الله فالق الحب والنوى ١١١
● النص التاسع : والله أخرجكم من بطون أمهاتكم ١١٨
● النص العاشر : ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات ١٢٨
المطلب الثاني : مناقشة الملحدين والماديين والكفار والرد عليهم من خلال
المنهج الحسي في إنكار وجود الله ووحدانيته ١٣٤
● الشبهة الأولى من شبههم : قالوا : إن الطبيعة هي الخالق ١٣٦
الرد عليهم ١٣٧
● الشبهة الثانية : زعم المصادفة ١٣٩
● البراهين القرآنية في الرد على المشركين والملحدين ١٤٤
المبحث الثاني : إثبات النبوة ١٥١
المطلب الأول : تعريف النبي والرسول والفرق بينهما ١٥٣
المطلب الثاني : الدعوة إلى إثبات النبوة بالمنهج الحسي ١٥٨
أولاً : استخدام المنهج الحسي لإثبات نبوة الأنبياء السابقين ١٦٦
١ – آية نبي الله صالح عليه السلام ١٦٦
٢ – معجزة إبراهيم عليه السلام ١٦٨
٣ – آية نبي الله موسى عليه السلام ١٧٠

٤ – معجزات نبي الله عيسى عليه السلام ١٧٣
٥ – معجزات داود عليه السلام ١٧٤
ثانياً : استخدام المنهج الحسي لإثبات نبوة النبي الخاتم محمد ﷺ ١٨٠
● أولاً – المعجزات الحسّية ١٨٠
١ – الإسراء والمعراج ١٨٠
٢ – انشقاق القمر ١٨١
٣ – نبع الماء من بين أصابعه الشريفة ١٨٢
٤ – إشباع العدد الكثير من الطعام القليل ١٨٣
● ثانياً – معجزة القرآن الكريم ١٨٥
المبحث الثالث : إثبات البعث ١٩٥
المطلب الأول : تعريف البعث وأهميته ١٩٨
المطلب الثاني : الدعوة إلى إثبات البعث بالمنهج الحسي ٢٠١
أساليب القرآن في معالجة قضية البعث ٢٠٦
الأسلوب الأول ٢٠٦
الأسلوب الثاني ٢٠٧
الأسلوب الثالث ٢٠٩
المنهج الذي اتبعه القرآن في استدلاله على البعث ٢١٢
أولاً : إحياء الموتى في الحياة الدنيا ٢١٢
ثانياً : الاستدلال ببدء خلق الإنسان من العدم ٢١٣
ثالثاً : الاستدلال على إمكانية البعث من خلال الآيات الكونية ٢١٨
١ – دلالة خلق السموات ٢١٨
٢ – دلالة إحياء الأرض بعد موتها ٢٢١
٣ – دلالة تعاقب الليل والنهار ٢٢٦
رابعاً : الاستدلال على البعث والإعادة بإخراج النار من الشجر الأخضر ٢٣٠
بعض شبهات منكري البعث ٢٣٤
المبحث الرابع : الدعوة إلى الطاعات ٢٣٩
المطلب الأول : مفهوم الطاعة وأهميتها ٢٣٩

المطلب الثاني : الدعوة إلى الطاعات من خلال الآيات الحسية في القرآن
الكريم ٢٤٤
أولاً : الدعوة إلى الذكر والصلاة في أوقاتها ٢٤٤
ثانياً : الدعوة إلى التقوى ٢٥١
ثالثاً : الدعوة إلى إيقاظ الفطرة ٢٥٤
رابعاً : الدعوة إلى التأمل والخشوع ٢٥٨
خامساً : الدعوة إلى الصبر والشكر ٢٥٨
سادساً : الدعوة إلى توفير الحياة الطبيعية للإنسان ٢٦٢
١ - العنصر المادي في الحياة الطيبة ٢٦٢
٢ - العنصر المعنوي في الحياة الطيبة ٢٦٧
المبحث الخامس : التحذير من المعاصي ٢٧١-٢٩٩
المطلب الأول : مفهوم المعصية وآثارها على الأفراد ٢٧١
آثار المعاصي على المجتمعات ٢٧٦
المطلب الثاني : التحذير من المعاصي من خلال الآيات الحسية في القرآن
الكريم ٢٨٠
١ - التحذير من الشرك ٢٨٠
٢ - التحذير من مخالفة العمل للقول ٢٨٤
٣ - التحذير من كيد الشيطان ٢٨٧
العلاج الديني للتخلص من وساوس الشيطان ٢٩١
٤ - التحذير من فتنة الحياة الدنيا ٢٩١
٥ - التحذير من الرياء ٢٩٥
٦ - التحذير من الكبر والتكبر والخيلاء ٢٩٧

الفصل الثاني : أساليب العرض للمنهج الحسي في القرآن الكريم ٣٠١-٣٩٧
تمهيد ٣٠١
المبحث الأول : أسلوب المثل ٣٠٤
المطلب الأول : تعريف المثل ٣٠٤
المثل في القرآن الكريم ٣٠٧
المطلب الثاني : علاقة الأمثال القرآنية بالمنهج الحسي ٣١١
أولاً : المثل أسلوب من أساليب الدعوة ٣١١

ثانياً : عرض طائفة من أمثال القرآن ٣١٤

المبحث الثاني : أسلوب القصة ٣٢٢

المطلب الأول : مفهوم القصة القرآنية وفوائدها ٣٢٤

المطلب الثاني : القصة القرآنية وعلاقتها بالمنهج الحسي ٣٢٩

القصة أسلوب من أساليب الدعوة ٣٣١

مميزات القصة القرآنية ٣٤٠

نماذج من القصص القرآني وعلاقتها بالمنهج الحسي ٣٤١

المبحث الثالث : الترغيب والترهيب ٣٤٨

المطلب الأول : الترغيب ٣٥٣

الترغيب وعلاقته بالمنهج الحسي ٣٥٧

من صور الترغيب ٣٥٧

المطلب الثاني : الترهيب ٣٦٥

بم يكون الترهيب ٣٦٥

الترهيب وعلاقته بالمنهج الحسي ٣٦٨

المبحث الرابع : أسلوب القسم ٣٧٤

المطلب الأول : مفهوم القسم القرآني والغرض منه ٣٧٩

الغرض من القسم في القرآن الكريم ٣٨٠

المطلب الثاني : القسم وعلاقته بالمنهج الحسي ٣٨٣

أولاً : القسم وسيلة من وسائل الدعوة ٣٨٣

ثانياً : دراسة تطبيقية على بعض آيات القسم في القرآن الكريم ٣٨٨

الفصل الثالث : صور الإبداع للمنهج الحسي في القرآن الكريم ٣٩٨-٤٧٦

المبحث الأول : الانتقال من دليل حسي إلى آخر للإفحام ٤٠٤

المبحث الثاني : التدرج في استخدام الدليل الحسي ٤١٨

التدرج في الدعوة وثماره ٤١٩

أولاً : الإبداع في التدرج من خلال الآيات الحسية في القرآن الكريم ٤٢٢

ثانياً : استخدام الرسل عليهم الصلاة والسلام التدرج في الدعوة إلى الله. ٤٢٩

١ – التدرج في دعوة هود عليه السلام ٤٢٩

٢ – التدرج في دعوة صالح عليه السلام ـــــــــ ٤٣٥
٣ – التدرج في دعوة شعيب عليه السلام ـــــــــ ٤٤٠
٤ – التدرج في دعوة سليمان عليه السلام ـــــــــ ٤٤٥

((الجزء الثاني))

المبحث الثالث : الارتباط بالمألوف ـــــــــ ٤٥٣
أولاً : الإبداع في الارتباط بالمألوف من خلال الآيات الحسية في القرآن الكريم ٤٥٦
ثانياً : نماذج التصوير المألوف من البيئة العربية ـــــــــ ٤٦٤
الفصل الرابع : خصائص المنهج الحسي في القرآن الكريم ـــــــــ ٤٧٧-٦١٣
المبحث الأول : خصيصة صلاحيته لأصناف المدعوين ـــــــــ ٤٧٨-٥٨٣
تصنيف المدعوين في القرآن الكريم ـــــــــ ٤٧٩
المطلب الأول : استخدام المنهج الحسي في دعوة أصناف المدعوين من المسلمين ـــــــــ ٤٨٢
من أبرز صفات المؤمنين المهتدين ـــــــــ ٤٨٤
أقسام عصاة المؤمنين بالنسبة للتوبة ـــــــــ ٤٨٧
المطلب الثاني : استخدام المنهج الحسي في دعوة أصناف غير المسلمين ... ٤٩٣
أ – الجاحدون الملحدون ـــــــــ ٤٩٤
ومن أصناف غير المسلمين المدعوين مايلي :
أولاً : التفكر في المصنوع يدل على بعض صفات الصانع ـــــــــ ٤٩٦
ثانياً : الأدلة الحسية المشاهدة ـــــــــ ٤٩٨
ب – المشركون والوثنيون ـــــــــ ٥٠٢
كيفية دعوة المشركين بالمنهج الحسي ـــــــــ ٥٠٦
ج – أهل الكتاب ـــــــــ ٥١٧
استخدام المنهج الحسي في دعوة أهل الكتاب ـــــــــ ٥٢٦
د – المنافقون ـــــــــ ٥٤٨
التعامل مع المنافقين وكيفية مواجهتهم ـــــــــ ٥٥٨

المبحث الثاني : خصيصة عمق التأثير وسرعته في المدعوين ٥٨٢-٦١٣
المطلب الأول : النصوص القرآنية الدالة على تأثير القرآن الكريم في النفوس ٥٨٣
المطلب الثاني : القرآن باعتباره أسلوب عرض للدعوة وتأثيره في النفوس ٥٨٧
المطلب الثالث : الآيات الحسية عمق تأثيرها وسرعتها في المدعوين ٥٩٣
نماذج من تأثير استخدام المنهج الحسي في النفوس ٥٩٥
تأثير القرآن في نفوس الكافرين ٥٩٦
تأثيره في نفوس المؤمنين ٦٠٦

الفصل الخامس : نماذج تطبيقية للدعوة إلى الله باستخدام المنهج الحسي في القرآن الكريم .. ٦١٤-٧٥٧
المبحث الأول : استخدام نوح عليه لاسلام المنهج الحسي في الدعوة إلى الله ٦١٦
أولاً : من هو نوح ؟ ثم ذكر نوح في القرآن الكريم ٦١٦
ثانياً : منهج نوح عليه السلام في الدعوة إلى الله ٦٢٠
ثالثاً : استخدام نوح عليه السلام المنهج الحسي في دعوته ٦٣١
المبحث الثاني : استخدام إبراهيم عليه السلام للمنهج الحسي في الدعوة إلى الله ٦٣٨
أولاً : من هو إبراهيم ؟ وما الآلهة التي كان يعبدها قومه ؟ ٦٣٨
ثانياً : منهج إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى الله ٦٤٢
أولاً – دعوته لأبيه ٦٤٢
ثانياً – منهجه في دعوته لقومه ٦٤٦
المراحل التي اتبعها إبراهيم عليه السلام من أجل إبطال عبادة الأصنام ٦٤٨
ثالثاً – دعوته لأبيه وقومه ٦٥٩
رابعاً – محاجة ابراهيم عليه السلام ٦٦١
ثالثاً : الآيات الحسية من خلال المنهج الحسي في دعوة إبراهيم عليه السلام ٦٦٥
المبحث الثالث : استخدام موسى عليه السلام للمنهج الحسي في الدعوة إلى الله ٦٧٢
أولاً : من هو موسى ؟ ٦٧٣
ثانياً : منهج موسى عليه السلام في الدعوة إلى الله ٦٨٠
١ – منهجه في دعوة فرعون ٦٨٠
٢ – منهجه في دعوة بني إسرائيل ٦٨٥

المبحث الرابع : استخدام عيسى عليه السلام للمنهج الحسي في الدعوة إلى الله ٧٠١
أولاً : من هو عيسى ؟ ٧٠١
ثانياً : منهج عيسى عليه السلام في الدعوة إلى الله ٧٠٧
١ - أنه جاء قومه بالبينات والمعجزات والحكمة ٧٠٧
٢ - توحيد الله والتركيز على بشرية عيسى عليه السلام ٧١٣
٣ - المجادلة بالمنهج الحسي للوصول إلى كلمة سواء ٧١٦
المبحث الخامس : استخدام محمد ﷺ للمنهج الحسي في الدعوة إلى الله ٧٢٢
أولاً : تمهيد في سيرته عليه الصلاة والسلام ٧٢٢
ثانياً : استخدام محمد ﷺ للمنهج الحسي في الدعوة إلى الله ٧٢٧
١ - طلب الماديات والخوارق ٧٢٧
٢ - سؤالهم عن الساعة ٧٣١
٣ - انشقاق القمر ٧٣٢
٤ - قولهم عنه أنه شاعر ٧٣٤
٥ - الآيات الحسية المبثوثة في الكون ٧٣٧
٦ - قضية البعث واستخدام الآيات الحسية في مواجهة المعاندين ٧٤١
٧ - الآيات الحسية في أسلوب الترغيب والترهيب ٧٥٠

الخاتمة وتشمل : ٧٥٠
١ - نتائج البحث ٧٥٩
٢ - التوصيات والاقتراحات ٧٦٢

الفهارس : ٧٦٤-٨٦٤
١ - فهرس الآيات القرآنية ٧٦٥
٢ - فهرس الأحاديث ٨٠٥
٢ - فهرس الأعلام ٨١١
٢ - فهرس المصادر والمراجع ٨٤١
٢ - فهرس الموضوعات ٨٥٧